مكتبة الأسرة
القراءة للجميع
٢٠٠٦

الإخوان المسلمون والتنظيم السري

دكتور عبد العظيم رمضان



الهيئة المصرية العامة للكتاب

الإخوان المسلمون والتنظيم السري

دكتور عبد العظيم رمضان



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠٦



برعاية السيدة

سوزان مبارك

المشرف العام

د. ناصر الأنصاري

الإشراف الطباعي

محمود عبد المجيد

الغلاف

ص... الواحد

الجهات المشاركة

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة التنمية المحلية

وزارة الشباب

...تاب

تقديم

منذ أطلقت السيدة الفاضلة سوزان مبارك دعوتها بأن «الحق فى القراءة مثل الحق فى التعليم والحق فى الصحة، بل الحق فى الحياة نفسها» ، والقارئ المصرى ينتظر كل عام مهرجان القراءة للجميع. وها هى «مكتبة الأسرة» أحد روافد المهرجان الرئيسية تكمل عامها الثالث عشر ، وقد أصبحت خلال هذه السنوات أضخم مشروع نشر فى مصر، وقدمت مكتبة عملاقة تجاوزت ٣٤٤٢ (ثلاثة آلاف وأربعمائة واثنين وأربعين) عنوانًا، من ٣٠٠٠ (ثلاثة آلاف) كاتبًا ومفكرًا وأديبًا، طبعت منها أكثر من ٣٩,٠٠٠٠٠٠ (تسعة وثلاثين مليونًا) نسخة بأسعار فى متناول الجميع، وذلك فى مختلف الفروع: العلوم والتكنولوچيا، والعلوم الاجتماعية، والتذوق الموسيقى، والتصوير، والمسرح، والسينما، والأعمال الأدبية الرفيعة، التى مثلت مسيرة الإبداع فى مصر والعالم، والأعمال الفكرية التى تنبذ الخرافة والإرهاب، والأعمال الدينية التى تعكس صحيح الأديان، وعيون الأدب العربى والتراث، التى تربط الأجيال الجديدة بتاريخها المضىء فى مراحله المتميزة، ورصد إسهام هذا التراث فى بناء الإرث الثقافى الإنسانى.

تنطلق «مكتبة الأسرة» لعام ٢٠٠٦ تحت الشعار النبيل الذى طرحته السيدة الفاضلة «سوزان مبارك» : ثقافة السلام، وهو يدعو إلى نشر ثقافة السلام فى المجتمع، ودعم التسامح ونبذ العنف، والتعرف على عادات وتقاليد الشعوب الأخرى، والتأكيد على أهمية الحوار واحترام الآخر، وتقديم التنوع الثقافى، ونشر المعرفة والتواصل مع الحضارات الأخرى.

تأتى «مكتبة الأسرة» هذا العام والعالم كله يعانى من وطأة العنف والإرهاب. ولم يعد هناك منقذ سوى مواجهة قوى الظلام بالتنوير على يد المفكرين والمثقفين والمبدعين، الذين ظل دورهم عبر التاريخ هو ترسيخ القيم العقلانية والجمالية والإنسانية، ومحاربة النزعات البدائية، التى تستخدم القوة لإشعال الحروب وتدمير البشرية وإنجازاتها.

و«مكتبة الأسرة» هذا العام من خلال سلاسلها المتنوعة ستعكس الدور الرائد لثقافة التسامح، التى تستطيع الحفاظ على تراث الأمة الحضارى.

وحتى نلتقى مع مكتبة الأسرة ٢٠٠٦ ، سنعيد إصدار نحو مائة عنوان بشكل جديد كتمهيد لانطلاقة المشروع.

ناصر الأنصارى

اهداء

الى روح الشهيد فرج فودة
وارواح شهداء حركة التنوير !

تقديم الطبعة الثانية

يسرني أن أقدم للقارىء الكريم هذه الطبعة الثانية من كتابى : «الإخوان المسلمون والتنظيم السرى» وقد صدرت الطبعة الأولى منه فى يناير ١٩٨٣ عن دار «روزاليوسف» - أى منذ أحد عشر عاما . ومع ذلك فلم يستطع كتاب أو بحث صدر فى هذه الفترة التى زادت على عقد من الزمان ، أن يتحدى ما ورد فيه من حقائق تاريخية على أسس علمية صحيحة، أو قدم وثيقة تنفى أو تدحض ما ورد فيه من وثائق - هذا على الرغم مما صدر فى تلك الفترة من كتب ومذكرات ووثائق .

وللأمانة فقد صدرت كتابات تحاول تفنيد بعض ما ورد فى هذا الكتاب من حقائق، ولكنها خرجت شاحبة ولم تتجاوز ما أثير وقت نشر فصول هذا الكتاب من اعتراضات، وخصوصا من جانب الصديق الداعية الكبير صلاح شادى، ورددت عليه فى حينه، واستغرق هذا الحوار على صفحات جريدة الوطن الكويتية قرابة ثلاثة أشهر، رد فيها الداعية الكبير بأحد عشر مقالا مطولا، ورددت بست مقالات. وقد رأيت ضم هذه المقالات إلى الكتاب لاتاحة الفرصة للقارىء للاطلاع على الرأى والرأى الآخر.

ومن هنا لم أجد عند إعادة إصدار طبعة ثانية من هذا الكتاب ما يدعونى إلى حذف حرف واحد منه، أو إضافة حرف، تمسكا بما ورد فيه من حقائق اعتمدت فيها على المصادر الأصلية دون تأثر باتجاه فكرى يلوى عنق الحقيقة ، وإنما استنادا إلى منهج البحث العلمى التاريخى

الذى يستهدف الوصول إلى الحقيقة التاريخية وحدها دون زيف أو تشويه.

والمهم هو أنه منذ صدور هذا الكتاب فى عام ١٩٨٢ حدث تطوران هامان : الأول، تخلى جماعة الاخوان المسلمين عن العنف، وتحولها الى جماعة برلمانية بعد دخولها الانتخابات البرلمانية تحت عباءة أحزاب شرعية أخرى. والتطور الثانى هو انتقال العنف من الاخوان المسلمين الى جماعات أخرى.

فقد كان بعد تصفية تنظيم سيد قطب فى عام١٩٦٥ أن قامت جماعة صالح سرية، الذى بدأ فى تكوين تنظيمه من أوائل سنة ١٩٧٣، بهدف الاستيلاء على الحكم عن طريق الاستيلاء على الكلية الفنية العسكرية، والاستيلاء على الأسلحة الموجودة بمخازنها وعرباتها، ثم التوجه بعد ذلك الى مبنى اللجنة التنفيذية للاتحاد الاشتراكى لاعتقال رئيس الجمهورية والاستيلاء على السلطة.

على أن الخطة فشلت ، ووقع أعضاء التنظيم فى يد سلطات الأمن ، بعد مصرع ١٣ شخصا وإصابة ٢٧ آخرين ، وقدمت النيابة ٩٢ عضوا من أعضاء التنظيم إلى المحاكمة ، معظمهم من الطلبة الذين بلغ عددهم ٧٥ ، منهم ١٦ من طلبة الكلية الفنية العسكرية . وصدر الحكم على صالح سرية بالإعدام ، ونفذ فيه الحكم ، وأفرج عن ٦٠ من المتهمين . وجرت المحاكمة ابتداء من ٢٦ يونية ١٩٧٤ .

على أن هذه النتيجة لم تردع جماعة أخرى كانت تتخذ لها زعامة جديدة هى « جماعة المسلمين » التى اشتهرت باسم « التكفير والهجرة»، وكان زعيمها شكرى مصطفى . وقد بدأ استخدام العنف داخل الجماعة، حين أخذ بعض الأعضاء ينشقون على الجماعة ، فاعتبرت ذلك ارتدادا عن الاسلام ! ولما كان حكم المرتد فى الدين الاسلامى هو القتل ، فلذلك

كون شكرى مصطفى فرق موت تتابع المنشقين لاغتيالهم ، الأمر الذى حرك سلطات الأمن ضد الجماعة ، وأخذت فى اعتقال بعض أفرادها .

وقد واجه شكرى مصطفى ذلك باختطاف وزير الأوقاف السابق الدكتور محمد الذهبى ، واحتفظ به رهينة مقابل الافراج عن الأعضاءالمعتقلين . وقد تم الخطف فجر يوم الأحد ٣يوليو ١٩٧٧ ، وحددت الجماعة مطالب سبعة للافراج عنه ، أحدها دفع مائتى ألف جنيه نقدا ، وعندما شعرت بأن الحكومة تماطل لم تتردد فى قتل الذهبى وهو على سجادة الصلاة !

والمهم هو أن الجماعة لم تلبث أن سقطت فى قبضة سلطات الأمن ـ كالعادة ـ فى يوم ٨ يوليو ١٩٧٧ ، وقدمت ، وعلى رأسها شكرى مصطفى ، للمحاكمة العسكرية ـ وكان عدد المتهمين ٥٤ عضوا ـ وذلك بتهمة اغتيال الذهبى ، كما قدم ٢٠٤ آخرون بتهمة الانتماء للتنظيم . وقد أصدرت المحكمة يوم ٣٠ نوفمبر ١٩٧٧ حكمها باعدام شكرى مصطفى وأربعة آخرين ، ومعاقبة ١٢ بالأشغال الشاقة المؤبدة ، وهم المجموعة التى اشتركت فى خطف الذهبى . ومعاقبة ٧ بالأشغال الشاقة لمدة ١٥ سنة ، ومعاقبة ٦ بالأشغال الشاقة لمدة ١٠ سنوات ، ومعاقبة ٨ متهمين بالأشغال الشاقة لمدة ثلاث سنوات .

وعلى هذا النحو ، وكما حدث من قبل لجماعة الفنية العسكرية ، سقطت جماعة التكفير والهجرة فى العنف قبل أن تقيم نظامها الاسلامى الذى ظنت أنها تستطيع الوصول إليه بالعنف !

وفى الوقت الذى كان يجرى فيه محاكمة شكرى مصطفى ورفاقه ، وهى المحاكمة التى انتهت باعدامه وأربعة آخرين ، كانت تجرى محاكمة تنظيم آخر ظهر باسم « الجهاد » ، استمد أعضاءه من المفرج عنهم فى قضية الفنية العسكرية ، وقد بلغ عدد المتهمين ٤٢ فردا ، وعلى رأسهم أمير التنظيم أحمد صالح غامر وحسن هلاوى .

ولم يكد يمضى عام كامل حتى كان محمد عبد السلام فرج ينشىء تنظيما جديدا بنفس الاسم وهو « الجهاد » . وفى صيف عام ١٩٨٠ أخذ فى تسليح هذا التنظيم على مستوى الجمهورية ، مستفيدا من المناخ المواتى المتمثل فى اطلاق السادات النزعة الاسلامية والجماعات الاسلامية فى أنحاء البلاد لموازنة قوة الشيوعيين ، واعتمدت الجماعة على سرقة محلات تجار الذهب الأقباط فى تمويل عملية تسليحها .

على أنه فى سبتمبر ١٩٨١ كان التنظيم السرى للجهاد قد تضخم إلى الحد الذى دعا أجهزة الأمن فى الدولة إلى التدخل والقبض على أعضائه ، فى إطار الحملة الموسعة التى أمر بها السادات لقمع خصومه السياسيين ، وشملت ١٥٣٦ شخصا . ونجح جهاز الأمن فى اعتقال بعض أعضاء التنظيم ، وهرب بقية الأعضاء فى الوقت الذى كانت تتم عملية مطاردتهم .

وهنا هيأت الصدفة المحضة الفرصة لأعضاء التنظيم لاغتيال السادات ، حين وقع الاختيار على الملازم أول خالد الاسلامبولى للاشتراك فى طابور العرض العسكرى يوم ٦ أكتوبر ١٩٨١ ، فعرض الفكرة على أعضاء التنظيم ، وقد قوبلت بتردد فى البداية ثم اعتمدت ، وقد نجح الاسلامبولى ورفاقه فى اغتيال السادات بفضل هذه الصدفة المحضة ، ولولا ذلك لما نجح اطلاقا فى اغتيال السادات ! والمهم أن النتيجة كانت واحدة بالنسبة للتنظيم ، فقد سقط جميعه فى يد الدولة بعد مقاومة فى بعض مدن القطر ، واستمر النظام السياسى قائما يمارس وظيفته فى قمع أية حركة عنف .

وقد كان حصاد اغتيال السادات بالنسبة للجماعة الجهادية كبيرا ، فقد ترتبت عليه قضيتان : الأولى قضية اغتيال السادات ، والثانية قضية تنظيم الجهاد . وقد قضت المحكمة العسكرية فى القضية الأولى باعدام كل من خالد الاسلامبولى ، وعبد الحميد عبد السلام ، وعطا طايل ، وحسين عباس ، ومحمد عبد السلام فرج ، ومعاقبة كل من عبود الزمر

وابن عمه طارق الزمر ومحمود طارق إبراهيم وأسامه السيد قاسم وصلاح السيد بيومى بالأشغال الشاقة المؤبدة ، والحكم على الباقين ـ فيما عدا عمر عبد الرحمن وآخر ـ بالأشغال الشاقة لمدد مختلفة . وكان عدد الجميع ٢٤ متهما ، وقد تم تنفيذ حكم الاعدام فى خالد الاسلامبولى ورفاقه فى يوم ١٥ أبريل ١٩٨٢ .

أما القضية الثانية ، وهى قضية تنظيم الجهاد ، فقد حكم فيها بالأشغال الشاقة المؤبدة على سبعة متهمين على رأسهم عبود الزمر ، وقيادات الصعيد ، وعلى ١٠٣ آخرين بالأشغال الشاقة لمدد مختلفة . وبذلك انتهت صفحة تنظيم الجهاد .

على أن هذه النتيجة لم تردع تيار العنف فى الحركة الاسلامية ، فإن اغراءات السلطة كانت تجذبه إلى استخدام العنف أملا فى الوصول إليها. ولذلك لم يكد أحد المعتقلين فى تنظيم الجهاد ، واسمه أحمد سمن، يفرج عنه ، حتى كان يشكل تنظيما جهاديا جديدا يستهدف القيام بانقلاب عسكرى يسبقه اغتيال الشخصيات الهامة . ولكن جهاز الأمن بالدولة كان واقفا له بالمرصاد ، فتم اعتقال ٣٣ من أعضائه وتقديمهم إلى المحاكمة فى ١٩٨٦ .

ولكن بعد عامين فقط كان عصام القمرى وخميس مسلم ومحمد الأسوانى ، وهم من المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة فى قضية تنظيم الجهاد ، يهربون من ليمان طرة فى يوليو ١٩٨٨ ، ويحيون بذلك أمل الحركة الاسلامية فى القيام بانقلاب ضد السلطة . ولكن سلطات الأمن لم تلبث أن تمكنت من الوصول إلى الهاربين الثلاثة .

وفى الاشتباك الذى دار مع رجال الأمن لقى عصام القمرى حتفه ، كما تم القبض على محمد الأسوانى وشقيقه ، وأجبرا على الكشف عن مكان اختفاء خميس مسلم فى ضاحية المعادى ، وعندما حاول الهرب من القوة أطلقت عليه النار ، وأردته قتيلا ، وقدم للمحاكمة فى هذه القضية ٢١ متهما .

وفى نفس العام كان يتم القبض على تنظيم جهادى آخر ، اصطلح على تسميته بجماعة حرائق أندية الفيديو بعد أن قامت فى العام السابق باحراق عدد من أندية الفيديو واشعال النار فى مسرح الهوسابير وسينما كريم/٢ ، وأخذت تخطط لاغتيال القيادات السياسية بالدولة ورؤساء تحرير الصحف ، ولكن سلطات الأمن استطاعت ـ كالعادة ـ الوصول إلى التنظيم قبل تحقيق أهدافه ، وألقت القبض على ٧٥ من أفراده وقدمتهم إلى المحاكمة .

على أن تيار العنف من جانب الجماعات الاسلامية لم يتوقف، فقد قام فى العام التالى تنظيم «الناجون من النار» ، بمحاولة اغتيال وزير الداخلية السابق حسن أبو باشا ومكرم محمد أحمد ووزير الداخلية السابق محمد نبوى إسماعيل ، وقد فشلت هذه المحاولات جميعا . وتمكنت سلطات الأمن ـ كالعادة ـ من الوصول إلى التنظيم وإلقاء القبض على أفراده ، فيما عدا مجدى الصفتى وعبد الله أبو العلا . وانتهت محاكمة أعضاء التنظيم بالحكم بالأشغال الشاقة المؤبدة على أربعة ، ومعاقبة أربعة آخرين بـ ١٠ سنوات ، ومعاقبة سبعة بـ ٧ سنوات، ومعاقبة متهمين بـ ٥ سنوات .

وقد كان هذا الحكم المخفف الذى لامت فيه المحكمة الأزهر ووزارة الأوقاف، هو السبب الرئيسى فى الجهود المكثفة التى بذلها وزير الأوقاف الحالى محمد على محجوب ، ومفتى الجمهورية الدكتور سيد طنطاوى ، من خلال وسائل الإعلام وزيارة كافة المحافظات، لتعريف هذه الجماعات الدين الصحيح . ولكن هذه الجهود ذهبت سدى ، لأن اغتيال الدكتور المحجوب جاء ليثبت أن أهداف هذه التنظيمات الارهابية ليست متعلقة بصحيح الشريعة الاسلامية أو بخطئها ـ كما تصورت المحكمة ـ وإنما هى متعلقة بالسلطة والوصول إلى الحكم ، وهما هدف يستحق التضحية من أجله بالحرية والحياة ، وفى سبيله تهون حياة الأبرياء !

فلقد قتل الدكتور . فعت المحجوب وهو غير مقصود لذاته ـ فهو برىء ـ وقتل معه كل من العميد سليم وكيل مباحث القاهرة ـ .وهو برىء ـ كما قتل المقدم عمرو سعد الشربينى قائد الحراسة الخاصة ـ وهو برىء ـ وقتل سائق سيارة الحراسة ـ وهو برىء ـ كما قتل عبد العال رمضان الموظف بمجلس الشعب ـ وهو برىء .

وقد أهدرت هذه الدماء بغير جدوى ولا نتيجة ، وأهدرت فى مقابلها دماء شباب التنظيم فى أثناء القبض على الجناة . وفى أثناء البحث عن الهارب صفوت عبد الغنى أهدرت دماء أخرى لأعضاء التنظيم .

وكل ذلك والحركة الارهابية الاسلامية لا تدرى أنها تبدد طاقة اسلامية ثمينة دون أن تحقق شيئا ، ودون أن تعى هذه الحقيقة التاريخية، وهى أن الدولة المصرية التى تمتد جذورها فى أعماق التاريخ سبعة آلاف سنة هى أقوى من كل تنظيمات علنية أو سرية ، وأن خبرتها فى التعامل مع الخارجين عليها لا تعادلها خبرة فى المنطقة العربية .

وأسوأ من ذلك كله أن هذه التنظيمات الارهابية لا تدرى أنها منعزلة عن الجماهير المصرية ، التى تكره بطبيعتها العنف ، وتكره التطرف ، والتى هى رصيد الدولة فى مقاومة الارهاب عند اللزوم لو فشلت أجهزة الأمن . وأن أجهزة الأمن ـ كما أثبتت مواجهتها للارهاب الدينى على مدى الستين عاما السابقة ، وكما أثبتت نجاحها المستمر فى كل هذه المواجهات ـ تملك من القدرة والولاء والخبرة ما يجعل فشلها أمرا بعيد الاحتمال إلى يوم الدين .

فهل تقتنع التنظيمات الارهابية الدينية بهذا المنطق التاريخى ، وتتوجه جهودها لعملية بناء الإنسان المصرى المسلم ، بدلا من عملية هدم نظام الدولة السياسى ، وإقامة نظام اسلامى وهمى فشل المسلمون فى اقامته على وجهه الصحيح على مدى أربعة عشر قرنا بعد عهد الخلفاء الراشدين ؟

ومنذ ذلك الحين سار العنف من جانب الجماعات الاسلامية فى خط متصاعد، فقد قتل المفكر الكبير فرج فودة، ووقع الاعتداء على السائحين وزرعت المتفجرات فى الأحياء الشعبية، وأخيرا وقعت محاولة اغتيال حسن الألفى وزير الداخلية، وهى آخر حادث عنف حتى لحظة كتابة هذا التقديم للطبعة الثانية.

والمهم هو أنه على الرغم من أن العنف من جانب الجماعات الاسلامية لم ينقطع منذ عام ١٩٧٣، إلا أن هذا العنف لم يسفر الا عن اعتقال الألوف من شباب الجماعات الاسلامية، واعدام الكثيرين منهم، وسقوط أعداد أكبر صرعى فى الاشتباكات مع رجال الأمن، فضلا عن سقوط الأبرياء من الأهالى الذين يتصادف وجودهم فى مكان الاشتباكات أو الانفجارات.

ومعنى ذلك أن دماء الجماعات الاسلامية تنزف باستمرار، وتفقد معظم صفوفها، وتفقد فى الوقت نفسه القاعدة الجماهيرية التى لا تستغنى عنها أية حركة سياسية تستهدف قلب نظام الحكم ـ وهو ما يعنى فى نهاية الأمر أن هدف الحكومة الاسلامية يبعد باستمرار ولا يقترب كما تبغى هذه الجماعات.

فلكى يتحقق مثل هذا الهدف يلزمه تنظيم قوى تتزايد قوته مع الأيام، كما تلزمه مساندته جماهيرية قوية تؤمن بمبادئه وأهدافه. وهذا الشرطان كما هو واضح من عرضنا ـ يبتعدان على طول المواجهة بين الجماعات الاسلامية وقوات الأمن، ويكادان يختفيان. ومعنى ذلك أنه حتى لو أفلحت هذه الجماعات فى قلب نظام الحكم بطريق الصدفة والظروف المواتية، فانها ستكون معزولة عن قاعدتها الجماهيرية، ومحرومة من صفوفها التى سقطت فى المعركة، ولاتلبث طويلا حتى تسقط، ولكن بعد خراب البلاد. وعلى كل حال، فقد كان علىّ بعد أن نفذت طبعة هذا الكتاب منذ أكثر من سبعة أعوام أن أعيد طبعه من جديد ليكون فى يد الباحثين

والقراء فى مصر وفى الخارج، الذين كثر إلحاح الكثيرين منهم على لاعادة طبعه لأعفيهم من مشقة وتكاليف تصوير ما يفيدهم منه فى أبحاثهم وقراءاتهم. ولعلى بذلك أكون قد وفيت بعض الدين لقرائى الكرام وجمهور المكتبة العربية التى تحتل مكانا مرموقا فى ثقافة العالم المعاصر.

والله ولى التوفيق

مصر الجديدة فى ٢٣ أول أكتوبر ١٩٩٣

د. عبد العظيم رمضان

تقـــــديم

الاخـــــوان المســـلمون

التنظيم السرى وحادث المنشية

بقلـــم

د. عبد العظيم رمضان

يرجع الفضل فى ظهور فكرة هذه الدراسة الى المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، حين نظم رئيسه الدكتور أحمـــد محمد خليفة فى عام ١٩٧٩ ، أى فى أعقاب اغتيال الشيخ الذهبى حلقة علمية مقفلة ، دعا اليها عـــددا محدودا جدا من علمــــاء الاجتماع والقانون والدين والتاريخ ، لمناقشة ما بدا أنــه أخطر قضية تطل برأسها فى ذلك الحين ، وهى قضية الحركات الدينية المتطرفة والعنف • وكان صاحب هذا القلم أحد أعضاء هـــذه الحلقـــة •

وقد دارت فى هذه الحلقة مناقشات على جـــانب عظيم من الخصوبة والأهمية ، حتى لقد بدا لكثيرين أنها أخطر مناقشـــات دارت حول قضية من القضايا فى الحقبة التاريخية الأخيرة ! •• ومن سوء الحظ أن الصفة السرية القصــــوى للحلقة قد منعت تسجيل مناقشاتها بالوسائل العلمية الحديثـــة ، ونشرها عـــلى جماهيرنا ، وبالتالى فهى تمنعنى من اذاعة ما قمت بتسجيلـــه من ملاحظات •

على أن المحصلة التى انتهت اليها الحلقـــة هى أن العنف الصادر عن الجماعات الدينية المتطرفة ، سوف يلعب دورا رئيسيا فى تشكيل الأحداث فى بلادنا فى المستقبل القريب ، مالم تتخـذ الاحتياطات لتوقى حدوثه ، سواء من جانب السلطات الدينيـة والجماعات الدينية المعتدلة ، أو من جانب السلطات الرسمية ٠٠ ولم يخطر ببال أشد المتشائمين فى هذه الحلقة ، وكنت أحدهم ، أن هذا العنف سوف يودى بحياة رئيس الدولة نفسه ، وهو ما لم يحدث فى طول التاريخ المصرى وعرضه !

ولما كان البحث الذى قدمته لهذه الحلقة ، هو عن جمـاعة الاخوان المسلمين والعنف ، وقد حددت فيه دور الجماعة ودور الدولة فى نشأة العنف ــ فقد تراءى لى ، وأنا ممن يؤمنون بأن التاريخ لا يدرس لذاته ، وانما يدرس لكى توضع نتائج تحقيقاته فى خدمة المجتمع ، أن أبادر بتوسيع نطاق هذه الدراسة ، ومـد آفاقها ، والتوفر على تحقيق المزيد من تفصيلاتهـــا ، ثم نشر نتائجها على جماهيرنا ، لتكون بمثابة جرس انذار ينبه المجتمـع المصرى ، والجماعات الدينية المتطرفة ، والدولة ، الى أن العنف ــ من واقع التجربة التاريخية ــ لايجدى ، وانه لا يحقق أى تغيير جذرى ، وانه يعود عــلى مرتكبيه من الجانبين بأوخـم العواقب ! ٠

وعندما طرأت لى هذه الفكرة ، وشرعت فى تنفيذهـا ، لم أكن أدرج جماعة الاخوان المسلمين الحالية فى سـلك الجماعات الدينية المتطرفة ، بعد انهيار التنظيم السرى على يد عبد الناصر فى عام ١٩٥٤ ، وتصفيته للتنظيم الجديد فى عام ١٩٦٥ ، وادراكا منى أن القيادات الأخيرة للاخوان هى قيادات وعت درس العنف جيدا منذ أوائل الخمسينيات ، وكانت تعـارض التنظيم السرى علنا قبل حادث المنشية ٠ وان كان قد سـبق لى أن تنبأت ، فى

مقال كانت قد طلبته منى جريدة «اللوموند دبلوماتيك»الفرنسية ونشر فى عدد أغسطس ١٩٧٧ ، بحتمية حـــدوث مواجهة بين الاخوان المسلمين والسلطة فى أقرب فرصة ، اذا رفضت السلطة مطلبهم فى الوجود الشرعى ، وقلت بالحرف الواحد أنه :

«Si, comme il l'a déclare, le pouvior refuse la requete des Freres musulmans, il s'ensuivrait une situation explosive conduisant, a la premiere occasion, a une inevitable confrontation.»

وعلى كل حال ، فان هذا ما جعلنى أحرص على أن أصـــدر هذه الدراسة ، عندما نشرت فى شكل مقالات فى مجلة روزاليوسف القاهرية ، وجريدتى « الهدف » الكويتية و «الاتحاد» بأبى ظبى بعبارة صادقة تنص على أن « هذه الدراسة تنصب على أحداث الماضى ، ولا صلة لها بالحاضر الا تلك الصـــلة الضرورية التى يستخلصها الحاضر من عبرة الماضى ودروس التجربة • وبالتالى فمن الخطأ الفادح أن تعدها أية هيئة حالية ، سياسية كانت أو دينية ، أو يعدها أى فرد يعيش الآن ــ محـــاولة للادانة ، أو الهجوم • فذلك أبعد ما يكون عن أغراض الدراسة العلميـــة الحقيقية » •

على أنه رغم هذه العبارة ، لم تكد تنشر فصول الدراسة فى الصحف السالفة الذكر ، حتى انهال سيل من الهجوم والطعن على الكاتب فى البلاد التى نشرت فيها الدراسة وفى غيرها ، من جانب الدوائر الدينية الاسلامية ، التى اعتبرت الدراســـة موجهة ، ليس فقط ضد جماعة الاخوان المسلمين ، بل وضـــد الاسلام أيضا !! • وبلغ الأمر حد استخدام منابر المســـاجد والجوامع فى شن الهجوم والطعن •• وأفلح الضغط فى ايقـــاف نشر الدراسة فى جريدة « الاتحاد » التى تصـــدر بأبى ظبى ، بعد نشر اثنتين وعشرين حلقة منها •• ومن المؤسف أن كثيرا من الهجوم الذى تعرض له الكاتب باسم الدين ، لم يلتزم بالقواعد

التى رسمها الدين الحنيف للحوار والجدل فيما بين المسلمين أو حتى بين المسلمين والمشركين !!

على أن هذا لم يمنع قيام حوار مثمر بينى وبين الأستاذ صلاح شادى ، داعية الاخوان الكبير ، وأحد من لعبوا دورا هاما فى أحداث الدراسة — على صفحات جريدة الوطن الكويتية ، استمر قرابة ثلاثة أشهر ، نشر فيها أحد عشر مقالا مطولا ، ورددت عليه بست مقالات ، لم ينشر السادس منها لقفل باب الحوار • ورغم أن الخلاف لم يحسم لاختلاف مواقعنا ، الا انى رأيت أنه سوف يكون مفيدا لقارىء هذه الدراسة بعد نشرها فى كتاب ، متابعة هذا الحوار الخصب ، للتعرف على رؤية أحد زعماء الاخوان المسلمين للأحداث ، خصوصا وكان من زعماء التنظيم السرى ، والحكم على هذه الرؤية فى ضوء ما استندنا اليه من مصادر سوف يجدها القارىء ملحقة بالكتاب ، فضلا عن الحواشى التى حرصت على اثباتها فى نهاية كل صفحة •

لذلك استأذنت الأستاذ صلاح شادى ، الذى ربطتنى به رابطة الود والاحترام أثناء الحوار ، وقد طوقنى بفضله حين حرص على رؤيتى عند زيارته للندن فى عام ١٩٨١ ، حيث أكلنا معا خبزا وملحا — فى نشر مقالاته بين ملاحق هذه الدراسة ، فقبل مشكورا • وسيرى القارىء الخطابين المتبادلين بيننا فى هذا الشأن فى ملاحق الدراسة ، مشفوعة بردودى عليه فى نفس جريدة الوطن الكويتية • ونظرا لأنه طلب منى « عدم اضافة شىء لم ينشر فى ذلك الحين » ، فقد احترمت رغبته ، ولم أشأ الرد على ما أثاره من نقاط لم تتح لى الفرصة للرد عليه فى حينه • وان كنت أبحت لنفسى نشر ردى السادس عليه ، رغم أنه لم ينشر ، لأنه سبق لى أن أرسلته اليه بعد طلبه منى فى احدى مكالماتنا التليفونية ، فهو يدخل فى اطار علمه •

كذلك رأيت نشر الرد الذى كتبه صديقى الدكتور فــؤاد زكريا فى جريدة الوطن ، تعليقا على بعض أحداث الدراســة ، وأرفقته بردى عليه فى نفس الجريدة • كما نشرت ردين هامين أحدهما نشر بمجلة روز اليوسف مع الحلقة الرابعةعشرة لمواطن يدعى فاروق حافظ ، والثانى فىشكل خطاب ورد الى من الدكتور محمد فؤاد منير ، وهو طبيب بالاسكندرية ، بتاريخ ٧ ديسمبر ١٩٨٠ ، وهما يحويان معلومات تاريخية ــ مجهولة للآن ــ عن المجموعة التى ارتكبت حوادث الهجوم على تجمعات الانجايز فى الاسكندرية فى يولية ١٩٤٦ • وقد اتفقا على استبعاد الاخوان المسلمين من مسئولية ارتكاب هذه الحوادث • ولا أملك الا أن أوجه اليهما الشكر لهذه المعلومات الجديدة •

وقد رايت الاكتفاء بهذا القدر من الردود التى أثارتهـــا الدراسة ، دون نشر بقية الردود التى أغفلت الحــــد الأدنى لقواعد الجدل والنقاش ، حرصا على المستوى العلمى للكتاب • كما أنى لم أر فائدة من نشر الردود الأخــرى التى تحمل آراء شخصية لاتقدم ما يدعمها من وثائق أو مستندات ، لأن ضررمثل هذه الردود أكثر من نفعه • وان كنت لا أملك الا أن أشكرالجميع لاسهامهم بقدر جهدهم فى النقاش • عــلى أنى نشرت تعليقى الأخير على هذه الردود ، الذى نشرته لى مجلة روز اليوسف مع الحلقة الأخيرة للدراسة الصادرة بعدد ١٣ أبريل ١٩٨١ ، تحت عنوان : ((أكن لجماعة الاخوان المسلمين احتراما كبيرا)) •

وأخيرا ، فان ردود الفعل العنيفة لصدور هذه الدراســة ونشرها على أوسع نطاق فى الصحف اليومية ، ليست ســـوى أنموذج لبعض المتاعب التى يمكن أن يتعرض لها مؤرخ التاريخ المعاصر ، حيث الأحداث لاتزال ساخنة ، والافراد الذين لعبوا دورا فى هذه الاحداث لا يزالون أحياء يرزقون !! ومثل هــذه

المتاعب قد تقعد الكثيرين عن معالجة مثل هـــذه الموضوعات المعاصرة ، ولكن بالنسبة لى تعد تحديا لا مفر من قبوله ، لأنهـا فى نهاية الأمر امتحان كبير لقدرة الوثائق على اعـــادة تركيب الحدث التاريخى ، قديما كان أو وسيطا ، حديثا كان أو معاصرا، وفق المنهج العلمى السليم • ولذلك فأعتقد أننى ســوف أمضى بمشيئته تعالى فيما اعتزمته من استكمال دراسة الحركات الدينية المتطرفة والعنف ، بمجرد توافر الوثائق الكافية التى أجد فى جمعها بكل مثابرة وتصميم • وأملى أن أضع نتائج هذه الدراســات أمام بنى وطنى فى أقرب فرصة ان شاء الله • والله ولى التوفيق •

مصر الجديدة فى ٢٥ يناير ١٩٨٢

د• عبد العظيم رمضان

تمهيـــد

في تمام الساعة السابعة وخمس وخمسين دقيقة من مساء يـوم الثلاثاء ٢٦ أكتوبر ١٩٥٤ ، كان جمال عبد الناصر يقف خطيبا في حفـل أقيم بميدان المنشية بالاسكندرية ، بمناسبة توقيع اتفاقية الجلاء مـع بريطانيا • ولم تكن قد مضت دقائق قليلة على بدء خطابه ، وكان يتحدث عن ذكرياته اشتراكه في العمل الوطني ، ووصل الى فقرة يقول فيها :

« بدأت كفاحي من هذا الميدان في الاسكندرية ، وكنت شابا صغيرا في عام ١٩٣٠ ، حين بدأت لأول مرة أهتف مع اخواني أبناء الشـعب للحرية • واليوم أشكر الله ، فقد أثمر كفاح آبائكم وأجدادكم وجميع الشهداء الذين استشهدوا في هذا السبيل » •

وفي هذه اللحظة بالذات دوت ثماني رصـاصات متتالية أطلقهـا محمود عبد اللطيف ، العضو في التنظيم السري لجماعة الاخـوان المسلمين ، على جمال عبد الناصر ، لم تصبه ، ولكنها أصابت جمـاعة الاخوان المسلمين بكارثة فظيعة لم يشهد لها تاريخ الحياة السياسـية في مصر مثيلا •

كان شعور جماهير الاسكندرية عند القاء عبد الناصر خطابه ، معبأ ضد اتفاقية الجلاء مع بريطانيا ، التي عارضتها كل القوى السياسية في مصر ، وضد عبد الناصر الذي وقعها ، وضد نظام الحـكم الاستبدادي الذي أرساه • وعندما أقيم سرادق الاحتفال في ميدان المنشية ، احتلته جماهير الأسكندرية ، وأخذت هتافاتها تتعالى بالحرية وسقوط الظـلم ، مما اضطر السلطات الى اخلاء السرادق من هذه الجماهير في الخامسة مساء ، واعادة ملئه من جديد بجماهير مأجورة تتكون من عشرة آلاف من عمال مديرية التحرير الموالية • وكانت هذه الجماهـير هي التي تسرب

محمود عبد اللطيف من بينها ليجلس فى الصفوف الأمامية على بعد عشرين مترا من منصة الخطباء والضيوف ، وأطلق منها الرصاص على جمال عبد الناصر ·

على أن عبد الناصر لم يسقط · لقد سقط المحامى أحمد بدر ، الذى كان يقف على بعد ربع متر الى جوار عبد الناصر ، برصاص محمود عبد اللطيف ، وأصيب ميرغنى حمزة وزير السودان بشظايا مصباح كهربائى فى المنصة أصيب بالرصاص · وساد هرج ومرج شديدان ، ولكن عبد الناصر كان صامدا · فقد طلب الى الجماهير القبض على الجانى ، فأمسكته ، وأوسعته ضربا شديدا ، بينما كان عبد الناصر يطالب الجماهير بالثبات فى مواقعها بعبارات متهدجة من فرط التأثر ، أعلن فيها أن دمه فداء لمصر ، وأن حياة مصر لن تكون معلقة بكفاح عبد الناصر ، بل هى معلقة بكفاح شعب مصر ·

وقد جرت فى أعقاب ذلك أكبر حملة اعتقال للاخوان المسلمين شهدتها مصر ، حتى وصل الأمر الى حد اعطاء المعتقلين بطاقات يسجلون فيها أسماءهم وعناوينهم لتدون فى كشوف · وقد وصل عدد المعتقلين الى أكبر مداه يوم ٢٤ أكتوبر ١٩٥٥ ، أى بعد عام من الاعتداء ، حتى وصل الى ٢٩٤٣ معتقلا ·

وقد بدأ الأمر باعتقال هنداوى دوير ، رئيس محمود عبد اللطيف فى التنظيم السرى ، الذى سام نفسه لبوليس امبابه فى اليوم التالى مباشرة للاعتداء · وفى يوم ٣٠ أكتوبر قبض على الهضيبى فى الاسكندرية ، بعد أن عثر على عنوانه عن طريق ورقة بها أرقام تليفونات عثر عليها مع صلاح شادى ، الضابط الاخوانى الذى قبض عليه فى الاسكندرية ، وكان بها رقم تليفون المنزل الذى يقيم فيه الهضيبى · كذلك قبض على محمد نصيرى وسعد حجاج ·

وفى يوم ٦ نوفمبر أعلنت الحكومة فى الصحف عن طلب القبض على

يوسف طلعت ، رئيس التنظيم السرى ، وحسن العشماوى وابراهيم الطيب وعبد المنعم عبد الرءوف • وفى نفس اليوم سقط فى يد السلطة كل من عبد القادر عودة وصالح أبو رقيق ومنير دلة وكمال خليفة ومحمد فرغلى وحسين كمال الدين • وفى اليوم التالى تم اعتقال أعضاء الجهاز السرى فى الاسكندرية • وفى ١١ نوفمبر ألقى القبض على محمد خميس حميدة وكيل الجماعة • وبعد أربعة أيام ، أى فى ١٥ نوفمبر ، سقط يوسف طلعت فى يد البوليس ، وكانت الحكومة قد رصدت مكافأة للقبض عليه قدرها ٢٠٠٠ جنيه ، وهو مبلغ ضخم بمعيار ذلك الوقت •

وبعد ثلاثة أيام أخرى ، أى فى ١٨ نوفمبر ، ألقى القبض على عمر التلمسانى وسيد قطب والضابط الاخوانى حلمى أبو كرم ، كما ألقى القبض على خمسة عشر آخرين • وفى ١٩ نوفمبر ألقى القبض على صالح عشماوى وفهمى أبو غدير ، ولكن تم الافراج عنهما بأمر المباحث العامة• وتسابقت أنباء القبض على الخلايا فى الوجهين البحرى والقبلى ومحافظات القطر •

وفى ٢٢ نوفمبر نشرت الصحف أسماء المعتقلين من أعضاء مكتب الارشاد ، وهم : محمد خميس حميدة ، وكمال خليفة ، وعبد القادر عودة ، ومنير دلة ، وصالح أبو رقيق ، وحسين كمال الدين ، ومحمد فرغلى ، ومحمد حامد أبو النصر ، وعبد العزيز عطيه ، وأحمد شريت • وكان قد تم القبض فى اليوم السابق على طاهر الخشاب • وبعد خمسة أيام ، أى فى ٢٧ نوفمبر ألقى البكباشى زكريا محيى الدين ، بيانات فى الصحف ذكر فيها أنه تم اعتقال ٧٠٪ من أعضاء الجهاز السرى البالغ عددهم سبعمائة •

ومن الغريب أنه فى كل هذه الاعتقالات التى تمت لافراد الجهاز السرى ، لم تحدث مقاومة الا فى حالة واحدة وقعت يوم ١٤ نوفمبر بين قوات البوليس وبين ثلاثة من الاخوان هم : عبد العزيز العراقى ،

وأحمد حسين ، ومحمد شاكر خليل • وقد قتل الأولان فى المعركة التى دارت بالمدافع الرشاشة ، وأصيب الثالث اصابات جسيمة شفى منهـــا وقدم للمحاكمة •

وقد أثارت محاولة الاغتيال كثيرا من العطف على عبد الناصر ، الذى كان فى ذلك الحين مدانا من القوى الوطنية الديموقراطية والتقدمية ، فلم تكن قد برزت بعد امكانياته النضالية فى خدمة قضايا الأمةالعربية• وقد خطب الشيخ أحمد حسن الباقورى يندد تنديدا قويا بالحادث فى خطاب ألقاه فى نفس اليوم ، أشاد فيه بعبد الناصر وذكـــر أنه خلص البلاد من العار وأخذ من الأغنياء وأعطى الفقراء بقانون الاصـــــلاح الزراعى ، ((فما ذنب جمال لكى يلقى هذا الجـزاء • ان ذلك يذكــرنى بقول الشاعر : أريد حياته ويريد قتلى ، عزيرك من خليلك من مراد)) •

ولكن عبد الناصر لم يلبث أن فقد العطف الذى كسبه بالحـــادث سريعا • ففى اليوم التالى وجهت السلطة مظاهرة لحرق المركز العـــام للاخوان المسلمين بالحلمية • وقد أعادت هذه المظاهرة الى الاخـــوان ما فقدوه من عطف بحادث الاعتداء ، لأنها ذكرت المصريين بالانتهاكات السابقة التى ارتكبتها الثورة ضد الحريات • وجاءت حمـــلات المطاردة والاعتقالات لتثير الخوف والفزع فى النفوس ، فقد كانت جماعة الاخوان المسلمين جماعة واسعة الانتشار بين الشباب ، ولم تكـــن تخلو أسرة مصرية تقريبا من شاب من أبنائها ينتمى الى الجماعة انتماء يتفاوت بين الانضمام الكامل والتعاطف عن طريق التبرعات وحضور اللقاءات • وقد عاشت هذه الأسر فى حالة ذعر ، لان الاعتقالات لم تفرق بين متبـــرع عابر سجل اسمه فى كشف التبرعات ، وبين عضو ملتزم أصيل •

وقد جاءت المحاكمات لتضيف الى عنصر الرهبة والخـــوف • ففى يوم أول نوفمبر اصدر مجلس قيادة الثورة أمرا بتشـــكيل محكمـــة مخصوصة ، برياسة قائد الجناح جمال ســـالم ، نائب رئيس مجلس الوزراء ، وعضوية كل من القائمقام أنور الســادات ، وزير الـــدولة

والسكرتير العام للمؤتمر الاسلامى ، ومدير عام دار التحـــــرير ، والبكباشى أركان حرب حسين الشافعى ، وهم أعضاء فى مجلس قيـادة الثـورة ٠

وقد نص قرار تاليف المحكمة على انشاء مكتب للتحقيق والادعـاء يلحق بمقر قيادة الثورة ، ويلحق به نواب عسكريون أعضاء من النيابة العامة ، وتولى رياسة هذا المكتب البكباشى زكريا محيى الدين ، عضـو مجلس قيادة الثورة ، وفى عضويته كل من البكباشى محمــــد التابعى ، والبكباشى ابراهيم سامى جاد الحق ، والبكباشى سيد جاد ، وهم نواب أحكام ، والاستاذ عبد الرحمن صالح ، عضو النيابة ٠ وقد تولى هـذا المكتب التحقيق ورفع الدعوى والادعـاء بالمجلس ، والأمر بالقبض على المتهمين وحبسهم احتياطيا ٠ وقد نص فى القرار أيضا على عدم جواز المعارضة فى هيئة المحكمة أو أحد أعضائها ٠ وأمر مجلس قيادة الثورة بأن يلحق بالمكتب كل من مصطفى الهلباوى ، رئيس نيابة أمن الدولة ، الذى تولى الادعاء أمام محكمة الثورة ، وعلى نور الدين وكيل أول نيـابة أمن الـــدولة ٠

وفى ٢٨ نوفمبر تألفت ثلاث دوائر فرعية لهذه المحكمة ، التى أطلق عليها ابتداء من ٦ نوفمبر اسم « محكمة الشعب » ، فكانت رابع محكمه من هذا النوع تشكلها الثورة بعد المجالس العسكرية ، ومحكمة الغدر ، ومحكمة الثورة ٠ وقد تألفت الدائرة الأولى برئاسة اللواء صلاح حتاتة ، والثانية برئاسة القائمقام محفوظ ندا ، والثالثة برئاسة قائد الجنـــاح عبد الرحمن شحاته عنان ٠ وقد عقدت جلسات هذه الدوائر الثلاث فى مبنى الكلية الحربية ، بينما عقدت جلسات محكمة الشعب الرئيسية بمبنى قيادة الثورة بالجزيرة ٠

وقد عقدت أول جلسة لمحكمة الشعب صباح يوم الثلاثاء ٩ نوفمبر ١٩٥٤ ، أى بعد اسبوعين تماما من حادث الاعتداء ، واستمرت الى يوم

٢ ديسمبر ١٩٥٤ ، لتستانف المحاكم الفرعية مهمتها ابتداء من ٥ ديسمبر وقد حوكم أمام محكمة الشعب الرئيسية برياسة جمال سالم كبار أعضاء الجماعة والتنظيم السرى ، وهم - بالاضافة الى محمود عبد اللطيف - حسن اسماعيل الهضيبى ، المرشد العام ، ويوسف طلعت رئيس التنظيم السرى ، وهنداوى دوير رئيس منطقة امبابة فى التنظيم السرى ، وابراهيم الطيب ، رئيس مناطق القاهرة ، ومحمد خميس حميدة وكيل الاخوان ، والشيخ محمد فرغلى ، عضو مكتب الارشاد ، وعبد القادر عودة ، نائب المرشد ، والدكتور حسين كمال الدين ، وكمال خليفة ومنير دلة ، وصالح أبو رقيق ، ومحمد حامد أبو النصر ، والشيخ أحمد شريت ، وعمر التلمسانى وعبد العزيز عطية ، وعبد الرحمن البنا ، والبهى الخولى ، وعبد المعز عبد الستار ، وكان الثلاثة الاخيرون مفرجا عنهم ٠

وفيما عدا محاكمة محمود عبد اللطيف ، التى استمعت فيها المحكمة الى كثير من الشهود من أعضاء الجهاز السرى وقيادات الاخوان السياسية ، واستمرت بالتالى وقتا طويلا ، اذ استمرت الى يوم ٢٠ نوفمبر ، فان بقية المحاكمات لم تستغرق وقتا يذكر ، فلم تستغرق قضية الهضيبى سوى ثلاثة أيام ، وانتهت فى ٢٥ نوفمبر ، واستغرقت محاكمة يوسف طلعت يوما ، هو يوم ٢٧ نوفمبر ، وفى يوم ٢٩ نظرت قضيتا كل من هنداوى دوير وابراهيم الطيب ، وفى يوم ٣٠ نوفمبر نظرت خمس قضايا لكل من محمد خميس حميدة ، ومحمد فرغلى ، وعبد القادر عودة ، وحسين كمال الدين وكمال خليفة ٠ كما نظرت قضايا منير دلة وصالح أبو رقيق ومحمد حامد أبو النصر وأحمد شريت وعمر التلمسانى وعبد العزيز عطية فى يوم واحد ٠ وهذا كله يبين صورية المحاكمة ، ومدى الضمانات التى كان يتمتع بها المتهمون !٠ لقد كانت جلسات للتشهير ، لا للحكم والقضاء والفصل كما يحدث فى المحاكمات الحقيقية ! ٠

وكان الامر فى الدوائر الفرعية لمحكمة الشعب من المهازل الكبرى ،

نظرا للاعداد الضخمة من قضايا المتهمين التى كانت تنظرها كل منها فى اليوم الواحد ٠ وعلى سبيل المثال ، ففى يوم ٩ ديسمبر نظرت قضايا ٢٨ متهما ، وفى ١١ ديسمبر نظرت ٢١ قضية ، وفى ١٢ ديسمبر نظرت ١٣ ، وفى يوم ١٣ ديسمبر نظرت ١٩ ، وفى يوم ١٨ ديسمبر نظرت ٤٠ قضية ، وفى ٢١ منه نظرت قضايا ٤٨ متهما ، وفى ٢٨ منه نظرت ٤٢ قضية ، وفى ٩ فبراير أعلنت الصحف عن محاكمة ٦٩ ارهابيا (كما كانت تطلق على المتهمين) أمام الدائرة الأولى ٠ وقد حوكم أمام الدائرة الثالثة وحدها مائة وستة وعشرون متهما فى مدى شهر ونصف فقط، أدين منهم مائة وسبعة ، وبرىء تسعة عشر ٠ وقد حكمت هذه الدوائر بأحكام كثيرة بالاعدام والمؤبد والأشغال الشاقة لمدد متفاوته ، ولكن أحكام الاعدام خففت الى المؤبد ٠ وكان من بين المحكوم عليهم بالاعدام أمام هذه الدوائر صلاح شادى ، الذى كان الوحيد من بين المتهمين الذى حوكم فى جلسة سرية ، ثم خفف الحكم عليه ٠ كما حوكم كل من عبد المنعم عبد الرءوف وأبو المكارم عبد الحى وحكم عليهما بالاعدام رميا بالرصاص ٠

وقد كان اختيار جمال سالم لرئاسة محكمة الشعب ، من أسوأ الأخطاء التى ارتكبها عبد الناصر فى حياته السياسية ٠ فلا يوجد فى تاريخ القضاء العسكرى فى مصر رئيس محكمة هبط بمستوى المحاكمات الى مثل ذلك الدرك الاسفل ، ولم تسمع قاعات المحاكم فى مصر ما سمعته من العبارات النابية والتهجم على المتهمين والسخرية منهم وارهابهم والدخول فى ((قافيات)) معهم ، كما سمعت من جمال سالم ٠ ولقد اتهم الاخوان المسلمون جمال سالم بأنه كان الخصم والحكم ، وأطلقوا عبارة : ((خصومنا قضاتنا)) ، ولكن الدراسة المتأنية لنصوص المحاكمات وما صدر عن جمال سالم تثبت أنه لم يلعب سوى دور الخصم ، ولم يلعب أبدا دور الحكم ٠

وهذا أمر محزن حقا ، فما أتعس الحكام الذين ينسون أن للتاريخ

محكمة تفوق محاكمهم قوة ، وأن الاحكام التى تصدرها محكمة التاريخ هى الباقية ، وأحكامهم فانية •

وككل حدث تاريخى فادح الاثر • فان الاراء أخذت تفترق فيه• فقد أنكر الاخوان المسلمون بصفة قاطعة أرتكابهم هذا الحادث • ووصفه صالح أبو رقيق بأنه « تمثيلية فاجرة » دبرتها الحكومة لاتخاذ مزيد من الاجراءات المضادة لحرية الجماهير لحماية نفسها • جر اليها محمود عبد اللطيف بتدبير محكم ، وقبر سره مع رفات هنداوى دوير • وأضاف قائلا : « عندنا أكثر من اثنى عشر دليلا على براءة الاخوان المسلمين من هذا الحادث المفتعل • وقد طالبت ومازلت أطالب باعادة التحقيق فى هذا الحادث الذى دبرته مراكز القوى »

وقد استشهد صالح أبو رقيق بحسن التهامى ، ودعاه الى أن يجلى الحقيقة فى هذا الحادث المشئوم ، ويظهر الحق لعباد الله ، ويقول : من أطلق الثمانى رصاصات فى الهواء الطلق ؟• وقال : أنه ثابت من التحقيقات أن المرشد الاستاذ الهضيبى كان قد أصدر أمرا مشددا قبل حادث المنشية بنحو من شهر ليوسف طلعت ، رئيس النظام الخاص ، بعدم اغتيال احد، وقال له : « انى برىء من كل دم يسفك » • ومادام قائد الجماعة قد أصدر هذا الامر ، فعلى الكل السمع والطاعة ، وتكون الجماعة غير مسئولة عن أى عمل يقوم به فرد غرر به • وعلى ذلك ، فالاخوان المسلمين أبرياء من حادث المنشية المشئوم » •

وقد قادت مجلة « الدعوة » التى تصدرها جماعة الاخوان المسلمين ابتداء من يولية ١٩٧٦ حملة فى هذا الصدد تنكر فيها قيام الاخوان المسلمين بحادث المنشية • واستدلت بان يوسف طلعت ، رئيس الجهاز السرى ، كان فى منزل أحد اشقائه عند وقوع الحادث ، وعندما سمع به قال : « عملها عبد الناصر ونجح ، وغدا سيلصقها بالاخوان المسلمين »•

وحين اذاعت الاذاعة المصرية اسم مرتكب الحادث محمود

عبد اللطيف ، سأل يوسف شقيقه : « هل تعرف هذا الشخص ؟ • فأجابه بالنفي • وقد علق شقيقه على ذلك قائلا : « لو كان الاخوان وراء الحادث لعلم يوسف كل شيء فقد كان رئيسا للنظام الخاص » •

وأوردت المجلة نقلا عن أحد المقربين ليوسف طلعت قوله : « ذهبت اليه يوم ٢٦ أكتوبر ليلا فى منزل أخيه • كان يستمع الى الراديو ، وسألته : « ما هذا ؟ فكان جوابه النفي والاستنكار • وأكد أن الاخوان قد التقوا من يوم نشأتهم ، وعلى رأسهم المرشد العام • على سياسة ليس فيها ذلك التصرف ولا مثله • وسوف تثبت الايام أن الاخوان المسلمين لم يكونوا فى يوم من الايام من المتآمرين فى الظلام » • وقالت المجلة أن يوسف طلعت كان يعذب بين جلسات المحاكمة ، ولكنه « رغم التعذيب والعذاب ، وقف وقفة السابقين من السلف • فما وهن وما ضعف وكانت مكافأته على جهاده وبذله وتضحياته الحكم عليه بالاعدام شنقا • وتقبلها راضيا فرحا مستبشرا » •

وفى عدد آخر تحدثت « الدعوة » عن الحادث فقالت : « كان عبد الناصر يبحث عن السبل التى ينفذ منها لضرب الحركات الاسلامية والقضاء على الانتفاضات الشعبية ، لينفرد بالسلطة ، ويستحوذ على الحكم والسلطان • فظل يعمل فى الخفاء للخلاص من هذا ، والقضاء على ذلك ، حتى كانت المعاهدة بينه وبين الانجليز ، التى رأى فيها الاخوان قيودا تكبل الامة وتنتقص من حريتها ، فدبر لهم حادث المنشية • واتهمهم باطلاق الرصاص عليه ، وعاد الاخوان الى المعتقلات والسجون ، وشكلت لهم المحاكم ، الحكم فيها هو الخصم ، والقانون فيها من شرعة الغاب ، والمتهمون الأبرياء محرومون من حق الدفاع • والتعذيب أشكال وألوان » •

وفى عدد مارس ١٩٧٧ ، كتبت المجلة مقالا عن ابراهيم الطيب ، رئيس مناطق القاهرة فى التنظيم السرى ، فوصفته بأنه « شهيد الحق

والحرية » • ووصفت حادث المنشية بأنه « مسرحية » دبرها عبد الناصر تدبيرا « على طريقة الجستابو » والصقها بالاخوان المسلمين وفاجأ بهـا الأبرياء • واستشهدت بموقف ابراهيم الطيب فى المحاكمة ، فقـالت أنه جيء به الى محكمة جمال سالم ، مكسور الذراع مشوه الجسم ، ولكنـه « وقف شامخا كالطود ، ثابتا كالبنيان • أنكر ذاته ، وقـــال كل شيء يريده » •

وفى عدد ديسمبر ١٩٧٨ ، وبمناسبة مرور ربع قرن على اعـدام المتهمين فى حادث المنشية ، نشرت « الدعوة » صور شهدائها عند تنفيذ حكم الاعدام ، ومنهم محمود عبد اللطيف • وكان هذا التنفيذ قد تم فى جلسة واحـــدة ، بمعدل رأس شهيد يســقط كل نصف ســاعة ، وكان محمود عبد اللطيف أول من تقدم الى المشنقة وهو يتلو آيـــات القرآن الكريم • وكانت كلمات ابراهيم الطيب عند لقائه الموت : خصومنا كانوا قضاتنا » • وقال عبد القادر عودة : « ان دمى سيكون لعنة على رجال الثورة » • بينما طلب يوسف طلعت من الله أن يسامحه ويسـامح أيضا من عذبوه وأساءوا اليه • وتقدم محمد فرغلى الى حبل المشنقـة وهو يقول : « أنا على استعداد للموت • مرحبا بلقاء الله » •

وقد استجاب حسن التهامى لنداء صالح أبو رقيق ، فقـــدم ما ذكر أنه شهادته للتاريخ فى حادث المنشية ، وفيها كشف لاول مـرة بشكل علنى قصة القميص الواقى من الرصاص الذى وصل الى عبدالناصر من الولايات المتحدة قبل الحادث ، وقصة الخبير الامريكى الذى نصح باختلاق مثل هذا الحادث من قبل ارتكابه • وقد ورد فى شهادة حســن التهامى ما يلى :

« أما بالنسبة لحادث اطلاق الرصاص على عبد الناصر فى ساحة المنشية بالاسكندرية ، فلم أكن معه أثناء القاء هذه الخطبة ، كما لم أصحبه فى العديد فى مثل تلك المناسبات الخطابية وزياراته للمحافظات ،

وعلمت بنبأ اطلاق الرصاص على عبد الناصر وكان الحديث مذاعا فى الراديو يومها • وقد كان من بين اجراءات تأمين عبد الناصر وقتهـــا محاولة اقناعه بارتداء قميص واق من الرصاص يرتديه على صدره • وكان القميص قد ورد فعلا من أمريكا قبل هذا الحادث ببضعة أسابيع ، وكان مودعا عنده فى بيته بمنشية البكرى ، وارسلناه اليـــه فى نفس الليلة ، فوصله فى الصباح الباكر ، اعتقادا منا بأن فشل المحاولة الاولى قد يعقبه تكرار المحاولة طالما هو مازال بالاسكندرية • وعنـــدما رآه فى الصـاح ، وكان معه العديد من الزملاء يهنئونه على نجاته ، ضحك كعادته وقال : « كل شىء انتهى » • يقصد بذلك أن المحـــاولة انتهت ولا داعى للقميص • وكان تركيز جهات الامن يومها حول محاولة معـــرفة التنظيم الاخوانى الذى هو خلف هذه المحاولة » •

ثم روى حسن التهامى قصة الخبير الامريكى • فذكر أنه « قـــد شد انتباهنا وقتها أن خبيرا أمريكى الجنسية فى الدعاية والاعلام ، ومن أشهر خبراء العالم وقتها فى الدعاية ، كان قد حضر لى مصر • وكان من مقترحاته غير العادية ، والتى لم تتمش مع مفهومنا وقت اقتراحها ، هو اختلاق محاولة لاطلاق الرصاص على عبد الناصر ونجاته منها — فان هذا الحادث ، بمنطق العاطفة والشعور الشـــعبى ، لابد وأن يزيد فى شعبية عبد الناصر ، أكثر من أى حملة دعائية منظمة ، ويوصله الى القيادة الشعبية من أقرب الطرق العاطفية ، وبالنســـبة لنا كان مرادفة هذا الحادث لهذه الفكرة وحدوثها بعد الاقتراح بشهور قليلة جدا ، مثار دهشة كنا قد فسرناها وقتها بأنها « توارد أفكار عجيب ، ومصادفة غير عادية » •

ويلاحظ على هذه الرواية لحسن التهامى أنها تثـــير الشـــبهات حول وجـــود مؤامرة وراء الحادث من وجهين : الاول ، مسألة الخبير الامريكى فى الدعاية الذى اقترح اختلاق محاولة لاطلاق الرصـــــاص على عبد الناصر • والثانى ، مسألة القميص الواقى من الرصاص الذى

جلبه عبد الناصر من أمريكا قبل الحادث ببضعة أسابيع • صحيح أن التهامي لم يقل أن عبد الناصر لبس هذا القميص ليلة الحادث ، ولكنه أتاح للاخوان المسلمين الاعتماد على هذا القميص فى اتهام الحكومة بتدبير المؤامرة •

على ان اجتهادا خاصا لاحد الكتاب برز بعد ذلك ينسب فيه الحادث الى المخابرات الاجنبية ، وخاصة المخابرات الاسرائيلية • ويرى أن الحادث أكبر من أن يكون قد تم على يد محلية ، سواء من الاخوان أو من حكومة عبد الناصر ، وأن اسرائيل كانت موجودة فى تلك الفترة بعملائها فى فضيحة لافون ، التى أعلن عنها يوم ٦ أكتوبر ، ثم هجومها على غزة بعد ذلك • « فهل كانت اسرائيل موجودة فى دفع محمود عبد اللطيف لاطلاق الرصاص » ؟ • ويستطرد الكاتب قائلا : « بكل تأكيد لم يكن الهضيبى ، ولا أى قيادة للاخوان أصدرت أمرا بالاغتيال ، والاخوان معروفون بالطاعة العمياء يقسمون بها لرؤسائهم • فهل كان محمود عبد اللطيف أداة فى يد خبيثة » •

فأين الحقيقة فى كل هذا ؟ •

ان اعتمادنا الرئيسى فى هذا التحقيق التاريخى سوف يكون بالدرجة الاولى على أقوال الاخوان المسلمين أنفسهم ، سواء فى مذكراتهم الشخصية أو أقوالهم المنشورة فى الصحف أو شهاداتهم واعترافاتهم فى المحاكمات العلنية ، وهى شهادات واعترافات لم تتعرض للتكذيب من جانب الاخوان • فقد وصفت مجلة « الدعوة » يوسف طلعت بأنه رغم التعذيب والعذاب وقف أثناء المحاكمة « وقفة السابقين من السلف ، فما وهن وما ضعف » ــ ومعنى ذلك أنه قال الصدق أثناء المحاكمة ، كما وصفت ابراهيم الطيب بأنه وقف أثناء المحاكمة « ثابتا كالبنيان ، وقال كل شىء يريده » ــ وهذا الوصف يشجع كثيرا على الاعتماد على أقواله• ثم محمود عبد اللطيف الذى نشرت الدعوة صورته جنبا الى جنب مع شهدائها الاخرين : عبد القادر عودة ، وهنداوى دوير ، وابراهيم

الطيب ، ومحمد فرغلي ويوسف طلعت · وبطبيعة الحال فاننا لا نثبت فى هذا البحث التاريخى الا ما ثبتت لدينا صحته باتبـــاع أدوات البحث التاريخى واستخدام المنهج العلمى من ناحية الرجوع دائما الى المراجع الاصلية ، والتحقق من صحة الوثيقة ، والمقارنة والمناقضة ، وأصــول الاستقراء والاستنباط ·· الخ ـ وكل ذلك فى محاولة جـــادة وأمينة للوصول الى الحقيقة التاريخية بقدر الامكان ·

ولكن هذا كله لن يتسنى فهمه اذا نحن روينا القصة من خاتمتها · ومنبتة الصلة ببدايتها وسياقها التاريخى · فحادث المنشية يجب أن يوضع فى اطاره الصحيح،وهو طبيعة حركة الاخوان المسلمين،كحركة ذات طابع خاص لم تشهد له مصر مثيلا ـ حركة تختلف عن كل الاحزاب الليبرالية التى شهدتها مصر منذ مطلع الحركة الوطنية، كما تختلف عن كل الجماعات الماركسية التى ظهرت فى تلك الفترة ، بل تختلف عن الحركة الفاشية التى ظهرت فى الثلاثينيات ـ حركة تعتمد على ايديولوجية دينية وسياسية تتناقض فى أهدافها ووسائلها مع أهداف ووسائل كل هذه الاحــــزاب والجماعات ، وتستند فى تحقيق أهدافها على جيش سرى قوى مـــدرب ومجهز ومعروف باسم « النظام الخاص » ، ومعنى ذلك اعتمــاد العنف وسيلة لتحقيق غاياتها ·

اطار دراستنا اذن هو « الاخوان المسلمون والعنف » وعلينــا أن نجيب على هذه الاسئلة ، متى بدأت فكرة استخدام العنف فى أيديولوجية الاخوان ؟ وهل بدأت مع نشأة الجماعة · أم طرأت على مســيرتها ؟ · ومتى نشأ التنظيم السرى للاخوان المسلمين ، وما هو تطوره وما هــو الدور الذى لعبه فى السياسة المصرية قبل ثورة ٢٣ يوليو ، وما هى علاقته بثورة ٢٣ يوليو حتى وقوع حادث المنشية ؟ وهل ارتكب الحادث أم لم يرتكبه · وما هى مسئولية الاخوان المسلمين عن الحادث ؟ · كل هذه أسئلة يجب أن نجيب عنها من واقع الوثائق التاريخية وصولا الى الحقيقة التاريخية ·

الفصـــل الأولــ

نشـأة ونطـور حـركـة الاخـوان المسـلمين

يمكن تحديد نشأة فكرة العنف والاستيلاء على السلطة بالقوة عند جماعة الاخوان المسلمين ، بنشأة ما عرف باسم : « فرق الرحلات » . ومن الثابت من الأدلة لدينا أن الشيخ حسن البنا عندما بدأ فى تكوين جماعته ، لم تكن فكرة العنف واردة فى ذهنه اصلا ، وانما كانت الفكرة هى نشر الدعـــوة بوسيلة « الحب والاخاء والتعارف » ، كما كتبت جريدة الاخوان المسلمين فى ٥ شعبان ١٣٥٢ . ولكن مع نجاح الحركة وانتشارها اخذ البنا يعمـل على تحويل جماعته من جماعة مدنية الى جماعة شـبه عسكرية ، وينتقل من وسيلة « الحب والاخـاء والتعـارف » الى مرحلة الاسـتعداد لتنفيذ الاهداف بالقوة ، فأخذ فى بنـاء جيش كبير تحت اسم برىء هـــو « فرق الرحلات » .

وقد نشأت جماعة الاخوان المسلمين اصلا كرد فعل سـلفى لحركة التغريب فى المجتمع المصرى ، وهى التى تبدت فى ذلك الحين فى نبـــذ المراة المصرية الحجاب ، واقبالها على التعليم ، ونزولها الى ميدان العمـل ، بل والى ميدان السياسة ، وتنديدها بتعدد الزوجات ، والمناداة بالغاء المحاكم الشرعية ، واقبال الرجل المصرى على اســاليب الحيــاة العصرية فى زيه وعاداته وتفكيره ، وانصراف الشــباب المصرى عامة عن التعليم الـدينى فى الأزهر الى العلوم الحديثة ، وظهور تيار التحرر العقلى الذى تبدى فى اعادة النظر فى الأفكار والتقاليد القديمة وتناولها بمفهوم جديد .

وكان الغزو الاستعمارى الأوروبى للشرق الاسلامى قد اســـهم فى ظهور تيار كبير ، ليس فقط فى مصر وانما فى العالم الاســـلامى بأسره ، خصوصا تركيا ، يدعو الى تبنى الحضارة الغربية باعتبارها الحضارة التى اثبتت تفوقها وهزمت حضارة الشرق . وكان هذا الراى يرى « أن السبيل الى الوصول الى ما وصلت اليه الحضارة الغربية ، لا يكون الا باخـــذنا بأسباب هذه الحضارة الغربية ، فى مادتها وروحها ، اما أن نتخذ من الحضارة الغربية عدوا لدودا ، فانا نسير الى الاضمحلال لا محالة . فقد كـــان فى الشرق حضارة عمته ، وامتد سلطانها الى الغرب ، فوقفت الحضـــارتان وجهـــا لوجه ودام النزاع بينهما قرونا ، وهانحن نرى الغلبـــة للحضـــارة الغربية (١) . وكان هذا التيار يرى فى اليابان الحديثة أنموذجا للدولة التى

---

١ — الهلال عدد مايو ١٩٢٥ من المقال الختامى فى سلسلة مقـالات سامى الجرديني عن « أثر الثورة العالمية فى النظام الدولى العام » . نشرت ابتداء من عدد نوفمبر ١٩٢٤ ، نقلا عن د . محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الادب المعاصر ، ص ٢ ص ١٨٧ .

استطاعت الوقوف فى وجه الغرب ، عندما أخذت بأسباب حضارته فى مادتها وروحها ، وتمكنت من الوقوف معه على قدم المساواة ، كما كان يرى فى تركيا الكمالية أنموذجا آخر لايقل اهمية وخطورة .

على ان هذا التيار المتغرب لقى معارضة شديدة من التيار الدينى الاسلامى ، الذى رفض حركة التغريب رفضا باتا ، واعتبرها حركة من حركات الانحلال . ومن الطبيعى ان العوامل الثقافية والبيئية كان لها تأثير كبير فى تحديد موقف كل من الطرفين . فقد وقفت العناصر ذات الثقافة الدينية من خريجى الأزهر ودار العلوم والطرق الصوفية وتلاميذ الشيخ رشيد رضا ، فى صف المعارضة لتيار التغريب ، بينما وقفت العناصر ذات الثقافة العلمانية ، وعلى رأسها الجامعة المصرية فى صف التغريب .

ويمكن القول بكثير من الثقة أن العناصر ذات الثقافة الدينية كانت تنحدر فى غالبيتها من اصول فلاحية وعمالية وبورجوازية صغيرة ، التى عجزت عن تحمل المصروفات الباهظة التى فرضها الاحتلال على جميع مراحل التعليم ، فاضطرت الى الاقبال على نوع التعليم الوحيد المجانى فى ذلك الوقت ، وهو المتمثل فىمدارس المعلمين والمعلمات ودار العلوم والأزهر . وهذه العناصر بحكم ابتعادها عن أسباب الاحتكاك بالحضارة الأوروبية ، يشتد فيها الشعور الدينى ، وتسودها فكرة « الجامعة الاسلامية » ، وتختلط الفكرة القومية عندها لحد كبير بالفكرة الاسلامية .

ويعتبر حسن البنا ، الذى نشأ فى أسرة دينية عريقة ، أنموذجا فريدا لفريق الشباب المتدين الرافض لتيار التغريب . فقد تلقى تعليمه الابتدائى والاعدادى فى المحمودية ، والتحق بمدرسة المعلمين بدمنهور ، وانتقل الى القاهرة للالتحاق بمدرسة دار العلوم . وكان من الطبيعى بالنسبة لشاب تصطبغ أيديولوجياته فى الحياة على هذا النحو ، الا يستلفت نظره من الوان الحياة والكفاح السياسى والاقتصادى والاجتماعى والفكرى الدائر فى القاهرة فى العشرينيات سوى ما يتعلق بما أسماه « بالتحلل الاخلاقى » ، وما اعتبره موجة من موجات « الالحاد والاباحية » ، ويعنى بذلك الانفتاح على الحضارة الغربية والأخذ بالديموقراطية الليبرالية واعتناق الافكار الاشتراكية . كما كان من الطبيعى أن يتردد على مجالس ما أسماه بمعسكر الاسلامية الفاضلة ، ويقصد به معسكر الأزهر والجمعيات الاسلامية ومدرسة المنار للشيخ رشيد رضا - حيث التقى بكثير من الاعلام والفضلاء .

وفى عام ١٩٢٧ حصل البنا على دبلوم دار العلوم ، وعين فى وظيفة مدرس بمدرسة الاسماعيلية الابتدائية الاميرية ، واستقر بمدينة الاسماعيلية

وهو فى الحادية والعشرين من عمره . وقد نشط على الفور لابراز شخصيته فى المجتمع الذى يعيش فيه ، كداعية من طراز جديد ، فلم يتوجه الى جمهور المساجد ، بل اختار عدة مقاه كبيرة فى المدينة ، ورتب فيهـــا درســا فى الأسبوع ، وبعد ستة أشهر اثمرت خطته ، ففى مارس ١٩٢٨ زاره بمنزله ستة من اصدقائه هم : حافظ عبد الحميد، وأحمد الحصرى، وفؤاد ابراهيم ، وعبد الرحمن حسب الله ، واسماعيل عز ، وزكى المغربى ، حيث تمت بينه وبينهم بيعة على أن يعملوا للاسلام والمسلمين . وعندما أرادوا أن يطلقوا على أنفسهم اسما : جمعية او ناد أو طريقة أو نقابة ، رفض البنا هـذه الأسماء كلها قائلا : « دعــونا من الشكليــات والرســميات ، وليكن اول اجتماعنا أساسه الفكرة . نحن اخوة فى خــدمة الاســـلام ، فنحن اذا « الاخوان المسلمون » (٢) . وكانت تلك بداية اخطر حركة فى تاريخ مصر الحديث .

يتضح من ذلك ان حركة الاخوان المسلمين لم تدفع اليها عـــوامل سياسية تتعلق بقضايا الاستقلال والدستور ، أو رفض للنظام القائم ــ وانما دفعت اليها افكار سلفية تعارض تيار التغريب . أما فكرة العنف والســعى للوصول إلى الحكم بالقوة ، فلم تكن واردة فى رءوس أصحابها ، وانمـا العمل السلمى المتمثل فى اصدار الجرائد الاسلامية والوعظ والارشـــاد وتأليف الجمعيات وغيرها من الوسـائل .

على انه مع انتشار الدعوة ومرور الوقت ، كان لابد ان تحدد الجماعة موقفها الفكرى من القضايا الاسلامية والسياسية العامة . وعندئذ برزت لها ايديولوجية متكاملة واضحة المعالم تختلف عما بدأت به ، أو تتميز عمـا بدأت به . وتشير الدلائل الى ان البنا استقى هذه الايديولوجية من مدرسة المنار ، فقد حضر مجالس رشيد رضا ، وكان كثير المطالعة فى مجلة المنـار حسب قوله (٣) .

وقد قامت هذه الايديولوجية على دعائم بسيطة ولكنها خطيرة فى نفس الوقت من حيث أنها تخالف وتتناقض مع ايديولوجية النظام السياسى القائم ، وتتمثل فى الآتى :

---

٢ ــ حسن البنا : مذكرات الدعوة والداعية ، الطبعـــة الثانية . (دار الشهاب) .

٣ ــ نفس المصدر ص ٣٦ ، ٥٥ .

اولا ــ شمولية الاسلام ، بمعنى شموليته للدين والدنيا ، ووجوب عدم الفصل بينهما . وقد شرحت مجلة « النذير » هذا المعنى فى العدد الأول الذى صدر منها فى مايو ١٩٣٨ ، فكتب البنا يقول : « الاسلام عبادة وقيادة ، ودين ودولة ، وروحانية وعمل ، وصلاة وجهاد ، وطاعة وحكم ،ومصحف وسيف ــ لا ينفك واحد من هذين عن الآخر . وان « الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن » . وفى خطابه فى المؤتمر الخامس فى نفس العام كرر هذا المعنى بحرفه قائلا : « ان الذين يظنون أن تعاليم الاسلام تتناول الناحية العبادية أو الروحية دون غيرها من النواحى ، مخطئون فى ذلك ، فالاسلام عبادة وقيادة ، ودين ودولة ، وروحانية وعمل ، وصلاة وجهاد ، وطاعة وحكم ، ومصحف وسيف ــ لا ينفك واحد من هذين عن الآخر » (٤) .

ثانيا ــ الرجوع بالاسلام الى تعاليمه الأولى ، بعد أن « التبس على الناس الدين الصحيح بما نسب اليه ظلما وجهلا » (٥) .

وقد خطب البنا يقول : « يجب أن نستقى النظم الاسلامية من معين السهولة الأولى ، وأن نفهم الاسلام كما كان يفهمه الصحابة والتابعون من السلف الصالح ، وان نقف عند هذه الحدود الربانية النبوية ، حتى لا نقيد أنفسنا بغير ما يقيدنا به الله » (٦) .

ثالثا ــ الجامعة الاسلامية . فقد عين البنا بوضوح لا يقبل الشك ، أن « كل قطعة أرض ارتفعت فيها راية الاسلام ، هى وطن لكل مسلم ، يحتفظ به ، ويعمل له ، ويجاهد فى سبيله » (٧) . والاسلام « كما هو عقيدة وعبادة ، هو وطن وجنسية ، ويعتبر المسلمين جميعا أمة واحدة ، ويعتبر الوطن الاسلامى وطنا واحدا » .

رابعا ــ التمسك بفكرة الخلافة . وهى مرتبطة بالفكرة السابقة . وقد أوضح البنا ذلك فى خطابه فى المؤتمر الخامس عام ١٩٣٨ ، فذكر أن

---

٤ ــ حسن البنا ، المرجع المذكور ص ١٤٥ .
٥ ــ نفس المصدر ص ٦٠ .
٦ ــ رسالة المؤتمر الخامس لحسن البنا ، (العدد الخامس من كتب : صوت الحق ــ دار الاعتصام ١٩٧٧) .
٧ ــ جريدة الاخوان المسلمين فى ٨ ذى القعدة ١٣٥٢ .

« الاخوان يعتقدون أن الخلافة رمز الوحدة الاسلامية ، ومظهر الارتباط بين امم الاسلام ، وأنها شعيرة اسلامية يجب على المسلمين التفكير فى أمرها والاهتمام بها ، والاحاديث التى وردت فى وجوب نصب الامام وبيان احكام الامامة ، وتفصيل ما يتعلق بها ـ لا تدع مجالا للشك فى أن من واجب المسلمين أن يهتموا بالتفكير فى أمر خلافتهم . والاخوان المسلمون لهذا يجعلون فكرة الخلافة والعمل لاعادتها فى راس منهاجهم (٨) .

خامسا ـ الحكومة الاسلامية . وقد أعلن البنا بوضوح أن الاخوان المسلمين يتجهون فى جميع خطواتهم وآمالهم واعمالهم نحو الحكومة الاسلامية « بعد مضى فترة تنتشر فيها مبادئهم وتسود » (٩) . وقال : « ان الاسلام الذى يؤمن به الاخوان المسلمون يجعل الحكومة ركنا من اركانه ، ويعتمد على التنفيذ ، كما يعتمد على الارشاد . وقد جعل النبى الحكم عروة من عرى الاسلام . والحكم معدود فى كتبنا الفقهية من العقائد والاصول ، لا من الفقهيات والفروع . فالاسلام حكم وتنفيذ ، كما هو تشريع وتعليم ، كما هو قانون وقضاء ـ لا ينفك واحد منهما عن الآخر » (١٠) .

كانت هذه هى دعائم ايديولوجية الاخوان المسلمين . وهى تتناقض تناقضا بينا ـ كما هو واضح ـ مع فلسفة النظام السياسى والاجتماعى القائم ، فقد اصبحت الحكومة الاسلامية مطلبا من المطالب التى تسعى اليها الجماعة ، بدلا من الحكومة المدنية التى تحكم ، ولم يعد دستور ١٩٢٣ المدنى بصالح لحكم المجتمع الاسلامى وتنظيم علاقاته ، وأما الاطار القومى المحدود الذى يعمل من خلاله الوطنيون المصريون فلم يعد هو الاطار الوحيد ، بل الاطار الاسلامى العريض ، بما يشمله من فكرة الجامعة الاسلامية والخلافة. وفضلا عن ذلك ، فلم تعد الجماعة تكتفى بالعمل فى اطار الناحية العبادية أو الروحية ، بل امتدت بعملها الى الناحية السياسية ، فالاسلام عبادة وقيادة ، ودين ودولة ، وطاعة وحكم ، ومصحف وسيف ، لا ينفك واحد من هذين عن الآخر .

● النزول الى ميدان العمل السياسى ●

ويمكن تحديد بدء اشتغال جماعة الاخوان المسلمين علانية بالعمل السياسى بعام ١٩٣٨ . ففى مايو من هذا العام ، أصدر البنا مجلة « النذير »

---

٨ ـ رسالة المؤتمر الخامس ، المرجع المذكور ص ٤٧ ـ ٤٩ ـ ٥٠ .
٩ ـ نفس المصدر ص ٣٩ .
١٠ ـ نفس المصدر .

سياسية أسبوعية ، وصدر العدد الاول منها يحمل فى افتتاحيته : « اتجـاه الاخوان المسلمين الوطنى ، وابتداء اشتراكهم فى الكفاح السياسى فى الداخل والخارج » ــ على حد قول البنا . وفى هذا المقال التاريخي الهام يكتب البنا يقول :

« منذ عشر سنوات بدأت دعوة الاخوان المسلمين خالصة لوجـــه الله . مقتفية أثر الرســـول الاعظم صلى الله عليه وسلم ، متخذة القرآن منهاجها تتلوه وتتدبره وتقرؤه وتتفحصه ، وتنادى به وتعمل له ، وتنزل على حكمه وتوجه انظار الغافلين عنه من المسلمين وغير المسلمين . . وكانت مصر يوم ان نبتت هذه الدعوة المجددة لا تملك من امر نفسها قليلا ولا كثيرا ، يحكمها الغاصبون ويستبد بأمورها المستعمرون وابناؤها يجاهدون فى سبيل استرداد حريتها والمطالبة باستقلالها ، ولم يخل الجو من منازعات حزبية وحزازات سياسية تذكيها مآرب شخصية . ولم يشأ الاخوان المسلمون ان يزجوا بانفسهم فى هذه الميادين ، فيزيدوا خلاف المختلفين ، ويمكنوا للغاصبين، ويلوثوا دعوتهم وهى فى مهدها بلون غير لونها ، ويظهروها للناس فى صورة غير صورتها . تتقلبت الحكومات وتغيرت الدولات ، وهم يجاهدون مــــع المجاهدين ، ويعملون مع العاملين ، منصرفين الى ميدان مثمر ، هو ميدان تربية الامة ، وتغيير العرف العام ، وتزكية النفوس ، وتطهير الارواح . . واعتقد انهم نجحوا فى ذلك الى مدى يحمدون الله عليه ويسألونه المزيد منه ». هذه مرحلة من مراحل الاخوان التى اجتزناها بسلام وفق الخطة الموضوعة لها ، وطبق التصميم الذى رسمه توفيق الله » .

« والآن أيها الاخوان ، قد حان وقت العمل ، وآن أوان الجد ، ولم يعد هناك مجال للابطاء ، فان الخطط توضع ، والمناهج تطبق ،ولكنهـــا لا تؤدى الى غاية ولا ينتج ثمرها ، والزعماء حائرون والقادة مــــذبذبون متأرجحون . سننتقل من دعوة الكلام وحسب ، الى دعوة الكلام المصحوب بالنضال والاعمال . وسنتوجه بدعوتنا الى المسئولين من قادة البلد وزعمائه ووزرائه وكافة حكامه وشيوخه ونوابه وأحزابه ، وسندعوهم الى مناهجنا ، ونضع بين أيديهم برنامجنا ، . . فان اجابوا الدعوة ، وسلكوا السبيل الى الغاية ، آزرناهم ، وان لجئوا الى المواربة ، وتستروا بالاعذار الواهية والحجج المردودة ، فنحن حرب على كل زعيم او رئيس حزب أو هيئـــة لا تعمل على نصرة الاسلام ، ولا تسير فى الطريق لاستعادة كلمة الاسلام ومجد الاسلام . سنعلنها خصومة لا سلم فيها ولا هوادة ، حتى يفتح الله بيننا وبين قومنا بالحق ، وهو خير الفاتحين .

« الى الآن أيها الاخوان لم تخاصموا حزبا ولا هيئة ، كما أنكم لم تنضموا اليهم كذلك .. كان ذلك موقفكم ايها الاخوان سلبيا هكذا فيما مضى، أما اليوم ، وأما فى هذه الخطوة الجديدة ، فلن يكون كذلك . ستخاصمون هؤلاء جميعا فى الحكم وخارجه خصومة شـــديدة .. ان لم يستجيبوا لكم ويتخذوا تعاليم الاسلام منهاجا يسيرون عليه ويعملون له .. فاما ولاء ، وأما عـــداء .

« ولسنا فى ذلك نخالف خطتنا ، أو ننحرف عن طريقتنا ، أو نغــــير مسلكنا بالتدخل فى السياسة ــ كما يقول الذين لا يعلمون ــ ولكنا بذلك ننتقل خطوة ثانية فى طريقتنا الاسلامى وخطتنا المحمدية ومنهاجنا القرآنى . ولا ذنب لنا أن تكون السياسة جزءا من الدين ، وأن يشمل الاســلام الحاكمين والمحكومين ، فليس فى تعاليمه : اعط مالقيصر لقيصر ومالله لله ، ولكن فى تعاليمه : قيصر وما لقيصر لله الواحد القهار » .

ثم حذر البنا من أنه سيكون من نتائج هذه الخطوة الجديدة تعــرض الاخوان للاضطهاد وما فوق الاضطهاد ، والسجون وما هــو اشــق من السجون ، ولتبلون فى اموالكم وانفسكم . فمن كان معنا فى هذه الخطوة ، فليتجهز ، وليستعد لها ، ومن تعدت به ظروفه ، أو صعبت عليــه تكاليف الجهاد ، سواء أكان شعبة من شعب الاخوان ، أم فردا من اعضاء الجماعة فليبتعد عن الصف قليلا ، وليدع كتيبة الله تسير ، ثم فليلقنا بعـــد ذلك فى ميدان النصر ان شاء الله .

واختتم كلمته بابداء أمل الاخوان فى جلالة الملك المسلم ، أملا محققا ، وفى الشعب المصرى ومعه الشعوب الاسلامية المتآخية بعقيدة الاسلام .

والسؤال الذى يطرح نفسه : ما الذى دفع بحسن البنا الى ميــدان السياسة ؟ . فى الواقع ان نمو القوة الذاتية لجماعة الاخوان المسلمين عامل اساسي فى هذا التحول . ففى ذلك الحين كان الاخوان قد انتقلوا . بفضــل نشاط البنا وديناميكيته ، من مجرد جماعة صــغيرة محصــورة فى مدينــة الاسماعيلية يقل عددها عن المائة ، الى جماعة تنتشر مساحتها على ما يزيد على خمسين بلدا فى عام ١٩٣٣ ، وفى مايو ١٩٣٨ ، اى بعد خمس سنوات، كتب حسن البنا فى النذير يعلن ان الاخوان قد أصبح لهم « دار فى كل مكان ودعوة على كل لسان ، واكثر من ثلثمائة شعبة تعمل للفكرة » (١١) .

---

١١ ــ حسن البنا : مذكرات الدعوة والداعية ص ١٤٦ .

ولكن هل نستطيع اعتبار هذا السبب وحده كافيا لنزول البنا الى ميدان السياسة ؟ فى الواقع ان اختيار البنا لهذا العام بالذات للنزول الى السياسة يعد اختيارا مشبوها ، فهذا العام يعد عام الرجعية دون ريب ، ففى ختام العام السابق كان الملك فاروق قد تمكن من اقالة وزارة الأغلبية ، واصبح يهيمن على مصير البلاد عن طريق وزارة محمد محمود باشا التى ضمت أقطاب الاقلية . وفى هذا العام ارتفع المد الفاشى الى ذراه تحت قيادة أحمد حسين زعيم مصر الفتاة ، الذى اخذ يهاجم الاحزاب علنا ويطعن فى الدستور والحياة البرلمانية ، ويرفع شعار الحكومة الاسلامية وحكم الشورى والمناداة بالملك فاروق خليفة للمسلمين ، وهى كلها شعارات كانت تخفى تحتها تسليم الملك الشاب امور البلاد لا شريك له فيها ، ووضع السلطتين الزمنية والدينية بين يديه باسم الخلافة .

فى هذه الظروف نزل البنا الى ميدان السياسة ، لا ليقف الى جانب القوى الديموقراطية ، وانما ليقف الى جانب القوى الرجعية ممثلة فى القصر الذى كان يدير دفته على ماهر باشا . وربما يرجع جزء من السبب فى ذلك الى أن هذه القوى ، ككل قوى رجعية فى البلاد النامية ، تحرص على استخدام شعارات الدين ضد خصومها لاجتذاب صفوف الجماهير المتدينة . وكان القصر فى ذلك الحين يلوح بهذا السلاح فى جراة ، حتى على حساب الوحدة الوطنية ، زعما بأن حكومة الوفد تسيطر عليها العناصر القبطية (مكرم عبيد باشا) ، بينما كان الشيخ المراغى ، الذى كانت علاقته بالقصر معروفة ، يبدى خشيته من قيام « وردانى » جديد (١٢) .

ولكن من كان يستخدم الآخر ؟ . هل كان البنا يستخدم القصر ، أم كان القصر يستخدم البنا ؟. من العسير الاجابة على هذا السؤال ، والأرجح ان كلا من الطرفين كان يستخدم الآخر . ومن ناحية البنا ، فلعله كان يرى فى شعارات الدين التى يرفعها القصر ، ما يقرب تنفيذ فكرة الحكومة الاسلامية والخلافة ، فضلا عن أنه كان يشترك مع القصر فى رفض الأحزاب . وعلى كل حال ، فلم يكن ينتمى الى المعسكر القومى الليبرالى الممثل فى الوفد ، ولما كان الوقوف على الحياد عسيرا ، فقد بدا موقفه الى جانب قوى القصر محتوما .

---

١٢ ــ عبد العظيم رمضان : الصراع بين الوفد والعرش ١٩٣٦ ــ ١٩٣٩ ص ٨٦ ــ ٩٧ (بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٩) .

أما من ناحية القصر ، المنعزل عن الجماهير المصرية ، فقد كان فى حاجة الى الاستفادة من قوة الاخوان المسلمين الشعبية المتزايدة ، فىمحاربة الوفد والقضاء عليه . وهذا الاتجاه الى الاستفادة من قوة الاخوان المسلمين اتجاه قديم ، بدأ من وقت انتقال المركز العام الى القاهرة . فيذكر البنا فى مذكراته انه فى ذلك الحين ، بينما الدعوة لاتزال ناشئة ، والاخوان فى مسيس الحاجة الى المال . والاسماعيلية لاتزال تمدهم بمساعدة شهرية، عرض عليهم أن يروجوا للوضع السياسى القائم ، وهو حكومة صدقى باشا بما أرادت من دستور وانتخاب ، ولكن الاخوان رفضوا هذا العرض ، واخفقت كل المحاولات لحملهم على ذلك (١٣) .

على أن البنا مع ذلك لا يفسر انتشار الدعوة فى عهد الانقلاب ، حتى ارتفع عدد فروع الجمعية من عشرة قبل انتقال البنا الى القاهرة ، الى خمسين بعد عام واحد ، ثم الى ثلثمائة فى عام ١٩٣٨ . واذا كان هذا مفهوما بالنسبة لفترة حكم الوفد ، لالتزامه بالخط الدستورى الديموقراطى ، فهو غير مفهوم فى عهد الانقلاب ، الذى لم يتردد فى مطاردة جماعة مصر الفتاة فى أوائل ظهورها تحت ذريعة خطة التهييج التى اتبعتها ، حتى تحالفت معه وعملت فى خدمته . وعلى كل حال ، تبقى هذه الملاحظة صحيحة ، وهى أن جماعة الاخوان المسلمين كانت تزدهر دائما أبدا فى العهود الرجعية ، حتى وقع الانشقاق بينهما وانفض التحالف عام ١٩٤٨ .

انكر البنا اذن قيام اى اتفاق بين جماعته وعهد صدقى ، ولكنه لم يستطع انكار علاقته بعلى ماهر والعهد الرجعى الذى بدا بانقلاب ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧ . وفى الحقيقة أن علاقة الجماعة بعلى ماهر قد توطدت الى الحد الذى كاد يوة الانشقاق فى صفوفها . وكانت المناسبة حين عاد على ماهر باشا من مؤتمر فلسطين فى لندن (المائدة المستديرة) ، فقد ذهب وفد من الاخوان لاستقباله ، وعلى راسه احمد السكرى ، وعندما وصل الباشا ، هتف أحمد السكرى بحياته ، وامر الاخوان أن يهتفوا بحياته كذلك . فهتف بعضهم ، وامتنع الآخرون وعادوا ثائرين ، ورفعوا الى البنا ــ كما يقول ــ احتجاجا عنيفا ذكروا فيه ان الاخوان المسلمين ليسوا هتافين ، وأنهم لم يهتفوا لأشخاص ، وانما يذكرون الله وحده ، « فطيبت خاطرهم بأن هذه تحية المسافر ، واننا لا نحيى شخصا ، ولكن نحيى عمله لفلسطين ، فاحتسبوها عند الله فى سبيل فلسطين العربية » (١٤) .

---

١٣ ــ حسن البنا : المرجع المذكور ص ١٠٧ .

١٤ ــ نفس المصدر ص ٢٦٧ .

وفى الحق لقد اعتبر الاخوان المسلمون وزارة على ماهر ، التي خلفت وزارة محمد محمود باشا ، وزارتهم او ما هو اشبه بذلك . هذا على الرغم من مخاصمتهم الأحزاب . وقد بلغ من توثق صلتهم بعلى ماهر ان ارادوا الوثوب فى عهده الى قيادة الجيش المرابط ، والسيطرة على وزارة الشئون الاجتماعية (وكان على ماهر باشا قد انشأهما فى بداية حكمه) بحجة ان « الاخوان المسلمين قد مارسوا المهنتين ممارسة فعلية منذ سنوات طويلة » . وقد ادرك البنا ما سوف تثيره مثل هذه السيطرة من اعتراضات ، فكتب الى على ماهر قائلا : « سيقول اناس : ان الرجعيين يريدون أن يهيمنوا على نهضة البلد ، ويمدوا أصابعهم فى كل شيء . سيرى هؤلاء القائلون بعد طول المطاف وكثرة التجارب ، أن نصرة هذا البلد واعزازه وتوفير الخير له سيكون على أيدى هؤلاء الرجعيين » (١٥) .

---

١٥ — نفس المصدر ص ٢٦٥ ، خطاب حسن البنا الى على ماهر باشا فى شعبان ١٣٥٨ الموافق اكتوبر ١٩٣٩ .

الفصل الثانى

نشأة جيش الاخوان وتكوين الجهاز السرى

فى تلك الاثناء ، وكما تشير الادلة ، كان البنا يعمل على تحويل جماعة الاخوان المسلمين من جماعة مدنية الى جماعة شبه عسكرية ، والانتقال من مرحلة الاعتماد على وسيلة « الحب والاخاء والتعارف » فى نشر الدعوة ، الى مرحلة الاستعداد لتنفيذ أهدافها بالقوة . فأخذ فى بناء جيش كبير تحت اسم برىء هو : « فرق الرحلات » .

ويذكر البنا أن هذه الفرق « قد انشئت عقب نشأة الدعوة ، وكادت تلازم اول شعبها وجودا . وقد الفتسنفسى أول فرقة ، وكنتازاول تدريبها بشخصى على بعض التمرينات الرياضية التى كنا نزاولها بالمدارس (٢٣) .

وفى عام ١٩٣٤ تبلورت فكرة تعميم فرق الرحلات فى الشعب الاخرى فى مشروع كبير يعرف باسم « مشروع فرق الرحلات » ، عـــرض على المؤتمر الثالث لمجلس شورى الاخوان ، فأقره ، كما اقر لائحة اعدت له قامتبتعديلها لجنة خاصة . وفى هذا المؤتمر أعيد تنظيم عملية الانضمام الى الاخوان بحيث تصبح على ثلاث مراتب حسب ارتقائها كالآتى : « الانضمام العام » ، ويسمى الاخ فيــه اخا مساعدا . والانضمــام الاخوى ، ويسمى العضو فيــه اخا منتسبا . ثم الانضمام العملى ، ويسمى العضو فيه اخا عاملا . وفى هذه المرحلة الاخيرة وحدها يحق للعضو العامل الانضمام الى فرق الرحــلات . كما انشئت مرتبة رابعة يسمى العضو فيها اخا مجاهدا (٢٤) .

وقد ذكر البنا ان الفكرة فى تاسيس فرق الرحــلات هــو « التأثر بفكرة الجهاد الاسلامى ، وتحقيقا لنيته ، وتنفيذا لامر الاسلام ، وتحرجا مما جاء فى الحديث الشريف : « من مات ولم يغز ولم ينو الغزو ، مات ميتة جاهلية (٢٥) .

فكرة الجهاد ، والغزو ، او نية الغزو ، اذن كانت وراء انشاء أو تطوير فرق الرحلات بالشكل الذى انتهت اليه . وفى الفترة من عام ١٩٣٤ الى ١٩٣٧ كانت هذه الفرق قد نمت الى الحد الذى قرر فيه البنا أن يقيم عرضا للقوة ــ القوة فى خدمة القصر وليس فى خــدمة القوى الديمقراطية ــ وكان ذلــك بمناسبة قدوم الملك فاروق الى القاهرة فى يولية ١٩٣٧ . فقد قرر الاشتراك فى هذه المناسبة ، ووصفت مجلة الاخوان المسلمين هذا الاشتراك وصفا مثيرا تحت عنوان : « حشد لم يسبق له نظير فى تاريخ مصر الحديثة » ، وفى هــذا

---

٢٣ ــ نفس المصدر ص ٢٣٨ .
٢٤ ــ نفس المصدر ص ١٩٤ .
٢٥ ــ نفس المصدر ص ١٠٨ .

الوصف اطلقت الجريدة على « فرق الرحلات » اسم « الفرق العسكرية » اول مرة ! وقد ورد به الآتى ·

« لم يكد يعلن المركز العام للاخوان المسلمين بالقاهرة ، الشعب التابعة له بالاقاليم عن هذا الحشد ، ويصدر الاوامر الى فرقه العسكرية بالزحف الى القاهرة ، حتى انهمر سيل الاخوان .. كانت سارية اللواء تبلغ حوالى اربعة امتار ونصف متر ، وعليها رقعة فسيحة من القطيفة الخضراء ، وقد رسم عليها المصحف فى نصف دائرة هلالية ، وكتب فى اعلاها : « الله اكبر ولله الحمد » ، ومن تحتها : « الاخوان المسلمون » . وقد حمل اللواء السيد نصير بطل العالم فى حمل الاثقال ، بعد ان اعتنق مبادىء الاخوان المسلمين ، وانتظمت فرق الرحالة فى اثر العلم .

« وفى ساحة عابدين ، انتظم الاخوان على باب القصر رافعين اعلامهم يهتفون : « الله اكبر ولله الحمد ، الاخوان المسلمون يبايعون الملك المعظم ، تبايعك على كتاب الله وسنة رسوله » ! (٢٦) ·

ومن الطريف انه حين اعيد طبع « مذكرات الدعوة والداعية » عن « دار الشهاب » فى عام ١٩٧٧ ، حذفت منها هذه الواقعة ، مما يحمل فى حد ذاته ادانة دامغة لها .

وفى عام ١٩٣٨ قرر البنا النزول الى ميدان السياسة كما ذكرنا . وفى نفس العام قرر اعادة هذه الفرق ، وعين لهذه المهمة على خليل ، مدرب فرقة ابو صوير ، الذى أصبح مشرفا عاما على الفرق . وفى العام التالى صدرت توجيهات مكتب الارشاد فى منشور دورى الى جميع الشعب ، تتضمن تخصيص يوم فى الاسبوع ، يسمى « يوم المعسكر » ، يقدم فيه الاخوان المسلمون عرضا عسكريا يتدربون فيه . .وورد فى التعليمات : الجندية ، والتدريب ، والاستعداد للجهاد المقدس هو مايعنى به الاخوان المسلمون كل العناية ، فبه يتكون الجيش الاسلامى ، وبه يستطيع ان يحقق الأمل ويرفع اللواء عاليا (٢٧) ·

ولم تلبث الحرب العالمية الثانية ان نشبت فى ٣ سبتمبر ١٩٣٩ ، لتنقل التنظيم العسكرى للاخوان المسلمين الى طور جديد . ففى العام التالى

---

٢٦ ــ نفس المصدر ، الطبعة الاولى ص ٢٥١ ــ ٢٥٥ .
٢٧ ــ نفس المصدر ص ٢٣٨ ــ ٢٣٩ ، ٢٤٣ ــ ٢٤٦ .

١٩٤٠ ، وحتى يتغلب البنا على العقبات التى قد تثور فى وجه فرق الرحلات فى ظروف الحرب ، قرر الانضواء رسميا تحت تشكيل النظام العام لجمعية الكشافة ، حتى يستفيد الاخوان من التسهيلات والمزايا التى تستفيد بهـا الفرق من تسجيلها رسميا بالجمعية ، والاستفادة أيضا من وجـود بعض شباب الاخوان الذى يعمل رسميا بالجمعية او خارجهـا فى محيط الحـركة الكشفية . وقد تكون مجلس اعلى للجوالة من سبعة أعضاء وعلى رأسهم حسن البنا ، وعين الصاغ محمود لبيب مفتشا عاما ، وهو ضابط بالجيش .

ولم يلبث المجلس الاعلى للجوالة ان افتتح مدرسة للمدربين خرجت ٣٥ مدربا بعد شهرين على أيدى صفوة من رجال الكشف . وتكونت المجموعات فى محيط القاهرة مبدئيا ، واشرف عليها هؤلاء المدربون . وبعد نجاح المشروع فى القاهرة ، بدىء بتنفيذه فى الاسكندرية ، ثم اخذ ينتشر فى أحضان الريف . وتحت هذا الستار المشروع بلغ تعداد الجوالة عند نهاية الحرب ٤٥٫٠٠٠ جـوال (٢٨) .

ومن الأمور ذات المغزى ان قانون الكشافة كان يحظر حظرا باتا على الكشافة أن تنتمى الى جماعات سياسية أو دينية . كما أن القـانون الذى أصدره محمد محمودباشا فى ٨ مارس ١٩٣٨ كان يحظر الجمعيات او الجماعات التى يكون لها ، سواء من حيث تأليفها أو عملها ، أو من حيث تدريب أعضائها أو نظامهم أو زيهم أو تجهيزهم ، صورة التشكيلات شبه العسكرية (٢٩) .

ومعنى ذلك بوضوح ان جوالة الاخوان المسلمين كانت ضد القانون العام والخاص على السـواء ، ومع ذلك فقد سمح ببقاء هذا الجيش وقت الحرب فى الوقت الذى طبق فيه هذا القانون عـلى فرق القمصـان الزرقاء وفرق القمصان الخضراء لمصر الفتاة . وكانت جوالة الاخوان المسلمين تملأ مصر من اقصاها لأدناها ، تسير فى كل مكان ، وفى كل مدينة وقرية ، وهى تكبر وتهلل وتظهر قوتها (٣٠) .

---

٢٨ ـ تقرير عن النشاط الكشفى لعبد الغنى عابدين السكرتير العام المساعد لجمعية الكشافة المصرية ودليل عام جوالة الاخوان المسلمين ، نقلا عن محمد شوقى زكى : الاخوان المسلمون والمجتمع المصرى (القـاهرة مكتبة وهبة ١٩٥٤) .

٢٩ ـ احمد حسين ، المرجع المذكور ص ١٤ ، ٤٥ .

٣٠ ـ نفس المصـدر .

ولقد كانت الخطوة الطبيعية التالية هى الحصول على الاسلحة . وهناك شاهد عيان على أن هذه العملية كانت تتم فى المراحل الاولى من الحرب ، هو أنور السادات . فقد اورد أن حسن البنا كان فى ذلك الوقت المبكر يجمع السلاح ويشتريه ويخزنه ، ولكنه لم يكن يطلع عليه أقرب الناس اليه من كبار الاخوان المسلمين ، وانما كان يستعين فى هذه العمليات باخوان من الشبان الصغار . وقد ذكر انه عرف ذلك حين كان يجلس مع البنا فى يوم من الايام ، فدخل عليه جندى متطوع يحمل فى يديه صندوقين مغلقين ، ولما رآه أجفل ولكن البنا امره بأن يفتحهما ، وكان فيهما عشرات من انواع المسدسات (٣١) .

ولكن لم كل هذا التسليح من جانب البنا ؟ . هل كان لاسباب وطنية تتعلق باخراج الانجليز من مصر ، أم كان لاسباب داخلية تتعلق بالاستيلاء على الحكم عند اللزوم ؟ .

بالنسبة للسبب الاول ، فمن الثابت ان الاخوان المسلمين لم يتورطوا فى اى دور من ادوار المقاومة السرية ضد الانجليز أثناء الحرب العالمية الثانية وعندما اعد أحمد حسين ، رئيس مصر الفتاة ، خطة عمل ضد الانجليز عند شروع الالمان فى الهجوم على الجزر البريطانية كما كان متوقعا ، وحاول الاستعانة بحسن البنا وجماعته ــ رفض البنا ذلك . وكان مما قاله له : « اننا لا نبحث عن مغامرة قد تخيب وتفشل ، وانما نعد أنفسنا لعمل قوى ناجح ، لان الفشل يكون كارثة ، لاعلى حركتنا أو مصر فحسب ، بل على العالم الاسلامى كله » (٣٢)

أما بالنسبة للسبب الثانى ، ففى الحقيقة ان البنا لم يخف أن الحكم كان طلبه الرئيسى منذ قرر النزول الى ميدان السياسة . بل لقد اعتبر قعود الاخوان عن طلب الحكم « جريمة اسلامية » لا يكفرها الا « النهوض واستخلاص قوة التنفيذ » . ولكن المسألة فى رأيه كانت تتطلب عدة مراحل تقطعها الدعوة قبل أن تنضج للحكم .

ففى خطابه فى المؤتمر الخامس عام ١٩٣٨ رد على من يتساءلون :

---

٣١ ــ أنور السادات : أسرار الثورة المصرية ص ٦١ (كتاب الهلال نوفمبر ١٩٥٧) .

٣٢ ــ أحمد حسين ، الدكتور خالد ص ١٥٢ ــ ١٦٧ .

هل فى منهاج الاخوان المسـلمين أن يكونوا حكومة وان يطالبوا بالحكم ؟ · وما وسيلتهم الى ذلك ؟ فقال : « ان المصلح الاسلامى ان رضى لنفسـه أن يكون فتيها مرشدا ، يقرر الأحكام ويرتل التعاليم ، ويسرد الفروع والأصول، وترك اهل التنفيذ يشرعون للأمة ما لم يأذن به الله ، ويحملونها بقوة التنفيذ على مخالفة أوامره ، فان النتيجة الطبيعية أن صوت هذا المصلح سيكون صرخة فى واد ، ونفخة فى رماد . وقال : قد يكون مفهوما أن يقنع المصلحون الاسلاميون برتبة الوعظ والارشاد اذا وجدوا من اهل التنفيذ اصغاء لاوامر الله وتنفيذا لاحكامه وايصالا لآياته وأحاديث نبيه صلى الله عليه وسلم ، أما والحـال كما نرى : التشريع الاسـلامى فى واد ، والتشريع الفعلى والتنفيذى فى واد آخر ، فان قعود المصلحين الاسلاميين عن المطالبة بالحكم جريمة اسلامية لا يكفرها الا النهوض واستخلاص قوة التنفيذ من أيدى الذين لا يدينون بأحكام الاسلام الحنيف ــ وعلى هذا فالاخوان المسلمون لا يطلبون الحكم لانفسـهم ، فان وجدوا من الأمة من يستعد لحمل هذا العبء وأداء هذه الأمانة والحكم بمنهاج اسلامى قرآنى ، فهم جنوده وأنصاره وأعوانه . وان لم يجدوا ، فالحكم من منهاجهم ، وسيعملون لاستخلاصه من أيدى كـل حكومة لا تنفذ أوامر الله » .

على انه فى الوقت نفسه بين أن « الاخوان أعقل وأحزم من أن يتقدموا لمهمة الحكم ، ونفوس الامة على هذا الحال . فلابد من فترة تنتشر فيها مبادىء الاخوان ، وتسود ، ويتعلم فيها الشعب كيف يؤثر المصلحة العامة عـلى المصلحة الخاصة » (٣٣) ·

وقد شرح الشيخ حسن البنا فى : « رسالة التعاليم منى الى اخـوان الكتائب » ثلاث مراحل يجب أن تمر بها دعوة الاخوان :

الاولى ، مرحلة التعريف . وتقوم الدعوة فيها عـلى نظام الجمعيات الخيرية للوعظ والارشاد واقامة المنشآت . وتكون الدعوة فى هذه المرحلة عامة ، ولا تكون الطاعة التامة ملزمة .

ثانيا ــ مرحلة التكوين . وتقوم عـلى أساس اسـتخلاص العناصر الصالحة لحمل أعباء الجهاد ، وتجميعها . ويكون نظام الدعوة فيها صوفيا بحتا من الناحية الروحية ، وعسكريا بحتا من الناحية العملية . وشـعار هاتين الناحيتين دائما : أمر وطاعة من غير بحث ولا مراجعة ، ولا شـك

---

٣٣ ــ رسالة المؤتمر الخامس ص ٣٧ ــ ٣٨ .

ولا حرج . ولا يتصل بهذه المرحلة الا من استعد استعدادا حقيقيا لتحمل اعباء الجهاد الطويل المدى وتحمل التبعات . واول بوادر هـذا الاستعداد كمال الطاعة .

اما المرحلة الثالثة ، وهي مرحلة التنفيذ ، فهي الدعـوة في طور جهاد لا هوادة فيه ، وعمل متواصل في سبيل الوصـول الى الغـاية ، وامتحان وابتلاء (٣٤) .

وعلى ذلك يمكن القول ان البنا في ذلك الحين كان في «مرحلة التكوين» ، استعدادا لمرحلة التنفيذ .

● المحنة الاولى ، وتكوين النظام الخاص ●

على ان الاقدار في ذلك الحين كانت تعـد لاول صـدام بين السـلطة والاخوان المسلمين ، في ظروف لم تكن قد نضجت لها بعد قـوة الاخوان . ففي عهد حسين سري باشا ، وبطلب من السلطات البريطانية ، تمت مصادرة مجلتي التعارف والشعاع الاسبوعيتين ، والغى ترخيص مجلة « المنـار » الشهرية التي أعاد الاخوان المسلمون اصدارها بالتعاون مع ورثة الشيخ رشيد رضا . ومنع طبع اى رسالة من رسائلهم او اعادة طبعها ، واغلقت مطبعتهم ومنعت اجتماعاتهم ، وحظر عـلى الصحف نشر أخبارهم (٣٥) . وفي ١٩ اكتوبر ١٩٤١ ، اعتقلت الحكومة حسن البنا واحمد السكري وعبد الحكيم عابدين ، وأودعوا معتقل الزيتون (٣٦) . وبذلك تعرضت الدعوة لاول خطـر حقيقي تشهده منذ ظهورها .

على أن القصر لم يلبث أن تحرك لانقاذ الاخوان . واضطر حسين سري الى الافراج عن حسن البنا واحمد السكري في ١٣ نوفمبر — أي قبل مضي شهر واحد على الاعتقال — كما أفرج عن عبد الحكيم عابدين (٣٧) . وحتى

---

٣٤ — قضية مقتل النقراشي باشا ، من سلسلة المحاكمات التاريخية .

٣٥ — محمد شوقي زكي : المرجع المذكور ص ٢٠ .

٣٦ — مجموعة مضابط دور الانعقاد العادي السابع عشر ، يوم ٩ ديسمبر ١٩٤٩ .

٣٧ — نفس المصدر ، انظر ايضا في دور القصر في الافراج : عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية في مصر من ١٩٣٧ — ١٩٤٨ ، الجزء الثاني ١٢٩ .

يكون البنا على علم بصاحب الفضل فى هذا الافراج ، فقد زار حامد جودة ، وزير التموين السعدى ، الشيخ حسن البنا فى معتقله قبل الافراج عنه بأيام ، وجلس معه عدة ساعات ، وأعلمه انه يعمل على الافراج عنه (٣٨) ·

على هذا النحو انتهت المحنة الاولى سريعا ، ولكن بعد ان خلفت اثرين فى خطة البنا :

الاول ، تحاشى الاصطدام مع البريطانيين باى ثمن ، تفاديا لاجهاض دعوته .

ثانيا : بناء التنظيم السرى .

وبالنسبة للبريطانيين ، فيقول البعض أن اتفاقا صامتا قد تم بينه وبينهم على التعاون لمحو اسطورة الحاج محمد هتلر فى الجوامع ، والامتناع عن اى نشاط معاد لهم ، فى مقابل التغاضى عن نشاط الاخوان فى المدن والقرى والمدارس (٣٩) ·

وكان البريطانيون ، بعد نجاح القصر فى اطلاق سراح البنا ورفاقه ، قد اقروا الاتفاق مع الاخوان ، فاتصلوا بهم ، وجرى حوار حول افكار الجماعة وبرنامجها ، عرض فيه ممثل السفارة « مساعدة الجماعة على تحقيق أهدافها » . وقد اختلفت المصادر حول قبول او عدم قبول هذه المساعدة . فبينما ذكر البعض ان البنا ابدى استعدادا للتعاون ، وقبول نوع من « الدعم المالى » ، انكرت مصادر الاخوان نية البنا فى قبول « اموال الكفرة » (٤٠) ·

وسواء قبل الاخوان دعما من بريطانيا أم لم يقبلوا ، فمن الثابت أنهم امتنعوا عن القيام بأى نشاط ضد البريطانيين بعدها . فلم يكن لهم دور فى مظاهرات . « الى الامام ياروميل » التى جرت فى اول فبراير ١٩٤٢ (٤١) — اى بعد شهرين من الافراج — ولم ينسب اليهم اى دور بعد ذلك .

---

٣٨ — احمد حسين : مذكرة بدفاع المتهمين .. الى ص ٤٠ .

٣٩ — وسيم خالد : الكفاح السرى ضد الانجليز ص ٤٧ (دار الشعب ١٩٦٣) .

٤٠ — ميتشيل ، رتشارد : مجتمع الاخوان المسلمين، الترجمة العربية بعنوان : الاخوان المسلمون ترجمها فاروق عفيفى عبد الحى ص ٨٠ — ٨١

٤١ — عبد العظيم رمضان : المرجع المذكور ص ١٨٩ .

ويدخل فى هذا الاطار — اطار مهادنة السلطة البريطانية اثناء الحرب — مهادنة الاخوان لحكومة الوفد التى تألــــفت فى ٤ فبراير ١٩٤٢ . فحين اعترض النحاس على ترشيح البنا نفسه لعضوية البرلمان ، وعرض عليـــه اطلاق يده فى الشئون الدينية فى مقابل الامتناع عن الاشتغال بالسياسة ، قبل البنا ذلك — لا لأنه كان ينوى التنفيذ الفعلى ، وانما لان هذا الاتفاق كان يتيح له استكمال « مرحلة التكوين » تحت شعار النشــــاط الدينى ، وبناء قوته العسكرية . وكان هـــذا النشاط يحرج حكومة الوفد ، التى عمدت احـدى المرات الي اغلاق جميع شعب الاخوان ماعدا المركز العام ، والتضييق عليهم فى الاجتماعات والمطبوعات — ولكن ليبرالية الوفد كانت تتغلب ، فتطلق يدهم مرة اخرى (٤٢) . ومن المؤكد — على كل حال — ان علاقة المصـــــداقة بين الاخوان والوفد افادت حركة الاخوان فائدة كبـــــرى ، لأنها اكسبتهم عطف الجماهير الوفدية الغفيرة التى لم ير بعضها ما يحول دون الجمع بين انتمائه الوفدى وانتمائه الاخوانى .

● بناء التنظيم السرى ●

كانت النتيجة الثانية لاصطدام السلطة بالشيخ حسن البنـــــا ، تكوين النظام السرى أو النظام الخاص — كما ذكرنا ، وقد حدد محمد خميس حميدة نائب المرشد العام للاخوان المسلمين ، تاريخ نشأة هذا النظام بأنه : « حوالى سنة ١٩٤٢ أو قبل كده » (٤٣) . وهو تاريخ يناسب مجرى الاحـــداث التى نحن بصددها . يضاف الى ذلك ان الصـــاغ محمد لبيب ، الذى كشــــفت محاكمات الاخوان عام ١٩٥٤ أنه صاحب الفكرة فى تكوين هذا النظام ، كان فى تلك الاثناء مفتشا عاما للجوالة (٤٤) .

---

٤٢ — محمد شوقى زكى : المرجع المذكور ص ٢٦ . يتخذ هذا الكتاب موقفا نقديا شديداً من حكومة الوفد يخفى فيه الحقائق ، فقد صـــورها فى صورة الانصياع للضغط البريطانى ، على أن هذا الموقف نفسه كان موضع اشادة من جانب الجماعة فى بيانهم ردا على حل النقراشى باشا للجماعة فى ٨ ديسمبر ١٩٤٨ ؛ فقد ذكر البيان أن السفارة ضغطت على النحاس باشا لحل الجماعة ، ولكنه رفض ، واكتفى باغلاق الشعب ، وأبقى المركز العام (انظر فهمى أبو غدير : قضيتنا ، آخر ما كتب الامام الشهيد قبل اغتياله ص ٣٩ — ٤٠) .

٤٣ — محكمة الشعب ، الجزء الخامس ص ٢٨ — ٣٠ .

٤٤ — محكمة الشعب ، الكتاب الاول ، محاكمة محمود عبد اللطيف ، اعداد كمال كيره ص ٢٣ .

وكما ذكرنا ، فان الالتحاق « بفرق الرحلات » ، التى تحولت الى فرق الجوالة ، كان قاصرا على « الاخوان العاملين » ، وهى المرتبة الثالثة من مراتب العضوية فى الجماعة . وكانت هذه المرتبة تمهد للمرتبة التالية لهـا وهى مرتبة « الاخوان المجاهدين » . وقد حدد المؤتمر الثالث لمجلس شورى الاخوان شروط العضوية فى هذه المرتبة الاخيرة ، بأنها من حق الاخ العامل الذى يثبت لمكتب الارشاد محافظته على واجباته السابقة » (٤٥) .

وقد كان نظام الجوالة فى البداية نظاما اختياريا بالنسبة للاخ العامل . ولكن صدرت بعد ذلك تعليمات تنص على أن « يعتبر كل اخ عامل جـوالا ، ويجب أن يدرب تدريبات الجوالة ، وعلى كل جوال ان يكون اخا عاملا .. ولا يقبل فى صفوف الجوالة الا من كان على هذه الصفة » .. ثم صدرت نشرة ادارية تقضى باعتبار نظام الجوالة « نظاما اساسيا » لا تكميليا . وقد ورد بهذه النشرة : « اذا كان الاخوان فى ادارة الشعب لا يزالون يعتقـدون أن الجوالة نظام تكميلى ، فان عليهم أن يغيروا هذا الاعتقاد تماما .. فان نظام الجوالة نظام اساسى رئيسى فى فكرة الاخوان ، يراد به تدريب الأعضـاء ، وتحقيق نية الجهاد » (٤٦) .

وقد وضع البنا نظاما يعرف باسم « نظام الاسر » ، يعتبر المجـال العملى للتربية الروحية فى الاخوان ، وكان نظام الاسر ـ كما يقول محمـد شـوقى زكى ـ يسـمى فى أول أمره نظام الكتائب (٤٧) . وعندما نظمت عضوية الاخوان الى مراتب : « اخوان مسـاعدين » ، و « عاملين » ، و « مجاهدين » ـ أصـبح دخـول نظام الاسر قاصرا على « الاخـوان العاملين » (٤٨) .

وكانت كل أسرة تتكون من عدد يتراوح ما بين خمسة وعشرة اعضاء . وتقوم على اساس طبقى او فئوى ، فكانت تتكون اما من طلبة أو موظفين أو عمال . ومن تعاليم نظام الاسر أن يعرف كل فرد فيها جميع شئون أعضاء أسرته الاجتماعية والثقافية والاخلاقية والعائلية . وكانت كل أسرة تعقـد اجتماعا أسبوعيا فى منزل احد الاعضاء ، وليس فى مقر الشعبة ، لزيـادة

---

٤٥ ـ حسن البنا : مذكرات الدعوة والداعية ص ١٩٤ .
٤٦ ـ قضية مقتل النقراشى باشا ص ٩٣ .
٤٧ ـ محمد شوقى زكى : المرجع المذكور ص ٤٠ .
٤٨ ـ نفس المصدر ، انظر لوحة الهرم الادارى للاخوان المسلمين .

التالف . وتدارس النواحى الدينية . كما كان من برامجها القيام برحـــلات وحضور « اجتماعات روحية » مع اشخاص اكثر علما بشئون الدعوة وفهما لهـــا (٤٩) .

ولم يلبث نظام الأسر ان تحول الى نظام لتخريج « الاخوة المجاهدين » وهم خاصة الاخوان ، وارقى مراتب العضوية فيهم . . بدليل أن الشيخ حسن البنا حين أصدر رسالته : « نظام الاسر ورسالة التعاليم » وجه الخطاب فى هذه الرسالة الى : « الاخوان المجاهدين من الاخوان المسلمين » . وقد حدد فى هذه الرسالة اركان البيعة بعشرة على النحو الآتى : الفهم ، والاخلاص ، والعمل ، والجهاد ، والتضحية ، والطاعة ، والثبات ، والتجرد ، والاخوة ، والثقة ، وقد عرف « الجهاد » بانه : « الفريضة الماضية الى يـــوم القيامة ، والمقصودة بقول رسول الله : « مـــن مات ولم يغز ولم ينو الغزو ، مات ميتة جاهلية » . وقال ان اولى مراتب الجهاد هى انكار القلب ، واعلاها القتل فى سبيل الله ، وبين ذلك جهاد اللسان والقلم واليد . وفسر التضحية بأنها « بذل النفس والمال ، والوقت والحياة ، وكل شىء فى سبيل الغاية » . وفسر الطاعة بأنها امتثال الامر ، وانفاذه توا ، فى العسر واليسر ، والمنشط والمكره ، وفسر الثقة بأنها « اطمئنان الجنـــدى الى قائده فى كفاءته واخلاصه اطمئـــنانا عميقا (٥٠) .

وقد اطلق البنا على هؤلاء المجاهدين اسم « رجال الكتائب » . ومن هنا جاء عنوان رسالته : « رسالة التعاليم الى اخوان الكتائب » . ونجد فى شهادة عبد المجيد حسن ، قاتل النقراشى باشا ، تفسيرا لهذا الاسم . . فقد أورد أن البنا كان يعقد لهم اجتماعات ليلية للدراسات الروحية ، يبيتون فيهـــا معه فى المركز العام او احدى الشعب الى الصباح ، وكان يطلق على هـــذه الاجتماعات اسم « الكتائب » (٥١) . فرجال الكتائب اذن يقصد بهم رجـــال هذه الاجتماعات من خاصة الاخوان الذين يعدهم البنا للجهاد . . وكانت هناك كتائب للطلبة واخرى للموظفين ، وثالثة للعمال .

---

٤٩ — قضية مقتل النقراشى باشا ، شـــهادة عبد المجيد حسن ، ص ٣٨ — ٣٩ .

٥٠ — محمد شوقى زكى : المرجع المذكور ص ٣٨ — ٣٩ .

٥١ — قضية مقتل النقراشى باشا ، شهادة عبد المجيد حسن ص ٦٩ — ٧٠ .

وفى الحقيقة أن هذه الأسر اصبحت مدخلا للنظام الخـاص (التنظيم السرى) ، باعتباره المجال العملى للجهاد (الاسرة هى المجال الروحى) .. فقد روعى فى نظامها ان ينقل العضو الى « النظام الخاص » انتقالا تدريجيا وطبيعيا . وقد صور عبد المجيد حسن هذا الانتقال التدريجى تصويرا جيدا فى محاكمته بقوله : « احب أن أذكر اننى دخلت هذه الجمعية السرية عـلى اعتبار انها كنظام الاسرة ، ونظامها يشبه نظام الاسرة ، ولابد لكل شخص من اعضاء نظام الأسرة ان ينخرط فى سلك هذه الجمعية السرية ، بعد ان يتدرج فى جميع الانظمة ويثبت اخلاصه للدعوة ، وذلك دون أن يشعر بأنه دخل هذا النظام الجديد أى الجمعية السرية » (٥٢) .

وقد شرح كيفية انتقاله الى النظام الخاص ، فذكر أن احد الاعضـاء فى « اسرته » صحبه لمقابلة من يدعى احمد حجازى ، وطلب اليه ان « يثق فى كل كلمة يقولها » ، لأنه « من الاخوان الموثوق فيهم » .. وقد بدأ حجازى يسرد دعوة الاخوان المسلمين قائلا انه لا ينقصها لتصير شـبيهة بالدعوة المحمدية الا استعمال السلاح .. وان الاخوان لم ينسوا هـذا الباب ، وسيقومون بتنفيذه » . وعرض على عبد المجيد حسن قبول الانضمام معهم فى هذا النظام ، « فوافقت على الدخول فى هذا النظام باعتباره نظاما كنظام الجوالة ونظام الأسر ، ولكنه يختلف عنهما بأنه مقصور على الاخوان الذين يثبت أنهم مخلصون لدعوة الاخوان تماما ، والدليل على هذا ان هذا النظـام لا يوجد له اسم خاص ، وكان معروفا بين الاخوان باسم : « النظام الخاص » بينما كان نشاط الاخوان معروفا باسم : « المحيط العام » (٥٣) .

وقد بين عبد المجيد حسن اوجه التشابه بين نظام الأسرة ونظـام الجمعية السرية ، فقال ان كلا منهما كان يتفق فى « التدقيق فى الحياة اليومية لكل عضو اجتماعيا واخلاقيا ، واثبات ذلك فى جدول أعمال خاص به من حيث تلاوة القرآن والمأثورات الدينية ، والقيام بالالعاب الرياضية » .

اما اوجه الاختلاف ، فان كل عضو فى الجهاز السرى كان يرمز له برقم خاص وبالحروف الاولى من اسمه ، وكان يخضع لنظام مراقبة دقيق صارم . فقد كانت كل تحركاته وسكناته ترصد ، ويحاسب عليها حسابا عسـيرا . وكان كل عضو يعرف انه مراقب ، ويتوقع الموت جزاء لاية خيانة .

---

٥٢ ـ نفس المصدر ص ٣٥ ـ ٣٦ .
٥٣ ـ نفس المصدر ص ٣٥ .

وكانت كل مجموعة مكونة من خمسة اشخاص ، وكانت هناك ثلاث مراحل يرتقيها العضو داخل النظام الخاص .. وقد ذكر عبد المجيد حسن ان أحمد حجازى كان يعطى المجموعة « دراسات فى الوطنية وفى النواحى الدينية كما كان يعطينا دراسات خاصة باستعمال السلاح ، واخرى فى القانون والاسعافات الأولية ؛ وكنا نؤدى امتحانا فى هذه الدراسات » . ويتضح مما ذكره ان التدريب على السلاح كان يتم فى المناطق الصحراوية فى اماكن عديدة فى انحاء البلاد (٥٤) .

وعند نجاح العضو ، كان يؤخذ لحلف اليمين على الطاعة والكتمان . وقد رسم عبد المجيد حسن صورة تحفها الرهبة لحلف اليمين ، فذكر أنه توجه الى احد المنازل بالصليبة « وهناك عند الباب قابلنا شخص اسمه عبد الرحمن السندى ، وصعدنا الى الطابق الثانى ، ودخلنا غرفة مظلمة ، ثم ادخلنا غرفة اخرى ، فردا فردا ، وكان فى الغرفة شخص ملثم ، هو الذى تلقينا عنه البيعة .. وكان أمامه مصحف ومسدس قال عنهما انهما الوسيلة الوحيدة لنصرة الاسلام ، وانه يجب على الطاعة ، والقسم على ذلك . وأن الذى يفشى سرا من اسرار هذا النظام الخاص فجزاؤه الموت فى اى مكان يحتمى به . وقد ذكر لى عبد الرحمن السندى ان هذا الشخص هو الصلة بيننا وبين الاستاذ حسن البنا ، وقد اراد بذلك ان يثبت أن هذا النظام خاضع للنظام العام » وقد عرف عبد المجيد حسن من صوت الشخص الملثم وحجمه وهيئته العامة انه صالح عشماوى ، وكيل جماعة الاخوان المسلمين ومدير جريدتها (٥٥) .

وقد رسم « قانون التكوين » كيفية تنظيم « النظام الخاص » على نظام الخلايا ، من هيئة قيادة وأركان حرب وجنود .. كما حدد واجبات كل فرد ، واختيار الجنود ، والشروط التى يلزم توافرها فيهم ، وكيفية ترشيح الافراد ، وطرق تكوين الفرد واعداده بعد قبول الترشيح .

وقد نص هذا القانون على ان يكون لكل خلية « امير » ، مهمته تلقى العضو بعد قبول ترشيحه ، وتعريفه بنوع العمل ، واقتناعه بشرعيته ، وتوصيته بالكتمان والطاعة والصمت ، وتعليمه كيفية التصرف فى المواقف وعدم التورط ، والثبات عند تادية العمل ، وأن يكون طبيعيا عندما يحمل

---

٥٤ — نفس المصدر ص ٣٨ ، ٤٢ ، ١٠١ .

٥٥ — نفس المصدر ص ٣٦ — ٣٧ .

شيئا أو يقوم بشيء ، وتهيئة ذهنه لاحتمال قيامه بعمل قريب ، ثم اختبـاره بتكليفه باحدي المهام ، ومراقبته الى قبيل الموعد ، ثم الغاء التنفيـذ .. وفى حالة نجاح العضو يقدم للبيعة فى القاهرة . وفى حالة الرسوب ، يلحق باحدى الأسر ، أو بعض الاعمال العامة .

كما اوجب القانون على الاعضاء الطاعة « لاميرهم » بعد البيعة ... ونظم مسائل التحقيق مع المقصرين ، بحيث يكون عن طريق مجالس تحقيـق تشكل حسب الاحوال من : أمير الجماعة ، ومندوب الاقاليم ، ومديرالاقاليم ومندوب القاهرة فى الاقاليم ، ومدير القاهرة . وتصل عقوبة الخيـانة ، أو افشاء السر عن حسن قصد أو سوء نية ، الى الاعدام أو اخلاء الجمـاعة سبيل العضـو .

كما صدرت تعليمات تحدد تكاليف البيعة ، من طاعة وخضوع للقيادة ولامراء الجماعات . وصدرت « لائحة عامة ، تضمنت واجبات افراد الجماعة ، وحقوق رؤسائهم ، والتحقيق مع المقصرين ، وحق امير الجماعة فى توقيع العقوبات الادبية والمادية التى كان اخفها الصيام وزيادة الطوابير والسـير على الاقدام لمسافات بعيدة .

وقد جهز التنظيم الخاص بجهاز مخابرات اخوانى على جانب كبير من المهارة ، بحيث تكون القيادة على علم بكل صغيرة وكبيرة عن خصـومها واصدقائها على السواء . وكان نطاق جهاز المخابرات واسعا يمتـد ليشمل جميع الأحزاب المصرية الموجـودة فى ذلك الحين : الوفد ، والسـعديين ، والاحرار الدستوريين ، والكتلة الوفدية ، والحزب الوطنى ، ومصر الفتاة ، وحزب العمال ، وحزب الفلاح الاشتراكى ، وجبهة مصر ، والشـبان المسلمين ، والشبان المسيحيين ، والجماعات الشيوعية ـ فضلا عن النقابات والجمعيات المختلفة . وكانت هناك مخابرات فى كل وزارة ، وفى الجامعـة والازهر والمدارس . وكانت تقدم تقارير عن القائمين بالاعمال فى اقسام البوليس وقواتها ، والمحال الصناعية اليهودية والاجنبية والمصرية .

وقد حددت التعليمات الشروط الواجب توافرها فى افراد جهاز المخابرات ، من الصحة الجيدة ، والمهارة ، والتنظيم الذاتى ، والمكر ، والقدرة على « التذؤب مع الذئاب » . كما تناولت طرق اعدادهم اعدادا رياضيا وفنيـا ، وتدريبهم على الكهرباء واللاسلكى والتصوير والاختزال والتمثيل وعمل المكياج وتغيير الزى وقيادة وسائل المواصلات . وكان الاعداد يشمل اعمال الفدائيين وحرب العصابات ، والتدريب على قنابل مولوتوف ، وتخريب المواصـلات

والسكك الحديدية ، واستخدام المفرقعات والالغام والاسلحة النارية وغيرها ، وهو برنامج طموح كما هو واضح ·

وقد جهز هذا الجيش السرى بالرءوس المفكرة والعقول المدبرة ، والمال الوفير ، والاسلحة ، والمفرقعات ، والذخائر ، ووسائل النقل ، وادوات التراسل والاذاعة ، فضلا عن الاوكار فى مختلف الجهات فى المدن والريف .

وكان الهدف ان يتمكن هذا الجهاز السرى من الحصـــول على بيانات مفصلة عن منشآت الجيش المصرى والمنشآت الاجنبية ، من سـفارات وقنصليات ، فضلا عن المنشآت الحكومية من وزارات ومحافظات ومديريات واقسام ومراكز ونقط البوليس والسجون ومكاتب التلغراف والتليفون والبريد وغيرها ، وعن المواصلات من سكك حديدية وترام وطرق زراعية وخطــوط الاوتوبيس (٥٦) ·

على ان جزءا هاما جـدا من الاعداد ، كان يتمثل فى الاعداد الروحى والدينى ، لاقناع العضـــو بمشروعية الاعمال التى يقوم بها · فقد نقلنا عن عبد المجيد حسن انه قرر الالتحاق بالنظام الخاص بعد ان اقنعه احمـــد حجازى بأن « الدعوة لاينقصها لتصير شبيهة بالدعوة المحمدية الا استعمال السلاح ، وأن الاخوان لم ينسوا هذا الباب ، وسيقومون بتنفيذه » ويقول : « كنا ندرس فى النظام الخاص بجمعية الاخوان دراســات مختلفة ، منهـا القانون . وكنا نتعلم أن مثل هذه الاعمال لا تخالف الدين لان هذا هـــو الجهاد » .

وفيما يبدو ان فكرة الجهاد فى اذهان افراد الجهاز السرى كانت منصرفة فى البداية الى الانجليز وتحرير بلادهم ، او هكذا اوحى بها رؤساؤهم او امراؤهم . ثم جرى تحـــويل افكارهم الى الداخل تدريجيا . فقد أورد عبد المجيد حسن فى اعترافاته أنه بينما كان يحضر احـــد الاجتماعات فى بيت جمال فوزى : « تلاعلينا أوراقا مطبوعة على الآلة الكاتبة على ما أذكر ، تتضمن قصصا وروايات حدثت فى صدر الاسلام . ومما ذكر ان قتل المسلمين الذين يثبت انهم يعاونون الاعداء ، مقرر فى الشريعة الاسلامية فى عهد سيدنا محمد . وكانت هذه اول مرة يشير فيها النظام الخاص الى تبرير قتل احـد من المسلمين ، لانه لم يكن معروفا لدى جميع الافراد أن من تعاليم هـــذا النظام شيئا من هذا . وكانت هذه اول مرة اسمع فيها مثل هذا الحديث ، وبأن الاسلام يجيز قتل المسلم الخائن اذا ثبت ذلك » . وقد ذكر أن احـــد

---

٥٦ ـــ نفس المصدر ص ٩٦ ـــ ١٠٩ .

وسائل التأثير وتبعا عليه كانت : الدراسات الروحية ، والبيعة ، والاعتقاد بمشروعية الإعمال (٥٧) .

وتتمثل أهمية هذا العنصر من عناصر التأثير ، ليس فقط فى دفع عبد المجيد حسن الى اغتيال النقراشى دون أحجام أو تردد ، وكما رسم له ـ وانما تتمثل فى أن زوال هذا العنصر فيما بعد قد دفع عبد المجيد حسن الى الاعتراف بكل ما صدر عنه . فقد استطاعت حكومة السعديين بذكاء استصدار بيان من الشيخ حسن البنا يظهر فيه أسفه على حادث اغتيال النقراشى ، وفيه معنى استنكار الجريمة ، ونشر هذا البيان فى الصحف يوم ١١ يناير ١٩٤٩ . وقد اطلع النائب العام عبد المجيد حسن على هذا البيان . فكان له أثر كبير فى حمله على الاعتراف . فمع تمسكه فى البداية بالانكار ، الا أن مفعول البيان ، ثم بيان هيئة كبار العلماء وتنذاك ، قد دفعه الى التفكير ثم الاعتراف . يقول : « إطلعنى النائب العام فى أحد أيام التحقيق على بيان نشره الاستاذ حسن البنا ، نفى فيه انه يعلم شيئا عن الجريمة ، وأنه يبرأ منها ومن مرتكبيها ، مستندا فى ذلك الى احاديث وآيات . فعجبت لذلك كل العجب . كما أنى علمت أن هيئة كبار العلماء أصدرت بيانا عن هذا الحادث ، فاطلعت عليه . وعقب ذلك اردت أن أعلن جميع افراد النظام الخاص بأنه قد غرر بنا جميعا ولست أنا وحدى ، وأن نفس التأثير الذى كان واقعا على ، كان أيضا واقعا عليهم » (٥٨) .

وهذا الكلام معقول ، لان مثل تلك التربية الدينية ، وذلك الاعداد والتدريب الروحي والخلقى الكبير لعبد المجيد حسن ، ماكان ليحمله بأي ثمن ـ ولو كان حياته ـ على ان يشترى بدنياه بآخرته . ولكن زوال التأثير كان له مفعوله فى دفعه الى الاعتراف .

على كل حال ، فان هذا الاعداد للجهاز السرى ماكان ليتم بين يوم وليلة ، وانما استغرق وقتا طويلا وقطع مراحل كثيرة . وان كانت الادلة تشير الى أنه قد بلغ درجة عالية من الاكتمال قبل حرب فلسطين . فقد انشئت الخلايا ، وحصل التدريب ، وحشدت المعدات . وقد تضخم جيش الجوالة فى تلك الاثناء ، ففى عام ١٩٤٢ كان تعداده ٢٠٠٠ جوال ، وفى العام التالى وصل الى ١٥٠٠٠ جوال ، حيث بدأت الفكرة تنتعش فى الريف . وفى سنة ١٩٤٥ وصل

---

٥٧ ـ محمد شوقى زكى : المرجع المذكور ص ١٢٥ ـ ١٢٩ .
٥٨ ـ قضية مقتل النقراشى باشا ص ٦٤ ـ ٦٥ .

الى ٤٥٠٠٠ جوال . وفى العام التالى وصل الى ٦٠ الفا . وفى نهاية ١٩٤٧ بلغ تعداد الجوالة ٧٥٠٠٠ وظل هذا الرقم ثابتا حتى قرار الحل (٥٩) .

وقد تغلغلت تنظيمات الاخوان فى الجيش والبوليس ، وكانت تعد تنظيمات سرية بحكم طبيعة عمل الضباط . فعندما سئل حسين ابو سالم امام محكمة الشعب عما اذا كان يعرف ان هناك تنظيما عسكريا بجانب التنظيم الخاص السرى ، اجاب : « الاخوان اللى فى الجيش أو فى البوليس، دائما من يوم ما أصبح فيه أخوان فى الجيش والبوليس ، تنظيمهم يعتبر بالنسبة للجماعة تنظيم سرى . لان طبيعة عملهم كضباط فى الجيش أو البوليس تجعله لا يتردد على شعب الاخوان » (٦٠) .

وكان التنظيم السرى يتبع المرشد العام مباشرة . ولكن ليس معنى ذلك أنه كان يدير شئونه بنفسه ، وانما كان يديره بواسطة جهاز خاص . وكان اول رئيس لهذا الجهاز هو عبد الرحمن السندى ، وكان يعاونه مجموعة من الاخوان عرف منهم احمد زكى واحمد عادل ومحمود الصباغ . ويلى هؤلاء رؤساء المناطق ، وهم غير رؤساء مناطق الشعب ، وهكذا .

وكان للجهاز الخاص ميزانية مستقلة عن ميزانية النشاط العام للاخوان التى كانت تتكون من الاشتراكات . وقد بدأ جمع الاشتراكات من النظام الخاص فى سنة ١٩٤٤ أو ١٩٤٥ . وكانت تنفق على التسليح ومتطلبات الجهاز السرى (٦١) . ونظرا لصغر حجم الجهاز السرى بالنسبة للتنظيم العلنى ، فاغلب الظن ان الميزانية العامة كانت تسد العجز فى الميزانية الخاصة . وكانت هذه الميزانية العامة ضخمة ، فقد كان متوسط الاشتراك الشهرى للفرد عشرة قروش ، واذا صدق الراى الذى يقول ان عدد الاعضاء كان يبلغ نصف مليون عند حل الجماعة فى ديسمبر ١٩٤٨ (٦٢) ، فان المبلغ الشهرى المحصل كان يبلغ ٥٠٫٠٠٠ جنيه . أما اذا كان العدد مائتى الف

---

٥٩ ــ محمد شوقى زكى : المرجع المذكور ١٢٥ ــ ١٢٧ .

٦٠ ــ محكمة الشعب : المحاكمات التى تمت من ١٣ الى ١٥ نوفمبر ١٩٥٤ . الجزء الثانى ص ٣٤٧ .

٦١ ــ نفس المصدر ، شهادة السيد حسين أبو سالم ص ٣٤٦ .

٦٢ ــ احمد حسين ، المرجع المذكور ص ٦٢ . وقد ذكر هذا الرقم ابراهيم الطيب فى نوفمبر ١٩٥٤ ، انظر محكمة الشعب ج ٣ ص ٥٣٨ .

طبقا لما أورد حسين ابو سالم ، فان المبلغ المحصل يبلغ ٠٠٠ر٢٠ جنيه (٦٣)٠ هذا طبعا عدا ميزانية النظام الخاص والمبالغ الاخرى التى يتبرع بها الاثرياء من اعضاء الجماعة .

وقد اعتمد البنا فى تكوين الجهاز السرى على عناصر عمالية وبورجوازية صغيرة تتكون من موظفين وحرفيين وطلبة . وقد استلفتت هذه الملاحظة نظر رئيس نيابة أمن الدولة ، مصطفى الهباوى ، فى مرافعته امام محكمة الشعب فقال :« ولعلكم يا حضرات القضاة لاحظتم على الشهود ان هـــذه الجمعية كانت حريصة كل الحرص على ان تختار فى نظامها السرى أو الخاص طائفة من الفقراء . فقد شهدتم الحداد ، والمطبعجى ، والسمكرى ، والعامل فى وزارة الصحة . ولعل هدفها فى اختيار هؤلاء الفقراء انها ارادت بذلك أن تستغل عامل الفقر فى هؤلاء الناس ، فسلكتهم فى هذا النظام السرى الفدائى الارهابى لتثير فيهم غريزة الحقد على هذا المجتمع ، وهى غريزة تجعلهم أكثر تعصبا للمبادىء المخربة السفاكة (٦٤) ٠ وفى جلسة ١٣ نوفمبر ١٩٥٤ أبدى رئيس محكمة الشعب ، جمال سالم ، سخريته من هذا التكوين الاجتماعى للنظام السرى ، قائلا : « يعنى الحمد لله كل الجهاز السرى خـــردواتية وسمكرية وموظفين فى الدرجات الصغيرة . مالقتش مهندس ولا واحد مدير ادارة » ! (٦٥) ٠

---

٦٣ ـــ محكمة الشعب ، الجزء الثانى ، شهادة السيد حسين ابو سالم ص ٣٤٥ ـــ ٣٤٦ .

٦٤ ـ محكمة الشعب ، الجزء الرابع ص ٨٩٩ ٠

٦٥ ـــ محكمة الشعب ، الجزء الاول ص ١٥٥ .

الفصل الثالث

الاخوان المسلمون والعنف ١٩٤٤ـ١٩٤٨

رأينا كيف أن فكرة النظام الخاص قد نشأت فى أعقاب الاصطدام بالسلطة ، وذلك لحماية الدعوة والدفاع عنها عند اللزوم . وذكرنا دور القصر والسعديين فى اخراج حسن البنا ورفاقه من المعتقل . وقد سقط حكم القصر بعد الافراج بشهرين ، وتولت حكومة الوفد ، وحدث التهادن بين الفريقين . وفى ظل الحكم الليبرالى لوزارة الوفد ، لم تنشأ الحاجة بالاخوان لاستخدام العنف ، فمع أن الوزارة أغلقت جميع الشعب فيما عدا المركز العام فى نهاية عام ١٩٤٣ ، الا أن الموقف تغير فى بداية العام التالى ، فقد قامت مجموعة من أعضاء الوفد البارزين ، معظمهم من الوزراء ، بزيارة المركز العام ، وعادت العلاقات الى التحسن (٦٦) . وعند نهاية حكم الوفد كانت حركة الاخوان قد بلغت درجة من القوة دفعت البنا الى الاعتقاد فى امكانية الوصول الى الحكم عن طريق الانتخابات البرلمانية عند سنوح الظروف المناسبة .

على أن القصر لم يلبث أن تمكن فى اكتوبر ١٩٤٤ من احداث انقلاب دستورى كبير ، اخرج الوفد بمقتضاه من الحكم ، وأتى بعهد جديد يتلخص برنامجه فى شىء واحد هو الانتقام من الوفد لموقفه فى حسادث ٤ فبراير ، والقضاء عليه قضاء مبرما ، والاعفاء على أثره نهائيا (٦٧) . وقد تولى رياسة الوزارة الانقلابية الجديدة احمد ماهر باشا ، زعيم الحزب السعدى.

ولم يغفر القصر أو الحزب السعدى للاخوان مهادنتهم للوفد . فقد رشح البنا نفسه لعضوية مجلس النواب فى دائرته الاسماعيلية ، كما رشح خمسة من زملائه انفسهم فى دوائر اخرى ، ولكن الجميع سقطوا فى الانتخابات . وكان البنا قد نجح فى انتخابات الدور الاول ، ولكن اعيد الانتخاب بينه وبين منافسه لفروق يسيرة مفتعلة بين الاصوات ، وأسقط رغم التأييد الساحق له من أهالى الاسماعيلية (٦٨) .

وكان ذلك أول تحد للاخوان فى دورهم الجديد وقوتهم التى وصلوا اليها . وقد قبلت الجماعة التحدى ، فحين أعلن أحمد ماهر باشا عن عزمه على اعلان الحرب على المحور ، عارضه الاخوان ، وكتبوا اليه بالعدول

---

٦٦ ـ ميتشيل : المرجع المذكور ص ٦٣ .

٦٧ ـ احمد حسين ، المرجع المذكور ص ٤٢ .

٦٨ ـ محمد شوقى زكى ، المرجع المذكور ص ٢٢ ميتشيل المرجع المذكور ص ٧٢ .

عن ذلك ، واتفقوا فى ذلك مع الوفد والعناصر الوطنية الاخرى . ولـكن احمد ماهر مضى قدما فى عزمه ، والقى بيانا يوم السبت ٢٤ فبراير ١٩٤٥ وافق فيه على اعلان الحرب . ولم يكد ينتهى من الادلاء ببيانه ، حتى أطلق عليه محمود العيسوى الرصاص بينما كان يجتاز البهو الفرعونى فـأودى بحياته .

ويعتبر دور الاخوان فى هذا الحادث مما يثير مناقشات كبيرة . فقـد اعترف القاتل بانتمائه للحزب الوطنى ، وبناء على هذا الاصرار أطلق سراح البنا والسكرى وعابدين وبعض الاخوان الذين اعتقلوا بتهمة الاشتراك فى الاغتيال . ولكن بعض الاراء تؤكد ان محمود العيسوى كان من الاخـوان المسلمين ومن غلاتهم ، وانه تستر تحت الحزب الوطنى حتى لا يضر جماعته. فقد روى محمد على ابو طالب انه سمع من الاستاذ خالد محمد خالد أن الشيخ سيد سابق ، وهو من زعماء الاخوان والتنظيم وقد افتى بمشروعية اغتيال النقراشى باشا فيما بعد (٦٩) ـ قد اخبره بعد مقتل أحمد ماهر باشا ، بأن محمود العيسوى كان من صميم الاخوان المسلمين (٧٠) . ولم يكذب خالد محمد خالد أو الشيخ سيد سابق هذا الكلام .

وقد استدل ابو طالب على رايه بان وزارة احمد ماهر كان فيهمـا وزيران من الحزب الوطنى هما : حافظ رمضـان باشا ، رئيس الحزب الوطنى وزكى على باشا ، وهو من زعماء الحزب منذ نشأته . وكان أولى ان يحاسبا على اشتراكهما فى هذا الجرم ، وهو ما لم يحدث (٧١) .

ولمناقشة هذه القضية لدينا الملاحظات الآتية :

١ ـ ان الكثيرين من المصريين كانوا يجمعـون فى ذلك الحين بين انتماءين : الانتماء لحزبهم ، والانتماء للاخوان المسلمين . بل يذكر احمـد

---

٦٩ قضية مقتل النقراشى باشا ص ١١٥ ـ ١١٧ .

٧٠ ـ محمد على ابو طالب : مرة اخرى ، لماذا اغتيل حسن البنـا (السياسى فى ٥ اغسطس ١٩٧٩) .

٧١ ـ نفس المصدر . الحقيقة أن وزارة أحمد ماهر باشا لم يشترك فيها من الحزب الوطنى سوى رئيسه حافظ رمضان باشا (انظر : النظـارات والوزارات المصرية ، الجزء الاول جمع وترتيب فؤاد كرم)مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر ، مطبعة دار الكتب ١٩٦٩ .

حسين أن رؤساء الاحزاب واقطاب السياسة والحكومة اقبلوا على تأييد الجماعة والتشرف بالانتساب اليها : فمرة حامد جودة ، ومرة المرحـــوم صبرى باشا وفؤاد سراج الدين ،وثالثة صدقى (٧٢) ٠ ومن ثم فان انتماء محمود العيسوى الى الحزب الوطنى لا يحول دون انتمائه الى الاخـــوان المسلمين .

٢ ـ لم يكن الحزب الوطنى فى ذلك الحين حزبا ثوريا ، بل رجعيا . فقد كان من احزاب القصر ، وقد باع زعماؤه ورؤساؤه مبادئهم فى سبيل الحكم، منذ اشتركوا فى برلمان صدقى باشا الرجعى . وقد تسببت مواقف زعمائه فى انفصال شبابه عنه ، والفوا تحت رئاسة فتحى رضوان اللجنة العليـــا لشباب الحزب الوطنى . وعندما قام فاروق بانقلابه الذى اتى بوزارة احمد ماهر الى الحكم ، اشترك فى هذه الوزارة رئيس الحزب الوطنى حـــافظ رمضان باشا ، ومع أنه قدم استقالته الى الدكتور احمد ماهر عندما عـــرف بعزمه على اعلان الحرب ، الا أن ذلك لم يكن ـ باعترافه نفسه ـ ناجما عن شعوره بأن اعلان الحرب سوف يلحق ضررا بمصر ، وانما لاسباب شخصية محضة هى الا يتناقض مع ماضيه .. ففى شهادته أمام المحكمـــة العسكرية فى قضية اغتيال الدكتور احمد ماهر باشا ، سأله الدفاع عن أسباب استقالته ، فقال : « ما كنتش شايف خطر ، ولكنى كنت اعتقد أن مافيش مصلحة ، وما اردتش أن اتناقض مع موقفى السابق ، فقـــدمت استقالتى من الوزارة » . وقد سألته المحكمة : هل هناك خطر أو ضرر أصاب مصر من اعلان الحرب ، فكرر كلامه قائلا : « لا ، وكنت اعلم أنه لا يوجـــد ضرر ، وانما أردت فقط الا اتناقض مع ماضى » . بل لقد سحب محمد حافظ رمضان استقالته بعد اغتيال أحمد ماهر باشا ، وقال فى تبرير ذلك للمحكمة : « وجدت أن من الواجب أن ابقى فى الوزارة من باب استنكار الحـــادث ، وخصوصا أننى موش شايف خطر من دخولنا الحرب » (٧٣) ٠

ومثل هذا الحزب المتواطىء مع القصر ، والذى اكتفى منذ زمن بعيد بالكفاح الشكلى ، لم يكن ليجتذب شابا ملتهب الحماسة والوطنية مثل محمود العيسوى ، أو يلهمه فكرة اغتيال احمد ماهر باشا . والاقرب للتصديق أن

---

٧٢ ـ أحمد حسين : المرجع المذكور ص ٤٧ ٠

٧٣ ـ محضر الجلسة السرية فى قضية مصرع أحمد ماهر باشـــا (انور العمروسى المحامى : الجرائم السياسية ص ٦٤ ـ ٨١) ٠

يستلهم محمود العيسوى هذه الفكرة من تنظيم يعد لهذا العمل وهو الاخوان المسلمون ، الذن أعلنوا معارضتهم الصريحة لاعلان الحرب ، ويملكون جيشا سريا بلغ درجة طيبة من التنظيم . ولعل انتساب محمود العيســـوى الى الحزب الوطنى جاء من أنه قضى مدة تمرينه كمحـــام فى مكتب عبد الرحمن الرافعى . وفيما يبدو فانه لم يكن محل رضا أو تقدير من رؤسائه ، فقـد وصفه عبدْ الرحمن الرافعى بأنه : « شاب رقيق الحال ، غير ناجــح فى المحاماة ، ولا ملتفت لعمله » (٧٤) ـ مع أنه كان يحمل دبلوم القانون الخاص ودبلوم القانون العام ، وكان يعد رسالة لنيل الدكتوراة فى الحقـــوق . وهذا يدل على ان انتماء محمود العيسوى للحزب الوطنى كان انتماء صوريا يخفى انتماءه الحقيقى لجماعة الاخوان المسلمين .

٣ ـ ان تاريخ الاغتيالات السياسية قد دل على انها لا تنبع عـادة من فرد ، وانما من تنظيم . هكذا حدث فى اغتيال بطرس غالى باشا ، ومقتل السردار لى ستاك ، والاعتداءات التى حدثت أثناء ثورة ١٩١٩ حتى ١٩٢٤ ، ومحاولات قتل اسماعيل صدقى باشا فى المـــدة من ١٩٣٠ ـ ١٩٣٤ ، ثم محاولة اغتيال مصطفى النحاس باشا على يد احد أعضاء مصر الفتاة فى نوفمبر ١٩٣٧ ، واغتيال أمين عثمان باشا سنة ١٩٤٦ ، ثم حوادث الاغتيال التى قام بها الاخوان عامى ١٩٤٨ و ١٩٤٩ .

٤ ـ من الثابت ان البوليس فى مصر ، حتى حل الاخوان المسلمين فى ٨ ديسمبر ١٩٤٨ ، لم يكن قد اتخذ اى اجراء وقائى ضد نشاط الاخوان المسلمين . وبالتالى فلم تكن لديه أية سجلات لاعضاء الاخوان ، ولم يـــكن يعرف من فيهم المتطرف وغير المتطرف (٧٥) . وعلى ذلك فلم يكن فى وســعه اثبات انتماء محمود العيسوى للاخوان المسلمين . وقد استفادت الجماعة من غفلة البوليس الذى كان مشغولا بالجماعات الشـــيوعية والاحزاب السياسية الاخرى ، فى انشاء جيشهم العلنى وجهازهم السرى .

على كل حال ، اذا صح أن اغتيال احمد ماهر باشا كان من تدبـــير الاخوان المسلمين ، فان هذه تكون المرة الاولى التى يستخدمون فيها العنف .

---

٧٤ ـ نفس المصدر ص ٥٥ ، وقد أسف عبد الرحمن الرافعى اسفـا شديدا لمصرع احمد ماهر لما كانت تجمعه به من الصداقة والزمالة منــــذ كانا فى مدرسة الحقوق (الرافعى : فى أعقاب الثورة) الجـزء الثالث ص ٢٧٢ .

٧٥ ـ احمد حسين : المرجع المذكور ص ٥٣ .

وفى الفترة التالية كانت حركة الاخوان تسير فى بحر هائج مضطرب للاسباب الآتية :

اولا — كان انتهاء الحرب فى مايو ١٩٤٥ قد فتح باب الكلام فى القضية الوطنية ، واستنفر كافة القوى الوطنية فى مصر للنضال الوطنى ، وكان لابد ان تقحم القضية نفسها على حركة الاخوان التى كانت تكرس نفسها للحكومة الاسلامية ، فلم يعد فى وسعهم ، فى وسط المد الوطنى العالى الذى أعقب الحرب ، شغل بال الرأى العام بالحديث عن الحكومة الاسلامية كما كان الحال قبل الحرب ، وانما كانت قضية التحرر الوطنى مقدمة فى ذلك الحين على الحكومة الاسلامية . ولما كان الاخوان قد آثروا موقف السلامة منذ المحنة الاولى وطوال مدة الحرب ، وامتنعوا عن اى نشاط ضد الانجليز ، فان دخولهم المعترك الوطنى كان يحمل معه خطر الاضرار بمسيرة الدعوة وتعريضها للهزات السياسية قبل أن تنضج تماما للقفز على الحكم • وبالتالى كان على الشيخ حسن البنا اتخاذ موقف سياسى حذر يضمن حماية الدعوة من الاخطار .

ثانيا — المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية التى طرأت على مصر بعد الحرب ، ونقلت النضال الوطنى فيها الى مستوى جديد . فان ظروف الحرب كانت قد مكنت الرأسمالية المصرية من توسيع نشاطها فى كافة المجالات ، واثارت شهيتها للمزيد من الربح والاستغلال ، فى الوقت الذى ترددت فيه أوضاع الفلاحين المعدمين والعمال الزراعيين والصناعيين والبورجوازيين الصغار بصورة كبيرة . وقد أعطى ذلك للنضال الوطنى بعدا اجتماعيا خطيرا لم يسبق له مثيل ، فلم تعد قضية التحرر الوطنى تعنى فى نظر الجماهير المصرية التحرر من الانجليز ، بل اصبحت تعنى ايضا التحرر الاجتماعى وضرب مصالح القصر والطبقة الاقطاعية والراسمالية الملتفة حوله .

ثالثا — كان من الطبيعى أن تفرز هذه الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية قوى سياسية جديده لم يكن لها نشاط فعلى على طول الفترة السابقة منذ نشأة حركة الاخوان عام ١٩٢٨ — وهى القوى الشيوعية . فحين ظهرت حركة الاخوان فى ذلك العام ، كانت الحركة الشيوعية المصرية قد ضربت بقسوة وصفيت تقريبا منذ عام ١٩٢٥ ، وبالتالى لم تكن حركة الاخوان تحس بأى خطر من هذه الناحية . وطوال الثلاثينيات سيطر المد الفاشى الذى كانت حركة الاخوان المسلمين احد روافده ، فى الوقت الذى اقفرت فيه ساحة العمل الشيوعى تحت عوامل الخيانة وتتبع البوليس، ولم يكن أمام الاخوان من القوى السياسية سوى القوى الليبرالية الممثلة فى الوفد ، الذى شاهدنا علاقاتها به

فيما سبق . ولكن ظروف الحرب هيأت الفرصة لحركة شيوعية عارمة تمتاز بغلبة العنصر الوطنى وسيطرته فيها ، بعد أن استبعدت ظروف الحرب العناصر الاجنبية . وكان على راس هذه الحركة جماعة « الفجر الجديد » التى عرفت بموقفها التحالفى النقدى من الوفد ، وصلتها بالطلبة الوفديين و « الطليعة الوفدية » ، وجماعة الحركة المصرية للتحرر الوطنى ، وجماعة « اسكرا » . وقد اصبحت هذه الحركة الشيوعية القوية تمثل بالنسبة للاخوان ماكان يمثله « معسكر الالحاد والاباحية عند نشأة هذه الجماعة ، وهو المصطلح الذى كانت تطلقه على معسكر التغريب والعلمانية .

رابعا ـ لم تكن حكومة السعديين قد اغتفرت للاخوان ما اعتبرته تحالفا من جانبهم مع حكومة الوفد الاخيرة ، ولم تكن لترضى منهم بأقل من الخصومة الصريحة للوفد وتنكرهم له ، اذا شاءوا الاستمرار فى نشاطهم . ولم تكن الاستجابة لهذا الطلب هينة ، اذ كان معناها أن تخسر الجماعة الجناح اليمينى فى الوفد الذى ساعدهم أثناء الحرب وتغاضى عن نشاطهم فى أسوا الظروف . وكانت فى الجماعة أصوات قوية تحذر من هذا الاتجاه على راسها أحد السكرى .

كل هذه الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية كانت تدفع بالشيخ حسن البنا الى أحضان معسكر القصر . فلم يكن يجمعه بمعسكر الوفد والشيوعيين من نقاط الالتقاء سوى المطالب الوطنية ، فى الوقت الذى كان يجمعه بمعسكر القصر العداء الشديد للشيوعية وكراهية الدستور والحياة النيابية . فضلا عن ذلك فان الدخول فى تحالف مع الوفديين والشيوعيين ضد الانجليز والقصر يعرض الحركة للحل والتصفية ، أما التحالف مع القصر ، الذى كان فى ذلك الحين يقف موقفا معتدلا من الانجليز ، فيمكن ان يضمن للحركة الوقت الكافى والفرصة المطلوبة لبلوغها درجة القوة التى تعتمد فيها على نفسها وتحقق غاياتها .

ولكن ما السبيل الى التقارب مع القصر ؟ . يذكر « ميتشل » أن زملاء البنا المقربين اكدوا أن من بين أحلامه الكبيرة وقتذاك أن يستقبل فى الحضرة الملكية (٧٦) . وقد اورد أنور السادات هذه الرغبة الملحة فى مذكراته المنشورة تحت عنوان : «صفحات مجهولة» . فقد ذكر أنه بعد هربه من المعتقل فى نوفمبر ١٩٤٤ ، عاود اتصاله بالشيخ حسن البنا ، شعورا منه بأن قوة

---

٧٦ ـ ميتشيل : المرجع المذكور ص ٩٦ .

الاخوان هى القوة الوحيدة القادرة فى الميدان . وقد تبسط معه البنا « بصورة لم يسبق لها مثيل » ـ حسب قوله ـ « وأفاض كثيرا ، وشرح لى متاعبسه التى تأتى من ناحيتين : ناحية الملك ، وناحية الاجانب . وقال لى ان الملك قد بدأ يشعر شعورا قويا بخطورة دعوة الاخوان ، لما كان يسمعه من أن دعوتهم تقوم على أن يكون الملك بالمبايعة لا بالوراثة . وقال لى ان الملك يدبر أمره ليبطش بهذه الحركة ، وأنه يخشى أن يضرب الملك ضربته، والحركة لم تبلغ بعد اوج قوتها . واستطرد بعد ذلك الى ذكر طرف آخر من متاعبه، وكان هذا الطرف هو موقف الاجانب من الدعوة . فقد بدأ يشعر بأن الاجانب يرهبون دعوته ، ويعتقدون انها اذ تقوم على وجوب الاخذ بشريعة الاسـلام سـتتعرض حتما لأعمالهم وأموالهم وحرياتهم الممنوحة لهم بمقتضى القـانون السـائد والدسـتور .

وقال لى أن هذه النظرة الموحدة الى دعوته ، من جانب الملك ومن جانب الاجانب ، تجعل الدعوة فى خطر جسيم ، فما أيسر أن تتحول النظرة الموحدة الى تحالف عملى للقضاء على الدعوة وعلى الجماعة التى تدعـو اليها ، ويومئذ لا يعرف من اين تصوب اليه الضربات . وقال لى انه يريد أن يضع حدا لهذه المتاعب ، وأنه يعتقد أن الاجانب يمكن ان يطمئنوا الى الدعوة لو اطمأن اليها الملك . ونظر فى عينى طويلا وهو يقول : « أنا أسـتطيع أن اكسب طمأنينة الملك ، لو تقابلت معه . وكان وجهه ينبىء فعلا عن الثقـة الكبيرة وهو يصف لى كيف يستطيع أن يزيل من نفس الملك جميع الشكوك والاوهام لو تيسرت له مقابلته مرة واحدة . ثم اوضح لى أنه لا يريد أن يبدأ مع الملك سياسة وفاق أو تعاون ، ولكنه يريد ان يشيع جوا من الطمأنينة فى نفس الملك ، يجنب به سفينة الاخوان اية عقبات تعترض الطريق . وقصد رحمه الله الى هدفه بعد ذلك مباشرة فقال لى : «انت تعرف يوسف رشاد» . قلت له : «نعم ، أعرفه وبينى وبينه صداقة كبيرة ومودة» . فقال : « ويوسف اليوم ذو حظوة ، فلو استطعت أن تشرح هدفى ، وان تفهمه انى لست خطرا على الملك ، ولا اريد ان اكون خطرا ، لأمكنه اقناع الملك بمقابلتى » . واجبته: « أحاول » . وذهبت الى يوسف رشاد ، وأبلغته رسالة حسن البنا ، فناقشنى فيها ، ثم وافق على أن يلعب الدور . وعندما رأيت يوسف رشاد بعد ذلك قال لى : « لقد فاتحت الملك فى هذا الامر فى محادثة تليفونية بينى وبينه ، واذا به يقطع حديثى قطعا ويوجهه وجهة اخرى . وقابلته بعـد ذلك فقال لى : « كيف تكلمنى تليفونيا فى أمر كهذا ؟ الا تعلم أن حسن رفعت يراقب التليفونات ؟ » .

ثم يقول السادات انه عاود الالحاح على يوسف رشاد ، وفى هـذه المرة استطاع يوسف الحصول من الملك على اذن بأن يقابل هو أولا حسن البنا

ويستمع اليه ، وينقل حديثه الى الملك ليرى رأيه . ولكن فاروق عاد فطلب منه الغاء هذا الاذن بشأن مقابلة البنا . وييئس السادات وأبلغ البنا بيأسه . ومرت الايام ، وسقطت الاحكام العرفية (فى ٤ أكتوبر ١٩٤٥) وكان السادات ببيته بعزبة النخل فى أحدى الليالى حيث زاره البنا ومعه محمود لبيب ، واخذ البنا يتحدث عما يمكن أن تجتنيه البلاد اذا هدأت شكوك الملك فى الاخوان . وفهم السادات انه يريد منه اعادة الكرة فتحدث ثانية مع يوسف رشاد ، وكان فى الاسكندرية الى جوار الملك ، واقنعه بمعاودة المحاولة ولكنه أبلغه أن الملك غضب منه ، واقصاه عن صحبته عشرة أيام ، وعندما عاد يقربه قال له : « اياك أن تفاتحنى مرة أخرى فى هذا الموضوع . على أن فاروق عاد فطلب الى يوسف رشاد الاتصال بحسن البنا والاستماع اليه ، فالتقى به وتحدث معه ثلاث ساعات ، وخرج من المقابلة مقتنعا تماما بخلوص نية البنا نحو الملك ، ولكنه عند ما ابلغ الملك بذلك ضحك وقال له :

« حسن البنا ضحك عليك » .

ثم يقول السادات انه بعد اعوام من ذلك قال له يوسف رشاد ان الملك فى أواخر عهد ابراهيم عبد الهادى قال له : « احنا غلطنا فى ضربة الاخوان ، وحقنا نرجع لسياستنا القديمة » . . وسأله السادات : « ما هى السياسة القديمة ؟ . فرد عليه يوسف رشاد قائلا : صدقنى ، أنا لا أدرى . ولكن يبدو أن صلة أخرى قد حدثت بين حسن البنا وبين الملك عن طريق غير طريقى ، وأن الملك قد اتخذ لفترة قصيرة خلال عام ١٩٤٦ موقفا معينا من الاخوان ، ثم عدل بعد حرب فلسطين » (٧٧) .

على أنه يمكن تفسير تغير موقف فاروق وقبوله التصالح مع البنا ، بتغير موقف البنا وبرهنته عمليا فى اتجاه العداء مع الوفد ، وفى اتجاه تقبل عهد الانقلاب وتأييده . ففى ذلك الحين كانت الجامعة قد أصبحت مسرحا للصراع بين الوفد والاخوان . وكانت قد انقسمت الى معسكرين : معسكر الوفد والشيوعيين فى جانب ، ومعسكر الاخوان والحزب الوطنى ومصر الفتاة فى جانب آخر . وقد بدأ الصراع حين دعت مجموعة من الطلبة فى اواخر صيف ١٩٤٥ الى مؤتمر لبحث القضية الوطنية وتحديد ما يقصد بالجلاء الذى تريده مصر : هل هو جلاء عسكرى فحسب ، أم هو جلاء سياسى واقتصادى

---

٧٧ ـ انور السادات : صفحات مجهولة ص ٩٩ ـ ١٠٢ (كتب للجميع نوفمبر ١٩٥٤) .

وعسكرى ؟ . وكيف يكون التخلص من الاستعمار : هل يكون بسياسه المفاوضات ، أم يكون بكفاح يشترك فيه الملايين ؟ .

على أن الاخوان سارعوا الى عقد مؤتمر يوم ٦ اكتوبر تحت قيادة البنا ، قرر اعطاء الحكومة النقراشية الفرصة لمعالجة القضية الوطنية وتأييدها تاييدا تاما . كما قرر رفع مذكرة الى النقراشى تحدد الحد الادنى من المطالب الوطنية . وعند ما عقد الطلبة مؤتمرهم فى اليوم التالى ٧ اكتوبر، اراد مندوب الاخوان الحصول على موافقتهم على مقررات مؤتمر الاخوان يوم ٦ اكتوبر ، والاكتفاء بذلك . ولكن الطلبة قرروا الاستمرار فى دراسة القضية، مما أدى الى انسحاب الاخوان من المؤتمر . وجاء قرار الطلبة مختلفا عن قرار مؤتمر الاخوان ، اذ ورد به أن الطريق الوحيد للتخلص من الاستعمار لن يأتى عن طريق المماطلة والتسويف ، وانما عن طريق الكفاح الشعبى المصرى والسودانى . وان الاستقلال الصحيح ليس هو مجرد الجلاء العسكرى ، وانما الاستقلال الذى تنال مصر من ورائه نهضة اقتصادية ونهضة اجتماعية (٧٨) .

وقد كانت أهمية هذا الموقف من جانب الاخوان بالنسبة للقصر ، تتمثل فى أنه يعد تعبيرا صريحا عن ثقتهم وتأييدهم لحكومة النقراشى باشا ، فى الوقت الذى كان الوفديون والشيوعيون يشكون فى قدرة هذه الحكومة على حل القضية الوطنية ، ويطالبون باجراء انتخابات جديدة حرة . ومعنى ذلك تأييد الاخوان لعهد الانقلاب الذى قام به فاروق وعزمهم على العمل فى ظله .

وقد كان هذا هو عربون التقارب العملى ، ومزيل الشكوك فى ولاء الاخوان للعرش . على ان استهانة الانجليز بحكومة النقراشى ، التى تبدت فى مذكرة ٢٦ يناير ١٩٤٦ التى ردت بها على المذكرة المصرية فى ٢٠ ديسمبر ١٩٤٥ ، وابداء عزمها على الاقلال من شأن القضية الوطنية عن طريق ارسال سفيرها الى مصر لاجراء محادثات تمهيدية ، واصرارها على سياستها الاستعمارية ـ قد أدى الى استنكار جموع الامة وسخطها . وفى هذا المناخ الوطنى العارم ، طرح الطلبة خلافاتهم الحزبية ، وحشدوا صفوفهم ، وقرروا عمل مؤتمر عام يوم ٩ فبراير فى الجامعة ، اسفر عن قرار بتسيير

---

٧٨ ـ محمد حسن أحمد ، الاخوان المسلمون فى الميزان (وهو اسم مستعار لعبد الرحمن الناصر) .

مظاهرة سلمية الى قصر عابدين ، وكانت قيادة هذا اليوم للاخوان المسلمين، وأراد النقراشي باشا تلقين الطلبة درسـا حتى يمتنعوا عن القيام باية مظاهرات فى المستقبل ، فأصدر أوامره للبوليس باعتراض المسيرة على كوبرى عباس (٧٩) ، وانتهى اليوم باصابة ٨٤ من الطلبة باصابات بليغة .

وشعر فاروق بحماقة الاجراء الذي اتخذ ، وكان على النقراشي أن يدفع الثمن . فزار فاروق الجامعة فى اليوم التالى ودعا الطلبة الى زيارته بالقصر حيث لمح الى اقالة النقراشى باشا . وفى اليوم التالى كان مصطفى مؤمن ، زعيم الاخوان فى الجامعة ، يقود مظاهرة للاخوان خرجت من الجامعـة الى القصر تحت حماية البوليس هذه المرة . وفى اليوم التالى سقطت وزارة النقراشى باشا (٨٠) . وخلفه اسماعيل صدقى باشا .

كان تعيين صدقى باشا ، صاحب التاريخ الاسود فى الحياة السياسية المصرية ، على راس الوزارة الجديدة ، صدمة كبرى للقوى الوطنية فيما عدا الاخوان المسلمين .. بل ينقل ميتشل رواية تذهب الى أن البنا قد اخـذ رأيه فى تعيين اسماعيل صدقى باشا فى فبراير ١٩٤٦ (٨١) . وهى مبالغة غير مقبولة .

على أن الشيء المحقق انه فى الوقت الذى استقبلت جماهير الامة وقواها الوطنية بالجزع والتشاؤم عهد « جلاد الشعب » ، و « بطل المنابر » ، وقاهر العمال ، بطل المنصورة والبدارى وحلوان واخطاب ، ومزيف ارادة الامة بنسـبة ٦٧٪ من مجموع الناخبين سنة ١٩٣١ ، (٨٢) ، وفى الوقت الذى انكشف للامة المضمون الطبقى للتحالف الامبريالى الراسمالى فى مصر ، وتأكدت اهمية البعد الاجتماعى للنضال الوطنى — فى هذا الوقت ، انفـرد الاخوان المسلمون بالتحالف مع اسماعيل صدقى باشا .

فقد زار صدقى باشا مركز الارشاد ، وبادر الاخوان الى تاييده ، وروجوا لما قاله فى البدايةعن عزمه على خدمةبلاده وعدم استعمال العنف. وعلق زعيم الاخوان فى الجامعة على وعد اسماعيل صدقى باشا بآيـة

---

٧٩ — نفس المصدر .

٨٠ — ميتشل ، المرجع المذكور ص ٩٨ .

٨١ — ميتشيل : المرجع المذكور ص ١٠٣ .

٨٢ — الوفد المصرى فى ١٦ — ٢٠ فبراير ١٩٤٦ نقلا عن طـارق البشرى ، الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ — ١٩٥٢ ص ١٩ (هيئة الكتاب ١٩٧٢) .

من القرآن : « واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا » (٨٣) .

وقد حصل الاخوان على ثمن التحالف مجموعة من التسهيلات الرسمية التى ينقل ميتشل منها « ترخيص باصدار جريدة رسمية للجماعة باسم : « الاخوان المسلمون » ، التى بدأت تصدر من مايو ١٩٤٦ ، وامتيازات فى شراء ورق الطباعة بالاسعار الرسمية مما يعني توفير ما بين ٢٠ و ٣٠ فى المائة من اسعار السوق السوداء ، ثم امتيازات للجوالة تتمثل فى استخدام المعسكرات والتسهيلات الحكومية ، ومنحها قطعا من الارض لاقامة المبانى اللازمة فى المناطق الريفية ، فضلا عن الاعانة المالية التى كان يتم تمريرها عن طريق وزارتى المعارف والشئون الاجتماعية بوصفها مساهمات واعانات حكومية مشروعة للخدمات التعليمية والاجتماعية (٨٤) .

و الفترة التالية كان منحى الاخوان فى العمل السياسى هو الوقوف فى وجه الشيوعيين والوفديين ، ومعارضة المجتمعات الطلابية التى تنتمى لهذين الفريقين ، وهو منحى يخدم بشكل مباشر هدف القصر فى تمزيق القوى الوطنية . فحين تكونت « اللجنة التنفيذية العامة للطلبة » بالانتخاب ، الف الاخوان « لجنة الطلبة التنفيذية العليا » فى المركز العام ، لتحطيم قرارات اللجنة المنتخبة ، ومهاجمة نشراتها بحجة أنها شيوعية تتضمن مصطلحات روسية مثل : « الكفاح التحريرى » ، و « المطالبة بالجلاء الاقتصادى » و « الكفاح الشعبى » ، و « يحيا اتحاد الطلبة والعمال ». وعندما انشئت « اللجنة الوطنية للعمال والطلبة » (٨٥) وقادت مظاهرات يوم الجلاء ٢١

---

٨٣ ــ محمد حسن احمد : المرجع المذكور ، طارق البشرى : المرجع المذكور ص ١٠٧ .

٨٤ ــ محمد حسن احمد : المرجع المذكور : ميتشيل : المرجع المذكور ص ١٩ .

٨٥ ــ محمد حسين احمد : المرجع المذكور ، وقد اكدت الوثائق البريطانية ما ورد فى الكتاب المذكور لعبد الرحمن الناصر بخصوص استخدام صدقى باشا لجماعة الاخوان ، ففى برقية ١٦ مارس ١٩٤٦ كتب السفير البريطانى بالنيابة جيمس بوكر الآتى : حصل الاخوان المسلمون على تصريح باصدار صحيفة وتوزيع المطبوعات على نطاق واسع ، واعلنت الجماعة عزمها على الانسحاب من « اللجنة الوطنية للطلبة والعمال ، وهذا العمل قد سهل على صدقى باشا جهوده للسيطرة على الطلبة . وكلا الامرين يؤكدان سياسة الحكومة فى استخدام الاخوان المسلمين (محسن محمد : سنة من عمر مصر ، الوثائق السرية البريطانية) ا الجمهورية فى ٨ يولية ١٩٧٧) .

فبراير ١٩٤٦ ، بادر الاخوان الى تشكيل «اللجنة القومية» منهم ومن شباب مصر الفتاة وحزب الفلاح الاشتراكى وجبهة مصر لعلى ماهـــر والحزب الوطنى . وعين صدقى باشا محمد حسن العشماوى وزيرا للمعارف ممثلا للحكومة فى اللجنة (٨٦) · وعندما أرادت هذه « اللجنة القومية» تحت ضغط شباب مصر الفتاة والحزب الوطنى مواجهة صدقى باشا ، وتحــذيره من تسويف الانجليز الذى يقصدون به تفويت فرصة عرض قضية مصر على مجلس الامن ، ومطالبته بالحريات العامة ، انفصلت جماعة الاخوان عن اللجنة ، واعلنت أن مهمتها كانت محدودة بالدعوة الى اعتبار يوم ٤ مارس يوم حداد عام ، وقد انتهت هذه المهمة بانتهاء هذا اليوم . وفى يوم ٢١ مارس اصدر مكتب الارشاد بيانا أعلن فيه انه «·يعتذر عن عدم الاشتراك مــع اية هيئة أو حزب أو جماعة ، فى تشكيلات أو لجان لاتحمل طابع الوحــدة التامة الحقيقية لجميع الهيئات التى تمثل الشعب » (٨٧) ·

وسرعان ما تصاعدت الاحتكاكات بين جماعة الاخوان والوفديين ، وشهد عام ١٩٤٦ أعنف الاشتباكات ، ولم يتردد الاخوان المســلمون فى استخدام الوسائل الفاشية والهجــوم على الشــباب والطلبــة بالعصى والخناجر (٨٨) · وكان طبيعيا ـ كما ذكر أحمد حسين ـ أن « تقف الحكومة الى جوار الاخوان المسلمين فى كل صدام يقع بينهم وبين الوفد ، بل وكانت تحميهم وتشد أزرهم ما استطاعت الى ذلك سبيلا »· ففى يوم ٦ يوليو ١٩٤٦ وقع اصطدام فى مدينة بور سعيد بين اعضاء الجمعية وخصومهم ، استخدمت فيه القنابل والاسلحة ، وأسفر عن قتل احد خصومهم واصابة آخرين · وقد حاصرت الجماهير الوفدية الشيخ حسن البنا فى احد المساجد ، ولم ينجح الافلات من الخطر الا بأعجوبة · وأحرقت دار الاخوان ببور سعيد (٨٩) ·

وقد أورد أحمد عمار بك ، وكيل وزارة الداخلية ، نماذج من هـــذه الاشتباكات . فأشار الى حادث مدرسة شبين الكوم الذى بدأ الاخوان فيه بالهجوم على الوفديين . كما اشار الى قضية القيت فيها قنابل من جماعة الاخوان فى الاسماعيلية ، وحكم فيها بادانتهم (٩٠) وأورد أحمد حســين

---

٨٦ ـ طارق البشرى المرجع المذكور ص ١٠٨ ·

٨٧ ـ الاهرام فى ١٤ ـ ١٥ مارس ١٩٤٦ ، نقلا عن طارق البشرى ص ١٠٩ ·

٨٨ ـ محمد حسن احمد : المرجع المذكور ·

٨٩ ـ احمد حسين ، المرجع المذكور ص ٤٩ ·

٩٠ ـ قضية مقتل النقراشى باشا ·

احدى الوقائع التى تبين سطوة الاخوان فى عهد الانقلاب ، فذكر أن بعض التعليمات كانت قد صدرت من الحكومة بمنع سير اية طوابير او مواكب فى الشوارع ، وقد اراد مأمور قسم الخليفة تطبيق هذهالتعليماتعلى جوالة الاخوان ، فخرج بعسكره وجنوده ليحولوا بينهم وبين السير ، فأبوا ، ووقع صدام خطير ترتب عليه ان عوتب مأمور الخليفة على موقفه واصطدامه بالاخوان ، وسوى الموقف باقامة احتفال ضخم لجوالة الاخوان أمام قسم الخليفة كمظهر لانتصار الاخوان المسلمين وسلطانهم (٩١) .

بل لقد دلل احمد حسين على مدى نفوذ الجماعة فى ذلك الحين ، فذكر ان البنا كان يتصرف فى ذلك الحين كأنه « وزير الداخلية » . واورد ورقة مضبوطة من أوراق الجماعة موجهة من شعبة المحجر الى المرشد تخطره فيها باعتزامها الاجتماع كل خميس فى دار الشعبة ، وتطلب منه اتخاذ الاجراءات لكفالة حرية هذا الاجتماع . وقد اشر عليها الشيخ حسن البنا باخطار المحافظة وبوليس قسم الخليفة باعتماد شعبة المحجر كى لا يتعرض أحد لاجتماعاتها » . وقد علق أحمد حسين على ذلك قائلا :

« ماذا تكون الصولة اكثر من هذا ؟ . وماذا يكون النفوذ فى ذروته العليا اكثر من هذه التأشيرة التى تشبه أن تكون تأشيرة وزير الداخلية (٩٢) .

وكان من الطبيعى أن تسوء أعمال العنف بين الاخوان والوفدين ، فضلا عن مظاهر التحالف بينهم وبين اسماعيل صدقى باشا صاحب التاريخ المعروف ، الى سمعة الاخوان المسلمين ، خصوصا عندما بدات تظهر النتائج الهزيلة لمفاوضات صدقى ــ بيفن . ولم تلبث ان اخذت تثور الاعتراضات داخل صفوفهم من جانب الفرق الذى كان على صلة بالجناح اليمينى من الوفد اثناء حكومته الاخيرة ، وعلى رأسه احمد السكرى .

فقد كان من راى احمد السكرى ان جماعة الاخوان المسلمين يمكن ان تصبح قوة ذات شأن اكبر فى مصر فى حالة واحدة هى : أن تدخل فى وحدة عضوية مع الوفد . وانه اذا ارادت الجماعة ان تمارس وجودا انتخابيا ذا ثقل ، أو تمسك بالسلطة ، فعليها ان تعمل من خلال الوفد أو تستند اليه .

---

٩١ ــ أحمد حسين ــ المرجع المذكور ص ٤٦ .
٩٢ ــ نفس المصدر .

وقد تصور السكرى دور الاخوان المسلمين على أن يحقق التكامل الروحى للوفد ، كذلك رأى فى نفسه الزعيم السياسى للاخوان المسلمين ، بينما رأى فى حسن البنا مرشدهم « الروحى » حيث يعملون جميعا كجزء من وحدة لا تقاوم ، باعتبارهما معا حزبى الشعب ، كما اعترض السكرى على سيطرة البنا المطلقة على الجماعة وتحكمه التعسفى فى مصيرهما السياسى .

وفى خلال عام ١٩٤٦ كان الخلاف بينه وبين الشيخ حسن البنا مكتوما لا يعرفه الا الخاصة ، ولكنه تفجر فى ربيع العام التالى ، وأسفر عن طرد السكرى من الجماعة (٩٣) .

وقد عين صالح العشماوى ، رئيس التنظيم السرى ، خلفا لاحمد السكرى . وهذا ما دعا بعض الباحثين الى الربط بين هذه الازمة وهذا التعيين ، وبين اكتمال التنظيم السرى فى ذلك الوقت . وفى الواقع أن اكتمال التنظيم السرى انما سمحت به علاقة التحالف القائمة بين الاخوان والسلطة ، واعتقاد هذه السلطة ان نشاط الاخوان انما هو لخدمة الاهداف المشتركة ، وهى ضرب الوفد .

وهذا ما تؤكده شواهد كثيرة . فيذكر عبد المجيد حسن ، قاتل النقراشى باشا ، انه ذهب يتدرب فى جبل المقطم مع آخرين على استخدام الاسلحة ، وهى بنادق ومسدسات وقنابل ، وكان يدربهم السيد فايز الذى كان يرتدى بنطلونا كاكى اللون ، وقميصا كاكى اللون ايضا بنصف كم ، وقبعة تشبه قبعات جنود الجيش البريطانى (أى زى شبه رسمى) . ووجد فى الجبل اسلحة وذخائر فى بعض الخيام . وقد علم بعد يومين من زملائه أنه قد قبض على السيد فايز ومعه افراد يتدربون فى الجبل على استعمال السلاح . ولكن لم يلبث ان أطلق سراح المقبوض عليهم بعد يومين ، بدعوى أن هذا لايخالف القانون ، وان هذه الاعمال التى يقوم بها الاخوان تتفق وتعاليم الاسلام . واستدل على ذلك بأن « هذا التدريب كان تحت سمع الحكومة وبصرها » .

وقد ذهب الى حد القول بأن الأخوان كانوا يضعون القنابل فى الجامعة . فروى أنه « قبيل ليلة عيد الميلاد سنة ١٩٤٦ ، ذهبت أنا وحسين عبدالسميع الى الجامعة ، وكانت محاصرة . وتمكنا من تسلق سور كلية الزراعة ، وقصدنا الى الدواليب الخاصة ، وأعطانى عبد السميع مفتاحا لاحتفظ به ،

---

٩٣ ـ ميتشيل ، المرجع المذكور ص ١١٦ ـ ١١٧ .

وفتح هو بمفتاح آخر أحد هذه الدواليب ، ونظر فيهم كما نظرت انا أيضا ، فشاهدت تسع أو عشر قنابل » (٩٤) .

وقد اتهم أحمد حسين السلطة بأنها كانت تشجع الاخوان المسلمين على المزيد من ارتكاب الجرائم فقال : « انهم عقب كل حادثة من هذه الحوادث ، كانوا يلقون تشجيعا وتأييدا ، لانها كانت تظهر ما توصلوا اليه من القوة ، وأنهم صالحون كل الصلاحية للمهمة التى يراد منهم القيام بها ، وهى — كما قلت — القضاء على حزب يراد القضاء عليه بأى ثمن من الاثمان (الوفد) ولو على حساب القانون وعلى حساب الامن والسلام (٩٥) .

وقد كان الستار الذى يخفى تحته الاخوان المسلمون تدريبهم واستعدادهم ، وتخفى الحكومة بدورها تغاضيها عن هذا التدريب والاستعداد ، هو قضية فلسطين . وقضية فلسطين هى شعار حقيقى بالنسبة للاخوان ، ولكنه ستار مزيف بالنسبة لحكومة صدقى باشا وحكومة النقراشى باشا التى خلفتها . بمعنى ان هذه القضية كانت تقدم بالنسبة لشباب الاخوان محورا اسلاميا مثاليا يستقطب اهتمامهم ، ومجالا حقيقيا للجهاد تفرغ فيه شحنة حماستهم . ولا يستطيع أحد أن ينكر اخلاص شباب الاخوان المسلمين لقضية فلسطين ، وضغطهم على قيادتهم للسماح لهم بالجهاد فى فلسطين . وقد عبر عبد المجيد حسن عن ذلك تعبيرا قويا فقال :

« بدأت مشكلة فلسطين تأخذ دورا جديا . واعتقدت كما اعتقد جميع افراد « النظام الخاص » أن وقت الجهاد الذى من أجله نعد وندرب قد جاء ، وانا سنرسل جميعا الى فلسطين للقتال هناك . وكانت القيادة تبلغنا أن الوقت سيأتى قريبا للجهاد ، وان الغرض من اعداد الفرق هو أن تجاهد فى فلسطين بعد تدريب افرادها على استعمال السلاح ، ليس السلاح بمعناه فقط ، انما كانت هناك اجراءات خاصة تتضمن دروسا وتعليمات عن الدبابات واقتناصها ، وحرب العصابات ، وحقول الالغام . وكانت القيادة دائما تماطل فى كثرة طلباتنا بالذهاب الى فلسطين . والظاهر ان افراد المجموعة قد فكروا فى الخروج على النظام ، ورغبوا فى القتال فى فلسطين . ولما شعرت القيادة بشدة الضغط عليها ، قالت لنا : ان الجهاد ليس مقصورا على فلسطين ، وان الصهيونيين ليسوا فقط فى فلسطين ، وانما هم موجودون

---

٩٤ — قضية مقتل النقراشى باشا ، وشهادة عبد المجيد حسن ص ٣٩ .

٩٥ — أحمد حسين : المرجع المذكور ص ٥٠ ، ٥٤ — ٥٥ .

ايضا داخل البلاد المصرية ، وان على « النظام الخاص » أن يوجه اليهم نشاطه وجهاده (٩٦) .

لا نستطيع اذن ان ننكر على شباب الاخوان المسلمين حماسهم واخلاصهم لقضية فلسطين ، ولكن لا نستطيع فى الوقت نفسه انكار ان التدريب على السلاح واعداد شباب « النظام الخاص » كان سابقا على ظهور مشكلة فلسطين . اما بالنسبة للحكومة ، فمن المحقق أنها اتخذت من قضية فلسطين شعارا تخفى تحته تغاضيها عن استعدادات الاخوان لاستخدامهم فى محاربة الوفد . وقد كان فى وسعها منع هذا النشاط ، ومطالبة الاخوان بممارسه تدريباتهم فى الاماكن الرسمية التى حددتها لهذا الغرض . وهذا ما عبر عنه عبد الرحمن عمار بك ، وكيل وزارة الداخلية ، فى شهادته امام المحكمة فى قضية مقتل النقراشى باشا ، فقد قال : « ان جماعة الاخوان ، كانوا على اثر كل حادث يتمسحون بقضية فلسطين ، وكنت موقنا ان هذا التمسح باطل ولا أساس له ، لانهم اذا كانوا يقصدون حقا خدمة فلسطين ، لتوجهوا الى مكان التدريب الذى اعدته الحكومة فى « هاكستيب » ، ظاهرين لا متخفين ، لا أن يذهبوا الى جبل المقطم فلا نعرف شخصياتهم أو نياتهم » (٩٧) .

كانت الحكومة اذن تعرف ان تمسح الاخوان المسلمين فى قضية فلسطين من اجل التدريب والاستعداد باطل ، ولكنها كانت تتغاضى لاغراض اخرى غير قضية فلسطين . ولذلك حين قبض على جماعة المقطم التى ورد ذكرها ، حفظت النيابة الدعوى ضد افرادها ، وكان مما ورد فى قرار الحفظ :

وحيث أنه فيما يتعلق بتهمة احراز السلاح والذخيرة المنسوبة الى الاشخاص المضبوطين ، فالتهمة ثابتة قبلهم من اعترافهم الصريح غير انه من ناحية أخرى ، فان الغرض الذى من أجله اجتمعوا وأنفقوا من أموالهم، انما هو غرض نبيل دعت اليه ضرورات الحالة فى فلسطين فى ذلك الوقت ، فدفعتهم نخوتهم الوطنية وشعورهم العربى الى نصرة اخوانهم فى فلسطين مجاهدين بأموالهم وأنفسهم ، فضلا عن أن الظروف السياسية قد تطورت فيما

---

٩٦ ــ نفس المصدر ص ٤٣ ــ ٤٤
٩٧ ــ قضية مقتل النقراشي باشا شهادة عبد الرحمن عمار بك ص ٨٣ ــ ٨٤

بعد واندفعت الدولة بذاتها بجيوشها وافرادها ، ودخلت فى معترك حرب نظامية مع عصابات اليهود ، فالتقى غرض الافراد مع هدف الدولة ـ نرى مع الموافقة لذلك : اولا ـ حفظ جناية الشروع فى القتل قطعيا لعدم الجناة . ثانيا ـ حفظ جنحة احراز الاسلحة والذخيرة قطعيا لعدم الاهمية » (٩٨) .

يتضح من ذلك ان علاقات التحالف بين جماعة الاخوان وعهد الانقلاب قد هيأت لهم المناخ الملائم لاتمام تدريبهم واستعداداتهم ، فضلا عن تطوير الجهاز السرى . وفيما يتصل بالسلاح ، فان الحكومة قد منحت للاخوان فرصة العمر للتسلح حتى اسنانهم من خلال قضية فلسطين . ويشرح ذلك احمد حسين فيذكر أنه عندما تطورت قضية فلسطين ، استقر رأى الحكومات العربية فى البداية على عدم التدخل السافر ، وان تقوم به الجامعة العربية كهيئة مستقلة ، تعتمد على الهيئات والجماعات الشعبية ، واتخذت الهيئة العربية العليا مصر مقرا لها ، ونظم الامر بين الهيئة والاخوان تحت اشراف الحكومة وموافقتها على أن يتولى الاخوان جمع السلاح لحرب فلسطين ، واعطى مندوبو الاخوان التصريحات اللازمة لجمع السلاح ، فذهبوا الى الصحراء الغربية بمعاونة رئيس اركان مصلحة الحدود ، وجمعت الاسلحة وحشدت ، وكان ذلك عملا قانونيا بحتا فى ذلك الوقت . وكانت الهيئة العليا تتريث فى تسلم هذه الاسلحة أحيانا لعدم وجود مخازن لديها او توفر وسائل النقل ! واحيانا كانت تكلف الاخوان بمهمة اصلاحها وجعلها فى حالة جيدة ! ، ولقد فتح الاخوان ورشا للسلاح للقيام بهذا العمل ، وكان تحت سمع الحكومة وبصرها » (٩٨) .

ولم ينكر الاخوان ذلك ، بل كان من وسائل دفاعهم عن انفسهم عندماصدر قرار الحل . فقد ورد فى بيانهم تحت عنوان : « قضيتنا » ان الاخوان المسلمين « كانوا هم الهيئة العاملة النشيطة التى ساعدت الهيئة العربية العليا فى الحصول على أسلحة من مختلف الاماكن ، وساعدت اخوان فلسطين عند حضورهم الى مصر لمشترى السلاح بكل ما استطاعت من مساعدة ، وساعدت الجامعة العربية رسميا فى هذا السبيل ، وجهزت معسكرا كاملا باسم الاخوان فى السويس ، ثم فى النصيرات ، وفى البريج » (١٠٠) .

---

٩٨ ـ احمد حسين : المرجع المذكور .
٩٩ ـ نفس المصدر ص ٥٦ ـ ٥٧ .
١٠٠ ـ فهمى ابو غدير : المرجع المذكور ص ٣٦ .

وكان من الطبيعي أن ينعكس ذلك على الجهاز السرى ، فقد اكتمل هيكله فى ذلك الوقت ، ووضعت القواعد التى تحدد مهامه ، وطرق اصدار الاوامر وتسلسلها ، والسلطات والمسئوليات ، والشفرة الملائمة ، والمعدات. وازداد عدده زيادة ملحوظة من خلال عملية التجنيد عبر ضباط الجيش ، وكانت علاقة البنا بالتنظيم من الوجهة الاختصاصية هى علاقة القائد الاعلى، اما قيادة التنظيم الفعلية فقد انتقلت من صالح عشماوى الى عبد الرحمن السندى . ثم تولى البنا الاتصال المباشر فى النهاية (١٠١) .

ولم تلبث تطورات القضية الفلسطينية أن دفعت بالاخوان الى قلب المعركة . فقد أرسل المركز بمائة متطوع الى معسكر قطنة بسوريا ، كما اقاموا باذن الحكومة معسكرا خاصا بالقرب من العريش يمارسون فيه التدريب ، وكان يتسع لما يزيد على مائتين منهم ، يمدهم المركز العام بكل ما يحتاجون اليه من أدوات وتموين وسلاح وعتاد . وفى مارس ١٩٤٨ دخلوا فلسطين ، واحتلوا هناك معسكر النصيرات جنوبى غزة . وقد رابط الاخوان فى « صور باهر » وفى « بيت لحم » ، وعلى مشارف القدس ، واقتحموا « رامات راحيل » فى جبهة الوسط ، واحتلوا معسكر النصيرات والبريج ، ونسفوا مستعمرة « ديروم » ، واشتركوا فى معارك « عسلوج »، وحاصروا « المستة وبيروت اسحق » وترددت نقطهم الثابتة والمتحركة فى كل مكان فى جبهة الجنوب ، واستشهد منهم قرابة المائة ، وجرح نحو ذلك، وأسر بعضهم ، وكانوا مثال البسالة وحب الاستشهاد (١٠٢) .

وهناك دلائل على أن هذه الخسائر لم تؤثر على جيش الجوالة او التنظيم الخاص . فيرى البعض ان رؤساء الجمعية كانوا حريصين على الا يتطوع من جماعة الاخوان الا الاعضاء المنتمون للنظام الظاهرى ، والا يبعثوا من اعضاء النظام السرى الا قلة ، وان يحتفظوا بالكثرة منهم لما أسموه بالجهاد الداخلى (١٠٣) . ويؤيد البنا نفسه هذا الرأى دون وعى . ففى مذكرته ردا على مذكرة عبد الرحمن عمار ما يفيد بأنه دفع بألف من الاخوان للتدريب فى معسكر الحكومة . فقد ذكر أنه « حين اعدت الحكومة معسكرها بهاكستيب لتدريب المتطوعين ، تقدم اليه اكثر من الف أخ ، انتخب منهم اكثر

---

١٠١ — ميتشيل : المرجع المذكور ص ١١٨ .

١٠٢ — رد حسن البنا على مذكرة عبد الرحمن عمار عن جماعة الاخوان (فهمى أبو غدير) : المرجع المذكور ص ٦٨) .

١٠٣ — قضية مقتل النقراشي باشا ص ١١٩ .

من ستمائة على دفعات جهزتهم الحكومة ودخلوا مع القوات النظامية (١٠٤)٠ وواضح أن هذا العدد الذى أرسل للتدريب لم يسبق له التدريب ، وانما تنتمى غالبيته للاخوان المتحمسين الذين لم يشتركوا فى الجيش العلنى (الجوالة) أو السرى للاخوان ٠

على أن البنا لم يكن ليستطيع الاحتفاظ بالنظام الخاص بعيدا عن المعركة . فكرسه للاعتداء على اليهود المصريين ، خصوصا بعد الغارات الجوية الاسرائيلية على مصر . ويعترف عبد المجيد حسن بذلك ، فيقول انه بعد دخول الجيش المصرى فلسطين بثلاثة أو اربعة ايام ، أبلغ أن النظام سيبدأ العمل . «وفى شهر رمضان سنة ١٩٤٨ ، وكان فيه غارات جويةكثيرة من الطائرات الصهيونية ، تقرر أن نقوم بمهاجمة محال اليهود فى مصر ، ردا على الغارات الجوية . وقد بدات الحوادث ومنها حادث نسف محل شيكوريل ، (١٠٥) ٠ ولم تنكر مذكرة الاخوان انكارا باتا مسئولية الاخوان عن هذه الحوادث ، ولكنها انكرت مسئولية قيادة الهيئة . وعللت السبب بانه يرجع الى « موقف المواطنين الاسرائيليين (أى اليهود المصريين) الجامد من مساعدة فلسطين العربية ، وموقف بعض المصريين منهم بالمشايعة والمناصرة، وثبوت مساعدة كثير من العناصر اليهودية فى مصر للصهيونيين فى فلسطين مساعدة كبرى كان لها اثر بالغ فى ترسيخ أقدامهم ، وتنظيم مستعمراتهم وامدادهم بالسلاح والمال » (١٠٦) ٠ وهى أسباب صحيحة فى مجملها ٠

وفى الفترة من يونيو الى نوفمبر ١٩٤٨ تركز نشاط الجهاز السرى على الممتلكات اليهودية . ففى ٢٠ يونية ١٩٤٨ وقع انفجاران فى حارة اليهود ، وفى ٢٠ يوليو حدث انفجار لغم فى الممر الواقع بين محلات « اركو » و « شيكوريل » أمام سينما مترو بول ٠ وفى ٢٨ يوليو حدث انفجار بمحل داود عدس للأقمشة بشارع عماد الدين . وفى اول اغسطس حدث انفجار آخر بمحلات بنزايون بشارع قصر النيل . وفى نفس اليوم وقع انفجار كبير بمحلات جاتينيو بشارع محمد فريد . وبعد يومين أى فى ٣ أغسطس انفجرت عبوة شديدة بمبنى شركة أراضى الدلتا المصرية بالمعادى . وفى ٢٢ سبتمبر حدث انفجار آخر بحارة اليهود . وبعد اسبوع واحد اى فى ٢٩ سبتمبر حدث

---

١٠٤ ــ فهمى ابو غدير ، المرجع المذكور ص ٦٨ ٠

١٠٥ ــ قضية مقتل النقراشى باشا ص ٤٥ ٠

١٠٦ ــ الرافعى : المرجع المذكور ص ٢٦٨ ، محكمة الشعب ، الكتاب الاول ، محاكمة محمود عبد اللطيف ص ٣٥ ــ ٣٧ ٠

انفجار بمخزن محلات شـيكوريل بحلمية الزيتون . وكان أقسى الانفجارات واشدها ضرراً ما وقع بشركة الاعلانات الشرقية يوم ٢٢ نوفمبر ، مما ترتب عليه تصدع وتخريب جميع العمارات والمنازل والحوانيت فى مكان الحادث والمناطق المجاورة (١٠٦) .

وفى تلك الاثناء كان الشباب المصرى يجرفه الحماس الوطنى ويجذبه العمل السرى للنضال ضد الانجليز ، خصوصا بعد يوم الشـهداء ٤ مارس ١٩٤٦ فى الاسكندرية الذى دعت اليه « اللجنة القومية » التى ألفها الاخوان ، وقتل الجنود البريطانيون فيه ٢٨ وجرحوا ٣٤٢ (١٠٧) . وفى خلال أسبوع واحد من يوليو ١٩٤٦ ارتكبت أربعة حوادث ضـد الجنود البريطانيين فى سياراتهم وأماكن لهوهم باستخدام القنابل والمسدسات والبنادق ، أسفرت عن اصابة ١٢٨ شخصا . وقبض على احد عشر متهما ، فر منهم ثلاثة من سجن الحدراء من خلال ثغرة فتحوها فى نافذة السجن فى شـهر اكتوبر ١٩٤٦ . وجرت محاكمتهم أمام محكمة مشكلة برياسة القاضى احمد الخازندار ، الذى كان قد سبق له أن حاكم قاتلا عرف باسم « سفاح الاسكندرية » ، وحكم عليه بالسجن سبع سنوات . ولكنه حكم على المتهمين بأحكام قاسية تراوحت بين العشر والثلاث سنوات .

ولم يكن أحد من المتهمين ، ممن ينتمون الى التنظيم الخاص فى جماعة الاخوان المسلمين (١٠٨) . ولكن بعد ثمانية أشهر من الحـكم ، أى فى يوم ٢٢ مارس ١٩٤٨ ، قتل القاضى احمد الخازندار بواسطة اثنين من شـباب الاخوان المسلمين انتقاما للحكم الذى أصدره فى قضية القنابل (١٠٩) . وقد أنكرت قيادة الاخوان مسئوليتها عن هذا العمل ، ولكنها ذكرت ما يبرره قائلة. « جاءت احكام الخازندار بك رحمه الله على الطلاب الذين القوا القنابل على اندية الانجليز بالاسكندرية صارمة قاسية . اذ حكم عـلى كل طالب منهم بعشر سنوات ، مع انه اصدر على « حسن قناوى » سفاح الاسكندرية — مثلا — حكما بسبع سنوات . وكان الطلبة يتصـورون أنهم يستطيعون بحركاتهم هذه أن يحققوا أهداف الوطن ، ويزعجوا الانجليز فلا يتشددون مع المفاوضين المصريين . ومثل هذه الاحكام فى عرفهم تعوق نشاط الحركـة الوطنية فيما يعتقدون » (١١٠) .

---

١٠٧ — الرافعى : المرجع المذكور ص ١٨٦ — ١٨٧ ، محمد حسن احمد : المرجع المذكور .

١٠٨ — أنور العمروسى : المرجع المذكور ص ١٠٦ — ١٢٩ .

١٠٩ — الرافعى : المرجع المذكور ص ٢٦٦ — ٢٦٧ .

١١٠ — محمد فهمى أبو غدير : المرجع المذكور ص ٣٢ — ٣٣ .

على كل حال ، ففي اواخر سنة ١٩٤٨ كان الاخوان المسلمون قد اصبحوا اشبه بدولة داخل دولة ، بأسلحتها وجيشها ومصانعها وشركاتها ومدارسها ومستشفياتها ، ولم يبق سوى القفز على السلطة . ولكن فى ٨ ديسمبر ١٩٤٨ اصدر محمود فهمى النقراشى باشا قرارا بحل الجماعة ، وانقض بالاعتقال والمصادرة على أعضائهم ومنشآتهم وأموالهم ، فانتهت صفحة حافلة من نشاط الاخوان المسلمين ، وبدأت صفحة اخرى .

والسؤال الذى يطرح نفسه : ما هى دوافع قرار حل جماعة الاخوان المسلمين ؟ . لدينا فى هذا الصدد نوعان من الدوافع : الدوافع التى قدمتها حكومة النقراشى باشا ، والدوافع التى افترضها الاخوان .

وفيما يتصل بدوافع الحكومة ، فتقوم — طبقا لمذكرة الحل — على اربعة اقسام من التهم : التهمة الاولى ، أن الجماعة كانت تهدف الى قلب النظم السياسية للهيئة الاجتماعية ، متخذة فى ذلك طرقا ارهابية بواسطة فريق من اعضائها دربوا تدريبا عسكريا واطلق عليهم فريق الجوالة . والتهمة الثانية ، الاشتباكات التى جرت بين الجماعة وخصومها ، واعمال العنف المثلة فى القاء القنابل فى عدة اماكن بالقاهرة يوم ٢٤ ديسمبر ١٩٤٦ ، وفى الاسماعيلية سنة ١٩٤٧ . والتهمة الثالثة تتعلق بوقائع تدريب الجماعة على السلاح ، وصنع القنابل والمفرقعات ، وتخزين السلاح بعزبة محمد فرغلى الذى عثر عليه يوم ٢٢ اكتوبر ١٩٤٨ . اما القسم الرابع من التهم فيتعلق بقيادة الاخوان فى الريف واتخاذها موقفا معاديا وتحريضيا ضد كبار الملاك (١١١) .

ويتضح من ذلك أن مذكرة الحل قد استبعدت حوادث العنف التى ارتكبتها الجماعة ضد اليهود والانجليز ، والتى اشرنا اليها . اما حوادث العنف التى اشارت اليها والتى تتصل بالقاء القنابل يوم ٢٤ ديسمبر ١٩٤٦ فلم تثبت ادانة الاخوان فيها ، وحادث القاء القنبلة بفندق الملك جورج بالاسماعيلية سنة ١٩٤٧ ثبت أن المتهم فيه غير مسئول عن عمله وسقط الاتهام ضده . وأما تخزين السلاح فى عزبة محمد فرغلى فالثابت أن محمد فرغلى كان رئيس معسكر النصيرات أولا ومعسكر البريج ثانيا بجوار غزة ، وكان رئيسا لمتطوعى الاخوان فى المنطقة واقرته قيادة الجيش المصرى ، كما

---

١١١ — انظر نص بيان الحل فى : الاخوان والارهاب ص ٩٩ — ١٠٢

كان ممن سهلوا لعبد القادر الحسينى الحصول على ما يريد من السلاح . وقد سألت النيابة الشيخ بعد اكتشاف السلاح بعزبته ، وأفرجت عنه (١١٢) ٠

كذلك فان المذكرة فى اثباتها سعى الجماعة لقلب نظام الحكم ، لم تستند الى أدلة حديثة اكتشفتها . وانما استندت الى تحقيقات قديمة خاصة بشراء السلاح من المحور وقد برىء فيها الاخوان (١١٣) ٠

اما التهمة الخاصة بالاشتباكات مع الوفد ، فلا يمكن أن تكون حكومة النقراشى جادة فيها ؛ لانها وحكومة صدقى باشا قبلها كانت المحرضة الاساسية فى هذه الاعمال . ولم تكن العلاقة تحسنت بينها وبين الوفد على نحو يضع تلك المسألة فى اعتبارها عند التفكير فى حله .

بقيت التهمة الخاصة بموقف الاخوان من كبار الملاك ، وتقوم على ثلاث وقائع ، حرق احطاب لاحد الملاك بناحية كفر بدارى وهى فى يوم ١٨ يناير ١٩٤٨ . والثانية ، فى ٣ فبراير ١٩٤٨ ، وهى تحريض اهالى كفر البرامون على التظاهر ، لزيادة اجورهم ، وارغام تفتيش افيروف الذى يقع بزمام القرية على تأجير اراضيه مقسمة على الاهالى بايجار معقول ، وحدث اشتباكات مع رجال البوليس عند محاولة قمع الفتنة . والثالثة ، فى ١٦ يونية ١٩٤٨ ، وهى تحريض عمال تفتيش زراعة محلة موسى التابع لوزارة الزراعة على التوقف عن العمل ، والمطالبة بتملك أراضى التفتيش .

وقد فند الشيخ حسن البنا ما جاء بخصوص الواقعتين الاوليين . فقد ذكر ان أساس النزاع فيها أن كلا من عمدة كفر بدارى ومنية البرامونى كان « يريد ألا تقوم فى القرية أية جماعة يكون لها مظهر وكيان . وكلا العمدتين صهر للاخر ، وخطتهما فى ذلك واحدة . وقد كان الاخوان هدفا لاضطهادهما اضطهادا قاسيا » (١١٤) ٠ ومعنى ذلك بوضوح أن النزاع لم يكن لأسباب اجتماعية تتعلق بالنظام الاجتماعى وعلاقات الانتاج فى الريف ، وانما كان

---

١١٢ — رد حسن البنا على مذكرة عبد الرحمن بك فى فهمى ابو غدير: المرجع المذكور ص ٥٧ — ٦٣ .

١١٣ — نفس المصدر ٠

١١٤ — نفس المصدر ٠ وقد سلك طارق البشرى (المرجع المذكور ص ٢٢٣) حادثة كفر البرامونى فى نشاط الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى ، ولم يتنبه الى دور الاخوان وغياب دور حدتو ٠

لاسباب جزيية . أما الواقعة الثالثة ، فتتصل بأراضي تابعة للدولة لا للافراد ، وبالتالى فهى بعيد عما يمكن أن يكون موقفا متطرفا من الملكية الفردية من جانب الاخوان تتخوف منه حكومة النقراشي باشا . ومن الطريف — مع ذلك — ان اعتبر الاخوان فيما بعد هذا الاتهام فى الواقعة الثالثة التى لم يتعرض لها البنا فى تنفيذه ، عملا من أعمال محاربة الاقطاع يفاخرون به بعد ثورة ٢٣ يوليو (١١٥) .

يتضح من ذلك كله إنه لا يوجد من الاسباب التى قدمتها حكومة النقراشى باشا ، سبب واحد مقنع يمكن ان يدفعها الى انهاء التحالف بينها وبين جماعة الاخوان ، والانقضاض عليها ، وحلها ومحاولة تصفيتها . وبقى علينا أن نبحث فى الرأى الاخر ، رأى الاخوان أنفسهم .

لقد اقام الشيخ حسن البنا رأيه فى دوافع حل جماعته على افتراض أساسى هو التدخل الاجنبى .. ففى رده على مذكرة عبد الرحمن عمار بك عن جماعة الاخوان قال إنه : « مستحيل ان يكون الدافع الحقيقى لهذه الخطوة الجريئة من الحكومة مجرد الاشتباه فى مقاصد الاخوان او اعتبارهم مصدر تهديد للامن والسلام ، وهو مالم يقم عليه دليل ولا برهان . ولكن الدافع الحقيقى فيما نظن هو انتهاز الاجانب فرصة وقوع بعض الحوادث مع اضطراب السياسة الدولية ، وقلق الوقف فى فلسطين ، وتردد سياسة مصر بين الاقدام والاحجام ، فشددوا الضغط على الحكومة ، وقد صرح بذلك سعادة عمار بك نفسه ، وأقر بأن سفراء بريطانيا وأمريكا وفرنسا قد اجتمعوا فى فايد وكتبوا لدولة النقراشى باشا فى صراحة بأنه لابد من حل الاخوان المسلمين » (١١٦) .

وقد اورد بيان الجماعة بعنوان : « قضيتنا » ايضاحات أكثر فى هذا الصدد . فذكر أن عبد الرحمن عمار اقر بنفسه للاستاذ المرشد العام أن مذكرة قدمت الى النقراشي باشا من سفير بريطانيا وسفير فرنسا والقائم بأعمال سفارة أمريكا ، بعد أن اجتمعوا فى فايد فى ٦ ديسمبر تقريبا ، يطلبون فيها المبادرة بحل الاخوان المسلمين . وعقد بيان الجماعة مقارنة

---

١١٥ — الدعوة عدد ١٢ ، مايو ١٩٧٧ .

١١٦ — انظر نص المذكرة فى فهمى أبو غدير : المرجع المذكور ص ٦٨ — ٦٩ .

بين موقف الاستجابة من جانب النقراشي باشا لهذا الطلب . والموقف الذي وقفه مصطفى النحاس باشا في عام ١٩٤٢ . « فقد طلبت السفارة من رفعة النحاس باشا في سنة ١٩٤٢ ، والحرب العالمية على اشدها والالمان على الأبواب . حل الاخوان المسلمين وتعطيل نشاطهم ، فأبى أن يجيبهما الى ذلك ، واكتفى باغلاق الشعب كلها مع بقاء المركز العام الى حين » .

وقد اضاف بيان الجماعة اربعة دوافع اخرى على النحو الآتي :

أولا — التمهيد للمفاوضات المنتظرة بين الحكومة والانجليز بحل الاخوان وشغلهم بأنفسهم عن مجريات الامور وتقلبات الاحوال .

ثانيا — الخوف من ردود فعل الاخوان ازاء فشل الحكومة في حل قضيتي فلسطين والسودان ؛ والخوف من القيام بثورة لهذا السبب . وعلى حد قول البيان : « تعلم الحكومة تمام العلم معرفة الاخوان الدقيقة ببواطن الامور ؛ واسباب هذا الفشل ، وتشعر بأنهم سيشددون عليها الحساب . فأرادت ان تسبقهم الى ذلك ، وان تستر هذا الفشل بهذا الاجراء . ولعلها كانت تتوقع ان يثور الاخوان في مصر او يتمرد المتطوعون منهم في فلسطين فتحملهم تبعة ما يكون بعد ذلك . ولكن الاخوان لم يكن منهم الا ضبط الأعصاب » .

ثالثا — الخوف من مواجهة الاخوان في الانتخابات القادمة ، خصوصا والقائمون في الحكم « يعلمون مدى تغلغل فكرة الاخوان في نفوس الشعب ومختلف طبقاته ، وبخاصة في القرى والريف . فكان طبيعيا أن يحسبوا حساب منافستهم في هذا الميدان ، وان يحاولوا بمثل هذه الضربة ان يباعدوا بينهم وبين بعض الجمهور ويشوهوا جهادهم » .

رابعا — تحالف اليهودية العالمية والشيوعية الدولية والدول الاستعمارية وأنصار الالحاد والاباحية على الدس للاخوان لدى الحكومة ، لانهم يرون في الاخوان ودعوتهم « السد المنيع الذى يحول بينهم وبين ما يريدون من تحلل وفوضى وافساد » !.

واذا صرفنا النظر عن السبب الاخير الذى لا يستحق الوقوف عنده بالمناقشة ، وتناولنا التدخل الأجنبي ، فان المقال الذى كتبه شمس الشناوى في مجلة الدعوة يحتوى على معلومات مختلفة بعض الشيء لما ورد في بيان الاخوان . فقد ذكر ان اجتماع السفراء الأجانب الذى قرروا فيه اتخاذ الاجراءات اللازمة لحل جماعة الاخوان ، كان في ١٠ نوفمبر ١٩٤٨ ، وليس في

٦ ديسمبر كما ورد فى البيان . وقد اضاف انه فى ٢٠ نوفمبر ١٩٤٨ ارسل رئيس المخابرات البريطانية الى قائد القوات المسلحة البريطانية فى مصر ان خطوات دبلوماسية ستتخذ لحل جماعة الاخوان المسلمين ، واخطرت السفارة البريطانية النقراشي بهذا القرار مشفوعا بتبليغ شفوى انه اذا لم تحل جماعة الاخوان فستحتل القوات البريطانية القاهرة والاسكندرية .

وقد ذكر الشناوى أن الصورة الزنكوغرافية لقرار السفراء موجودة لديه (١١٧) ، ولكنه لم ينشرها بمقاله .

على أن عبد الرحمن عمار ، وهو الذى اسند اليه بيان الاخوان الاعتراف بالتدخل الأجنبى وانه مصدر خبره ، أنكر هذه الواقعة انكارا باتا . ففى اثناء المحاكمة فى قضية مقتل النقراشى باشا سئل عما اذا كان يعلم أن هناك اجتماعا عقده سفراء دول فرنسا وانجلترا وأمريكا فى فايد قرروا فيه مطالبة الحكومة بحل الاخوان ، اجاب « محتدا » : « هذا غير صحيح . وهى فرية افتراها الاخوان فى مذكرة طبعوها ووزعوها سرا ليوهموا الناس بأن النقراشى باشا حين قرر حل الاخوان كان تحت تأثير اجنبى . وهذه واقعة لا ظل لها من الحقيقة » (١١٨) .

ومع ذلك ، فلم نكن لنستبعد واقعة التدخل الاجنبى ، خصوصا بعد انهيار الامن والنظام فى مصر على النحو الذى ذكرناه ، لولا أن مذكرة الحل التى استندت اليها الحكومة ، قد خلت ــ كما رأينا ــ من الحوادث التى ارتكبها الاخوان ضد اليهود والانجليز وهى الحوادث التى يمكن وحدها أن تدفع السفراء الى اعتبار الاخوان مسئولين عن انهيار الامن ، والتدخل من ثم لحل جماعتهم . اما وقد اغفلت مذكرة الحل هذه الحوادث ، فمعناه الوحيد أن السفراء لم يكونوا يملكون ادلة على دور الاخوان فى هذه الحوادث ، ويكونوا قد فقدوا المبرر للمطالبة بهذا الحل . وعلى كل حال ، فلم أجد فى الوثائق البريطانية أثناء اقامتى فى لندن وترددى على الارشيف البريطانى ما يؤكد هذا التدخل .

أما مسالة التمهيد للمفاوضات كدافع لحل الجماعة ، فما نظن ان هذا السبب كاف . فلم يرفض الاخوان منذ البداية مبدأ التفاوض ، بل لقد

---

١١٧ ــ الدعوة فى أكتوبر ١٩٧٦ ، العدد الرابع .

١١٨ ــ قضية مقتل النقراشى باشا ص ٨٦ .

طالبوا باتاحة الفرصة للنقراشى باشا فى حكومته الأولى لمعالجة القضية الوطنية عن طريق التفاوض ، كما طالبوا بالوقوف وراء صدقى باشا لنجاح المفاوضات التى كان يجريها ــ فى الوقت الذى كان الوفد يرفض تمثيل النقراشى وصدقى للشعب المصرى فى المفاوضات . وعندما عرف الاخوان بعزم النقراشى على رفع القضية الى مجلس الامن بعد فشل مفاوضات صدقى باشا ؛ عدلوا عن مبدا المفاوضات ، ودعوا فى جريدتهم الى عرض القضية على مجلس الامن . وقد استمرت علاقتهم طيبة بحكومة النقراشى باشا ، فساندوا النقراشى فى مجلس الامن ، ونظموا له الاستقبالات عند عودته . وظلت علاقتهم بالنقراشى طيبة ، واسندت اليهم مهمة التعاون مع الهيئة العربية العليا ، وجمع السلاح لحرب فلسطين ، وكانت تدريباتهم واستعداداتهم وتخزينهم للسلاح يتم تحت بصر حكومة النقراشى باشا تحت ستار قضية فلسطين . ومن ثم فلم تكن حكومة النقراشى لتخشى مواجهه معهم لو قررت المفاوضات ، فتسارع بحل جماعتهم قبل القيام بها .

بقيت مسألة خوف حكومة النقراشى من ردود فعل الاخوان ازاء فشلها فى حل قضيتى فلسطين والسودان ، وادراكها معرفة الاخوان الدقيقة ببواطن الامور واسباب هذا الفشل . وهذا السبب يمكن قبوله فقط لو أن الاخوان قد اثبتوا أنهم يعرفون بالفعل بواطن الامور واسباب الفشل . ولكن الثابت تاريخيا أنهم لم يلعبوا أى دور هام فى الكشف عن فضائح معركة فلسطين ، وانما الذى حمل لواء هذا الكشف عما حدث من تلاعب فى صفقات الاسلحة والذخائر للجيش هم السعديون والاحرار الدستوريون أنفسهم الذين كانت تتألف منهم حكومة النقراشى التى قامت بحل الجماعة ، بالاضافة الى دور اليسار والمستقلين الأساسى فى فضح هذه الصفقات على الراى العام ، والذى قاده أحمد بهاء الدين واحسان عبد القدوس فى مجلة « روزاليوسف » .

بقى السبب الاخير ، وهو خوف القصر وحكومة النقراشى باشا من تزايد قوة الاخوان المسلمين فى الحياة السياسية . وهو الدافع الحقيقى فيما نرى . ففى ذلك الحين كان القصر قد بدأ يحس بأن قوة الاخوان المسلمين قد تزايدت الى الحد الذى لم يعد يمكنه السيطرة عليها ؛ وان سماحه لها بالنمو الى مالا نهاية ، سوف يجعله فى النهاية أول ضحاياها . بل لقد شعر بانه فى رغبته فى ضرب الوفد قد ساعد على تنمية قوة هى اخطر بكثير من الوفد . فالوفد فى نهاية الامر هو حزب ليبرالى لا يلجأ الى الاساليب الفاشية فى التعامل مع الخصوم ، أما الاخوان فان استخدامهم لهذه الوسائل لا حدود لها . وفى حالة الاحتكام الى الامة مرة

اخرى ، فان القصر يمكنه التغلب على الوفد بتزييف الانتخابات كما فعل مرارا ، ولكن بالنسبة لقوة مسلحة كقوة الاخوان المسلمين ، فان استخدام التزييف سوف يؤدى الى صدام وكارثة . وعلى هذا النحو ، وشيئا فشيئا سوف يتحول الشركاء الصغار الى كبار ، ويتحول الشركاء الكبار الى صغار . وهكذا يستبدل القصر بخصم مجرد من السلاح مثل الوفد ، خصما مدججا بالسلاح مثل جماعة الاخوان .

ولكن كيف تنقض الحكومة على جماعة الاخوان دون ان تتعرض لانتقام جهازها السرى الذى لا تعلم عن اسراره شيئا ؟ .

هنا تظهر اهمية حادثة ضبط سيارة الجيب بطريق الصدفة فى يوم ١٥ نوفمبر . ففى خلال وقت وجيز بعد الواقعة كانت السلطة قد وضعت يدها على اثنين وثلاثين من قادة الجهاز السرى ، وعلى راسهم عبد الرحمن السندى رئيس الجهاز . ومن خلال مجموعة الاوراق والوثائق التى عثر عليها فى السيارة الجيب ، والحافظة الجلدية ، وملف المذكرات والاجندة ومحافظ الجيب والسجلات الشخصية الاخرى التى عثر عليها فى منازل المقبوض عليهم ، تبينت فى وضوح لاول مرة معالم التنظيم السرى ، وامكن تقويض شبكة الاتصالات فى التنظيم تماما ، كما قوضت كل وسائل الانضباط (١١٩). وبلغ من ثقة النقراشى باشا فى السيطرة على الامور وعزل البنا عن التنظيم ، انه رفض اعتقاله بعد حل الجماعة ومصادرة اموالها ، تحقيرا لشأنه ، رغم طلب البنا اعتقاله فيمن اعتقل من اعضاء مكتب الارشاد ، وكانت اجابة النقراشى باشا : « لا خطر منك بعد أن قصصنا اجنحتك » (١٢٠) . وقد بلغ من أهمية وثائق قضية الجيب أن حاول الاخوان التخلص منها بعد ذلك بطريقتهم الخاصة ، فأعدوا شحنة ناسفة وضعت فى محكمة الاستئناف يوم ١٣ يناير ١٩٤٩ ، لاتلاف ادلة الاتهام ضدهم ، ولكن أمكن ضبطها وابعادها حيث انفجرت خارج المحكمة وأصابت ٢٥ مواطنا بجروح مختلفة (١٢١) .

على كل حال ، فلم تكد تمضى عشرون يوما على ضبط سيارة الجيب حتى انتهز النقراشى باشا فرصة القلاقل التى وقعت فى الجامعة يوم ٤

---

١١٩ ـ ميتشيل ، المرجع المذكور ص ١٣٢ ـ ١٣٣ ـ ١٣٦ ـ ١٣٧ ، الاخوان والارهاب ص ٨٢ ـ ٨٣ .

١٢٠ ـ أحمد حسين : المرجع المذكور ص ٧٤ .

١٢١ ـ الاخوان والارهاب ، ميتشيل المرجع المذكور ص ١٣٨ .

ديسمبر ، ومصرع سليم زكى حكمدار القاهرة بقنبلة ألقيت عليه من سطح كلية الطب بقصر العينى ، فاتهم الاخوان المسلمون بقتله ، وبعد صدور الاتهام صدر الامر باغلاق صحيفة الجماعة ، وفى يوم ٨ ديسمبر كان قد صدرقرار حل الجماعة .

وهكذا انتهى التحالف بين الاخوان والقصر نهاية مأساوية ، وصدقت الحكمة التى تقول بأن الاخطاء التى ترتكب فى حق الديمقراطية تقتص لنفسها من فاعليها .

وقد سارت الامور بعد ذلك فى طريقها المحتوم . فقد نشبت الحرب بين الحكومة الارهابية العلنية للقصر وبين الحكومة الارهابية السرية للاخوان . فعلى الرغم من أن التنظيم السرى كان مضروبا ، الا أنه تمكن من الانتقام من النقراشى باشا ، وتقاضى منه حياته ثمنا للحل يوم ٢٨ ديسمبر ، أى بعد عشرين يوما فقط . وقد ردت حكومة القصر الارهابية بقتل الشيخ حسن البنا يوم ١٢ فبراير ١٩٤٩ اى بعد شهر ونصف فقط . ورد التنظيم السرى بمحاولة قتل ابراهيم عبد الهادى باشا رئيس الحكومة يوم ٥ مايو ١٩٤٩ ، اى بعد ثلاثة اشهر فقط . ولكن الاعتداء وقع على رئيس مجلس النواب حامد جودة الذى نجا بأعجوبة . وهكذا غاب القانون وسادت شريعة الغاب .

الحصاد المر للعنف :

والسؤال الذى يطرح فى نهاية هذه الصفحة من صفحات العنف فى مصر : ما هو حصاد هذه الفترة ؟ .

والرد ان هذا الحصاد خسارة محققة اصابت مصر . فبفضل التخطيط الأخرق لحوادث العنف التى ارتكبها التنظيم السرى لجماعة الاخوان ضد اليهود والانجليز ، كانت الغالبية الساحقة من الضحايا من المصريين وليسوا من اليهود أو الانجليز . فقد كانت المتفجرات توضع فى المحلات الكبرى والسينمات والمبانى والشركات المملوكة لليهود أو الانجليز ، ولكنها كانت تغص بالمصريين ، فتتخرب بعض الجدران وتزهق أرواح المئات من الابرياء ويتشوه الكثيرون .

ولو ان هذه العمليات كانت تتم ضمن عملية كبرى للاستيلاء على السلطة واقامة الحكومة الاسلامية ، لكان لها ما يبررها ، ولكانت ثمنا بخسا لهدف أسمى ، ولكنها قامت لغير غرض ثورى حقيقى ، ففقدت قيمتها

النضالية ، واتسمت بالطيش والاستخفاف بأرواح الناس ، وعدم المسئولية. وكان من حسن حظ مصر أنها لم تحكم بهذه العقلية التخريبية .

وكما ان العنف الذى استخدمه الاخوان أصاب الجماهير المصرية ، فان العنف الذى استخدمته حكومة القصر اصاب الجماهير المصرية ايضا . فقد لجأت حكومة ابراهيم عبد الهادى الى استعمال اشد اساليب الضغط على الحريات ، وفتحت المعتقلات ، ومارست ابشع انواع التعذيب والارهاب والتخويف . ولاول مرة تعدى اضطهاد المعتقلين من الاخوان الى ذويهم واقاربهم وعائلاتهم ، فكانت سابقة مشئومة اتبعها فيما بعد زبانية ثورة ٢٣ يوليو . وقد استغلت الحكومة مناخ الارهاب فى ضرب القوى الوطنية التقدمية واجهاض الحركة الوطنية ، وتصفية حركة المقاومة ضد الانجليز ، فكانت فترة قمع لم يسبق له مثيل .

وهكذا يختلف العنف الثورى عن العنف غير الثورى . فالعنف الثورى فيه نفحة من بناء ، ولكن العنف غير الثورى ليس فيه سوى الهدم والتخريب . والعنف الثورى يصيب أعداء الجماهير ، ولكن العنف غير الثورى لا يصيب سوى الجماهير فى الصميم .

الفصل الرابع

الصراع بين الهضيبي والسندي

انتهت تجربة العنف من جانب الاخوان بحل جماعتهم وقيام عهد الارهاب على يد حكومة السعديين ، وانتهاء التحالف التاريخى بينهم وبين القصر . ولكن نضال القوى الوطنية الديموقراطية فى تلك الإثناء قدم للاخوان خـدمة عظيمة ، فقد حقق انتصاره على القصر ، واضطره الى انهاء حكم السعديين وجاءت النهاية فى ٢٥ يولية ١٩٤٩ ، بعد ان استمر ستة اشـهر ، فتألفت وزارة ائتلافية برياسة حسين سرى باشا ، اشـترك فيها الوفد ، تمهيـدا لعودة الحالة الى مجاريها الطبيعية عن طريق اجراء انتخابات حرة . وقـد افرجت هذه الوزارة عن معظم المعتقلين السياسيين ومنهم الاخوان المسلمون وفى يوم ٣ يناير ١٩٥٠ فاز الوفد بأغلبيته المعهودة ، وشكل الحكومة الجديدة فى ١٢ يناير ١٩٥٠ .

وقد استأنفت قيادة الاخوان نشاطها سريعا عقب الافراج ، تحت قيادة صالح العشماوى نائب البنا ورئيس التنظيم السرى السابق . وبدا البحث عن مرشد جديد للجماعة . وظهرت ثلاثة تجمعات : الاول متطرف وعـــلى راسه صالح العشماوى ، والثانى محافظ وعلى راسه عبد الرحمن البناشقيق حسن البنا ، والثالث معتدل ، وعلى راسه احمد حسن الباقورى . واستقر الراى ، حلا للنزاع ومنعا للانقسام ، على اختيار عضو من خــارج مكتب الارشاد والجمعية التأسيسية ليكون مرشدا ، وكان هذا المرشد الجديد هو حسن اسماعيل الهضيبى ، الذى عمل بالقضاء نحو سبع وعشرين سنة ، واتصل بالشيخ حسن البنا حوالى سنة ١٩٤٢ ، وبقيت عــلاقته به حتى مصرعه (١٢٢) .

لم يكن اختيار حسن الهضيبى مرشدا عاما لجماعة الاخوان بعيدا عن الصراع التقليدى الدائر بين القصر والوفد . وكان الوفد قد توهم ان النكبات التى اصابت الجماعة على يد حلفاء الأمس ، سوف تدفعهم الى اعادة النظر فى سياستهم ، فأخذت جريدة المصرى منذ ترك ابراهيم عبد الهادى باشـا رئاسة الوزارة فى يوليو ١٩٤٩ تتبنى قضية الاخوان . وتحسنت بالفعــل العلاقة بين الوفد والجماعة ، واعلن صالح عشماوى المتحدث باسم الجماعة انه ليس هناك تنافس بين الجماعة والوفد . وجرت المفاوضات بين الحزب والجماعة حول أعادة الاخوان الى الحياة الشرعية ، وكان ممثل الوفد هــو رئيس الجناح اليمينى فؤاد سراج الدين باشا ، وممثل الاخوان مصـــطفى مؤمن .

---

١٢٢ ـ طارق البشرى : المرجع المذكور ص ٣٦٨ ـ ٣٧٠ .

على أن الصيغة التوفيقية التى تم التوصل اليها ، لم تلق تاييـــدا من الجماعة ، وخصوصا من الجناح المتطرف ، الذى يتزعمه صالح عشماوى ، الذى كان مايزال يدير شئون الجماعة قبل تعيين الهضيبى . وكانت هـــذه الصيغة تقوم على السماح للجماعة بأن تستأنف نشاطها بصورة غير رسمية وتحت اسم جديد ، حتى يتم رفع الاحكام العرفية فتستأنف نشاطها رســميا وتستخدم اسمها القديم . وكان الاسم الذى اقترحه مصطفى مؤمن للجماعة هو : « النهضة الاسلامية » . ولم يكن هذا الخلاف بين صالح عشــماوى ومصطفى مؤمن الا انعكاسا لموقف فكرى ظهر حين كان الاثنان فى السجون ، فقد دعا مصطفى مؤمن فى ذلك الحين الى صبغ الجمــاعة بالصــــبغة الديموقراطية . وفى نهاية عام ١٩٥١ ، استطاع صالح عشماوى استصدار قرار من مكتب الارشاد بطرد مصطفى مؤمن من الجماعة على اساس انــه « انحرف عن مبادىء الاخوان » (١٢٣) .

كان رفض المصــالحة مع الوفد من جانب الجمــاعة فى ذلك الحين ، استمرارا لموقفها التقليدى مـــن الصراع الدائر بين الوفد والعرش ، والذى كانت تجد نفسها فيه فى معسكر واحد مع القصر . فلم يكن يجمعها بالوفــد من أوجه الالتقاء ـــ كما ذكرنا ـــ غير الأهداف الوطنية ، أما القصر فكــان يجمعها به العداء الشديد للشيوعية والديموقراطية الليبرالية . فضــلا عن ذلك ، فان حكم القصر مديد طويل ، أما حكم الوفد فقصير لا يكاد يعــد فى تاريخ الحياة النيابية ، فقد حكم فى الفترة التى مارس فيها الاخوان حيــاتهم ونشاطهم منذ نشأتهم فى عام ١٩٢٨ حتى أوائل عام ١٩٥٠ ـــ وهى مدة ٢٢ عاما ـــ خمسة أعوام فقط ، وبالتالى فان التحالف معه لا يعول عليه ، اذ سرعان مايعود الحكم الى القصر بانقلاب من الانقلابات الدســتورية التى شهدتها الحياة السياسية فى مصر منذ صدور دستور ١٩٢٣ .

يضاف الى ذلك ان التحالف مع الوفد يعنى استمرار القيادة للوفــد ، وأسوأ من ذلك الالتزام بالأساليب الليبرالية فى الممارسة السياسية واحترام الدستور ودعمه . أما التحالف مع القصر فيطلق المجال للاساليب الفاشــية والممارسة غير الديموقراطية التى يقوم عليها نظام الجماعة ، ويهز الاستقرار السياسى ، ويتيح الفرصة للانقلاب على الحكم واقامة الحكومة الاسلامية .

ولابد ان نأخذ فى الاعتبار فى هذا التحليل ، أن هذا الموقف من الوفــد والحياة الليبرالية ، الذى اتخذه الاخوان طوال الفترة قبل وصول الوفد الى

---

١٢٣ ـ ميتشيل المرجع المذكور ص ١٨١ ـ ١٨٢ .

الحكم فى عام ١٩٥٠ ، ثم اتخذوه فى فترة حكمه من ١٢ يناير ١٩٥٠ الى ٢٦ يناير ١٩٥٢ ، سوف يتخذونه أيضا بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو وخلع فـاروق ، فسيقفون فى وجه عودة البرلمان الوفدى المنحل ودستور ١٩٢٣ ، ويساندون النزعة الدكتاتورية للثورة ويشجعونها ، حتى تعصف بهم فى ١٤ يناير ١٩٥٤ ومع ذلك لا يستفيدون من الدرس ، ويعودون بشـكل مذهل الى الوقوف الى جانب الدكتاتورية فى أزمة مارس ١٩٥٤ ، ويتخلوا عن القوى الديموقراطية التقدميـة .

وقد اكدت جريدة الاخوان فى اكتوبر ١٩٥١ موقفها من الحياة الدستورية فى مصر ، فكتبت تقول : « ان المشكلة هى فى نظام الحكم المتبع فى مصر . لقد جربت مصر كل النظم منذ سنة ١٩٢٤ حتى الآن (!) ، وفشلت كل النظم فى سد الثغرات المفتوحة فى نظام الحكم ، كما فشلت فى منع تسرب الفساد . لقد حكمت مصر حكومات تستند الى البرلمان ، وحكومات الغت البرلمان واوقفت الدستور ، وحكومات الغت الدستور وجاءت بدستور جديد . واخذت مصرنظم الحكم من فرنسا وايطاليا وبلجيكا والمانيا . ولكن شيئا واحدا لم يتغير ولـن يتغير ، ذلك هو الفســاد الذى تغلغل واشتد فى جميع المرافق .. بقى دواء واحد لم يجربوه ، وهو التشريع الاسلامى ونظام الحكم الاسلامى » (١٢٤) .

والمغالطة الواضحة فى هذا الكلام ، هى الاخفاء المتعمد لدور القصر فى افساد الحياة النيابية ، وبالتالى دور من ساعد القصر على هذا الافساد ، وقبل التحالف معه ضـد القوى الديمقراطية — وفيهم نفس جماعة الاخوان ! . والأسوأ من ذلك ان الاخوان كانوا فى ذلك يغالطون انفسهم ، ويتخلون عما كانوا يحاجون به جماعة مصر الفتاة فى عام ١٩٣٨ من صـــلاحية النظام البرلمانى القائم لقيام التشريع الاسلامى . فقد ذكروا أنه : « اذا اجتمع تحت قبة البرلمان نواب مسلمون ، أمكن القضاء على كل منكر بقوة القانون وحكم النظام » (١٢٥) . ومعنى ذلك ان مساندة الدســتور ودعم الحياة النيابية يمكن ان يأتى بغالبية اسلامية الى البرلمان تفرض التشريع الاسلامى . ولكن هذا كان قبل تطور نظام الرحلات الى نظام الجوالة ، وقبل نمو قوة الجوالة لتصبح جيشا شبه عسكرى للجماعة ، وقبل انشاء النظام السرى — اى قبل أن تستكمل الجماعة ادواتها غير الديموقراطية لفرض الحكومة الاسلامية .

---

١٢٤ — الاخوان المسلمون من صفحات الامس (الدعوة عـدد أكتوبر ١٩٧٨) .

١٢٥ — النذير عدد ٣٣ نقلا عن أحمد حسين : المرجع المذكور ص ٣١ .

على كل حال ، فان رفض المصالحة مع الوفد ، وفصل مصطفى مؤمن كان يحمل معنى التلميح للقصر بالاستعداد للتعاون . وكان تحسن العلاقات المؤقت بين الجماعة والوفد قد بث الرعب فى قلب فاروق ، وجعله يحس بعواقب ضربة الاخوان . وفى ذلك يروى انور السادات روايته التى يذكر فيها انه سمع من يوسف رشاد أن الملك فى أواخر عهد ابراهيم عبد الهادى قال له : « احنا غلطنا فى ضربة الاخوان ، وحقنا نرجع لسياستنا القديمة » (١٢٦) .

وهناك عدة أسماء ترويها المصادر لعبت أدوارا فى تحسين العلاقات بين فاروق والاخوان . منها : مزراحى باشا ، محامى الخاصة الملكية ، الذى ذكرت جريدة « اللواء الجديد » أنه لعب دورا فى تحسين العلاقات بين الملك والجماعة (١٢٧) . وهناك محمد حسن العشماوى ، المستشار الملكى ، والسيد نجيب سالم ناظر الخاصة الملكية وصهر الهضيبى (١٢٨) .

وفيما يبدو فان مجال التنازل من جانب الاخوان فى مقابل عودتهم الى الشرعية وعودة أموالهم المصادرة ، كان فى تعيين مرشد جديد يحظى برضاء الملك وتأييده . وتتفاوت الروايات حول دور فاروق فى هذا التعيين ، فتذهب اكثر الروايات تطرفا الى أن فاروق قد « فرض التعيين » (١٢٩) . وتذهب رواية اخرى الى أن الملك أيد التعيين (١٣٠) . بينما تذهب الرواية الثالثة الى أن الاخوان كانوا يرغبون فى ارضاء الملك وبث الطمأنينة فى نفسه ، عن طريق تعيين صهر ناظر الخاصة مرشدا عاما لهم (١٣١) . وكان صالح عشماوى وجماعته يرددون أن فاروق « كان له دور فى التعيين » (١٣١ م) .

ومن سوء حظ الاخوان ان علاقات الهضيبى بالقصر بعد تعيينه مرشدا عاما ، لا تدع للباحث مجالا لنفى هذه الروايات على

---

١٢٦ ـ انور السادات ، المرجع المذكور ص ١٠٢ .
١٢٧ ـ الاشتراكية فى ٦ ديسمبر ١٩٥١ نقلا عن طارق البشرى : المرجع المذكور ص ٣٧٠ .
١٢٨ ـ محكمة الشعب ، محاكمة محمود عبد اللطيف ، ص ٤٠ .
١٢٩ ـ نفس المصدر .
١٣٠ ـ طارق البشرى : المرجع المذكور ص ٣٧٠ .
١٣١ ـ ميتشيل المرجع المذكور ص ٢٨٧ .
١٣١ م ـ شهادة محمود الحواتكى : محكمة الشعب ، الجزء الثانى ص ٢٦٢ .

اسس سليمة . فقد رأينا من رواية انور السادات ، كيف سعى الشيخ حسن البنا سعيا شاقا لمقابلة فاروق ، وكيف فشل فى ذلك . ولكن الامر اختلف بالنسبة للهضيبى ، فلم يكد يمضى شهر واحد على تعيينه حتى كان يركب عربة ملكية فى يوم ١٤ نوفمبر ١٩٥١ فى طريقه الى القصر الملكى للقاء فاروق . وقد روى بنفسه ، فى مقابلة صحفية بعد الثورة ، ان هذا اللقاء تم باستدعاء من فاروق (١٣٢) . وفى هذا اللقاء طلب فاروق من الهضيبى تطهير الجماعة من العناصر الثورية ، واتخاذ خطة المهادنة والسلام مع الانجليز ، كما ذكره بوعد حسن البنا الى كريم ثابت سنة ١٩٤٨ بأن تتخذ الجماعة خطة المعاداة للشيوعية (١٣٣) .

وقد تكررت زيارات المرشد للملك بعد ذلك ، فى فترة كان الشعور الوطنى يقف فيها موقفا معاديا بدرجة لم يسبق لها مثيل لفاروق ، حتى كان يوم ١٦ يناير ١٩٥٢ حين توجه الهضيبى الى القصر الملكى مهنئا بمولد ولى العهد أحمد فؤاد (١٣٤) . وقد حرص الهضيبى على مجاملة فاروق فى تعيين حافظ عفيفى باشا رئيسا للديوان الملكى يوم ٢٤ ديسمبر ١٩٥١ . ففى الوقت الذى استقبلت فيه القوى الوطنية هذا التعيين باعتباره تآمرا من جانب القصر على الحركة الوطنية ، واخذت المظاهرات العدائية تتجمع وتسير فى الشوارع منذ يوم ٢٥ ديسمبر ضد فاروق ، وأخذت الهتافات العدائية ضده تسمع لاول مرة مدوية فى فناء الجامعات وفى الشوارع والميادين (١٣٥) ـ ارسل الهضيبى الى حافظ عفيفى برقية يهنئه فيها بتوليه منصبه (١٣٦) .

وتؤكد بعض اقوال الاخوان ان بعض زيارات المرشد للملك فاروق كانت سرية . فقد ذكر عبد العزيز أحمد حسن امام محكمة الشعب ان الهضيبى زار فاروق « وجاء وقال ان المقابلة لم يعرفها احد . واتفقوا على ان غرضها يكون سريا . وقال انها زيارة كريمة لملك كريم » (١٣٦م) .

---

١٣٢ ـ روزاليوسف ٢٤ اكتوبر ١٩٥٢ .

١٣٣ ـ اسحق موسى الحسينى : الاخوان المسلمون ص ١٢١ ـ ١٢٢ ، نقلا عن طارق البشرى المرجع المذكور ٣٧١ .

١٣٤ ـ ميتشيل ، المرجع المذكور ص ١٩ .

١٣٥ ـ الرافعى : مقدمات ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٤ ص ٧٥ ـ ٧٦ (١٩٥٧) .

١٣٦ ـ ميتشيل ، المرجع المذكور ص ١٩٦ .

١٣٦م ـ محكمة الشعب ، جـ ٢ ، ص ٣٣١ .

وقد حدد الهضيبي موقفه من النضال الوطني والعنف في اطار هذه العلاقة مع الملك . فقد اعلن لمجلة « الجمهور المصرى » يوم ١٥ لكتوبر ١٩٥١ — اى بعد اسبوع واحد من الغاء المعاهدة — بأن اعمال العنف لا تخرج الانجليز من البلاد : « هل تظن ان اعمال العنف تخرج الانجليز من البلاد ؟ » . « ان واجب الحكومة اليوم هو ان تفعل ما يفعله الاخوان المسلمون من تربية الشعب واعداده ،فذلك هو الطريق لاخراج الانجليز (١٣٧) وخطب في عشرة آلاف من شباب الاخوان المسلمين قائلا : « اذهبوا واعكفوا على تلاوة القرآن الكريم » . وقد رد عليه خالد محمد خالد في روز اليوسف بمقال تحت عنوان : « ابشر بطول سلامة يا جورج » ! قال فيه : « الاخوان المسلمون كانوا أملا من آمالنا ، لم يتحركوا ولم يقذفوا في سبيل الوطن بحجر ولا طوبة ! . اى مثل هذه الايام يدعي الشباب للعكوف على تلاوة القرآن الكريم ؟ ، ومرشد الاخوان يعلم ، أو لا يعلم ، أن رسول الله وخيار اصحابه معه قد تركوا صلاة الظهر وصلاة العصر من اجل معركة . ويعلم ، او يجب ان يعلم ، ان رسول الله نظر الى اصحابه في سفره ، فاذا بعضهم راقد قد أعياه الصوم ، وبعضهم مفطر قام بنصب الخيام ، فابتسم لهم ابتسامة حانية راضية ، وقال : « ذهب المفطرون اليوم بالاجر كله » . فلقد وجد الوطن قبل ان يوجد الدين ، وكل ولاء للدين لا يسبقه ولاء للوطن فهو ولاء زائف ليس من روح الله » . وكتب احسان عبدالقدوس يوم ١٧ نوفمبر ١٩٥١ ، اثناء اشتداد معركة القنال تحت عنوان : « الاخوان ، الى اين ، وكيف » ينعى عليهم عدم مشاركتهم في معركة القنال ، ويقول ان هذه هى ايام الامتحان الاول للاخوان عقب محنتهم ، فاما ان يكونوا اقوياء بايمانهم ، واما فقدتهم مصر . وفي نفس العدد كتبت المجلة تشير الى مقابلة ملكية بين الهضيبي وفاروق (١٣٨) . وقد اعترف محمد فرغلى بأن الذى اشترك في معركة القنال من الاخوان « عدد بسيط » (١٣٨م) . وواضح أن الهضيبي في موقفه من العنف ، لم يكن يفرق بين العنف الثورى ، كما هو متمثل في مواجهة جماهيرية عامة مع جنود الاحتلال ، وبين العنف الاجرامى الذى تمثل في دس القنابل والمتفجرات بين الجماهير المصرية .

---

١٣٧ — الجمهور المصرى ٢٢ اكتوبر ١٩٥١ عدد ٤٢ .

١٣٨ — روزاليوسف في ٣٠ اكتوبر ١٩٥١ ، ٢٧ نوفمبر ١٩٥١ نقلا عن عبد الله امام : ثورة يوليو والاخوان .

١٣٨ م — محكمة الشعب جـ ٣٠ شهادة محمد فرغلى ص ٧١٧ .

وللامانة التاريخية ، فان هذه التصرفات من جانب الهضيبى قد عزلته عن قاعدته الجماهيرية المكونة من شباب الاخوان المتدين والمتحمس للجهاد فى سبيل قضية بلده . وكانت مجلة « الدعوة » تعبر ـ فى اطار ايديولوجيتها ـ عن هذه القاعدة الجماهيرية . فقد ايدت النحاس باشا فى الغائه معاهدة ١٩٣٦ ، وشاركت فى المطالبة بالكفاح المسلح ضد الانجليز والوقوف ضد اعداء الشعب ، وعندما عين الملك حافظ عفيفى رئيسا للديوان كتبت تهاجم هذا التعيين . وقد تسببت هذه السياسة فى تبرؤ الهضيبى منها علانية . فقد اذاع عبد الحكيم عابدين ، سكرتير عام الجماعة ، بعد مهاجمة الجريدة لحافظ عفيفى ، بيانا نصه : يقرر المركز العام للاخوان المسلمين ان مجلة الدعوة لا تصدر عنه ، ولا تنطق بلسانه ، ولا تمثل سياسته . وانها صحيفة شخصية تعبر عن آراء صاحبها ، ولا تتقيد دعوة الاخوان المسلمين بما ينشر فيها » (١٣٩) .

وقد قابل الهضيبى حماسة شباب الاخوان بالتثبيط . فعندما اصدر بعض شباب الاخوان من طلبة الجامعات والمعاهد العليا عدة قرارات تقضى بتجريم العودة الى المفاوضات ، وتجريم التعاون مع الانجليز ، وقطع العلاقات الاقتصادية والسياسية معهم (١٤٠) ، علق الهضيبى على هذه القرارات لجريدة الجمهور المصرى بأنها لا تلزم الجماعة : « لا قيمة لقرارات تصدر من غير المركز العام للاخوان المسلمين » وقرر ان الكفاح العملى قد يأخذ صورا مختلفة غير مقاطعة الانجلنز (١٤١) . وعندما سرت الاشاعات بأن جماعة الاخوان قد طلبت الى الحكومة تدريب ١٦ ألف شخص من الاخوان على حمل السلاح ، نفى الهضيبى أن فى نية الجماعة التقدم بمثل هذا الطلب ، واعلن ان القوة التى يدعو اليها الاخوان هى « القوة الروحية » ، اما « القوة المادية » ، فهى من اختصاص الحكومة ، فاذا قصرت فى ذلك ، فنحن لا نستطيع ان نفعل شيئا أكثر من مطالبتها بالقيام بالواجب » (١٤٢) .

ولقد كان من الطبيعى ان تدفع هذه السياسة التى يقودها الهضيبى الى مواجهة بينه وبين التنظيم السرى . وطبقا لما ذكره ، فانه حين تولى

---

١٣٩ ـ الدعوة فى ٨ يناير ١٩٥٢ ، نقلا عن طارق البشرى ص ٣٧٤ .
١٤٠ ـ الجمهور المصرى فى ٥ أكتوبر ١٩٥١ .
١٤١ ـ المصرى فى ١٥ اكتوبر ١٩٥١ ، نقلا عن طارق البشرى ص ٣٧٥
١٤٢ ـ الجمهور المصرى فى ٢٢ أكتوبر ١٩٥٢ .

قيادة الاخوان فى اكتوبر ١٩٥١ لم يكن يعلم بأن هذا التنظيم ما يزال قائما : « لما جيت فى الاخوان المسلمين فى سنة ١٩٥١ ، تبين لى أن عندهم شيء اسمه « النظام الخاص » . فأنا سألت : « ايه الغرض من هذا النظام ؟ ، وايه مرماه ؟ ، وايه تعملوا بيه ؟ ، خصوصا بعد ما ثبت أنه ارتكب جرائم قبل ذلك فى السنوات ١٩٤٦ و ١٩٤٧ و ١٩٤٨ ، وكل هذه الجرائم التى ارتكبت طبعا انحراف وخروج عن الغرض الاصلى من هذا النظام وهو اعداد الفرد المسلم اعدادا صالحا للدفاع عن الوطن الاسلامى» ثم يقول الهضيبى انه أراد « تصفية هذه المسألة ، ويعرف الاعضاء فى هذا النظام » ، « فما امكناش نتوصل لحاجة . واقول لك يمكن السبب أن بعض الاخوان بتوع النظام ما يثقوش فى طبعا ، وهم ناس يعنى يمكن يفتكروا انهم مجاهدين اكثر شوية وأنا راجل كبير » (١٤٣) .

وعلى هذا النحو بدا الصراع على التنظيم السرى ، الذى استمر الى ما بعد ثورة ٢٣ يوليو ، وكان له أخطر الآثار على حركة الاخوان .

ومع أنه لا توجد معلومات كافية عن تطورات هذا الصراع ، الا أن ما هو متاح حاليا من هذه المعلومات يكفى لتقرير حقيقة هامة ، هى أن الهضيبى لم يكن طرفا وحيدا فى هذا الصراع فى مواجهة التنظيم السرى ، بل كانت تؤيده غالبية قيادات الهيئة التاسيسية ، الذين القوا على عاتق التنظيم السرى مسئولية النكبات التى لحقت بالجماعة . وبالتالى ، فان سياسة الهضيبى تجاه القصر والنضال الوطنى والعنف ، لم تكن سياسته وحده ، بل تشترك معه فيها هذه القيادات .

وقد شرح محمد خميس حميدة هذه المسألة شرحا جيدا فقال : « لما جاء الاستاذ الهضيبى ، جه معاه الاستاذ عبد القادر عودة وكيل الجماعة . وكنا أمام وضعين : الدعوة ككل ، وجهاز بذاته قائم فيها . وهذا الوضع كان يتعب الجماعة ، اذ كان فيه ثنائية . وقد رأى الاخوان اعضاء الهيئة التأسيسية ان هذا الوضع ما يكونش موجود أصلا ، ولابد أن الدعوة تبقى توجيه واحد ، وسياسة واحدة ، ومنهاج وتفكير واحد . وقد حاول الاستاذ عبد القادر عودة فى الفترة الاولى أن يعالج هذه المشكلة ويظهر انها أخذت

---

١٤٣ ـ محكمة الشعب جـ ٣ شهادة محمد خميس حميدة ص ٥٥٨ ـ ٥٦٠ ، جـ ٥ ص ١٠٣٦ ـ ١٠٣٧ انظر ايضا مرافعة عبد القادر عودة عن نفسه جـ ٧ ص ١٦٠١ ويقول انه كان من رأيه حل النظام السرى من نوفمبر ١٩٥١ .

فترة طويلة ، وما عولجتش ، فالاستاذ الهضيبى بعت لى جـواب يقول ان المشكلة ان الدعوة كبيرة وفيها ثنائية ، والجماعة فيها اضطراب » .

ثم يذكر محمد خميس جميدة ان هذه المشكلة لم تكن جديدة مع مجىء الهضيبى ، وانما ترجع الى ما قبل تعيينه . فقد كان فريق من الاخوان يرى انه لا داعي لهذا الوضع ولا النظام السرى ولا التشكيلات ، لان مالهاش اصل في دعوة الاخوان المسلمين ، ويكتفى بأن يأخذ الاخوان انفسهم بالتربية المتكاملة ، ولما تيجي أي حاجة ، أو اى حركة عامة ، يبقى ينـدب لهـــا من الجماعة ، واللي يتطوع يتطوع . وفريق يرى انه لا مانع من أن الاخوان اللي يعرفوا تدريب ، يبقوا قائمين بأسلحتهم ، واذا كان فيه حاجة يبقوا يروحوا ، وده لتحقيق فكرة الجهاد . وكان السبب الذى دعا الفريق الاول لمعارضة وجود النظام الخاص ، أن الحوادث التى حصلت جعلتهم يقولوا : ايه يكون وضع الجماعة اذا حصل ان بعض الشبان تورطوا ، ويورطــوا الجماعة ويعرضوها لهزات . واذا دعت الحاجة الى تطوع الافراد يبقى يتطوعوا زى الافراد الآخرين (من غير الاخوان) » . وعلى ذلك فان هذا الفريق كان يرى منع التربية العسكرية ، وانه من المستحسن التربية فقط ، مطلق التربية . أما أن يعد بعض الشباب اعدادا عســـكريا فلا داعى لــــه » (١٤٣) .

ويتضح من ذلك ان الصراع بين الهضيبى والنظام الخاص كان يعكس انقساما داخل الجماعة من قبل مجيئه ، واشتد بعد مجيئه ، بين فريقين : احدهما يريد انهاء هذا النظام ، والآخر يتمسك به . ومن الواضح أن الفريق المعتدل كان يمثل الغالبية ، بدليل انه نجح فى تعيين الهضيبى مرشدا عاما، مخالفا فى ذلك كل القواعد القانونية التى وضعتها الجماعة لتعيين المرشد . وبالتالى فان سياسة الهضيبى تجاه القصر والحركة الوطنية والعنف ، لم تكن ـــ كما ذكرنا ـــ سياسته وحده ، بل كانت تعبيرا عن راى ذلك الفريق . وهذا يفسر أن الهضيبى عند ذهابه الى قصر عابدين فى زيارته الاولى ، تبعه ثلاثون من افراد الجماعة سجلوا أسماءهم فى ســـــجل التشريفات ، فكانت زيارة باسم الجماعة (١٤٤) .

فى ذلك الحين كان على راس النظام الخاص عبد الرحمن السندى ، يعاونه أربعة هم : احمد حسنين ، ومصطفى مشهور ، ومحمود الصباغ ، واحمد زكى حسن (١٤٥) . وقد جرى الصراع بين هذه المجموعة وبين الهضيبى . وكمـــا

---

١٤٤ ـــ ميتشيل المرجع المذكور ص ٢٢١ .
١٤٥ ـــ محكمة الشعب ص ١٠٣٦ .

يقول محمد فرغلى : فى الوقت الذى كان الهضيبى لا يريد أن يكون «النظام» موجودا ، وقف عبد الرحمن السندى فى وجه المرشد ، باعتبار أن هذا الجهاز هو خلاصة الجماعة ، ولا يمكن بحال من الاحوال أن يلغى هذا النظام ، ولابد من بقائه واستمراره (١٣٦) • وقد ذكر محمد خميس حميدة أن عبد الرحمن السندى . « من أول قيام الاستاذ الهضيبى كمرشد » ، حدثت بينه وبين الهضيبى « بعض الامور » . وانه كان هناك « نفور باستمرار » . فقد كان السندى يرى أن الهضيبى « ماكانش يجب أن يكون مرشدا » لأنه « موش من الجماعة ، وماكانش متصل بيها فى يوم من الايام ، ومجيئه موش من الناحية القانونية » . وقد علق محمد خميس حميدة على ذلك قائلا : « وكان ده رأى كثيرين » ! • أما الهضيبى ، فكان يرى أن وجود عبد الرحمن السندى فى الجماعة « يسبب لها متاعب » ، وانه « كانت له اخطاء فى الماضى •• من أيام حكاية الخازندار ••• أخطاء من غير شك كان وجودها خطأ فى الجماعة (١٤٧) •

وكان من الطبيعى ان يترتب على هذا العداء بين الهضيبى والسندى ، أن فقد الهضيبى سيطرته على التنظيم السرى . اذ لم يعد عبد الرحمن السندى ينفذ أوامر المرشد العام • وعلى حد تعبير محمد فرغلى : « عبد الرحمن السندى كان يرى في نفسه سلطة عليا • فكان مرة يخضع للمرشد ، ومرة أخرى يخرج عنه » (١٤٨) • وسنرى أن هذا الوضع قد ترتب عليه نتائج بالغة الخطورة بعد ثورة ٢٣ يوليو •

على كل حال ، فان الخلاف بين الهضيبى والسندى كان لابد أن تكون له آثاره داخل الجهاز السرى نفسه ، فانقسمت قياداته الى قسمين : فريق عبد الرحمن السندى ، ومعه أحمد حسنين ، ومصطفى مشهور ، ومحمود الصباغ ، وأحمد زكى حسن ، وفريق آخر على رأسه خميس حمدى ، ويوسف عبد المعطى ، ورفيق سالم (١٤٩) •

ولمعالجة هذه الاوضاع والانقسامات ، كون الهضيبى لجنة مكونة من محمد خميس حميدة ، وعبد العزيز كامل ، والدكتور حسين كمال الدين . وأخذت هذه اللجنة فى دراسة المشكلة من جميع جوانبها . وسرعان ما اكتشفت تعذر حل التنظيم السرى ، لارتباطه بفكرة الجهاد من جهة ، ولان طبيعة التنظيم

---

١٤٦ ـــ نفس المصدر ، شهادة محمد فرغلى ص ١١٢٢ •
١٤٧ ـــ نفس المصدر ، شهادة محمد خميس حميدة ص ١٠٣٢ ـ ١٠٣٣
١٤٨ ـــ نفس المصدر شهادة محمد فرغلى ص ١١٢٣ •
١٤٩ ـــ نفس المصدر شهادة محمد خميس حميدة ص ١٠٣٦ •

تجعله مما يخشي بأسه . لذلك فقد توصلت الى حل وسط يتمثل فى محاولة ازالة « الثنائية » بين التنظيم العام والتنظيم الخاص ، عن طريق ادماج الأسر التي تنتمى الى التنظيمين فى قسم واحد يسمى باسم « قسم الأسر » ، يخضع لتوجيه واحد وأوامر واحدة تصدر من مكتب الارشاد . كما اتفقت اللجنة علي ازالة السرية تدريجيا عن النظام الخاص عن طريق ادخال اكبر عدد ممكن من الاخوان فيه - وكان ذلك اقتراح الدكتور حسين كمال الدين . ونظـــرا لعجز اللجنة عن اخراج عبد الرحمن السندى فقد بقى فى التنظيم السري ، وعين حلمي عبد المجيد رئيسا للجهاز (١٥٠) . وقد اضطر الهضيبي الى قبول هذه الصيغة ، واقرار السندي داخل التنظيم ، وفسر هذا القبول تفسيرا بسيطا جدا قائلا : « احنا جاهدنا اننا نخرج الناس اللى ارتكبوا ، أو قيل انهم كانوا فى الجهاز السري فما عرفناش ! (١٥١) . كما استمر الجهاز السرى بالبوليس وعلى راسه صلاح شادى ، والجهاز الخاص بالجيش ، وعلى راسه أبو المكارم عبد الحى (١٥٢) .

وبقيت مسألة الاسلحة الموجودة لدى الجهاز الخاص ، ولم يكن فى وسع اللجنة أن توصي بشيء بشأنها ، اذ لم تكن تستطيع تسليمها للحكومة القائمة، فضلا عن أن النظام السرى ظل قائما ، فبقيت في حوزة الجهاز (١٥٣) . وكان جزء من هذه الأسلحة قد نقلته الجماعة من ثكنات وبيوت الضباط الأحـــرار يوم حريق القاهرة ، وقد بقي فى مكانه من عزبة حسن العشـــماوى حتى اخرجه عبد الناصر منها بعد محاولة اغتياله يوم ٢٦ اكتوبر ١٩٥٤ ، واتخذ قرينة ضد الجماعة .

على كل حال ، يتضح من هذه التعديلات التي ادخلتها اللجنة على النظام السري ، أنها لم تكن بذات قيمة كبيرة . فقد بقي التنظيم بكامل تسليحه . وبقي السندي فيه ، بل عاد الى قيادته بعد فترة (١٥٣م) . كما زاد عدده تحت فكرة أن زيادة العدد تزيل السرية ، كما زادت حدة « الثنائية » بسبب الخلافات التى استمرت بين الهضيبي وعبد الرحمن السندى ، وبقيت التشكيلات الخاصة بالبوليس والجيش تحت قيادتها دون مساس .

---

١٥٠ ــ محكمة الشعب ج ٣ ، شهادة محمد خميس حميدة ص ٥٦٠ ، ج ٥ ص ١٠٢٨ ــ ١٠٤٧ .

١٥١ ــ محكمة الشعب ج ٤ شهادة حسن الهضيبي ص ٧٩٢ .

١٥٢ ــ محكمة الشعب ج ٥ شهادة محمد فرغلي ص ١١٢٤ .

١٥٣ ــ نفس المصدر ، شهادة محمد خميس حميدة ص ١٠٤٠ .

١٥٣ م ــ محكمة الشعب ، الجزء السادس شهادة يوســـف طلعت ص ١٢١٢ .

على انه لما كانت القيادة السياسية للاخوان قد وقعت فى يد المعتدلين ، وعلى رأسهم حسن الهضيبى ، فان هذا يفسرهذه الظاهرة التى لم تحدث فى عهد الشيخ حسن البنا ، وهى ظهور شخصيات شابة الى جانب الهضيبى تعوض الضعف الكامن فيه ، وتملك القدرة على التكيف بين الاعتدال والتطرف داخل الجماعة • وفى يد هذه العناصر الشابة وقعت كل الاتصـــالات بين الجماعة والقوى السياسية الخارجية العلنية والسرية • وكان أبرز هـــذه العناصر صالح أبو رقيق وحسن العشماوى ، اللذين كانا يملكان ــ كما يقول محمد فرغلى ـ تأثيرا على الهضيبى (١٥٤) •

وقد كان من خلال هذين العضوين أن أقيمت جسور العلاقة بين الاخوان وحركة الضباط الاحرار • فقد كان حسن العشماوى ـ حسب قوله ـ « أحد سبل الاتصال بين الضباط الاحرار والاخوان فى أمور معارك قناة السويس، والسبيل الوحيد فى غيرها من الامور • ومن خلال هذه الصلة كانت الجماعة تشترى السلاح من الضباط الأحرار ، ويتم التعاون بينها وبينهم فى بعض العمليات القليلة التى اشترك بها الاخوان فى معركة القنال ، كما فى حالة اللغم البحرى الذى أذن فؤاد سراج الدين ، وهو وزير خارجية حكومة الوفد الأخيرة ، بنقله بالقطار الى القنطرة لتفجيره فى أحدى ناقلات البترول أوبوارج البحرية البريطانية (١٥٥) •

وقد جرى التعاون بين هذه المجموعة الشابة من الاخوان وبين الضباط الاحرار أثناء حريق القاهرة يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ ، حين اتصل عبد الناصر بصالح أبو رقيق لابلاغه بانه سوف يجرى تفتيش مكاتب الضباط فى المعسكرات حيث توجد أسلحة مخبأة ، وطلب المساعدة فى نقل هذه الاسلحة • فأرسل عربات لنقلها سارت بها وسط شوارع القـــاهرة المحترقة ، ووضعت فى جراج بيت حسن العشماوى ، ثم نقلت الى عزبته فى مديرية الشرقية بعد أن أحضر عبد الناصر تصميما هندسيا لمخزن الذخيرة (١٥٦) •

---

١٥٤ ـــ محكمة الشعب ج ٤ شهادة محمد فرغلى ص ٧٥٩ ، وقد ذكر من أفراد المجموعة : منير دلة ، وصـــلاح شادى ، وفريد عبد الخـــالق ، وعبد القادر حلمى ، وقال ان الهضيبى كان يميل لرأيهم أو يتأثر به أو يقدره ، وقد أضاف محمد خميس حميدة ، كمال عبد الرازق ، ومحمود عبده (محكمة الشعب ج ٣ ص ٦٤٠ •

١٥٥ ـــ حسن العشماوى : الاخوان والثورة ص ١٤ ـــ ١٧ •

١٥٦ ـــ محكمة الشعب ج ٤ شهادة حسن الهضيبى ص ١٨٧٢ ، حسن العشماوى : المرجع المذكور ص ١٩ ـــ ٢١ ، انظر حديثى مع صالح أبو رقيق فى : عبد الناصر وأزمة مارس ص ١٠٩ ، (دار روزاليوسف ١٩٧٦) •

وقد كان من خلال هذه الصلة بين صالح ابو رقيق وحسن العشماوى وبين تنظيم الضباط الأحرار ، أن قبل الاخوان مساندة حركة الضباط للثورة . وكان الرأى منقسما داخل الجماعة تجاه هذه المسألة . وكما يقول حسن العشماوى : « فان بعض الزملاء ـ الذين لم نسمع لهم يومئذ ! ـ رفضوا الى آخر لحظة قيام الجيش بحركة عسكرية كخطوة نحو الثورة العامة ، لأنهم لا يثقون فى حركات الجيوش . أما المتحمسون منا ومن غيرنا ، المؤملون كثيرا فى مستقبل الحرية ، فلم يستمعوا الى الزملاء الذين اشرت اليهم ، ورأوا مخاطر مشاركة العسكريين فى الثورة أهون من بقاء النظام القائم فى مصر (١٥٧) .

وكان صالح ابو رقيق أول من علم بميعاد الثورة قبل وقوعها . ففى صباح اليوم السابق على الثورة مباشرة ـ كما يقول كمال الدين حسين : « ذهبنا الرئيس الراحل (عبد الناصر) وانا الى السيد صالح ابو رقيق ، وكان من قادة الاخوان المسلمين ، وأخطرناه حسب اتفاقنا المسبق بموعد الثورة ، بهدف كسب تأييدهم لثورتنا . كما اتفقنا معه على ان تقوم قوات من متطوعى الاخوان بالمعاونة مع وحدات الجيش للسيطرة على طريق السويس ، لصد اى هجوم انجليزى محتمل أن يتحرك نحو القاهرة ، صباح يوم الثورة » (١٥٨) وقد اتصل صالح ابو رقيق بالهضيبى فى الاسكندرية ـ حسب قوله لى ـ وحصل على موافقته على مساندة الحركة (١٥٩) . وبذلك بدأت صفحة جديدة فى تاريخ الاخوان .

---

١٥٧ ـ حسن العشماوى ، المرجع المذكور ص ٢٢ ـ ٢٣ .

١٥٨ ـ كمال الدين حسين يروى قصة ثوار يوليو (المصور فى ٢٦ ديسمبر ١٩٧٥)

١٥٩ ـ انظر حديثى مع صالح ابو رقيق : المرجع المذكور ص ١٠٨ .

الفصل الخامس

الاخوان والثورة

عندما أيد الاخوان المسلمون « الضباط الاحرار » فى القيام بثورة ٢٣ يوليو ، كانوا يتصورون أن هذه الثورة قامت لحسابهم ، وأنهم سوف يحققون من خلالها التغيير المنشود . ويرجع السبب فى هذا التصور الى انهم اشتركوا فى قيامها على نحو لم يسبق له مثيل فى أى انقلاب من انقلابات القصر . وهذا ما دعاهم الى الوقوف بكل قوة فى وجه فكرة عودة البرلمان الوفدى الاخير الى الأجتماع ، التى كانت مطروحة على بساط البحث فى الايام الاولى بعد الثورة (١٦٠) ، وتفويت تلك الفرصة النادرة لنقل السلطة سريعا الى أيدى ممثلى الشعب ، قبل أن تخلب لب الضباط ويعضوا عليها بالنواجذ ـ وهو ما حدث بالفعل .

فقدسارعوا فى يوم أول اغسطس الى اصدار بيان عن الاصلاح المنشود فى للعهد الجديد ، هاجموا فيه الحياة النيابية السابقة هجوما شديدا ، واعلنوا أن التجارب الدستورية التى سلفت دون استثناء « لم تقدم نيابة صالحة ولا تمثيلا صحيحا » ! ، وأن الحياة البرلمانية « فى كافة العهود الحزبية » ! « انتهت الى أن أصبحت أداة تغطى شهوات الحكام ومظالم السلطان صيغة قانونية» . ومع أنهم طالبوا بالغاء الاحكام العرفية وسائر القوانين الرجعية المنافية لحريات ، الا انهم اعتبروا دستور ١٩٢٣ « لا وجود له من ناحية الواقع ولا من ناحية الفقه » ، وطالبوا باسقاطه ، والمسارعة بعقد جمعية تأسيسية لوضع دستور جديد « يستمد مبادئه من مبادىء الاسلام الرشيدة فى كافة شئون الحياة » . (١٦١) .

وبعد اسبوع واحد من هذا البيان ، كان سيد قطب يوجه رسالة أخرى فى جريدة الاخبار الى اللواء محمد نجيب ، يطالب فيها باقامة « دكتاتورية عادلة نظيفة » ، وقصر الحرية السياسية على « الشرفاء » فقط ، وحرمان « الملوثين » . وكانت حجته أن الشعب قد احتمل « دكتاتورية طاغية باغية شريرة مريضة مدى خمسة عشر عاما أو تزيد ، أفلا يحتمل دكتاتورية عادلة نظيفة ستة شهور ؟ » . (١٦٢) ولم يذكر سيد قطب بطبيعة الحال دور الاخوان فى التحالف مع تلك الدكتاتورية الطاغية الشريرة المريضة ! .

---

١٦٠ ـــ المصرى فى ٢٧ يوليو ١٩٥٢ .

١٦١ ـــ انظر بيان الاخوان المسلمين عن الاصلاح المنشود فى العهد الجديد فى أول أغسطس ١٩٥٢ (عبد العظيم رمضان) : المرجع المذكور ، ملحق ٦ ص ٢٧٣ ـــ ٨٨٧ .

١٦٢ ـــ الاخبار فى ٨ أغسطس ١٩٥٢ ، نقلا عن عبد الله امام : المرجع المذكور . ا

وللحقيقة التاريخية فان سيد قطب اعتبر الشيوعيين من « الشرفاء » في ذلك الحين . ففي مؤتمر الاخوان المسلمين الصحفي بشأن المسجونين السياسيين ، طلب للشيوعيين الحرية « كغيرهم ممن كانوا يكافحون الطغيان » ، ووصفهم بأنهم « من الشرفاء الذين ينبغي أن نقارعهم الرأى بالرأى والحجة بالحجة ولا نلقاهم بالحديد والنار » (١٦٣) .

وللحقيقة التاريخية أيضا ، فان سيد قطب ما لبث أن عدل عن هذا الرأى في الشيوعيين بعد ثلاثة أيام فقط ! ، بمناسبة حوادث كفر الدوار . فقد سارع بالصاقها بالشيوعيين دون تحقيق ، وكتب مقالا مؤثرا ذكر فيه انه « كان يحترم الضمير البشرى عن أن يكون من الدنس الى حد أن يحارب عهدا كالعهد الذى أشرق فجره منذ أيام . ولكن كم يخطىء الانسان في تقدير مدى الدنس الكامن في بعض قلوب الناس » ! (١٦٤) .

على أن تطور العلاقات بين الاخوان والثورة لم يلبث أن دفع بالاخوان وبضميرهم البشرى الى الوقوع في « الدنس » نفسه الذى اعتقد سيد قطب أن الشيوعيين وقعوا فيه : دنس محاربة العهد الجديد .

فلم يكد يمضي وقت طويل حتى تبينت الجماعة أن الثورة لا تنوى أن تمضي الى جيوبهم ، أو تخضع لهيمنتهم ، وانما تؤثر الحكم لحسابها الخاص. وكانت المناسبة عند ظهور مشروع الاصلاح الزراعى . فمع ان الاخوان طالبوا في بيان أول اغسطس السالف الذكر بتحديد الملكية ، بعبارات لا لبس فيها ولا غموض ـ الا أن الحد الذى وضع، وهو مائتا فدان لم يلق منهم قبولا . فقد كانوا يرون ـ كما قال لي صالح أبورقيق ـ أن يكون الحد الاقصى خمسمائة فدان ، ويتولى حق الارث تفتيت هذا الحد فيما بعد (١٦٥) . على ان عبد الناصر رفض هذا الطلب في المقابلة التى جرت بينه وبين الهضيبى في بيت صالح أبو رقيق . وهنا اوضح المرشد في صراحة أنه لكي يؤيد الاخوان الثورة ، فانه يرى عرض الامور التى تتخذها الثورة عليها قبل اقرارها . ولكن عبد الناصر رد بأن هذا يعنى وضع الثورة تحت وصاية الجماعة ، وأنه

---

١٦٣ ـ سيد قطب ، حركات لا تخيفنا (الاخبار ـ ١٥٦ ـ اغسطس ١٩٥٢ .

١٦٤ ـ نفس المصدر .

١٦٥ ـ حديثي مع صالح أبو رقيق في : عبد الناصر وأزمة مارس .

يقبل فقط التشاور فى السياسة العامة « مع كل المخلصين » من اهل الراى دون التقيد بهيئة من الهيئات » (١٦٦) ٠

كان معنى هذه الواقعة للاخوان ، أن الدكتاتورية التى كانوا يطمعون فى أن يصيبوا بها الوفد والشيوعيين والأحزاب الأخرى ، سوف تكون دكتاتورية عامة تشمل الجميع . وعندئذ انقسم الراى فى الجماعة ، فقد رأى البعض أن تتحفظ الجماعة فى اظهار تأييدها للثورة ، حتى لا تتيح لها الفرصة للاستفادة من هذا التأييد فى توطيد اقدامها ثم الاستدارة اليها فى النهاية ٠ اما البعض الآخر فرأى ضرورة أستمرار الجماعة فى اظهار تأييدها للثورة حتى تبقى على الدوام قريبة منها وحتى لاتترك لها الفرصة لطلب التأييد من غيرها ٠

وقد جاءت الفرصة لاختبار قوة هذين الرأيين حين أطاح مجلس قيادة الثورة بوزارة على ماهر وأسند رئاسة الوزارة الى اللواء محمد نجيب ٠ ففى ٧ سبتمبر ١٩٥٢ قرر المجلس اشتراك الاخوان المسلمين فى الوزارة الجديدة ، واتصل عبد الناصر تليفونيا بحسن العشماوى يدعوه لمقابلته فى ادارة الجيش فى الصباح الباكر . وفى هذا اللقاء ـ وعلى حد قول العشماوى « أبلغنى اعتقال ثلاثة وسبعين شخصا من رجال السياسة والقصر الملكى ، وعرض على اشتراك الاخوان فى الوزارة ، على أن أكون أنا أحد الوزراء ٠٠ وقد تركت مسألة دخول الاخوان الوزارة ليقررها مكتب الارشاد .. وكان من رايى الموافقة على ان يدخل الاخوان الوزارة ، حتى يكونوا على بينة من سير الامور ، وحتى لا نترك الانتهازيين والمنافقين يلتفون حول عبد الناصر وزملائه يوجهونهم الى السيطرة والاستبداد » ٠ (١٦٧) ٠

وفيما يبدو أن الهضيبى لم يتنبه لخطورة الاشتراك فى الوزارة عندما اتصل به عبد الناصر تليفونيا فى حضور حسن العشماوى يطلب اليه ترشيح ثلاثة للوزارة ٠ فقد رشح له بصفته الشخصية كلا من منير دلة ، وحسن العشماوى ، ومحمود أبو السعود . وكان القائمقام يوسف صديق حاضرا هذا الحديث ، فشكك فى اهلية الاخوان للوزارة ، فاستدل حسن العشماوى بالشيخ حسن الباقورى على وجود كفاءات فى الاخوان ٠ فقبله عبد الناصر

---

١٦٦ ـ بيان مجلس قيادة الثورة بحل جماعة الاخوان المسلمين :
الاهرام فى ١٥ يناير ١٩٥٤
١٦٧ ـ حسن العشماوى ص ٢٩ ـ ٣٠ ٠

على الفور وتحمس له ، فأصبح مرشحا اساسيا . على أن الهضيبيالحصيف لم يشأ البت فى هذه المسألة الخطيرة بمفرده ، فأحالها الى مكتب الارشاد •

وقد تغلب الرأى المعارض داخل المكتب بصورة حاسمة لمسألة الاشتراك • على أساس أن الاشتراك يقوى الثورة ويضعف الاخوان • أما انه يقوى الثورة فلانه يعطيها لونا اسلاميا يبرز مكانتها وسط الجماهير المصرية المسلمة ، ويمنحها ولاء الاخوان فى كل مكان . واما انه يضعف الاخوان ، فلان الاشتراك بهذا العدد القليل يضع سلطة القرار فى يد الضباط ، ويحمل الاخوان أخطاء الثورة وأوزارها • وقد عبر محمد خميس حميدة عن ذلك - فى استحياء - أمام محكمة الشعب • فذكر أن ما قاله مكتب الارشاد وقتذاك هو ان « وجود الاخوان فى الوزارة قد يثير أشياء مافيش داعى ليها ، فقد يقول البعض ان الاخوان مشتركان فى الحكم ، او ان الثورة طلعت ليس لها لون خاص ، وربما وجود الاخوان فيها يعطيها لونا خاصا » (١٦٨) • وقد بلغ من اقتناع مكتب الارشاد بهذا القرار انه حين قبل الشيخ احمد حسن الباقورى الوزارة ، قرر فصله •

كانت تلك اول مواجهة علنية بين الاخوان والثورة . فقد سحبوا من الثورة الصبغة التى كانت تود أن تستند اليها فى مواجهة القوى السياسية الاخرى ، وهى الصبغة الاسلامية ، ورفضوا تحمل تبعات الحكم • وقد أدركت جماعات داخل الاخوان أن الثورة لن تغفر هذا الموقف ، فبرز رأى يرى انه طالما ان الثورةتتجه نحو الانفراد بالحكم ، واقامةدكتاتورية ليست عادلة ولا نظيفة -غير اسلامية- فمنالافضل القضاء عليها قبل أن تسيطر . وكان هذا الرأى يستند الى أن الجماعة لا تزال فى وضع يمكنها من هذه الضربة ، فقد كان طريق السويس ومناطق القنال مخفوره بمجموعة من الفدائيين ، كما كانت السفارات الأجنبية والمراكز الحساسة فى القاهرة والاقاليم ومنازل عبدالناصر وزملائه واشخاصهم يحرسها مجموعات من الاخوان فى زى مدنى ليدفعوا عنها اى اعتداء من جانب المتطرفين .

على أن هذا الرأى كانيلقى الاعتراض من حسن العشماوى ومن معهممن كانوا يثقون فى عبد الناصر • وهو ما ندموا عليه بعد ذلكندما بليغا • فيقول: « لقد علمتنى الايام كم كنت مخطئا فى تقدير اهمية وزارة الرئيس نجيب كنقطة تحول لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ • ولو كنت ممن يندمون على الماضى ،

---

١٦٨ - محكمة الشعب ، الجزء الخامس ص ١١٠٨ - ١١١٠ •

لندمت على انى لم استمع الى قول الناصحين لى ان نقضى على تلك المجموعة قبل أن تسيطر · وكنا وقتذاك قادرين على ذلك · ولكنى لم أقبل أى محـــاولة للقضاء على عبد الناصر وزمـــلائه ، ووقفت ومن يرى رأيى ندفع عنهم أى اذى . واستمر عبد الناصر فى خطته يصفى الجيش من منافسيه ، ويصفى جبهة الشعب من معارضيه مستعينا بكل منهم على الآخر (١٦٩) ·

فى ذلك الحين لم يكن عبد الناصر ـــ فى الحقيقة ـــ هو الذى يسيطرعلى الحـــكم ، بل كان مجلس قيادة الثورة . اذ كانت القرارات تتخـــذ بأغلبية الأصوات · وكانت هناك عناصر اخرى مدنية تدفع الثورة دفعا فى طريقها الدكتاتورى · وعلى رأسها سليمان حافظ وكيل مجلس الدولة ، الذى كان بحكم انتمائه الى الحزب الوطنى يكن الكراهية والحقد للوفد ويعمل على القضاء عليه · ولم يكن الضباط يمانعون كثيرا فى الانصياع لرغبات أعداء الوفـــد وقبول خدماتهم التى يتطوعون بها طالما انها تمكن لهم فى الحكم · وكان من المشروعات التى تفتق عنها ذهن سليمان حافظ وقتذاك لضرب الوفد ، هو قانون تنظيم الاحزاب السياسية رقم ١٧٩ لسنة ١٩٥٢ ، الذى قصد به أن يكون مقدمة لحل الوفد .

على أن هذا القانون ما لبث أن أصاب الاخوان باصابة مباشرة · فقد ورد فى الفقرة الثانية من المادة الاولى منه ، أنه : « لا يعتبر حزبا ســـياسيا الجمعية أو الجماعة التى تقوم على محض أغـــراض عملية اجتماعية أو ثقافية أو دينية (١٧٠) وبذلك ترك لجماعة الاخوان المسلمين حق اختيار أن تعلن نفسها جماعة دينية بحتة ، وبذلك تكون قـــد فقـــدت الحق فى مزاولة النشاط السياسى ، ولا تكون فى حاجة ـــ من ثم ـــ الى تقديم اخطار باعادة تكوينها ، أو الافصاح عن صفتها السياسية بصورة علنية ، ويكون ذلك بتقديم اخطار باعادة تكوينها طبقا للقانون ·

وقد انقسمت الجماعة قسمين ، فبينما كان رأى المرشد حسن الهضيبى عدم تقديم اخطار لاعادة تكوين الجماعة ، واعتبارها جمعية بعيـــدة عـــن مزاولة النشاط السياسى ، كان معظم أعضاء الهيئة التأسيسية يعـــارضون هذا الرأى (١٧١) ·

---

١٦٩ ـــ حسن العشماوى ، المرجع المذكور ص ٣٠ ـــ ٣١ ·

١٧٠ ـــ وزارة العدل : التشريعات الصادرة خلال الستة شهور الاولى لعهد التحرير ١١٦٣ ص ١٦٧ وما بعدها (المطبعة الاميرية) ·

١٧١ ـــ الاهرام فى ١١ اكتوبر ١٩٥٢ ·

وقد استقر الرأى على حل وسط ، يتيح للجماعة مزاولة النشاطين • وهو فصل العمل الدينى عن العمل السياسى ، فتحتفظ الجماعة بصفتها الدولية كجماعة دينية ، وتتولى بهذه الصفة العمل الدينى ، ويتولى العمل السياسى شطر منها كحزب أو هيئة سياسية تقدم الاخطار باسمها (١٧٢) • وتنفيذا لهذا الرأى سارع حسن الهضيبى فى أواخر سبتمبر ١٩٥٢ بتقديم اخطار عن ايداع مالية الهيئة البالغ قدرها ٧٩٣٥ جنيها بالبنك العربى المصرى ، قبل أن يبلغ عن قانون الهيئة أو نظامها أو أسماء الاعضاء المؤسسين (١٧٣) •

على أن هذا الحل لم يلبث أن أثار صعوبات أوجدت كثيرا من الجدل بين اعضاء الجماعة • فطبقا لما أوردته جريدة الاخبار فى ذلك الحين ، فان هذه الصعوبات كانت تتمثل فى الآتى :

أولا — الموظفون المحرم عليهم الاشتغال بالحزبية ، يؤلفون الجزء الاكبر من قادة الاخوان . فالسكرتير العام ، وأمين الصندوق ، وسته آخرون من أعضاء مكتب الارشاد والبالغ عددهم اثنا عشر عضوا — موظفون • فضلا عن أن غالبية رؤساء شعب الاخوان فى الإقاليم هم ايضا موظفون . وتطبيق القانون الجديد عليهم معناه استبعادهممن مركز القيادة واعتبارهم أعضاء غير مؤسسين •

ثانيا — الاموال التى أودعها المرشد للاخوان فى البنك ، وأبلغ عنها وزير الداخلية هى أموال « الجماعة » الدينية وأموال « الهيئة » السياسية معا • ولكن اذا انفصلت « الجماعة » عن « الهيئة » — كما يقضى القانون — فانها ستنفصل دون أن يكون لها مال ، لأن هذه الاموال أودعت باسم الهيئة وباسم الشطر السياسى منها دون سواه •

ثالثا — الطلبة والجوالة يكونون جزءا كبيرا من قاعدة الاخوان المسلمين فى نشاطهم السياسى . والغالبية العظمى من هؤلاء لا تزيد اعمارهم على واحد وعشرين عاما ، مما يقتضى ابعادهم عن النشاط السياسى ، الامر الذى يؤثر فى قوة الاخوان كحزب •

وقد أثارت تلك الصعاب كثيرا من الجدل بين أعضاء مكتب الارشاد فى القاهرة ، ورؤساء المناطق فى الاقاليم . ومن اجل ذلك دعيت الجمعية التأسيسية للهيئة للانعقاد لحسم الموضوع (١٧٤) •

---

١٧٢ — الاهرام فى ٨ أكتوبر ١٩٥٢ •
١٧٣ — الاهرام فى أول أكتوبر ١٩٥٢ •
١٧٤ — الاخبار فى ٢٨ سبتمبر ١٩٥٢ •

وقد تم عقد الجمعية التأسيسية للأخوان مرتين ، ولم يسفر الاجتماعان الا عن تمسكها باعتبار الاخوان هيئة سياسية . فبالاضافة الى أن هـذا الحل يمنع الازدواجية ، فانه يتفق مع فكرة الاخوان وفهمهم للاسلام ، وهو أنه لا يفرق بين الدين والدولة . ولذلك حين حدث فى الاجتماع الثانى ان تغيب المرشد لمرضه ، انتهز بعض أعضاء مكتب الارشاد الفرصة ليصروا على تقديم الاخطار جامعا شاملا للجماعة كلها كحزب . ولما كانوا أغلبية ، فقد أرسلوا الاخطار فى اليوم التالى (يوم ٨ نوفمبر ١٩٥٢) .

وقد كان عدد الاعضاء المؤسسين الذين تضمنهم الاخطار ثلاثة فقط ! اختارهم مكتب الارشاد من اعضائه ، وهم : السيد محمد حسنى عبد الباقى ، وقد اعتبر ممثلا للقـاهرة ، والدكتور محمد خميس حميـدة ، ممثلا للوجه البحرى ، ومحمد فهمى أبو غدير المحامى ، ممثلا للوجه القبلى . ولم يتضمن الاخطار المرشد وبقية أعضـاء المكتب ! . وقد سبق فى تفسير ذلك أن مكتب الارشاد العام حينما اراد اعتبار اعضائه جميعا هم المؤسسون ، أتضح له أن المرشد العام غير مقيد فى جداول الانتخابات البرلمانية ، وأنه لا مفر من عدم وضع اسمه بين أسماء المؤسسين ، طبقا للقانون الذى كان يشترط التقييد فى جداول الانتخاب فى عضو الهيئة التأسيسية ، وقد خشى المكتب أن يؤدى وضع أسماء اعضائه جميعا دون اسم المرشد فى قائمة المؤسسين الى تصـديق اشاعة ان هناك خلافات داخل الهيئة ، فاتفق الاعضاء على الاكتفاء باختيار ثلاثة من الاخوان القـدامى ممن لم تقترن اسماؤهم فى الصـحف بأنبـاء الاخـوان (١٧٥) .

على ان هذا الذى اراده الاخوان من اخفاء معالم الخلاف لم ينجح ، لان المرشد لم يكد يعلم بالاخطار حتى امتنع فى منزله ، وقرر الاستقالة ما لم تعدل الهيئة التأسيسية عن قرارها . وقد أتفق معه بعض الاخوان على دعوة الهيئة مرة ثالثة لاعادة النظر ! ، ولكن الآخرين صارحوه بأنه بعد أن اتخذت الهيئة قرارها مرتين ، فلا داعى لاعادة النظر . ولم تلبث أن جرت اجتماعات لبعض كبار الاخوان لاختيار مرشد جديد فى حالة اصرار الهضيبى عـلى الاستقالة . بل ان البعض كان يحبذ فى الحقيقة اتخاذ هذا الاجراء لو تيسر ذلك ، فعلى حد قول أحد كبار الاخوان فى ذلك الحين : « ان كثيرا من زملائه يرون أن استمرار الدعوة التى يقوم بها الاخوان ، تتطلب أن يكون لهم مرشد

---

١٧٥ ـــ الاهرام فى ٩ اكتوبر ١٩٥٢ .

لايفكر فى الاستقالة من حين لآخر ، ولا يلوح بها » . على أن المسألة انتهت بسفر عبد القادر عودة ، وكيل الاخوان الى الاسكندرية لمقابلة الهضيبى ، ثم عودته منها ليصرح بأن « المرشد باق .. باق » ! (١٧٦) .

على كل حال فقد عبر الاخوان فى اخطارهم الذى قدموه طبقا للقانون عن رأيهم فى الاشتغال بالسياسة فى صراحة تامة . فقد أعلنوا أن « أهداف الاسلام وغاياته تشمل شئون الحياة كلها . والاسلام لا يفــرق بين الدين والدولة .. والاخوان المسـلمون حينما يزاولون نشـــاطهم المتعدد الالوان ، ليس لهم الخيرة ، فيما يأخذون وما يدعون ، فاذا اشتغل الاخوان بســياسة مصر الداخلية والخارجة فيما يشتغلون ، فانما يشتغلون بأمر الاســـلام ، وينزلون على حكم الدين ، ويمارسون نشاطا دينيا محضا هو فرض على كل مسلم مهما كانت صفته . فان لم يكن بد من اخضاع نشاطنا السياسى لقانون الأحزاب ، فاننا نقدم اليكم وجهة نظرنا مصحوبة بالقانون الأساسى لهيئة الاخوان المسلمين وبأسماء الاخوان المؤسسين .

وقد صدر القانون الاساسى بمقدمة ورد بها انه فى ٨ سبتمبر ١٩٤٥ وافقت الجمعية العمومية للاخوان المسلمين على قانون النظام الأساسى للهيئة وأصبح نافذا من هذا التاريخ . ولما تطورت الدعوة ، واتســعت ميــادين نشاطها ، وعلى ضوء التجارب التى مرت بها خلال هذه الفترة ، رأى المرشد العام للاخوان المسلمين ان يقترح على الهيئة التأسيسية المنعقدة فى أوائل عام ١٩٤٨ ادخال بعض التعديلات ، فوافقت الهيئة على ذلك ، واقترحت تأليف لجنة من الأساتذة طاهر الخشاب وصالح عشماوى وعبد الحكيم عابدين ، لاجراء هذا التعديل وتمت الموافقة عليه فى ٢١ مايو من السنة نفسها .

وقد تضمن القانون الاساسى ثمانية ابواب وصفت فيها الهيئة نفسها بأنها « هيئة اسلامية جامعة تعمل لتحقيق الاغراض التى جاء مــن أجلهــا الاسلام الحنيف وما يتصل بهذه الاغراض » ، وذكرت من هذه الاغراض :شرح دعوة القرآن الكريم شرحا يردها الى فطرتها وشمولها ويعرضها عرضا يوافق روح العصر ، وتقريب وجهات النظر بين الفرق الاسلامية المختلفة وتنمية الثروة القومية وحمايتها وتحريرها ، والعمل على رفع مســتوى المعيشة ، وتحقيق العدالة الاجتماعية والتأمين الاجتماعى لكل مواطن ، والمساهمة فى الخدمة الشعبية ، ومكافحة الجهل والمرض والفقر والرذيلة ، وتشجيع أعمال

---

١٧٦ ـــ الاهرام فى ١١ ، ١٢ اكتوبر ١٩٥٢ .

البر والخير . وتحرير وادى النيل والبلاد العربية جمعاء والوطن الاسلامى بكل أجزائه من كل سلطان أجنبى . ومساعدة الأقليات الاسلامية فى كل مكان ، وتأييد الوحدة العربية تأييدا كاملا ، والسير الى الجامعة الاسلامية. وقيام الدولة الصالحة التى تنفذ أحكام الاسلام وتعاليمه وتحرسها فى الداخل وتبلغها فى الخارج . ومناصرة التعاون العالمى .

ويلاحظ فى هذا البرنامج انه يحمل أيديولوجية الاخوان فى الرجوع بالاسلام الى تعاليمه الاولى : « رد دعوة القرآن الكريم الى فطرتها ، وعرضها عرضا يوافق روح العصر » . وشمولية الاسلام : « قيام الدولة الصالحة التى تنفذ أحكام الاسلام وتعاليمه عمليا » . والجامعة الاسلامية : فهى نهاية المطاف بعد الوحدة العربية . ولكن البرنامج يخلو من شىء عن « الخلافة الاسلامية » ، كما يتميز بالغموض وعدم التحديد بالنسبة لموقف الاخوان من علاقات الانتاج ، فلاشىء اكثر من « تحقيق العدالة الاجتماعية » ، وهو نص مائع . وهو يتحدث عن « تحرير الثروة القومية » ، ولا يحدد المغتصب ولا الوسيلة .

وقد حدد القانون الوسائل التى يعتمدها الاخوان لتحقيق البرنامج السالف الذكر ، وتتلخص فى الدعوة بطريق النشر والاذاعة وتجهيز الوفود والبعثات فى الداخل والخارج ، وتربية الاخوان « وتكوينهم تكوينا صالحا بدنيا بالرياضة ، وروحيا بالعبادة ، وعقليا بالعلم . والتوجيه عن طريق وضع المناهج الصالحة فى كل شئون المجتمع . والعمل ، وذلك بانشاء مؤسسات اقتصادية واجتماعية ودينية وعلمية ، واقامة المساجد والمدارس والمستوصفات والملاجىء . ولم يتحدث عن السعى الى الحكم .

وفضلا عن ذلك فقد حدد القانون الهيئات الادارية الرئيسية للاخوان على النحو الآتى : اولا ، المرشد العام ، وهو الرئيس العام لهيئة مكتب الارشاد وللهيئة التأسيسية . ثانيا ، مكتب الارشاد العام ، وهو الهيئة الادارية العليا للاخوان المسلمين ، والمشرف على سير الدعوة ، والموجه لسياستها وادارتها . ثالثا ، الهيئة التأسيسية ، وهى مجلس الشورى للاخوان والجمعية العمومية لمكتب الارشاد . وقد حتم القانون على المرشد الدعوة الى مؤتمر عام كل سنتين من رؤساء شعب الاخوان للتفاهم فى الشئون المختلفة التى تتصل بالدعوة واستعراض خطواتها (١٧٧) .

---

١٧٧ — الاهرام فى ٩ اكتوبر ١٩٥٢ .

على هذا النحو يكون الاخوان قد عبروا عن تصميمهم على التحول الى حزب سياسى ، والدخول فى المعترك السياسى بكل ما يحمله ذلك من معان ونتائج . على ان وجود الجناح المؤيد للثورة داخل الجماعة قد انقذها من الخضوع لقرار حل الأحزاب ، فقد تم الاتفاق على أن تطلب وزارة الداخلية من الجماعة تفسيرا عما اذا كانت اهدافها ستعمل على تحقيقها عن طريق أسباب الحكم كالانتخابات ، وان يكون رد الاخوان بالنفى (١٧٨) . ويعترف حسن العشماوى بدور عبد الناصر فى هذا الشأن فيقول : « وقد بذل عبد الناصر فى هذا السبيل جهداً لا أنكره ، برغم معارضة بعض زملائه له وبرغم ما وجد فى هذا السبيل من متاعب من الاخوان انفسهم ، الذين لم يكن لزاما على أن أبلغهم بما أسره الى عبد الناصر » (١٧٩) . وعلى كل حال فان الجماعة كانت قد احتاطت لذلك فى قانونها الاساسى – كما ذكرنا – فلم تذكر شيئا عن عزمها على تحقيق برنامجها عن طريق الحكم ، واكتفت باضافة عبارة تقول : « وعلى كل وسيلة اخرى مشروعة » ، فصار نص الفقرة : « يعتمد الاخوان المسلمون فى تحقيق هذه الأغراض على الوسائل الآتية ، وعلى كل وسيلة اخرى مشروعة » .

على كل حال ، ففى ذلك الحين كانت الثورة قد فقدت تأييد جميع القوى السياسية فى مصر ، فيما عدا الاخوان . ففى يوم ١٠ ديسمبر أعلنت سقوط دستور ١٩٢٢ ، وفى ١٦ يناير صوبت ضربتها الى الوفد بقانون حل الاحزاب، وفى يوم ١٨ يناير أصدرت مرسوما بقانون باعتبار التدابير التى اتخذها « رئيس حركة الجيش » من اعمال السيادة العليا – اى لا تخضع لرقابة القضاء . وفى يوم ١٠ فبراير أعلنت دستور الانتقال الذى اكملت به استيلاءها على السلطة من الناحية القانونية (١٨٠) .

ولم يكن لدى الاخوان ما يدفعهم لمعارضة هذه القرارات والقوانين جميعها ، لانها كانت تسير وفق مصلحتهم فى التخلص من أعدائهم القدامى : الوفديين والشيوعيين . وقد اعتبرت الجماعة فترة السنوات الثلاث لدستور الانتقال ، فترة « معقولة لعمل الاجراءات التطهيرية اللازمة قبل الوصول

---

١٧٨ – محمد نجيب ، كلمتى للتاريخ ص ٧٧ – ٨٨ (دار الكتاب النموذجى ١٩٧٥) .

١٧٩ – حسن العشماوى : المرجع المذكور ص ٣٢ .

١٨٠ – عبد العظيم رمضان : المرجع المذكور ص ١٢٥ – ١٢٦ .

الى أوضاع برلمانية سـليمة ونظيفة (١٨١) • وكان أكبر ما يهم الاخوان فى هذه الاجراءات هى أنهـا تترك لهم السـاحة لفرض شروطهم على الثورة مقابل التأييد • وهو ما سارعوا اليه بعد اعتقال عدد من ضـباط المدفعية يوم ١٥ يناير بدعوى تدبير مؤامرة لاغتيال ضباط الثورة •

فقد حضر الى مكتب عبدالناصر كل من صلاح شادى ومنير دلة ، وطلبا اليه « تكوين لجنة من هيئة الاخوان تعرض عليها القوانين قبل صدورهـا للموافقة عليها » . ولكن عبد الناصر ــ وفقا للرواية الرسمية ــ رد قائلا : « لقد قلت للمرشد سابقا اننا لن نقبل وصاية ، واننى اكررها اليوم مرة اخرى فى عزم واصرار » (١٨٢) • وقد برر منير دلة هذا المطلب بأنه « كان رأيا شخصيا ، وما كان يمثل رأى الجماعة » (١٨٣) •

وفى الفترة التالية كان الصراع يدور بين اضلاع مثلث جدلى ، يقف فى جانب منه الاخوان ، وفى الجانب الثانى الثورة ، وفى الجانب الثالث الانجليز • ففى الوقت الذى كانت الثورة تسعى حثيثا للحصول على مكسب سياسى فيما يتعلق بالقضية الوطنية عن طريق التفاوض مع الانجليز تعزز به مركزها فى الجبهة الداخلية ، اتجه الانجليز الى القوة السياسية الوحـدة الباقية فى الساحة الشعبية ، وهى قوة الاخوان ، للحصول منها على ما عجزت عن تحصيله من الثورة ، وسحب السجادة من تحت اقدامها . وفى الوقت نفسه كانت الثورة تستغل الخلافات داخل الاخوان لاحداث انشـقاق بينهم ، على اعتبار ان كل قوة تنتقص منهم تضاف لحسابها •

وبالنسبة للمفاوضات بين الانجليز والاخوان ، فكما هى العادة فى كل مفاوضات لا تستند الى جبهة داخلية قوية ، فان الصراع المكتوم بين الثورة والاخوان كان له تأثيره فى موقف الاعتدال الذى وقفته الجمـاعة اثناء المفاوضات خوفا من الحرب فى جبهتين : جبهة الثورة وجبهة الانجليز . فقد وافقت الجماعة على ما قبله عبد الناصر فى اتفاقية الجلاء بعد ذلك بعام ، وهو بقاء خبراء انجليز فى قاعدة قناة السويس ، وحق عودة القـوات البريطانية الى القناة ، واستخدام القاعدة فى حالة وقوع هجوم مسلح من دولة من الخارج على اى بلد يكون طرفا فى معاهدة الدفاع المشترك بين دول

---

١٨١ ــ محكمة الشعب : الجزء السادس شهادة منير دلة ص ١٢٠٧ •

١٨٢ ــ انظر بيان مجلس قيادة الثورة بحل الاخوان : الاهرام فى ١٥ يناير ١٩٥٤ •

١٨٣ ــ محكمة الشعب : الجزء السادس ص ١٢٢٨ ــ ١٢٣٢ •

الجامعة العربية او على تركيا ، والتشاور على العـــودة فى حالة خطـر الحـــرب (١٨٤) .

وقد أدرك الانجليز من خلال هذه المفاوضات أن الاخوان ليسوا بالتطرف الذى كانوا يخشون . فقد قبلوا التفاوض معهم ، كما قبلوا الأسس السالفة الذكر للاتفاق . وأثبتوا بذلك انهم أكثر اعتدالا من الوفد ، الذى الغى معاهدة ١٩٣٦ ، ونص فى برنامجه عقب قيام الثورة على : « نبذ المفاوضة نبذ النواه، ونبذ الدفاع المشترك ، ومشروع قيادة الشرق الأوسط (١٨٥) .

وكان الاخوان يسعون فى الحقيقة الى ترك هذا الانطباع لدى الانجليز . فقد ذكرنا ان موقف قيادتهم اثناء معركة القناة سنة ١٩٥١ - ١٩٥٢ كان موقفا متخاذلا ، فقد تبرأت تماما من كل شبهة تتعلق بالاشتراك فى العمل الوطنى ، وتبرأت من دعوة شباب الاخوان الى مقاطعة الانجليز وتبرأت من استخدام القوة او نية استخدامها ، وتبرأت من مجلة « الدعوة » حين هاجمت تعيين حافظ عفيفى لضرب الحركة الوطنية ، وفى الفترة التى أباح فيها بعض علماء الدين ، مثل الشيخ ابو العيون ، سكرتير عام الازهر ، والشيخ على الخفيف دماء الانجليز علنا فى الصحف (١٨٦) - كانت قيادة الاخوان المسلمين ترفض علنا العنف كوسيلة لاخراج الانجليز . وقد كان قبول قيادة الاخوان المسلمين لاسس الاتفاق السالفة الذكر مقصودا به اقناع الانجليز بمزايا الاخوان . وقد عبر الهضيبى عن ذلك فى صراحة تامة قائلا : « انا على ثقة من أن الغرب سيقتنع بمزايا الاخوان المسلمين ، وسيكف عن اعتبارهم شبحا مفزعا كمــا حاول البعض ان يصورهم » (١٨٧)

والتبرير الذى نراه لهذا المسلك ، هو أن اقامة الحكومة الاسلامية كان الهدف الاسمى للاخوان المسلمين ، وكانوا على استعداد لتقديم كثير مــن التضحيات فى سبيل الوصول اليه ، بدليل أن نفس قيادة الاخوان رفضــت معاهدة الجلاء التى ابرمها عبد النـــاصر رغم موافقتهم على أسسها ، لانها تمت لحساب دكتاتورية عبد الناصر وليست لحساب الحكومة الاسلامية .

---

١٨٤ - عبد العظيم رمضان : المرجع المذكور ص ١٣٠ - ١٣٦ .

١٨٥ - نفس المصدر ، انظر الملحق رقم ٤ .

١٨٦ - الجمهور المصرى فى ١٥ اكتوبر ١٩٥١ .

١٨٧ - أورد النص أحمـــد حمروش : قصة ٢٣ يوليـــو ، مصر والعسكريون ، الجزء الاول ص ٢٩٧ (بيروت : المؤسسة العربية للدراسـات والنشر ١٩٧٤ .

الفصل السادس

الصراعات الداخلية بين الاخوان المسلمين

راينا كيف كان الصراع يدور بين اطراف مثلث جـدلى يقف فى جانبه الاخـوان ، وفى الجانب الثانى الثورة وفى الجـانب الثالث الانجليز . وفى ذلك الحين ، وبينما كانت نذر الصراع على السلطة تظهر بين الاخوان المسلمين والثورة ، اخذ عبدالناصر فى ضرب الاخوان من الداخل ؛ باستغلال الصراعات التى تفاقمت بينهم : بين جماعة حسن الهضيبى وجماعة صالح عشماوى من جهة ، وبين جماعة الهضيبى والتنظيم السرى من جهة أخرى . وكان قد نجح ــ حسب قول حسن العشماوى ــ فى ان «يضم الى صفه كثيرا ممن لا انكر اخلاصه وقضيه . ولكن الظروف كانت مواتية لخروجهم عن وحدة الصف » . وقد قدر للصراع الثانى ، أن يفجر الصراع الاول على نحو لم يسبق له مثيل .

فقد رأينا كيف دب الصراع بين عبد الرحمن السندى والمرشد العام حسن الهضيبى منذ اليوم الاول لتعيينه مرشدا ، وكيف عجزت اللجنة التى تشكلت من محمد خميس حميدة وعبد العزيز كامل والدكتور حسين كمال الدين عن معالجة المشكلة علاجا جذريا ، وانتهت الى انشاء قسـم الأسر لازالة السرية تدريجيا . وكان من الطبيعى ان تثبت هذه المعالجـة عـدم جدواها ، فقد استمر النزاع بين الهضيبى والسندى ، واصبح الهضـيبى معزولا تماما عن التنظيم لا يدرى شيئا عنه . وهذا ما يؤكده محمد خميس حميدة ، فقد ذكر انه بعد ان انتهت مهمة اللجنة عاد الى المنصورة ، وكان ذلك قبل الثورة ، وفى فبراير ١٩٥٣ جاء الى القاهرة وانتدب نائب مرشد ، « ووجدت الحالة متحسنتش ، والاضطراب قائم فى صـفوف الجمـاعة ، ومشكلة النظام (السرى) ما زالت متعسرة ، وما تمتش حاجة كما يجب أن يكون . فقابلت عبد الرحمن السـندى ، وقلت له : « أن وضع الجماعة بهذا الشكل مقلقل ، واحنا بنلتقى جميعا على الدعوة العامة ، وما بنلتقيش على افراد . لازم تحل هذا الوضع ، لان الاخوان مرتبطين بك ارتبـاط كبير » . فوافق على الاشتغال فى قسم الرياضة . ومشيت الامور مـدة حـوالى شهرين ، وبعدين حصل اضطراب ، وجه عبد الرحمن السندى ، وقال : « ان حسن الهضيبى بيعمل نظام جديد . فسألت الهضيبى : فيه نظام جديد بيتعمل ؟ ، فقال : ابدا ! ولكن عبد الرحمن قال لى ان فيه اسـتحالة ، ولا يستطيع ان يسير فى العمل أو يتعاون مع المرشد (١٨٨) .

كان تنحى عبد الرحمن السندى عن رئاسة التنظيم والاشتغال فى قسم الرياضة ، هزيمة لفريق التعاون مع عبد الناصر ، الذى كان قد استـطاع

---

١٨٨ ــ محكمة الشعب ، الجزء الخامس ص ١٠٢٨ ــ ١٠٣٠ .

اجتذاب السندى اليه (١٨٩) . وانتصارا لفريق الهضيبى الموالى لفكرة الوصاية على الثورة . لذلك هب عبد الناصر يطالب الاخوان بحل تنظيمهم السرى حماية لحركة الجيش . فقداستدعى محمد خميس حميدة والسيدسابق والباقورى ومحمود عبد اللطيف (سكرتير وزير الاوقاف) الى مجلس قيادة الثورة فى الجزيرة ، وحضر الاجتماع فى مجلس قيادة الثورة جمال عبدالناصر وأنور السادات وصلاح سالم وكمال الدين حسين . وتناول عبد الناصر فى حديثه موقف الاخوان فى رحلة الصعيد ، وقال ان للاخوان تشكيلات فى الجيش ، وهو لا يريد هذه التشكيلات ، لان وجودها يؤدى الى اضطرابات ما يصحش انها تكون موجودة ، كما انه لا يريد وجود تشكيلات فى البوليس كذلك . ثم تناول النظام السرى بشكل عام ، وقال : « ان التنظيم السرى مايكونش موجود » (١٩٠) .

على أن مطالبة عبد الناصر بحل التشكيلات الاخوانية والتنظيم السرى لم تلق الا استجابة شكلية . فقد ابلغ محمد خميس حميدة المرشد العام مادار من حديث مع عبد الناصر فى هذا الشان ولكن المرشد رد بأنه لا توجد تشكيلات خاصة للاخوان فى الجيش ، «الا اننا نعطى فكرة اسلامية للجنود»! وقد رد عليه محمد خميس حميدة قائلا: «طيب دى موش محتاجة لتشكيلات»! أما بخصوص تشكيلات البوليس ، فقد كان يقوم بها صلاح شادى ، وقد تعهد بمنعها . « ولكن بعد فترة ظهر أن فيه تشكيلات فى الجيش وتشكيلات فى البوليس » (١٩١) .

وفى الواقع أن الصراع على التنظيم السرى بين عبد الرحمن السندى والهضيبى كان قد اشتد فى تلك الفترة . فقد قبل عبد الرحمن السندى ــ كما رأينا ــ التنحى عن رئاسة التنظيم والاشتغال فى قسم الرياضة ، على اساس ما قيل له من أن نية الجماعة متجهة الى حل التنظيم ، وقد حل محله زميله محمود الصباغ (١٩١ م) . ولكنه ما لبث بعد فترة وجيزة أن تبين له ان الهضيبى يقوم بتكوين تنظيم جديد من انصاره ، وانه يعمل فى الوقت نفسه للتخلص منه . وهنا التقى بالمرشد وواجهه ، وخرج من المقابلة بانطباع انه « لافائدة ، وأنه من المستحيل التعاون مع المرشد » (١٩٢) .

---

١٨٩ ــ احمد حمروش : المرجع المذكور .
١٩٠ ــ محكمة الشعب : الجزء الخامس ص ١٠٩١ ــ ١٠٩٢ .
١٩١ ــ محكمة الشعب : الجزء الثانى ص ٦١٧ ــ ٦١٩ .
١٩١ م ــ نفس المصدر شهادة محمد فرغلى ص ٧٠٢ .
١٩٢ ــ نفس المصدر ص ٥٦١ ـ ٣ ، الجزء الخامس ١٠٢٩ ـ ٣١ .

وقد جرت الامور بعد ذلك فى طريق تصادم دموى ، فان الهضيبى كان قد استطاع أن يضم اليه المهندس السيد فايز ، وهو الرجل الثانى فى التنظيم . فاتيحت له بذلك الفرصة للنفاذ الى اسرار الجهاز السرى ومعرفة افراده ، ولكن فى يوم ١٩ نوفمبر ١٩٥٣ ، اى فى اليوم الذى كان مقررا أن يتسلم فيه من السيد فايز تقريرا يشمل تفاصيل وبيانات الجهاز السرى ، تلقى السيد فايز طردا من الديناميت فى شكل هدية من الحلوى بمناسبة مولد النبى ، انفجر فيه وفى شقيقه الصغير (١٩٣) .

وقد كان هذا الحادث ذروة الصراع بين عبد الرحمن السندى والهضيبى وضربة موجهة الى الاخير وفريقه . ولما كانت كل الجهود التى بذلت الى ذلك الحين لقطع الصلة بين السندى والتنظيم السرى قد اثبتت عدم جدواهـــا ، بسبب سيطرة السندى على التنظيم بواسطة مجموعته ، فقد بدا أن الطريق لابعاد السندى ، هو طرده ومجموعته من الجماعة بأسرها . ولما كان مثل هذا القرار لا يصدر الا عن مكتب الارشاد (١٩٣ م) ففى نفس يوم الحادث دعا الهضيبى الى عقد اجتماع لمكتب الارشاد ، لاتخاذ قرار بطرد الســــندى ومجموعته . ويقول ميتشل ان الاصوات كانت متساوية ، اى خمسة الى خمسة ، وقد حسم صوت الهضيبى الامر ، وصدر قرار مكتب الارشاد بفصل كل من عبد الرحمن السندى ومحمود الصباغ واحمد زكى واحمد عادل (١٩٤) .

ويفهم من كلام يوسف طلعت ، رئيس التنظيم السرى الجديد بعــد عبد الرحمن السندى ، أنه كانت هناك لجنة عليا تشرف على الجهاز السرى مكونة من الشيخ سيد سابق والشيخ محمد فرغلى والدكتور محمد خميس حميدة ومحمود الصباغ واحمد زكى وأحمد عادل وعبدالرحمن السندى . وهذه اللجنة تؤدى بالنسبة للتنظيم السرى نفس الدور الذى تؤديه الهيئة التأسيسية للاخوان المسلمين . وقد جرى خلاف داخل اللجنة ، فقد كان البعض يرى أن عبد الرحمن السندى هو مؤسس هذا النظام ، بينما كان البعض الآخر ،

---

١٩٣ ـــ ميتشيل : المرجع المذكور ص ٢٥٦ ، محكمة الشعب الكتاب الاول محاكمة عبد اللطيف ص ٤٩

١٩٣ م ـــ محكمة الشعب ص ٥ شهادة محمد خميس حميدة ص ١٠٧٤

١٩٤ ـــ ميتشيل : المرجع المذكور ص ٢٥٦ ، محكمة الشعب : شهادة السيد حسين أبو سالم ، الجزء الثانى ص ٣٥١ ـــ وكان الشيخ محمد فرغلى هو الذى قدم اقتراح فصل عبد الرحمن السندى (نفس المصدر ، الجـــزء الخامس ص ١٠٧٣ شهادة محمد خميس حميدة) .

خصوصا محمد فرغلى ينكر ذلك . وقد انتهى الخلاف بفصل السندى ورفاقه . وقد دار نقاش حول من يخلف السندى ، واستقر الراى على اختيار يوسف طلعت ، وهو تاجر حبوب كان على صلة بحسن الهضيبى قبل ان يكون مرشدا ، وعمل على انتخابه مرشدا عاما ، رئيسا للتنظيم ، فعين بعد موت السيد فايز بيومين (١٩٥) .

وقد فجر فصل عبد الرحمن السندى ورفاقه الثلاثة اكبر انقسام وقع فى الاخوان المسلمين الى ذلك الحين · فقد انتهز خصوم الهضيبى ظروف فصل هؤلاء الاعضاء دون تحقيق أو حيثيات فصل ، لتحريك القاعدة الشبابية للاخوان ضد الهضيبى مطالبة باجراء تحقيق فى أسباب هذا الفصل · وقد أحرج الهضيبى ولم يجد ما يقوله الا ان « للمكتب أن يصدر ما يشاء من قرارات ، ولا يسأله أحد عن الاسباب ، والاسلام لا يعرف قداسة لمخلوق » (١٩٦) ·

وبذلك تحولت قضية الصراع على التنظيم السرى الى قضية صراع على الديموقراطية داخل الاخوان ، وتلك كانت الصورة التى خرجت بها الى الرأى العام فى أواخر نوفمبر وديسمبر ١٩٥٣ ·

فقد وصف صالح عشماوى ، رئيس تحرير مجلة « الدعوة » المناهضة للهضيبى ، الأربعة المفصولين بأنهم : « من صفوة الاخوان العاملين الذين لهم سبقهم وبلاؤهم فى الدعوة · وروى ماحدث ، فذكر أن بعض الاخوان حاولوا الاستفهام من أعضاء مكتب الارشاد او الهيئة أو المرشد العام عن أسباب فصل هؤلاء الاربعة ، فلم يفلحوا ، « وكانت النتيجة أن ضاقت السبل ببعض المنكرين ، فاتجهوا الى المركز العام ، واعتصموا واعلنوا انهم لن يخرجوا حتى تصحح الاوضاع وتسير الامور فى مجراها الطبيعى » (١٩٧) · كانت المطالب التى تقدم بها المعتصمون فى ذلك الحين تقضى باعتبار قرار فصل الاعضاء الاربعة وقفا مؤقتا ، وتشكيل لجنة للتحقيق ، ووقف مكتب الارشاد حتى تبت الهيئة التاسيسية فى أمر وجوده مستقبلا ، وانشاء لجنة

---

١٩٥ ــ محكمة الشعب : الجزء الخامس ص ١١٢٠ ــ ١١٢١ ، الجزء السادس ص ١٣٠٠ ــ ١٣١٣ ·

١٩٦ ــ صالح عشماوى ، المبادىء لا الاشخاص (الدعوة فى اول ديسمبر ١٩٥٣ عدد ١٤٦) ·

١٩٧ ــ [illegible] ·

من هؤلاء الاعضاء أنفسهم لادارة التنظيم لحين اجتماع الهيئة التأسيسية (١٩٨) ٠

وفى المساء ، توجه الى مكان الاعتصام عدد من اعضاء الهيئة التأسيسية ، على رأسهم : صالح عشماوى ، ومحمد الغزالى ، واحمد عبد العزيز جلال ، وسيد سابق ، وعبد العزيز كامل ، وطاهر الخضرى ، وعبده قاسم ، ومحمد سليمان ، ومحمد الخضرى ، وعبد القادر عودة ـ وذلك للتفاهم مع المعتصمين (١٩٩) .

وبطبيعة الحال ، فان موقف الثلاثى صالح عشماوى ومحمد الغزالى وأحمد عبد العزيز ، كان منحازا لمطالب المعتصمين ٠ فقد أوردت مجلة « الدعوة » أن الوفد الذى توجه الى المركز العام ، حاول التفاهم مع المعتصمين ، « ووعدهم بأن تنظر ظلامة أى متظلم ، وتبرئة كل غير ذى ذنب ، ومعاقبة كل مسىء حسب تقاليدنا الاسلامية وآدابها » (٢٠٠) .

وسرعان ما تطور الموقف حين أرسل الاعضاء الموجودون فى المركز العام وفدا منهم الى بيت المرشد لمناقشة الموقف معه ، وكان هذا الوفد مكونا من محمد الغزالى ، واحمد عبد العزيز ، وعبد القادر عودة وطاهر الخشاب ومحمد سليمان . ولم يكن المرشد موجودا ، ولكن بيته كان يغص بأنصاره وعلى رأسهم: صالح ابو رقيق، وحسين كمال الدين، وعمر الاميرى،وهارون المجددى ، وفريد عبد الخالق ، وعبد البديع صقر . وهناك فى هذا الجو المحموم بالصراع ، اخذت الامور تمضى فى شكل مواجهة بين أنصار الهضيبى وأنصار خصومه من المعتصمين ، فقد أبدى بعض أنصار الهضيبى استعداده للزحف بجمع كبير على المركز العام ، واخذ البعض يصدر الاوامر لتجميع شباب الاخوان من الشعب .

وعندما تبين صالح عشماوى ورفاقه عجزهم عن اقناع مجموعة الهضيبى بخطورة الموقف ، عملوا على اصدار بيان الى الاخوان المسلمين يعلنون فيه دعوة الهيئة التأسيسية فى أقرب فرصة للفصل فى النزاع ، والزام الفريقين بقرار . فى الوقت الذى توجه فيه عبد العزيز كامل الى المعتصمين

---

١٩٨ ـ ميتشيل : المرجع المذكور ص ٢٥٨ ٠
١٩٩ ـ الدعوة فى أول ديسمبر ١٩٥٢ ٠
٢٠٠ ـ نفس المصدر ٠

وطلب اليهم الانصراف ، فانصرفوا قبل الفجر ، على وعد منه « بتسوية الامر كما يحبون » (٢٠١) .

وعلى هذا النحو كشف صالح عشماوى ورفاقه موقفهم علنا فى جبهة المفصولين ، واصبح الصراع بذلك سافرا بينهم وبين الهضيبى ومجموعته . وفى الفترة التالية أعلنت مجلة « الدعوة » الحرب على الهضيبى وأنصاره . فقد وصفت قرار فصل الجماعة بأنه « بشع معيب » . ووصفت الخلاف الدائر بأنه ليس خلافا على أشخاص، وانما «لمعالجة أوضاع خاطئة» ! (٢٠٢). وفى يوم ٨ ديسمبر كتب صالح عشماوى : « ما كان الاسلام أبدا ، وهو القائم على أساس الشورى ، دين استبداد . ولكن قرار الفصل الاخير جاء فريدا فى نوعه وسابقة خطيرة فى تاريخ الجماعة ليس لها مثيل . ولهذا قام الاخوان يطالبون بتصحيح الاوضاع » (٢٠٣) . وفى ١٥ ديسمبر شبه خصومه « بالميكروبات » ، واعتبر ما حدث فى الاخوان نوعا من « الصدمة القوية » ، أو « الحرارة العالية » . وقال انه « كان من أثر هذه الصدمة أن زالت الغفلة ودبت اليقظة وانتشر الوعى . ولم يبق الا أن تسلط الاضواء على الوقائع والأحداث حتى تنكشف على حقيقتها وتبدو الاشخاص عارية على طبيعتها ، وعندئذ ستموت الميكروبات فى أماكنها ، ويتخلص الجسم كله ، ثم ينهض ليسير قدما الى هدفه وغايته » (٢٠٤) . وفى يوم ٨ ديسمبر وصف محمد الغزالى خصومه بأنهم « يريدون أن يبرزوا ، يحبون بجنون أن يظهروا، وكيف يتم لهم هذا ؟، على أنقاض الآخرين . فليهدموهم ، وليلحوا فى هدمهم، وليدأبوا ما استطاعوا على الكيد لهم . ونسى أولئك النفر أن هدم الاقوياء لن يضفى على الضعاف أى لون من الوان القوة » (٢٠٥) .

وكان من الطبيعى أن يضعف هذا الانقسام كلا من فريقى الاخوان ، وأن يكون هذا الضعف لحساب عبد الناصر . فقد أحس فريق الهضيبى بتفوق خصومه الذين كانوا يملكون جهازا اعلاميا ضخما ممثلا فى مجلة « الدعوة»، فضلا عن « التنظيم السرى » الذى كان ما يزال تحت سيطرة السندى رغم خروجه منه ، فالتجأ الشيخ محمد فرغلى والسعيد رمضان مندوبين عن

---

٢٠١ ـ نقس المصدر .
٢٠٢ ـ نقس المصدر .
٢٠٣ ـ نقس المصدر فى ٨ ديسمبر ١٩٥٣ .
٢٠٤ ـ الدعوة فى ١٥ ديسمبر ١٩٥٣ .
٢٠٥ ـ الدعوة فى ٨ ديسمبر ١٩٥٣ .

مكتب الارشاد الى عبد الناصر طلبا للتدخل ضد الفريق الآخر . ولم يكن عبدالناصر الحصيف ليبلع الطعم ويتدخل ضد فريق يحتج على فصل عبدالرحمن السندى وانصار سياسة التعاون مع الثورة فى التنظيم السرى . وطبقا للرواية الرسمية ، فانه أبدى رأيه بأنه لا يستطيع التدخل بالقوة حتى لاتتضاعف النتائج . وأنه يرى أن يتصالح الفريقان ويعملا على تصفية ما بينهما . فطلب محمد فرغلى منه التوسط وان يجمعه بصالح عشماوى . وجاء صالح عشماوى ومعه الشيخ سيد سابق ، وكان من الطبيعى أن يقف عبد الناصر فى صف صالح عشماوى وفريقه ، فتم الاتفاق على تشكيل لجنة تحقيق « يوافق على أعضائها صالح عشماوى » تبحث فيما نسب الى الاخوان الاربعة المفصولين ، على الا يعتبروا مفصولين بل تحت التحقيق » (٢٠٦) .

وقد فوجىء فريق الهضيبى بهذا الاتفاق ، ورفض الاعتراف به . فوفقا لما رواه صالح عشماوى ، فانه استدعى فى اليوم التالى لمكتب عبد القادر عودة . واخبره هذا أن الشيخ محمد فرغلى قال انه لم يحدث اتفاق على شىء وأن الاستاذ عبد الحكيم عابدين قال ان المسلمين يسعى بذمتهم أدناهم ، وانه لو ثبت ان الاستاذ فرغلى وافق على هذا الاتفاق سينكره المكتب (٢٠٧) .

على ان قيادة الجيش اصدرت بيانا مؤيدا حدوث اتفاق على تكوين لجنة تحقيق ، فلم يعد مفر امام الهضيبى من تكوين هذه اللجنة . ولكنه فى نفس الوقت كان يوجه ضربة كبيرة لصالح عشماوى وفريقه ، ففى يوم ٩ ديسمبر ١٩٥٣ اذاع مكتب الارشاد قرارا لمجلس العضوية بفصل صالح عشماوى ومحمد الغزالى واحمد عبد العزيز جلال (٢٠٨) .

وقد سارع الاعضاء الثلاثة الى تقديم طلب للحضور امام الهيئة التأسيسية لشرح قضيتهم . وفى الاجتماع المذكور وقف صالح عشماوى يغمز الهضيبى فى ظروف تعيينه ، ويشرح كيف أراد الاستاذ منير دلة تعيين

---

٢٠٦ ـ بيان مجلس قيادة الثورة بحل جماعة الاخوان ، المرجع المذكور .

٢٠٧ ـ الدعوة فى ١٥ ديسمبر ١٩٥٣ .

٢٠٨ ـ بيان صالح عشماوى ومحمد الغزالى وأحمد عبد العزيز جلال بعنوان : « نحن الدعوة والدعوة منا » (الدعوة فى ١٥ ديسمبر ١٩٥٣) .

مرشد عام للجماعة ، واقترح أسم الهضيبي الذى « لم يكن معروفا لأحد من الاخوان فى ذلك الوقت الا لعدد قليل » وكيف ساق فى مزايا هذا الحل أنـــه يجمع شمل الاخوان ويمنع تنازعهم ، وكيف « ذكروا اعتبارات أخرى ومزايا لهذا الاختيار لا محل لذكرها الآن ! » (٢٠٨ م) . وكان صالح عشماوى هنا يلمح الى ارضاء القصر ، فقد كان يردد هذه المسألة على مسامع بعض قيادات التنظيم السرى . وقد ذكر محمود الحواتكى انه سمع من صالح عشماوى وجماعته أن الملك كان له رأى فى تعيين الهضيبي (٢٠٩) .

ثم وقف احمد عبد العزيز جلال يتهم أنصار الهضيبي الذين كانوا فى بيته يوم الاعتصام ،بالاستهانة ومحاولة تعريض الجماعة للكوارث ، بدعوتهم الى مواجهة المعتصمين بالقوة . وكيف لاحظ أن بعض الاخوان المسئولين فى المناطق أخذوا يرسلون فى جمع بعض الاخوان من بيوتهم . وانكر انه ورفيقيه صالح عشماوى ومحمد الغزالى قد دبروا المظاهرة بالمركز العام. وتكلم محمد الغزالى ، فأعلن انه يحتقر التهم المنسوبة اليه ! (٢٠٩ م) .

وهنا قام عبد العزيز كامل ، وهو من مجموعة صالح عشماوى وكان قد قدم استقالته من رياسة لجنة العضوية (٢١٠) ، وأجرى مناورة ماهرة . فقد اقترح « النظر فى موقف كل واحد من الثلاثة على حدة » . وفطن انصار الهضيبي للمناور ، وطبقا لما ذكرته الدعوة ، فقد ثار فى وجهـــه صـــــالح ابو رقيق وعبد البديع صقر وعبد المعطى بهجت ، واسكتوه عن الكلام . كما ثار الهضيبي قائلا : يجب أن يفصل الجميع . وقد حاول حلمى نور الدين تأييد رأى عبد العزيز كامل ، فثار فى وجهه فريق الهضيبي ، وسحبوا منه الكلمة. وفى أثناء هذه الجلسة كان الشيخ محمد فرغلى يتنقل بين صفوف الاخوان القادمين من الاقاليم ، كما وقف فى الاجتماع يهاجم صالح عشماوى ويحمله مسئولية ما حدث من شباب الاخوان المسلمين فى المركز العام .

وفى وسط هذا الجو المحموم ، وقف الهضيبي ، ودعا « بصورة تهديد » ــ حسب رواية « الدعوة » ــ من لايوافقون على الفصل بالوقوف ! . فطلب انصار عشماوى أخذ الرأى بالطريقة السرية ، فقامت عاصفة من المقاطعة.

---

٢٠٨ م ــ حقائق فى اجتماع الهيئة التأسيسية (الدعوة ، نفس المصدر)

٢٠٩ ـــ محكمة الشعب : الجزء الثانى ، شهادة محمود الحـــــواتكى ص ٢٦٢ .

٢٠٩ م ـــ حقائق فى اجتماع الهيئة التأسيسية (الدعوة فى ١٥ ديسمبر ١٩٥٣) .

٢١٠ ـــ الدعوة فى أول ديسمبر ١٩٥٣ عدد ١٤٦ .

وتتابع المعترضون على الفصل حتى بلغوا ٢٨ عضوا ، وكان عدد الحاضرين عند التصويت فى تلك الساعة المتأخرة من الليل ستين عضوا ، منهم اعضاء مكتب الارشاد ولجنة العضوية ، وعددهم تسعة عشر . وقد لاحظ الدكتور كمال خليفه أن هؤلاء يجب اسقاطهم ، فلم يسمع له أحد ، فدعا الى أخذ الرأى بالطريقة السليمة ، وهى أن يقف الموافقون على قرار الفصل ، ولكن الهضيبى لم يوافق ، اكتفاء بما جرى من تصويت . وتقول « الدعوة » ان الواقفين حول المرشد تعالت اصواتهم بأنهم اخذوا اسماء الذين عارضوا قرار الفصل ، وان كل من يظهر عطفا على المفصولين سيحال الى لجنة العضوية والتحقيق ، ويؤخذ بمنتهى الشدة (٢١١) .

على كل حال ، فبعد هذا الانتصار الكبير لجناح الهضيبى ، بفصل عبد الرحمن السندى ورفاقه أولا ، وبفصل صالح عشماوى ورفيقيه ثانيا ، أخذ يمارس سيطرته على التنظيم السرى ، فأقام جهاز اشراف على التنظيم مكونا من : ابراهيم الطيب مسئولا عن القاهرة ، وأحمد حسنين . مسئولا عن الاقاليم ، وبقى صلاح شادى مسئولا عن البوليس ، وأبو المكارم عبد الحى مسئولا عن الجيش وأما الهيئة العليا القديمة التى كانت تشرف على الجهاز ، فاستبدل بها « اللجنة العليا للجهاد » ، التى تمثل السلطة العليا للتنظيم وكانت تتكون من الشيخ محمد فرغلى ومحمود عبده وصلاح شادى وأبوالمكارم عبد الحى (٢١٢) . والدكتور محمد خميس حميده ويوسف طلعت وعبد المنعم عبد الرءوف (٢١٢م) وكان صالح أبو رقيق ومنير دلة والدكتور حسين كمال الدين من أعضاء مكتب الارشاد الذين لهم صلة بالجهاز (٢١٣) .

ولم يلبث المسرح السياسى ان اخذ يتهيأ لصدام خطير بين الثورة والاخوان . فلم يعد فى وسع عبد الناصر بعد انتصار الهضيبى أن ينتظر حتى

---

٢١١ ـ حقائق فى اجتماع الهيئة التأسيسية (الدعوة ١٥ ديسمبر ١٩٥٣) .

٢١٢ ـ محكمة الشعب : الجزء السادس شهادة يوسف طلعت ص ١٣٠٤ ـ ١٣٠٦ .

٢١٢ م ـ محكمة الشعب : الجزء الثانى ، شهادة ابراهيم الطيب ص ٤٢٩ .

٢١٣ ـ محكمة الشعب ، الجزء السابع ، مرافعة عبد القادر عودة عن نفسه ص ١٦١٢ .

يعيد تنظيم جهازه السرى ليضرب به الثورة . ويقول حسن العشماوى ان عبد الناصر قد صارحه اكثر بعزمه على حل الاخوان ، وأنه « يحس من الاخوان بجفوة نحوه ونحو سياسته » ، « ودعانى أكثر من مرة الى التعاون معه بعيدا عن نطاق الجماعة ، فلم يجد منى قبولا . وكانت احاديث طويلة وقف كل منا فيها موقفه ، ولم يبد أى تقارب بيننا » (٢١٣م) .

وفى ذلك الحين كانت ظروف الصراع بين عبد الناصر ومحمد نجيب تقرب بين الاخير وبين الاخوان . فطبقا لما رواه الصاغ حسين محمد حمودة، وهو من ضباط الاخوان الذين كلفوا بتكوين شعب فى القوات المسلحة ، ففى أواخر ديسمبر ١٩٥٣ أو أوائل يناير ١٩٥٤ ، استدعى لاجتماع عقده المرشد الهضيبى فى أحد بيوت الاخوان ، وحضره كل من الصاغ صلاح شادى وخليل نور الدين والدكتور غراب ، وأبلغ الهضيبى الحاضرين أن اللواء نجيب اتصل به عن طريق كل من محمد رياض ، ياوره الخاص ، وحسن العشماوى ، عن الاخوان . وأن اللواء نجيب قد افهمه انه « مطرشق » من أعضاء مجلس قيادة الثورة بسبب الحكم الدكتاتورى فى البلاد . وأنه يرغب فى اقامة حكم نيابى دستورى، حسب رغبة الهيئات الشعبية ومنها الاخوان. وأنه يريد «الاستعانه بالاستاذ الهضيبى وجماعة الاخوان المسلمين لعمل أى ترتيب للتخلص من هذا العهد » . ثم قال الهضيبى : « وانا جبتكم باعتبار انكم ضباط فى الجيش ومن الاخوان ؛ لأن أبو المكارم كان فى المستشفى ، والصاغ صلاح شادى مسئول عن البوليس، ويوسف طلعت مسئول عن المدنيين، وأنا ما أدخلش فى التفصيلات ، والمسائل دى عليكم بحثها ، وابقوا بلغونى بالنتيجة » .

وقد اجتمع حسين حمودة مع أبو المكارم وخليل نور الدين وصلاح شادى ويوسف طلعت فى بيت أبو المكارم، لبحث الموضوع ، ولكن يوسف طلعت ابدى رأيه بتعذر عمل شىء فى تلك الظروف ، نظرا لان « عبد الرحمن السندى كان معاكسا فى تسليم الناس ، ويشرع فى تعبئة ناس تانيين » ، وانه لايمكن عمل اجراء الا بعد سنة ، حيث يتوقع أن يكون لديه عشرة آلاف من الاخوان . كذلك ذكر صلاح شادى أن كل من عنده من الضباط هم تسعة عشر ضابط بوليس ، وبعضهم متفرق فى المديريات ، ويتعذر عمل شىء . وبالنسبة للجيش ، قيل أن عدد الضباط فى الجيش قليل ، وفى الوقت نفسه « ما نقدرش نفاتح كل واحد،

---

٢١٣ م ــــ نفس المرجع .

لان دى مسائل عايزة ثقة » . وعلى ذلك اسفر الاجتماع عن قرار بتعذر اتخاذ اى اجراء فى هذا الشأن (٢١٤) .

وقد أورد اللواء محمد نجيب فى مذكراته مزيدا من التفصيلات عن هذه الاتصالات ، وان ذكر أن الاخوان هم الذين حاولوا الاتصال به عن طريق محمد رياض الذى اتصل به حسن العشماوى ومنير دلة فى ديسمبر ١٩٥٣ ، وطلبا اليه تدبير مقابلة سرية مع محمد نجيب . ولكن محمد نجيب رفض المقابلة السرية واقترح مقابلة علنية فى منزله او مكتبه ، فاعتذروا عن ذلك، وطلبوا تفويض مندوب عنه لمفاوضتهم ، فعين محمد رياض ، الذى اجتمع بحسن العشماوى ومنير دلة عدة مرات .

وكانت شروط محمد نجيب للتعاون تتلخص فى انهاء الحكم العسكرى ، وعودة الجيش الى ثكناته ، واقامة الحياة الديموقراطية البرلمانية ، وعودة الاحزاب ، والغاء الرقابة على الصحف .

ولكن الاخوان رفضوا ذلك ، وطالبوا « ببقاء الحكم العسكرى القائم ، وعارضوا عودة الاحزاب واقامة الحياة النيابية ، كما عارضوا الغاء الاحكام العرفية ، وطالبوا باستمرار الاوضاع كما هى ، على أن ينفرد محمد نجيب بالحكم ، ويتم اقصاء عبد الناصر وباقى اعضاء مجلس قيادة الثورة ، وان تشكل حكومة مدنية لا يشترك فيها الاخوان ، ولكن يتم تأليفها بموافقتهم . وأن يعين رشاد مهنا قائدا عاما للقوات المسلحة ، وان تشكل لجنة سرية استشارية يشترك فيها بعض العسكريين الموالين لمحمد نجيب وعدد مساو من الاخوان المسلمين ، وتعرض على اللجنة القوانين قبل اقرارها ، كما يعرض عليها السياسة الرئيسية للدولة، وكذلك يعرض عليها اسماء المرشحين للمناصب الكبرى » . ويقول محمد نجيب أنه رفض هذه الاقتراحات جميعها لانها — حسب قوله — تؤدى الى سيطرة الاخوان المسلمين على الحكم ، دون ان يتحملوا المسئولية . وانتهت هذه المفاوضات بالفشل (٢١٥) .

ونلاحظ ان رواية محمد نجيب تتفق تماما مع ما نعلمه عن سياسة الاخوان التى جرى شرحها فيما سلف ، والتى تقوم على معاداة عودة الوفد ، وايثار قيام دكتاتورية عادلة نظيفة — أى لحسابها — وعدم المشاركة فى الحكم علنا وايثار التحكم فيه من وراء ستار تحاشيا للمسئولية .

---

٢١٤ — محكمة الشعب : الجزء السادس ص ١٢٤٧ — ١٢٤٨ .
٢١٥ — محمد نجيب : المرجع المذكور ص ٢١١ — ٢١٢ .

على كل حال ، ففى تلك الظروف التى جرت فيها اتصالات محمد نجيب بالاخوان ، ابلغت المخابرات المصرية بعودة الاتصالات بين الاخوان والانجليز استنادا الى رؤية سيارة أوستن أمام منزل المستر كرزويل ، المفوض البريطانى، ببولاق الدكرور ، مرتين فى يوم ١٠ يناير ١٩٥٤ ، وكان حسن العشماوى يملك مثل هذه السيارة . وسواء أكان صحيحا هذا الاستنتاج من جانب المخابرات المصرية ، أم أن الصحيح هو رواية الاخوان عن أن هذه السيارة قد ثبت فيما بعد أنها لسكرتيرة المستر كرزويل ! (٢١٦) – فقد حسمت هذه المسألة الامر . فبعد ثلاثة أيام فقط ، أى فى يوم ١٤ يناير ١٩٥٤ ، صدر قرار مجلس قيادة الثورة باعتبار جماعة الاخوان المسلمين حزبا سياسيا يطبق عليها أمر مجلس قيادة الثورة الخاص بحل الاحزاب السياسية . وفى اليوم السابق ١٣ يناير ، كانت السيارات تقطع شوارع القاهرة تجمع الاخوان من بيوتهم ، وكانت القطارات قادمة من الاقاليم تحمل المعتقلين من الاخوان (٢١٧) .

وهكذا ، وكما دفع الاخوان فى ٨ديسمبر ١٩٤٨ ثمن مساندتهم لدكتاتورية القصر ، دفعوا فى ١٤ يناير ١٩٥٤ ثمن مساندتهم لدكتاتورية الثورة . انهم لم يتعلموا أن الاخطاء التى ترتكب فى حق الديموقراطية تنتقم من فاعليها ؟ .

---

٢١٦ – صالح أبو رقيق ، الحقيقة الكاملة فيما يدور عن الاخــــوان المسلمين والاسلحة والانجليز (الدعوة فى سبتمبر ١٩٧٦ ، العدد الثالث انظر بيان مجلس قيادة الثورة بحل جماعة الاخوان ، المرجع المذكور .

٢١٧ – حسن العشماوى ، المرجع المذكور ص ٣٩ .

الفصل السابع

الاخوان بين أزمتى فبراير ومارس ١٩٥٤

اصبح الاخوان المسلمون فى السجون مرة اخرى بعد خمس سنوات من حل جماعتهم الاول فى عام ١٩٤٨ . ولكن الانفجار الذى وقع فى مجلس قيادة الثورة بين اللواء محمد نجيب والضباط الصغار وعلى راسهم عبد الناصر ، أتاح لهم الفرصة ليلعبوا دورا جديدا .

ففى يوم ٢٣ فبراير كانت سلسلة التجاهلات والتحديات من جانب مجلس الثورة للواء محمد نجيب قد بلغت درجة من الاثارة دفعت اللواء الى تقديم استقالته ؛ وخرج من مقر القيادة تاركا الضباط يواجهون اخطر ازمة تهدد الثورة . وانقسم الراى فى المجلس الى قسمين : فبينما راى البعض قبول الاستقالة ، راى البعض الآخر الاقالة واعلان ذلك على الناس . وتغلب الراى الاول ، وقرر المجلس تعيين جمال عبد الناصر رئيسا لمجلس الوزراء ورئيسا لمجلس قيادة الثورة .

ولكن الموقف انفجر فى سلاح الفرسان عندما وصل اليهم نبأ تنحيه محمد نجيب ، وأصر الضباط على عودة محمد نجيب بلاسلطة كرئيس لجمهورية برلمانية . واضطر عبد الناصر الى الاذعان ، واوصى مجلس قيادة الثورة باسناد الوزارة الى خالد محيي الدين . وتوجه الاخير الى اللواء فى وفد بتكليف من مجلس الثورة ، واستطاع الحصول على موافقته على العودة على هذا الاساس .

ولكن نبأ تصفية الثورة صدم ضباط الصف الثانى من الضباط الاحرار فى الاسلحة الاخرى ، الذين تمتعوا بالسلطة وخشوا ان تفلت منهم مع انتصار محمد نجيب . واعطى اسناد الوزارة الى خالد محيي الدين المعروف بميوله الماركسية ، انطباعا بأن سلاح الفرسان قد دبر انقلابا شيوعيا . فاخذت أعداد هؤلاء الضباط تتوافد على مبنى القيادة بكوبرى القبة ليعلنوا تشبثهم بالثورة ، واتخذ الامر شكل مواجهة حادة بين سلاح الفرسان من جانب وبقية الاسلحة الاخرى من جانب آخر . وانقلبت كفة الميزان مرة أخرى لصالح الدكتاتورية ، وواجه خالد محيى الدين ومحمد نجيب الاعتداء والاعتقال .

على أن الجماهير ، التى خاب املها فى الثورة ، وثار سخطها ومرارتها لحكمها الدكتاتورى ، تحركت فى هذه اللحظات الحرجة لتقلب الموقف مرة اخرى فى اتجاه الديموقراطية . ففى الوقت الذى كان مجلس قيادة الثورة يناقش مصير اللواء محمد نجيب وخالد محيى الدين ، كانت جموع هائلة تتحرك من قواعد الاخوان المسلمين والوفد والحزب الاشتراكى ، تطالب بعودة محمد نجيب وسقوط الدكتاتورية ، وانطلقت الى ميدان عابدين تهتف : محمد نجيب أو الثورة ، الى السجن يا جمال ، الى السجن يا صلاح(سالم)

ولقد كانت هذه المظاهرات هى التى رآها صلاح سالم وهو يتوجه الى بيت أحد اصدقائه ليستريح عنده بضع ساعات تهيئا للعودة الى مجلس الثورة لاتخاذ قرار فى شأن محمد نجيب ، فعاد بسرعة الى عبد الناصر الذى كان قد حصل على تفويض من زملائه باتخاذ أى قرار قد تقتضيه الظروف اثناء غيابهم ، وابلغه بالحشود التى رآها فى ميدان عابدين ، وابدى رايه بضرورة عودة محمد نجيب ، فلم يحر عبد الناصر جوابا . وعندئذ قام صلاح سالم بوصفه وزيرا للارشاد القومى باذاعة بيان فى السادسة ، من مساء يوم ٢٧ فبراير ١٩٥٤ يعلن فيه عودة محمد نجيب . وفى اليوم التالى ، ٢٨ فبراير ، خرجت مظاهرات الابتهاج الى عابدين تطالب محمد نجيب بالافراج عن المعتقلين ولكنها اصطدمت اصطداما دمويا بالبوليس عند كوبرى قصر النيل ، واضطر محمد نجيب الى الاستعانة بعبد القادر عودة لتهدئة الجو وصرف المتظاهرين ، بعد أن وعد باجابة مطالب الجماهير (٢١٨) .

كانت تلك أول مظاهرات موالية للديموقراطية يشترك فيها الاخوان المسلمون فى تاريخ حياتهم السياسية . فأى دور لعبته قيادتهم فى هذه المظاهرات ، وأى دور لعبته قواعدهم ؟ .

بالنسبة لقيادات الاخوان السياسية ، وحتى نفهم حقيقة الدور الذى لعبوه ، ينبغى أن نعرف هذه الحقيقة ، وهى أن الثورة على الرغم من قيامها بحل الاخوان فى يوم ١٤ يناير ١٩٥٤ ، الا أن أملها فيهم لم ينقطع تماما . كما ان امل الاخوان فى الثورة لم ينقطع . لقد كان يجمع بين الفريقين عامل هام مشترك ، هو العداء للديموقراطية والاحزاب الليبرالية والشيوعية . وهى نفس العوامل التى كانت تجمع بينهم وبين فاروق قبل الثورة . فضلا عن أن الاخوان لم يكن لهم تحالفات جادة خارج حدودهم ، وبالتالى فان الخلافات التى وقعت بينهم وبين الثورة كانت من نوع الخلافات التى وقعت بينهم وبين حكومة السعديين والقصر فى عام ١٩٤٨ — أى الخلافات بين الحليفين حين يحس احدهما بأن قوة الآخر قد استفحلت الى حد بات يهدده بالخطر ، ولكن كلامنهما كان يحس بحاجته الى الآخر ، لانه ليس له حليف سواه .

هذا يفسر الموقف الذى وقفه عبد الناصر من الجماعة بعد اعلان حلها : فلم يعمل على تصفيتها ، وانما استمرت مجلة الدعوة فى الظهور ، ولميعتقل

---

٢١٨ — عبد العظيم رمضان : عبد الناصر وأزمة مارس ، الفصل السابع .

من الاخوان سوى ٤٥٠ فقط أفرج عن ٢٠ منهم فى الحال (٢١٩) . واما المسجونون فلم يتعرضوا للتنكيل الذى عرف به عهد عبد الناصر فيما بعد ؛ وعلى حد قول حسن العشماوى : « مرت الايام ، ولا أحد يسأل عنا ، ولا أحد يحقق معنا ، ولا يعكر صفونا شيء الا الشعور بأننا سجناء (٢٢٠) .

وأخذت اتجاهات عبد الناصر ازاء الجماعة تتكشف مع الوقت . فقد تركزت الحملة الصحفية التى أوعزت بها الحكومة ، على الهضيبى وانصاره ، واظهاره فى مظهر الخلف السيء لسلف صالح (٢٢١) . واتضح الغرض جليا حين انتهز عبد الناصر فرصة الذكرى الخامسة لاستشهاد البنا فى ١٢ فبراير ١٩٥٤ ، فزار قبره ومعه صلاح سالم والشيخ أحمد حسن الباقورى ، وخطب قائلا : « اشهد الله أنى أعمل ، وكنت أعمل لتنفيذ هذه المبادىء وأفنى فيها واجاهد فى سبيلها » (٢٢٢) .

وقد كان معنى ذلك بوضوح أن عبد الناصر كان يستهدف بالحل اسقاط مجموعة الهضيبى المناهضة للثورة ، وتغليب كفة الجناح المناهض للمرشد ، واعادة الجماعة تحت قيادة جديدة .

وفى هذا المناخ ، جرت المفاوضات بين عبد القادر عودة ، الذى اختارته الجماعة رئيسا لها بعد اعتقال الهضيبى ، وبين عبد الناصر لاعادة الجماعة من جديد (٢٢٣) . واشترط عبد الناصر ثلاثة شروط :

١ ــ الابتعاد عن النشاط السياسى .
٢ ــ ايقاف نشاط الاخوان داخل صفوف الجيش والبوليس .
٣ ــ حل التنظيم السرى (٢٢٤) .

---

٢١٩ ــ الجمهورية فى ١٥ يناير ١٩٥٤ نقلا عن ميتشيل : المرجع المذكور ص ٢٦٤ .
٢٢٠ ــ حسن العشماوى ، المرجع المذكور ص ٥٤ .
٢٢١ ــ ميتشيل : المرجع المذكور ص ٢٦٤ .
٢٢٢ ــ حمروش : المرجع المذكور ص ٣٠٥ .
٢٢٣ ــ محكمة الشعب : الجزء السابع ص ١٦٤٧ أقوال عبد القادر عوده .
٢٢٤ ــ محكمة الشعب : الكتاب الاول ، محاكمة محمود عبد اللطيف ص ٥٢ .

وقد كان عبد القادر عودة على استعداد للتفريط فى التنظيم السرى . ولكنه لم يكن على استعداد للتفريط فى النشاط السياسى . ويفهم مما ذكره أمام محكمة الشعب انه كان يسعى لاقناع عبد الناصر بابقاء هذا النشاط لصالح الثورة ، وأن محاولة تصفية هذا النشاط لن تكون مجدية ؛ ولذلك كان من رأيه ـ حسب قوله ـ التعجيل بعودة الجماعة ، « ليمكن توجيه الاخوان ، والاتصال بهم ، لأن عدم الاتصال بهم قد يجعل الاشاعات توجههم توجيها غير سليم » . ثم يقول : « وقد تكلمت معه فى هذا آخر مرة يوم أن كنا على قبر الشيخ حسن البنا . والرئيس جمال قال لى أنه مسافر بسرعة العرب بكرة ، فاتصلوا بالصاغ صلاح سالم ، واللى تتفقوا عليه انتم الاثنين انا امشيه لكم . فتقابلت معه فى وزارة الارشاد ، وابديت له الحجة فى اعادة الجماعة ، والسماح لى بالاتصال ، وعقد الاجتماعات العامة . فوافق على فكرتى من الناحية المنطقية وقال : انا حاثير هذه المسألة فى مجلس الثورة فى الاجتماع المقبل ، ولكن لا اضمن ان يأخذ الأغلبية . وفعلا اتصلت ببعض حضرات الاعضاء الذين يمكننى ان اتصل بهم ، وكان من الذين اتصلت بهم اللواء محمد نجيب ، فطلبت مقابلته فى ديوان رئيس الوزراء ، فقال : مافيش مانع عندى من اعادة الجماعة ، بس بشرط الا يكون الهضيبى على راسها. فقلت : ارجو ان يكون هذا شرطا تتركوه لنا ، ونحن قادرون على تحقيقه فيما بعد » (٢٢٥) .

يتضح من ذلك أن الاتفاق كان وشيكا بين الاخوان وعبد الناصر ، لولا الانفجار داخل مجلس قيادة الثورة بين محمد نجيب والضباط الصغار ، الذى فجر الشعور العام المضغوط ، ودفع الجماهير الى الشوارع يوم ٢٧ فبراير غاضبة مطالبة بسقوط الدكتاتورية .

فهل كان لقيادات الاخوان دور فى تدبير هذه المظاهرات ؟ ان العرض السابق للمفاوضات بين عبد القادر عودة وعبد الناصر ، يستبعد عبد القادر والقيادات السياسية للاخوان من تدبير هذه المظاهرات . وفى الحقيقة أن الاتصالات بين الطرفين ظلت قائمة الى يوم ٢٧ فبراير . فيذكر عبد القادر عودة أنه فى عصر يوم ٢٧ فبراير علم من اليوزباشى محمد نصير بما حدث فى مجلس الثورة ، « فاتصلت بجمال عبد الناصر فى بيته فقال : أحنا قدمنا استقالة والوزارة استقالت ، وعلمت من محرر فى المصرى أن الانجليز عند

---

٢٢٥ ـ محكمة الشعب : الجزء السابع ص ١٦٢٦ .

الكيلو ٥٥ ، وان الرئيس محمد نجيب بيعمل مشاورات علشان الحالة · وقال لى : تروح له دلوقت ربما يحتاج اليكم فى حاجة » · وفى يوم ٢٨ فبراير كان عندى قضية فى مجلس الدولة ، وخلصت منها ، ورحت المكتب ، فجانى واحد وقال ان فيه مظاهرة فى عابدين ، وأن المتظاهرين أطلقوا النار فى قصر النيل ، وان الاخوان عاملين هيصة . فقلت له : روح شوف المسئول من الاخوان ، وخلوه يصرفهم · فقابل شخص اسمه كمال السنانيرى ··· ولكن الاخوان مارضيوش ينصرفوا · فاتصل بى وقال لى : اعمل معروف تعال اصرفهم ··· وذهبت لفض المظاهرة ، فوجدتهم يقولون ان اللواء محمـد نجيب سيتكلم اليه (٢٢٦) .

واذا كانت القيادات السياسية مستبعدة من تدبير هذه المظاهرات ،فهل قام التنظيم السرى بتدبيرها ؟ · فى الواقع أن التنظيم السرى كان له مـن الاسباب مايدفعه للعمل ضد الثورة . فقد كان حله مطلبا من المطالب الاساسية لعبد الناصر كما رأينا لاعادة الجماعة الى الشرعية . ومن الثابت من مذكرات عبد اللطيف البغدادى أن معلومات كانت قد وصلت فى اليوم السابق بـأن الاوامر قد صـدرت الى الاخوان بالاستعداد للخـروج فى مظـاهرة مسلحة » (٢٢٧) . على أن هذه الاوامر التى وصلت الى علم مجلس الثورة تتصل ، دون ريب ، بمظاهرات يوم ٢٨ فبراير ، وليس بمظـاهرات اليـوم السابق ، التى فاجأت مجلس قيادة الثورة ـ كما ذكرنا ـ وأجبرته على اعلان عودة محمـد نجيب · ونحن نرى أن التنظيم السرى كان له دور فى هـذه المظاهرات الاخيرة دون ريب ، فان كمال السنانيرى الذى أشار اليه عبد القادر عودة فى كلمته السابقة كان رئيس فصيلة فى التنظيم السرى (٢٢٨) ، ولكن دور التنظيم فى تدبير مظاهرات يوم ٢٧ فبراير لا دليل يقينى عليه ، وان كان غير مستبعد · فمن الثابت أن عبد القادر عوده لم يكن له صلة بهذا التنظيم ؛ وكان من أنصـار فكرة حله ، على أسـاس أنه يؤدى الى وجود قيادتين فى الجماعة (٢٢٩) · وفى هذه الحالة يكون الجهاز ، أو من بقى خارج السجن من أفراد الجهـاز ، قد تصرفوا على مسـئوليتهم الخاصة ، دون أوامر من عبد القادر عوده ، الذى كان يشرف وقتها على الجماعة بدلا من الهضيبى ·

---

٢٢٦ ـ نفس المصدر ص ١٦٢٧ ·
٢٢٧ ـ مذكرات عبد اللطيف البغدادى ص ١١١ ـ ١١٢ ·
٢٢٨ ـ محكمة الشعب : الجزء الثانى شهادة ابراهيم الطيب ·
٢٢٩ ـ نفس المصدر : الجزء السابع ص ١٦٠٠ ـ ١٦١٤ ·

وأغلب الظن أن مظاهرات ٢٧ فبراير كانت بوحى القواعد الشـــعبية لجماعة الاخوان المسلمين والوفد وبعض أجنحة من الحزب الاشـــتراكى ، وهى نفس العناصر التى اشتركت فى مظاهرات اليوم التالى ابتهاجا بانتصارها وعودة محمد نجيب ، بالنسب الآتية التى تمثلها أعداد المقبوض عليهم وهى : ٤٥ من الاخوان المسلمين ، و ٢٠ من الحزب الاشتراكى المنحل ، و ٥ من الوفديين ، ٤٢ آخرين طبقا لما أعلنته البيانات الرسمية (٢٣٠)

على أنه منذ يوم ٢٨ فبراير يبدأ دور جديد لعبد القادر عودة . فقـــد توجه الى المظاهرة التى يزخر بها ميدان عابدين لفضها بناء على استدعاء كمال السنانيرى ، ولكن وجوده وسط الجماهير اشعل حماسها ، كما ان حماس المتظاهرين اشعل حماسه! ، فاذا به فوق أكتاف الجماهير! . وقد كان هذا هو الوضع الذى وجده عليه محمد نجيب حين خرج الى شرفة القصر ، فكتب فى مذكراته يقول : « كانت هتافات الاحتجاج على الأعداء تتصاعد ، فطلبت من عبد القادر عودة ، احد أقطاب الأخوان ، والذى كان محمولا على الأكتاف ، أن يصعد الى الشرفة . وقد ساعد ذلك على تهدئة الجـــو وانصراف المتظاهرين ، بعد ان أخبرتهم بأنى أمرت النيابة بالتحقيـــــق فى الحوادث التى وقعت » (٢٣١) .

ولكن فى اثناء محاكمة عبد القادر عودة أمام محكمة الشعب ، تكشف النيابة عن الخطبـــة التى القاها عبد القادر عودة فى المتظاهرين من شرفة القصر . فيذكر أنه خطب فى الجماهير قائلا : « حدث اليوم ان اطلق الرصاص على طلبة الجامعة ، وهو مظهر من مظاهر الدكتاتورية . ان الاسلام وراء القضبان ، وان المسلمين معتقلين ومسجونين ، فافرجوا عنهم » .

وتثير هذه العبارة اشجان رئيس المحكمـــة جمال سالم . فيخاطب النيابة قائلا : « أنا حافظها من يوم ٢٨ فبراير ! ، حافظها ، وموش مضـــطر انى اسمع كلامه ! » (٢٣٢) .

على هذا النحو ، وبفضل الروح الثورية التى انتقلت من الجماهير الى عبد القادر عودة ، انتقل فجأة من موقع التعاون مع عبد الناصر الى موقع

---

٢٣٠ ـــ الاهرام فى ٣ مارس ١٩٥٤ .
٢٣١ ـــ محمد نجيب : كلمتى للتاريخ ص ١٩٦ ـــ ١٩٧ .
٢٣٢ ـــ محكمة الشعب : الجزء السابع ص ١٦٤٩ .

التأييد لمحمد نجيب ، ويقول عبد اللطيف البغدادى : « علمنا ونحن فى اجتماع مجلس الوزراء بأن عبد القادر عودة ، وهو احد زعماء الاخوان المسلمين ، كان يخطب أيضا فى تلك الجماهير هو ومحمد مالك من الاخوان كذلك ، وكانا يهاجمان جمال عبد الناصر فى خطابيهما » (٢٣٣) . وكان على عبد القادر عودة أن يدفع الثمن غاليا ، ففى مساء اليوم نفسه اعتقل ومعه خمسة واربعون من الاخوان المسلمين ، ووقفوا على أرجلهم فى السجن الحربى من الرابعة صباحا حتى السابعة ، يضربهم ضباط السجن وعساكره فى وحشية » (٢٣٤) .

● الاخوان وأحداث مارس ١٩٥٤ ●

على كل حال ، فقد أصبحت معظم قيادات الاخوان الآن داخل السجون ، وبذلك انعزلت عن الأحداث التالية التى وقعت فى مارس ، ولم تشارك فى النضال التاريخي الذى خاضته القوى الديموقراطية والتقدمية ضد الدكتاتورية . وفى يوم ٢٥ مارس كان هذا النضال الشعبى قد أجبر مجلس قيادة الثورة على اتخاذ قراراته المشهورة بالسماح بقيام الاحزاب ، وانتخاب جمعية تأسيسية انتخابا مباشرا حرا تكون لها السيادة الكاملة والسلطة الكاملة وتكون لها سلطة البرلمان كاملة ، وتكون الانتخابات حرة ، وحل مجلس قيادة الثورة يوم ٢٤ يوليو ١٩٥٤ باعتبار الثورة قد انتهت ، وتسلم البلاد لممثلى الامة ، وتنتخب الجمعية التأسيسية رئيس الجمهورية بمجرد انعقادها (٢٣٥) .

وعندئذ تهيأت الفرصة للأخوان للانضمام بكل قوتهم الى الجماهير الديموقراطية والاجهاز على الدكتاتورية . فقد جرى التسابق بين عبد الناصر ومحمد نجيب على كسب تاييدهم ، وطبقا لما أورده صالح أبو رقيق . فان عبد الناصر أرسل اليهم فى السجن الحربى وفدا مكونا من الأستاذ محمد احمد والمرحوم فؤاد جلال ، الذى ولى وزارة الشئون الاجتماعية فى حكومة محمد نجيب وبعدها وزارة الارشاد القومى فى تعديل ٩ ديسمبر ١٩٥٢ ، والمرحوم محيى الدين أبو العز « للتفاهم معنا على تعاون بيننا وبينه من أجل الصالح الوطنى . وقلنا لهم : « كيف ذلك وقد أصدرت الحكومة بيانا تتهمنا

---

٢٣٣ ــ مذكرات عبد اللطيف البغدادى ص ١٩٦ ــ ١٩٧ .
٢٣٤ ــ الدعوة عدد أغسطس ١٩٧٦ .
٢٣٥ ــ المصرى فى ٢٦ مارس ١٩٥٤ .

بمؤامرة وباتصالات كاذبة وبحيازة اسلحة للتآمر بعزبة حسن العشماوى ، مع انها أسلحة عبد الناصر نقلناها بطلب منه من مكاتب فى الثكنـــات لرفع الحرج عنه ، ووضعناها فى عزبة حسن العشماوى بعلم وبرأى منه . فكيف نخرج فى ظل اتهامات ، الحكومة ادرى الناس ببطلانها وكذبها ؟ . وعرض الاستاذ محمد احمد الامر على عبد الناصر ، فاقترح أن يزور المرشد فى بيته ومعه كل الاخوة الذين جاء ذكرهم فى بيانات الحكومة ، وذلك بمجرد خروج المرشد فورا الى بيته . وحرصا على المصلحة قلنا : « لا مانع » نتهم بالأمس بالخيانة ، ونطالب اليوم بمد ايدينا تعاونا وباسم المصلحة العامة » . وفعلا وصل السيد جمال عبد الناصر ومعه السيد صلاح سالم الى بيت المرشـــد بعد خروجه من المعتقل ، ونقلت الاذاعة والصحف أخبار هذه الجلســة » (٢٣٦) .

يتضح من ذلك أن شروط الأخوان كانت قاصرة على اطلاق الحرية لهم ورد اعتبارهم ، دون اية شروط اخرى تتصل بعودة الديموقراطية . وقـــد أوردت جريدة المصرى اسس الاتفاق الذى تم بين الأخوان وعبد الناصر فى السجن الحربى ، بما لا يخرج كثيرا عما ذكره صالح ابو رقيق ، وهى :

١ ـ تعود الجماعة الى سابق نشاطها وكيانها بدون اى حـــد من حرياتها ، واعادة أموالها المصادرة ، وشعبها ، ومركزها العام .

٢ ـ الافراج فورا عن جميع المعتقلين من الاخوان المسلمين ، مدنيين وعسكريين ، مع اعادة من فصل منهم الى الخدمة العسكرية .

٣ ـ أن يصدر مجلس قيادة الثورة بيانا يوضـــح فيه حقيقة الأسباب التى اعتبرها داعية الى حل الاخوان . ويكون هذا البيان نهاية فصـــل الختام فى هذه المسألة المؤسفة .

وقد سارع عبد الناصر بعد الافراج عن الهضيبى الى زيارته بمنـــزله بعد منتصف الليل ، وصرح الهضيبى بأن الاخوان المسلمين سيكونون «عونا للحكومة » على الانجليز ورد اعتداءاتهم (٢٣٧) .

على هذا النحو يكون عبد الناصر قد سبق اللواء محمـــد نجيب الى الأخوان . وقد ادرك الاخير هذه الحقيقة حين اراد الاتصال تليفونيا بحسن

---

٢٣٦ ـــ صالح أبو رقيق : الحقيقة كاملة ٠٠ الخ ٠ (الدعـــوة عدد سبتمبر ١٩٧٦) ٠

٢٣٧ ـــ المصرى فى ٢٥ مارس ١٩٥٤ ٠

الهضيبى فى بيته ، فقيل له أنه « فى الحمام » . وكان يتوقع أن يرد الهضيبى على اتصاله ليشكره على سؤاله عنه ، ولكن الهضيبى تجاهل هذا الامر تجاهلا تاما . ويقول اللواء نجيب : « هنا وضح لى تماما أن جمال عبد الناصر قد اختار فى هذه المرحلة ان يمضى فى طريق الأخوان المسلمين ، وانه اشترى صمتهم باعادة جماعتهم ، وقد اغراهم ذلك على التهادن كفرصة انتهازية للقضاء تماما على فكرة عودة الاحزاب والحياة البرلمانية ، ثم الانفراد بالسلطة . وهم لا يدرون ان هذه المهادنة كانت موقفا تكتيكيا لضمان سكوتهم فى محاولة القضاء على الديموقراطية وعلى شخصيا ، ثم تعد خطة جديدة للانقضاض عليهم بعد ذلك » (٢٣٨) .

على ان محمد نجيب لم ييأس ، فقد عاود الاتصال مرة أخرى تحت تاثير قائد حرسه محمد رياض . ويقول : « اقترح محمد رياض الاتصال بالاخوان المسلمين الذين وقفوا بجانبى عند استقالتى . فحذرته من ذلك لفقدانى الثقة فى اتجاه بعض زعماء الاخوان ومعارضتهم قيام الأحزاب والحياة البرلمانية . وعاد الى محمد رياض فى اليوم التالى يبلغنى أنه أرسل رسولا الى حسن الهضيبى ، هو رياض سامى الذى أصبح بعد ذلك سفيرا لمصر فى احدى الدول الافريقية ، يستفسر عن حقيقة موقف جماعة الاخوان المسلمين ، واستعدادهم للخروج فى مظاهرات شعبية عند الضرورة . وقال حسن الهضيبى انهم لم يتدبروا أمرهم بعد ، وأنهم يفضلون الانتظار والهدوء حتى يتم الافراج عن كافة المعتقلين » (٢٣٩) .

وواضح أن الاخوان فى هذا الموقف كانوا يراهنون على حصانهم المفضل وهو الدكتاتورية ، مدفوعين فى ذلك بكراهيتهم للوفد والحياة الليبرالية . ولم يخف الهضيبى ذلك ، بل أعلنه بصراحة تامة فى المؤتمر الكبير الذى عقدته الجماعة عقب الافراج يوم ٣٠ مارس ١٩٥٤ قائلا :

« لقد ظهر راى ينادى بعودة الأحزاب القديمة الى الوجود مرة اخرى . وانى لفى عجب شديد من هذه الجراة وهذا المنطق . ان الأحزاب والهيئات النيابية السابقة عانت منها الدولة اشد العناء . فقد كان والدهم الفساد والمحسوبية ، وتفشى فيهم حب الذات ، فلم يكن عملهم لوجه الله ، ولكن كان عملا لوجه الشيطان . أنهم ان شخصا ينادى بعودة الحياة

---

٢٣٨ ــ محمد نجيب : المرجع المذكور ص ٢١٤ .
٢٣٩ ــ نفس المصدر .

النيابية ، ولكن لا ينادي بعودة الأحزاب القديمة كي تباشر مهامها . فنحن اذ نطالب بالحياة النيابية فانما نطالب بحياة نيابية نظيفة سليمة مكفولـــة فى ظلها حرية الصحافة وحرية الاجتماع وحرية القول » (٢٤٠) .

ولم يتمكن احد فى ذلك الحين من ان يسأل الهضيبي هــذا السؤال : كيف يمكن بناء حياة نيابية نظيفة ســـــليمة اذا كان الحكم على الأحزاب القديمة ينزع من يد الشعب ويوضع فى يد هيئة مخاصمة لها مثل جمـــاعة الأخوان ؟ . واذا كان فى وسع هيئة حزبية مثل الأخوان سلب هذا الحق من الشعب وفرض وصاية عليه بالتحالف مع العناصر الدكتاتورية فى ثورة ٢٣ يوليو ، الا تكون تلك هى الدكتاتورية الطاغية الباغيـــة الشريرة التى تحدث عنها سيد قطب ونسبها الى فاروق ؟ . واذا كان الســـجن الحربى الذى عاش فيه الأخوان شهرين كاملين لم ينزع أوهام قيادات الاخوان فى امكان قيام دكتاتورية عادلة نظيفة تحت اسم حيـــاة نيابية نظيفة ، فهـــل يلومون الا أنفسهم اذا قدر عليهم ان يدخلوا السجن بعد عدة اشهر لسنوات أطـــــول ؟ .

الفصل الثامن

عودة الصراع بين الاخوان والثورة

انتهت ازمة مارس بسلسلة من الاضرابات والاعتصامات السلطوية المدبرة ، التى قامت بها الطبقة العاملة بالدرجة الاولى ، وخاضعت غمارها كشريك لا أداة . وانهال عبد الناصر بالقمع والتصفية على كافة القوى الديموقراطية التقدمية التى خاضت ضده غمار الصراع . فضرب الصحافة باسم تطهير الصحافة ، وقام بحل مجلس نقابة الصحفيين بحجة أن سبعة من أعضائه البالغ عددهم اثنى عشر عضوا تقاضوا مبالغ من المصروفات السرية فى العهد الملكى . ولم يذكر فى قرار الحل بطبيعة الحال لماذا ترك هؤلاء دون اجراء طوال الفترة السابقة منذ ثورة ٢٣ يوليو ! . كما اصدر قرارا بحرمان السياسيين الوفديين والاحرار الدستوريين والسعديين الذين تولوا الوزارة فى السنوات العشر السابقة على الثورة من ٦ فبراير ١٩٤٢ الى ٢٣ يوليو ١٩٥٢،من كافة الحقوق السياسية وتولى الوظائف العامة وتولى مجالس ادارة النقابات والهيئات . واستدار الى الجامعة ، فمنح سلطات للمسئولين فيها لضمان انتظام الدراسة فيها، وجرى الفصل والتنكيل بأساتذة الجامعات الذين اشتركوا فى النضال من اجل الديموقراطية اثناء الازمة (٢٤١) .

وهكذا لم يبق فى الساحة السياسية سوى الاخوان المسلمين . وطبقا لطبيعة الاشياء فى مثل هذه النظم الدكتاتورية ، فان الصدام بين الطرفين كان مسألة وقت .

ويتضح من المعلومات التى بين ايدينا أن أول صدام بين الفريقين كان حول المعتقلين . فقد ذكرنا أن النقطة الثانية من نقاط الاتفاق بين عبد الناصر والجماعة فى السجن الحربى كانت تتضمن « الافراج فورا عن جميع المعتقلين من الاخوان المسلمين ، مدنيين وعسكريين ، مع اعادة من فصل منهم الى الخدمة العسكرية » . وقد أفرج عبد الناصر عن الاخوان المدنيين ، أما العسكريين فقد ماطل فى الافراج عنهم . وكان على رأس هؤلاء رؤساء الجهاز السرى الاخوانى فى الجيش ، وهم : البكباشى أركان حرب أبو المكارم عبد الحى ، وقائد اللواء الجوى عبد المنعم عبد الرءوف ، والصاغ أركان حرب حسين حمودة ، والصاغ اركان حرب معروف الحضرى (٢٤٢) .

وكان هؤلاء الضباط قد قبض عليهم فى أوائل مارس . وكانت وجهة نظر الحكومة فى عدم تنفيذ هذا الشرط ، أن عدم محاكمة هؤلاء الضباط ،

---

٢٤١ — عبد العظيم رمضان : المرجع المذكور .
٢٤٢ — المصرى فى ٢٧ مارس ١٩٥٤ .

وعودتهم الى الخدمة العسكرية ، من شأنه ان يؤدى الى اتاحة الفرصة لهم لاعادة التشكيلات فى الجيش . وكانت تعتبر الحاح الجماعة فى المطالبة بالافراج عن هؤلاء الضباط واعادتهم الى وظائفهم العسكرية ، واعتبارها هذا الاجراء شرطا للتعاون بينها وبين الحكومة ، علامة على رغبتها فى تعزيز الجهاز السرى وتقويته (٢٤٣) . وقد الفت الجماعة لجنة للالتقاء برجال الحكومة والتفاهم معهم على هذه المسائل ، ولكنها وجدت اعراضا (٢٤٤).

ولم تلبث الثورة أن قدمت الضابط عبد المنعم عبد الرءوف الى المحاكمة. وقد طلب من هيئة المحكمة العسكرية استدعاء محمد نجيب وعبد الناصر كشهود دفاع . ولكن المحكمة رفضت طلبه ، فأعد خطة للهرب من سجنه ، ونفذها بنجاح (٢٤٥) . وقد قدر لهذا الضابط أن يلعب دورا هاما فى تطوير الجهاز السرى ، مما سنتناوله فى حينه .

كانت المسألة الثانية التى وقع حولها الخلاف وأوجدت الشك فى نفوس الجماعة ، خاصة بالبند الثالث من بنود الاتفاق الذى تم فى السجن الحربى ، وهو الذى ينص على ان « يصدر مجلس قيادة الثورة بيانا يوضح فيه حقيقة الاسباب التى اعتبرها داعية الى حل الاخوان » . وكانت أهمية اصدار هذا البيان جسيمة للجماعة ، لانه يعد بمثابة اعلان حسن نوايا من جانب عبد الناصر ، اذ يقطع عليه الطريق لضربة جديدة يوجهها للاخوان على نفس أسباب الحل القديمة . وقد ماطل عبد الناصر فى اصدار هذا البيان ، مما كان يعنى أنه يدخر الاسباب القديمة لضربة جديدة .

وكما هى العادة فى مثل هذه الظروف ، حين يتبين أحد الشركاء فى النظام الدكتاتورى أنه لا يسير لصالحه ، فيتذكر على الفور مزايا الديمقراطية ، فان المرشد العام حسن الهضيبى سارع فى يوم ٤ مايو الى ارسال خطاب الى عبد الناصر بهذا المعنى . فقد اشار فيه أولا الى أسس الاتفاق الذى تم بينهما على بدء عهد جديد من التعاون ، « وقد سلمتم

---

٢٤٣ ـ محكمة الشعب ، الجزء السادس ص ١٣٨٦ ، الجزء السابع ص ١٥٣٣ .

٢٤٤ ـ خطاب من حسن الهضيبى الى الاخوان المسلمين يوم ٩ سبتمبر ١٩٥٤ (انظر الدعوة فبراير ١٩٧٧) .

٢٤٥ ـ ميتشيل : المرجع المذكور ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥ .

يومئذ بوجوب الغاء قرار حل جماعة الاخوان المسلمين ، وبالافراج عن جميع المعتقلين ، وبرفع الاثر الذى ترتب على بيان الحل رفعا صريحا يغنينا عن التعرض لمناقشة البيان » . وقال : « وبصرف النظر عن أن هذه المسائل الخاصة بالجماعة لم ينته الرأى فيها الى ما اتفق عليه ، فان مصلحة الوطن تقتضينا أن نبذل لكم من رأينا فى مشاكله ما نرى أنه يدعو الى اطمئنان الناس ويحقق الاستقرار » . وطالب الهضيبى بثلاثة مطالب هى :

١ ـ اعادة الحياة النيابية ، باعتبار أنها « الاساس السليم لكل حكم فى العصر الحاضر ، والامة لا تتعلم بالغاء الحياة النيابية فى فترة الانتقال ، وأنما تتعلم بممارسة الحياة النيابية بالفعل » .

٢ ـ الغاء الاجراءات الاستثنائية والاحكام العرفية .

٣ ـ اطلاق الحريات ، وخصوصا حرية الصحافة ، وحريات المعتقلين وبعض المحكوم عليهم من المحاكم الاستثنائية (٢٤٦) . وقد وجد هذا الخطاب طريقه الى الشارع المصرى فى شكل منشور (٢٤٧) ، مما كان يعنى عودة الصراع العلنى .

على أن عبد الناصر كان يواجه الاخوان بأنهم اذا كانوا مخلصين فى دعوتهم الى الحكم الديموقراطى ، فعليهم أولا حل جهازهم السرى الذى يتنافى وجوده مع النظم الديموقراطية (٢٤٨) . بل أن مطالبة الاخوان بالديموقراطية كانت محل سخرية واستنكار ، نظرا لان نظامهم الداخلى كان يقوم على أسس دكتاتورية بحتة ، فقد كانت هيئتهم التأسيسية ، وهى برلمان الجماعة ، قائمة على التعيين وليس الانتخاب ، وكان جزء من مكتب الارشاد، المنبثق من الهيئة التأسيسية ، بالتعيين ، وفى الوقت نفسه لم يكن رأيه ملزما للمرشد ، الذى كان فى امكانه الاخذ به أو تركه ، كما كان فى امكانه اتخاذ أى قرار دون الرجوع الى مكتب الارشاد (٢٤٩) . واذا كان الامر

---

٢٤٦ ـ خطاب من حسن الهضيبى المرشد العام للاخوان المسلمين الى جمال عبد الناصر فى ٤ مايو ١٩٥٤ (انظر الدعوة عدد يناير ١٩٧٧) .

٢٤٧ ـ ميتشيل : المرجع المذكور ص ٢٧٦ .

٢٤٨ ـ محكمة الشعب ، الجزء الثالث شهادة محمد خميس حميدة ص ٦٢٦ ـ ٦٢٨ .

٢٤٩ ـ نفس المصدر ص ٦١٩ ـ ٦٢٠ .

كذلك فان جماعة الاخوان آخر من يصلح للمطالبة بالديموقراطية فى رأى عبد الناصر .

ولم تلبث الخلافات أن دبت داخل الجماعة بالنسبة للموقف من الثورة، وقسمتها الى ثلاثة أقسام :

قسم على رأسه البهى الخولى ، ويرى الاستمرار فى تأييد الثورة .

وقسم على رأسه الهضيبى ، ويرى أنه لا يمكن التعاون مع الثورة ، ولن يمكن التوصل الى تعاون معها .

وقسم ثالث يحاول التوفيق بين الاتجاهين ، وعلى رأسه محمد خميس حميدة ، وكيل الاخوان (٢٥٠) .

ويمكن القول أن الهضيبى كان قد فقد ثقته تماما فى الثورة ، بعد ان اخلف عبد الناصر وعوده التى قدمها له فى السجن الحربى فيما يختص بكل من الافراج عن العسكريين واصدار بيان يبرىء ساحة الاخوان من التهم التى تضمنها قرار الحل . ولذا يذكر محمد خميس حميدة عنه أنه كان يرى أنه « موش ممكن أن نصل الى تفاهم » ، و « موش عاوز تعاون مع الحكومة » (٢٥١) .

وعندما اشتد الخلاف فى الجماعة ، رأى الهضيبى أن يقوم برحلة الى البلاد العربية ، يفسح فيها السبيل لانتصار التفاهم مع الثورة . وفى ذلك يقول : « أنا رحت علشان قيل ان الاخوان عايزين يتفقوا مع الحكومة ، ويظن انى واقف عقبة فى سبيل الاتفاق . قلت لهم : أنا ماشى ، وانتم تعرفوا شغلكم » (٢٥٢) . على ان الهضيبى يدعى أنه كان يرى أنه « لا يجد سببا للخلاف مع الحكومة » . وهو أمر غير معقول ويتناقض مع قوله السابق ، فلو كان صحيحا أنه لم يكن يجد سببا للخلاف مع الحكومة ، لما اعتبر بحال عقبة فى سبيل الاتفاق ، ولما وجد نفسه فى حاجة الى السفر ليفسح الطريق للاتفاق .

---

٢٥٠ — محكمة الشعب : الجزء الاول ، شهادة هنداوى دوير ص ٢٤ ، الجزء الخامس ، شهادة محمد فرغلى ص ١١٠٦ .

٢٥١ — محكمة الشعب : الجزء الخامس شهادة محمد فرغلى ص ١١٠٥ — ١١٠٧ .

٢٥٢ — محكمة الشعب : الجزء الرابع ص ٨٣٥ .

على كل حال ، فان سفر الهضيبى قد افسح السبيل بالفعل لفريق محمد خميس حميدة للسعى الى تفاهم مع الثورة . وكان محمد خميس حميدة قد تولى الاشراف على الجماعة بعد سفر المرشد باعتباره وكيل الاخوان . ففى نفس الشهر الذى غادر فيه الهضيبى مصر ، يونية ١٩٥٤ ، توجه محمد خميس حميدة ومعه عبد الرحمن البنا لمقابلة عبد الناصر ، للتباحث معـــه فيما اسماه « الامور المعلقة » ، ويقصد بها : قرار الحل ، ومشكلة ضباط الجيش والافراج عنهم ، وضباط البوليس وعودتهم للخدمة » . وقـــد رد عبد الناصر بأنه لا يمكن اقامة حكومة ديموقراطية مع وجود أجهزة سرية ترهب المواطنين وترهب الحكومة وترهب الرياسات القائمة عليها ، ومن ثم فلابد من حل هذه الاجهزة . واذا كان الاخوان يريدون اثبات حســـن نيتهم ، فهذا يأتى على ثلاث خطوات : تهادن فتفاهم فتعاون . ووعد بارسال خطاب بالغاء الحل ، والتصرف فى مسألة الضباط . ويقول محمـــد خميس حميدة : « خرجنا من عند الرئيس باستعداد كامـــل بأن نســـير بهذا الوضع: تهادن فتفاهم ثم تعاون وبدأنا نخطو خطوات فى هذا السبيل ، وكانت فرصة ان المرشد غائب فى سوريا » (٢٥٣) .

على انه فى يوم ٢٧ يوليو وقع عبد الناصر مع الانجليز بالاحرف الاولى المبادىء الرئيسية لاتفاقية الجلاء ، ولم يكن حتى ذلك الحين قد بر بوعـــده فى تنفيذ بنود اتفاق السجن الحربى ، فكانت تلك هى الفرصة التى ســـنحت للاخوان لتحويل الصراع بينهم وبينه الى قضية وطنية . فقد اعلن الهضيبى من سوريا رفضه للاسس التى بنيت عليها الاتفاقية ، مؤكدا أن « أية اتفاقية بين مصر وحكومة اجنبية ، ينبغى أن تعرض على برلمان منتخب بارادة حرة بحيث تمثل ارادة الشعب المصرى ، وعلى صحافة متحررة من الرقابة وتملك حرية المناقشة » . وقد نشرت جريدة الهدف البيروتية هذا التعليق يوم ٣١ يوليو ١٩٥٤ (٢٥٤) .

وهكذا استعار الهضيبى تكتيك الوفد النضالى الذى استخدمه عام ١٩٣٠ لايقاف مشروع محمد محمود ــ هندرسون ، حين رفض النحاس ابداء

---

٢٥٣ ــ محكمة الشعب : الجزء الثالث ، شهادة محمد خميس حميدة ص ٦٢٦ ــ ٦٢٨ .

٢٥٤ ــ الهدف البيروتيـــة فى ٢١ يوليـــو ١٩٥٤ نقـــلا عن ميتشيل ص ٢٧٨ ــ ٢٧٩ .

رأيه فى المشروع « الا تحت قبة البرلمان المنتخب انتخابا صحيحا » (٢٥٥) . على أن الاخوان ــ فى الحقيقة ــ كانوا آخر من يدينون مثل هذه الاتفاقية بين عبد الناصر وانجلترا ، لانه سبق لهم أن قبلوا الاسس التى قامت عليها أثناء مفاوضاتهم مع ايفانز . ولذلك حين ركز الهضيبى هجومه بعد ذلك على أن الاتفاقية قد اعطت للانجليز حقا فى العودة الى القناة ، واعترفت للانجليز بقناة السويس كقاعدة عسكرية يديرها عسكريون فى شكل مدنيين ، وربطت مصر والدول العربية بالمعسكر الغربى ــ اعتبر عبد الناصر هذا الهجوم عملا من أعمال التضليل للرأى العام ، وأخذ يتصرف على هذا الاساس ، فأخذ فى مصادرة نشاط الجماعة بكل الوانه ، واعتقل خطباء المساجد الذين هاجموا الاتفاقية ، وجرى تفتيش بيوت الاخوان ، واعتقال بعضهم . وبذلك دخلت العلاقة بين الفريقين فى شكل صدام يتربص فيه كل منهما بالآخر ، وبلغت الامور ذروتها حين عاد الهضيبى من سوريا يوم ٢٢ اغسطس ، وحضر اجتماعا غاضبا للاخوان فى لقاء الثلاثاء الاسبوعى ، ارتفعت فيه صيحات تنادى : « الموت للخونة » (٢٥٦) . وتلا ذلك مهاجمة بيت المرشد أثناء غيابه ، ثم أختفاؤه فى بيت بمصر الجديدة كان قد سبقه اليه حسن العشماوى وبعض زملائه ، وعمد كثيرون آخرون من الاخوان الى الاختفاء فى أماكن متفرقة ، ومنذ ذلك الحين انتقل نشاط الاخوان الرئيسى من العلانية الى السرية ، وتحولت الجماعة الى جهاز سرى كبير .

---

٢٥٥ ــ انظر عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية فى مصر ١٩١٨ ــ ١٩٣٦ ص ٧٠٥ .

٢٥٦ ــ ميتشيل : المرجع المذكور .

الفصل التاسع

التشكيل الجديد للتنظيم السرى

فى ذلك الحين ، كان التنظيم السرى تحت قيادة يوسف طلعت قد تعرض لتغييرات وتطورات هامة . وكان يوسف طلعت قبل توليه رئاسة الجهاز يعد من الاعضاء المعروفين من قديم عند الشيخ حسن البنا ، وكان يتولى — باعترافه — رئاسة النظام السرى فى الاسماعيلية (٢٥٧) ، كما كان على صلة وطيدة بالهضيبى — على الرغم من أن الاخير قد انكر امام محكمة الشعب معرفته به (٢٥٨) . فقد سعى كما يقول محمد فرغلى — لاختيار الهضيبى مرشدا ، وسافر الى الاسكندرية أكثر من مرة لاقناعه بقبول المنصب ، كما سعى لدى كثير من الاخوان ليطلبوا ترشيحه لمنصب المرشد (٢٥٩) . مع ذلك عندما أراد الهضيبى تعيينه لرئاسة الجهاز السرى ، استشار محمد فرغلى رئيس منطقة الاسماعيلية ، التى كان يوسف طلعت رئيسا لجهازها السرى ، فوافق (٢٦٠) . كما استشار آخرين وعلى رأسهم محمد خميس حميدة ، وكيل الاخوان ، فوافق على اعتبار أن يوسف طلعت « كان من اللى راحوا فلسطين ، ومعروف فى الاخوان ، ومعروف فى النظام (الخاص) (٢٦١) .

ومعنى ذلك بوضوح أن مكتب الارشاد لم يكن بعيد الصلة عن تعيين يوسف طلعت ، وانما أخذ رأيه فى تعيينه . وفى ذلك يقول الهضيبى : « لما جبنا يوسف طلعت ، جبناه على اتفاق بيننا وبين مكتب الارشاد » (٢٦٢) . على ان هذا الكلام لا يجب أن يكون معناه أن مكتب الارشاد كان يملك الحق فى تعيين يوسف طلعت ، فقد كان تعيين رئيس الجهاز من حق المرشد وحده — كما يقول محمد خميس حميدة — (٢٦٣) . واغلب الظن ان ظروف فصل عبد الرحمن السندى ورفاقه فى اعقاب حادث مصرع المهندس السيد فايز ،

---

٢٥٧ — محكمة الشعب : الجزء السادس ، شهادة يوسف طلعت ص ١٣١٥ .

٢٥٨ — محكمة الشعب : الجزء الرابع ، شهادة حسن الهضيبى ص ٧٩٣ .

٢٦٠ — نفس المصدر ص ١١٢٣ .

٢٦١ — نفس المصدر : شهادة محمد خميس حميدة ص ١٠٤١ .

٢٦٢ — محكمة الشعب : الجزء السابع ، شهادة حسن الهضيبى ص ١٤٤٥ .

٢٦٣ — محكمة الشعب ، الجزء الخامس ، شهادة محمد خميس حميدة ص ١٠٧٣ .

بما اقتضته من تدخل مكتب الارشاد فى هذا الفصل باعتباره صاحب الحق فى ذلك ، نظرا لان فصله كان من الجماعة بأسرها وليس من الجهاز السرى وحده ـ هى التى أتاحت لمكتب الارشاد مناقشة موضوعات الجهاز السرى، وكان بعيد الصلة عنها فى أيام الشيخ حسن البنا ، ولا يعلم بتفاصيل هذا الجهاز كما يقول ابراهيم الطيب (٢٦٤) .

على كل حال ، فبتعيين يوسف طلعت رئيسا للنظام الخاص ، تكون الفرصة قد سنحت للهضيبى لتنفيذ سياسته فيما يتعلق بهذا النظام ، وهى أن يتحقق الغرض الذى انشىء من أجله ، وهو « اعداد الفرد المسلم اعدادا صالحا للدفاع عن الوطن الاسلامى » وفى ذلك يقول : « اتفقنا على انه لا يجوز البتة ارتكاب أى جريمة من الجرائم ، ولاعمل أى عمل ارهابى » (٢٦٥) . وقد أكد يوسف طلعت هذا الكلام ، فذكر أن الهضيبى بعد أن عينه رئيسا للجهاز قال له : « مش عايز روح العصابة تهيمن على الافراد ، والتزمت والسرية » (٢٦٦) .

على أن المهمة لم تكن بهذه السهولة . فقد كانت روح السندى تهيمن على الجهاز ، وكان انصاره يمثلون الاغلبية فيه . وفى ذلك يقول يوسف طلعت : « كان عندى أمل انى أرتفع بهذا الجهاز الى المعنى الانسانى الصحيح . ولكنى وجدت فيه « جو مش طعم » ـ لقيت فيه عناصر مش من الاخوان المسلمين ، عناصر لم يتربوا على دعوة الاخوان . وانا احب اسجل دى ، وأقول انه دخل فى الجهاز السرى ناس مش من الاخوان المسلمين . ولما جيت استلم الجهاز ده ، مش كله سلم ، أو كل الناس اللى فيه سلمت نفسها : ناس سلمت نفسها ، وناس لا ، وظلت بعيدة ، وتهدد بالالتزام بالنظام والتزام الوضع القديم » (٢٦٧) .

---

٢٦٤ ـ محكمة الشعب : الجزء الثالث ، شهادة ابراهيم الطيب ص ٥١٧ .

٢٦٥ ـ محكمة الشعب : الجزء الرابع ، شهادة حسن الهضيبى ص ٧٢٥ ـ ٩٧٠ .

٢٦٦ ـ محكمة الشعب : الجزء السادس ، شهادة يوسف طلعت ص ١٣٣٨ .

٢٦٧ ـ محكمة الشعب : الجزء السابع ، شهادة يوسف طلعت ص ١٤٨٠ .

بل لقد وصل الى حد أن بعض انصار السندى أخذوا يتربصون بيوسف طلعت ، ومنهم محمد على أحمد ، وأحمد عادل ، وكمال يحيى ، وآخرون . وقد تربصوا به ليروا خطته : هل سيحل الجهاز ويصفيه ، أم سيبقى عليه كتراث موروث من عهد الشيخ حسن البنا ! ــ حسب قولهم (٢٦٨). ويقول يوسف طلعت : « كنت تسمع كلام : انت خاين ! ، انت عايز تسرح الجهاز ! » (٢٦٩) .

وهذا يثير حقيقة هامة ، هى أنه كان من المتعذر بالفعل حل الجهاز السرى أو تصفيته ، حتى لو اراد الهضيبى ذلك أو مكتب الارشاد!.وهذا ما أعترف به الهضيبى ، فقد ذكر انه حين عين يوسف طلعت رئيسا للجهاز « جبناه على اتفاق انه يسير بالنظام نحو التصفية ، ولكن التصفية ليس معناها اننا نيجى نقول : حلينا النظام . فهذا لا يؤدى بنا الى حاجة ، ولكن قلنا اننا نوجه الاخوان الوجهة الصحيحة من جهة ، ومن جهة اخرى نكثر من عدد الذين يدخلون فى النظام ، حتى نذهب عنه صفته السرية » (٢٧٠).

وقد قرر هذه الحقيقة أيضا محمد فرغلى . فعندما سئل عن اسباب صعوبة حل الجهاز ، قال : « الصعوبة ان الجهاز يشمل عددا كبيرا من الشبان المتحمسين فى الاخوان ، فحله يثيرهم على من قام بهذا الحل » ! . وقد سأله الدفاع : « هل يفهم من هذا ان طبيعة الانظمة السرية هى التصدى لمن يتعرض لها أو يخرج عليها » ؟ . فرد قائلا : « أعتقد ذلك ! » (٢٧١) .

وكان مقتل المهندس السيد فايز على يد انصار عبد الرحمن السندى فى ذاكرة اعضاء الجهاز الموالين للهضيبى ويوسف طلعت . فعندما سئل محمود الحواتكى ، وهو مدرس كيمياء وكان رئيسا لفصيلة سرية بالجيزة ، عما اذا كان « يتوقع اشياء تهدده لو انه خرج على النظام ؟ » أجاب قائلا : « اشياء تهددنى ؟ ، لا ! » . .ولكن عندما سئل عما اذا كان مطمئنا الى أن

---

٢٦٨ ــ نفس المصدر ص ١٤٩٠ .

٢٦٩ ــ محكمة الشعب : الجزء السادس ، شهادة يوسف طلعت ص ١٣٢٠ .

٢٧٠ ــ نفس المصدر ص ١٣٢٠ ــ ١٣٢١ .

٢٧١ ــ محكمة الشعب : الجزء الرابع ، شهادة محمد فرغلى ص ٧٨٤ ــ ٧٨٣ .

خروجه من الجماعة لن يؤثر عليه ؟ أجاب قائلا : « مسالة الاطمئنان لم تكن متوفرة لى مائة فى المائة ، لسبب ، هو أن هناك اشاعات تقول انهم قتلوا سيد فايز لانه كان يحارب جبهة معينة فى النظام . فاذا كان الامر كــــذلك ، فيجوز يوجد من يفعل هذه الفعلة ! » (٢٧٢) .

وقد حاول محمود الحواتكى أن يفسر مسألة ارهاب النظام للخارجين عليه تفسيرا نظريا ، فذكر أن هناك فرقا بين « جماعة المؤمنين » و « جماعة الارشاد » . فاذا كانت جماعة الاخوان مثل « جماعة المؤمنين » ، فان الامر الذى يصدر منها يصبح ملزما . أما اذا كانت « جماعة ارشاد » فأمــــرها لا يكون ملزما . وقال أن الخارج على « جماعة المؤمنين » جزاؤه القتـــل فى الاسلام ، ولكن الخارج على « جماعة الارشاد » لا يقتل . وقد ذكــر أن هذا التفكير لم يكن واضحا لدى التنظيم السرى القديم ، ولكنه أوضـــحه للتنظيم الجديد (٢٧٣) .

ومع انه من الصحيح أن الجهاز السرى الجديد فى عهد يوسف طلعت لم يرتكب حوادث ضد الخارجين عليه ، الا أن « الروح القديمـــة هى التى كانت متأصلة » باعتراف يوسف طلعت (٢٧٤) . ولذلك يذكر محمد خميس حميدة أنه عندما وقع الخلاف بعد ذلك بين مجموعة الهضيبى ومجموعـــة محمد خميس حميده ، وصلت تهديدات من الجهاز السرى لبعض المعارضين للهضيبى ، مثل السيد حلمى المنياوى ، والسيد عبده قاسم . كما اتخـــذ الامر صورة مراقبة على بيوت بعض اعضاء الجماعة (٢٧٥) .

على كل حال ، ففى تلك الظروف التى عين فيها يوسف طلعت رئيسا للتنظيم السرى ، جرى اتصال محمد رياض ، ياور محمد نجيب ، بحسن العشماوى فى أواخر ديسمبر ١٩٥٣ أو أوائل يناير ١٩٥٤ ، طلبا لتحالـــف بين محمد نجيب والاخوان . وقد جمع الهضيبى قادة الجهاز — كما ذكرنا — وقد اعتذر يوسف طلعت وقتذاك ، « لانه » — وفقا لكلام الضابط حســـين

---

٢٧٢ — محكمة الشعب : الجزء الثانى ، شـــهادة محمود الحواتكى ص ٢٥٦ — ٢٥٨ .

٢٧٣ — نفس المصدر ص ٢٥٩ — ٢٦٤ .

٢٧٤ — محكمة الشعب : الجزء السادس ، شـــهادة يوسف طلعت ص ١٣١٩ .

٢٧٥ — محكمة الشعب : الجزء الثالث ، شـهادة محمد خميس حميدة ص ٦٧٦ — ٦٧٧ .

حمودة ــ « لسة مستلم الجهاز جديد ، وعبد الرحمن السندى معاكس فى تسليم الناس » ، وانه ــ أى يوسف طلعت ــ « بيشرع فى تعبئة ناس ثانية من الدعوة العامة ، ولو انتظرتم على سنة حيبقى عنــــدى عشرة آلاف من الاخوان » .

على انه لم يكد ينقضى اسبوعان على هذا الاجتمـــاع ، حتى كان عبد الناصر ينزل ضربته بالاخوان بقرار الحل فى ١٤ يناير ١٩٥٤ ، وقـــام بحملة اعتقالات واسعة النطاق شملت كثيرا من اعضـــاء الجهاز السرى. فقد قبض على الصاغ حسين حمودة فى ١٨ يناير ، كما قبض على البكباشى أبو المكارم عبد الحى ، والصاغ معروف الحضرى ، وقائد اللواء عبد المنعم عبد الرءوف فى اوائل مارس .

وازاء هذه المصيبة التى المت بالجماعة ، اخذت صـفوفها تلتئم من جديد . فنلاحظ انه عندما خرج الهضيبى وعبد القادر عودة وعبد الحكيم عابدين وغيرهم من المعتقلين بالسجن الحربى يوم ٢٥ مارس ١٩٥٤ ، كان من بين الذين زاروا المرشد لتهنئته خصــومه الذين طردهم من الجماعة ، وهم : صالح عشماوى ، ومحمد الغزالى ، وعبد الرحمن السندى ، واحمد زكى ، واحمد عادل كمال ، ومحمود الصباغ . وقد ذكرت الصـــحف انهم زاروه مهنئين بالعودة ، ومجددين للبيعة » (٢٧٦) .

ومع استئناف الجماعة نشاطها ، استأنفت ايضا اعادة تنظيم جهازها السرى ، ولكن فى ظروف ملائمة هذه المرة ، لان عبد الرحمن الســــندى وجماعته كانوا قد دخلوا فى مصالحة مع الهضيبى ، وبالتالى كفوا لحد ما عن مضايقاتهم ليوسف طلعت . وتشير الادلة الى أن يوسف طلعت استأنف اعادة تنظيم جهازه السرى فى أوائل ابريل ــ أى غداة الخروج من المعتقل ! وهذا ما ذكره ابراهيم الطيب ، رئيس مناطق القاهرة ، وأكبر معاونى يوسف طلعت . فقد قال : « الذى حدث اننا أخذنا فى دور الاعداد والتكوين من بعد مارس ١٩٥٤ ، وظل هذا الاعدادمن الناحية التنفيذية ، ومن ناحية تجميع الافراد ، واعدادهم الاعداد الثقافى والروحى » . وحدد توقيت اعادة التنظيم بأنه كان فى « أوائل ابريل » (٢٧٧) . وقد اكد يوسف طلعت هذا قائلا ان

---

٢٧٦ ـــ المصرى فى ٢٧ مارس ١٩٥٤ .

٢٧٧ ـــ محكمة الشعب ، الجزء الثانى ص ٤٣٨ ـــ ٤٤٥ .

اعادة التنظيم كانت « بعد الافراج على طول » (٢٧٨) .

والسؤال المطروح : هل حل يوسف طلعت التنظيم القديم واقام تنظيما جديدا ؟ . ان الاجابة على هذا السؤال يجب أن تشتمل على أمرين : الاول ، التشكيلات . والثانى ، الافراد .

وبالنسبة للتشكيلات ، فان التشكيل القديم للتنظيم السرى كان يقوم على اساس الخمسات ، اى المجموعات التى تتكون من خمسة افراد يراسها واحد ، وتتدرج فى شكل هرمى بحيث يكون رؤساء الخمسات مجموعة اعلى يراسها واحد ، يكون بدوره عضوا فى مجموعة اعلى يراسها واحد ، حتى تصل الى رئاسة عبد الرحمن السندى (٢٧٩) . وبمعنى آخر ، واذا تناولنا النظام من اعلى الى اسفل ، فان عبدالرحمن السندى كان على راس التنظيم، يليه رؤساء هم : احمد زكى ، واحمد عادل ، ومحمود الصباغ ، ويلى هؤلاء رؤساء مناطق ، يليهم رؤساء آخزون ، وهكذا حتى يصل الى الخلية الاولى (٢٨٠) . وكانت الشعبة المهمة بها عدة جماعات ، كما كان معظم النظام فى القاهرة (٢٨١) . وكان هناك فصل بين رؤساء الشعب ورؤساء النظام السرى ، بمعنى أن رؤساء الشعب لم يكن لهم اتصال تنظيمى برؤساء الجهاز الموجودين فى شعبهم .

ويرجع الفضل فى تغيير هذا التشكيل الى الضابط عبدالمنعم عبدالرءوف، وهو أحد اعضاء تنظيم الضباط الأحرار الاوائل الذين فصلوا قبل ٢٣ يوليو لاصراره على الولاء لجماعة الاخوان المسلمين . وكان عبد المنعم عبد الرءوف قد تلقى محاكمة عسكرية _ كما ذكرنا _ طلب فيها الاستماع الى شهادة محمد نجيب وعبد الناصر كشهود دفاع ، وعندما رفض طلبه هرب من سجنه، وتوجه الى المركز العام للاخوان طالبا اخفاءه ، وقد كلف ابراهيم الطيب بهذه المهمة ، فنقله الى بيت أحمد عيد بشبرا حيث استقر عنده مدة طويلة ، ثم نقل الى بيت هنداوى دوير فى امبابه ، وانتقل بعد ذلك الى بيت مصطفى

---

٢٧٨ _ محكمة الشعب : الجزء السادس ص ١٣٠٧ .

٢٧٩ _ محكمة الشعب : الجزء الاول ، شهادة هنداوى دوير ص ٣٣

٢٨٠ _ محكمة الشعب : الجزء الثانى ، شهادة السيد حسين أبو سالم ص ٣٥٣ .

٢٨١ _ محكمة الشعب : الجزء الاول ، شهادة هنداوى دوير ص ٣٣

٢٨٢ _ محكمة الشعب : الجزء الثانى ، شهادة السيد حسين أبو سالم ص ٣٥٣ .

الزرقانى فى امبابة ايضا (٢٨٣) . وفى تلك الاثناء كان يجتمع به يوسف طلعت وابراهيم الطيب (٢٨٤) .

وفى فترة اختفاء عبد المنعم عبد الرءوف وضع خطة التشكيل الجديد للجهاز السرى على اساس أن ينقسم الى سبعات بدلا من خمسات ، وكل سبعة منها يطلق عليها اسم مجموعة ، ويتكون من كل ثلاث مجموعات فصيلة ، يضاف اليها مجموعة خدمات ، فيصير مجموع الفصيلة ثمانية وعشرين فردا ، يضاف اليهم رئيس الفصيلة و « رديفه » (وكيله) ، فيكون مجموع الفصيلة ثلاثين فردا . وتتكون من هذه الفصائل « المنطقة » ، التى قد يكون بها فصيلة أو اثنتان أو ثلاث . ويكون رئيس المنطقة هو الرئيس الاعلى للفصائل اذا كان لها رؤساء ، أو يكون رئيسها المباشر اذا كان فى المنطقة فصيلة واحدة أو اثنتان . وهناك ضباط اتصال فنيون يتبعون رئاسة الجهاز السرى ، ويكونون صلة بينها وبين رئيس المناطق ، وهو ابراهيم الطيب ، وبينه وبين رؤساء الفصائل . هذا بالاضافة الى ضباط اتصال اداريين . ويتكون من المناطق الأقسام القطرية الكبرى ، فقد قسم القطر المصرى الى ثلاثة اقسام : القاهرة ، ويرأسها ابراهيم الطيب ، والاقاليم ويرأسها احمد حسنين ، ثم الاسكندرية (٢٨٥) .

كان هذا التنظيم على نسق نظم الجيوش النظامية التى كانت تتكون من فصائل لكل منها قائد ، وتتكون كل منها من مجموعات تتسلح بمختلف أنواع الاسلحة (٢٨٦) . وقد قبله يوسف طلعت على الفور ، لانه يتفق مع الرغبة فى فتح نطاق التنظيم ، وازالة السرية التى كان يكفلها نظام الخمسات القديم . وقد شرح يوسف طلعت هذه المسألة فقال : ان النظام القديم كان « واخد شكل التزمت ، شكل السرية . وقد قال لى الاستاذ الهضيبى : ما تزمتهاش ، افتح العملية دى . فقابلنى عبد المنعم عبد الرءوف ، وعرض على نظام الفصائل ، فأنا رأيت ان هذا النظام يفتح الحكاية المقفولة ، يفتح العملية

---

٢٨٣ — نفس المصدر ص ٤٧٥ .

٢٨٤ — محكمة الشعب : الجزء الاول ، شهادة هنداوى دوير ص ٣٤ .

٢٨٥ — محكمة الشعب : الجزء السادس ، شهادة يوسف طلعت ص ١٣٠٣ ، الجزء الثانى ، شهادة محمد عبد المعز ص ٣٦٧ ، وشهادة ابراهيم الطيب ص ٤٣٠ .

٢٨٦ — محكمة الشعب ، الجزء السادس ص ١٣٦٨ — ١٣٦٩

شوية ، والتزمت الموجود ينحل . بعد كدة تابلت ابراهيم الطيب واحمـــد حسنين ، وقلت لهم : الفكرة دى كويسة اننا نعمم هذا المعنى » (٢٨٧) .

هذا التشكيل الجديد للنظام السرى لم يلبث أن حدد مسألة الافراد . فحتى ذلك الحين ، كان هذا النظام متصورا على أفراد التنظيم القدامى . ولكن التشكيل الجديد فتح الباب لدخول أفراد جدد من أعضاء النظام العام. وفى ذلك يقول يوسف طلعت : أنه عندما تحدث مع ابراهيم الطيب واحمـد حسنين فى الاخذ بالتشكيل الجديد ، قالا له : « طيب ، دى تبقى على أد نظام الاخوان » — أى فى نطاق أفراد النظام القائم ، ولكنه رد قائلا : « أبـدا ، موش لازم . كل راجل مسلم وعنده استعداد للجهاد خلاص يخش جوة الفصائل دى » (٢٨٨) .

ومعنى ذلك ان النظام الجديد أخذ يتكون من افراد النظام القديم ومن أفراد النظام العام . وبطبيعة الحال فقد اختار يوسف طلعت من النظـــام القديم الاعضاء الذين كانوا على خلاف مع عبد الرحمن السندى ومجموعته . ولذلك حين سئل السيد حسين أبو سالم ، رئيس منطقة وسط القاهرة فى التنظيم الجديد ، ومن أعضاء التنظيم القديم عن اسباب اختياره رغم انه من « أعضاء جهاز عبد الرحمن السندى » ، رد تـــــائلا : « انا ما كنتش من اتباعه ! . انا كل أمر يصدر من عبد الرحمن السندى كنت لازم اناقشه . وده كان سبب سوء التفاهم بينى وبين السندى » (٢٨٩) .

ومعنى هذا الكلام أن النظام القديم الذى اقامه عبد الرحمن السندى فى عهد الشيخ حسن البنا ، قد حل بالفعل ، واقيم مكانه نظام جديد . وهذا ما آثار ثائرة اعضاء الجهاز السرى على يوسف طلعت ، بعد التحسن الذى طرأ على العلاقات بين السندى والهضيبى بعد خروج الاخـير وفاته من السجن الحربى . وهذا ما يرويه يوسف طلعت قائلا : « الجماعة القدام كانوا بيعتقدوا — ومنهم عبد الرحمن (السندى) — اننا بنعمل على تسريح هذا النظام . وكانت التهم تترامى علينا ، لدرجة ان واحدا قال لى : ان نظام الفصائل ده معناه تسريح النظام . وافتكر ان واحد اسمه يحيى عبد الحليم

---

٢٨٧ — نفس المصدر شهادة يوسف طلعت ص ١٣٠١ — ١٣٠٢ .
٢٨٨ — نفس المصدر .
٢٨٩ — محكمة الشعب ، الجزء الثاني ، شهادة السـيد حسـين أبو سالم ص ٣٥٢ .

حط صباعه فى عينى وقال : انتم جماعة عايزين تعملوها جمعية دفن موتى »!، وقال : انتم عايزين تسرحوا دعوة الاخوان » (٢٩٠) .

على كل حال ، فقد هب يوسف طلعت لاعادة بناء الجهاز السرى على أساس التنظيم الجديد ، واخذ يجند افرادا من النظام القديم وافرادا من النظام العام على حد سواء . ويمكن للنماذج الآتية التى نرويها على السنة أصحابها ان ترسم لنا صورة كافية لهذه العملية الفريدة . فقد روى محمد عبد المعز ، وهو من افراد الجهاز السرى القديم ، وكان قد جنده احمد عادل أيام السندى ثم ترك الجهاز السرى قبل الثورة ـ انه بعد أن فصل احمد عادل مع عبد الرحمن السندى ، زارنى فى البيت صديق يدعى صلاح العطار ومعه يوسف طلعت ، وقالا لى : احنا عارفين انك كنت مع احمد عادل كمال، وفيه ناس تانيين كمان ، ودول احنا عاوزين نضمهم الى النظام الجديد . فقلت لهم : لما استشرهم .. وفعلا قلت (لزملائى) على الحكاية ، فقالوا لى : اتركنا شوية . فتركتهم شوية . وبعدين حدث حل الاخوان الاخير ، وبعد حل الاخوان ، حضر لى ابراهيم الطيب فى البيت ، وقال لى : احنا كلمناك علشان تشتغل ثانى فى التنظيم الجديد ، اننا سنعمل على أسس سليمة ، ونحاول أن نتفادى كل الاخطاء .. وعلى هذا الاساس قلت له : حاضر ، حاقول للاخوان . وبعدين اتصلت به وقلت له ان الاخوان وافقوا على أنهم يعملوا فى النظام الجديد على الاساس السليم » (٢٩١) .

كما روى حامد عبد الفتاح نويتو أنه حتى مارس ١٩٥٤ كان عضوا عاديا فى الجماعة ، « وبعدين مصطفى الوردانى ، نائب الشعبة ، اداني ميعاد أروح له البيت ، فلقيت حلمى ، وحسن عبد العظيم ، ويوسف السيد . وجه بعد كدة حسن عبد المنعم . وقال لنا مصطفى الوردانى ان فيه نظام عندنا فى الاخوان ، ننقى من الاخوان العاديين اخوان نحطهم فى جماعات ، وندربهم على أسلحة ، ونخليهم لوقت الحاجة . أخذنا ميعاد من حسن عبد المنعم ، ورحنا فى يوم معين عنده فى البيت ، وكنت انا ، ويوسف ، وحسن عبد العظيم ، وحلمى عرفة . واجتمعنا . فقال : قبل أى حاجة لازم نقوى روحنا المعنوية ، ونحفظ سورة آل عمران وتفسيرها ، ونأخذ سيرة ،

---

٢٩٠ ـ محكمة الشعب الجزء السادس ، شهادة يوسف طلعت ص ١٣٠١ ـ ١٣٠٢ ـ ١٣٢٠ ـ ١٣٢١ .

٢٩١ ـ محكمة الشعب : الجزء الثانى ، شهادة محمد عبد المعز ص ٣٦٠ ـ ٣٦٣ .

ونخش فى البرنامج الروحى ده فى الاول . ومشينا على كدة أربع اجتماعات. وبعدين انضم الينا سامى الكومى ، وهو وكيل نيابة ، وعبد الحى ، واحمد حجازى ، وقال : دول حيبقوا معاكم فى الجماعة » (٢٩٢) .

كما روى حلمى عبد السلام هلال قصة تجنيده فى الجهاز السرى ، فذكر أنه التحق بالجماعة قبل اربع سنوات من محاكمته ، وعندما صدر قرار الحل « قفلنا الشعبة ، وما بقاش فيه حاجة خالص . ومن مدة شهر ونصف ، وكان يوم جمعة ، بعد ما صلينا الجمعة ، رجعت على البيت ، واثناء نومى فى البيت جانى واحد اسمه صلاح الدين عباس خليل ، وهو طالب ، وقال لى: ايه رأيك ؟ عاوزين نعمل مجموعة . فقلت له : ايه المجموعة دى ؟ . فقال لى : انت حاتتدرب وتحفظ قرآن ، وتتدرب على السلاح . قلت : علشان ايه ؟ . قال : علشان يقوم كفاح شعبى . وبعد ١٥ يوم بعثوا لى للحضور فى بيت واحد اسمه عبد القادر سيد حنفى سليمان ، ولقيت هناك صلاح ، وعلى نويتو ، وثلاثة أربعة .. وكانت مجموعتى مكونة من : حلمى عبد السلام ، وصلاح خليل ، ومحمد محمود الشقيرى ، وصفوت مسلم ، وعبد القادر حنفى ، ومحمد رهونى ، ويوسف غنام » (٢٩٣) .

كما روى محمد على نصيرى مناسبة تجنيده فى الجهاز السرى ، فذكر أنه اشترك فى المظاهرات التى خرجت أيام طرد محمد نجيب ، « ولما طلعنا الى قصر النيل ، البوليس أطلق علينا الرصاص ، وقتل اثنين من زملائنا . فقلنا ان ده يبقى شىء خطير ، وثارت ثورة الجامعة . فواحد صاحبى اسمه حسين عرفنى بهنداوى دوير ، وطلب منى أن أنضم الى مجموعته ، قلت : ما اقدرش ، لانى ما دخلتش امتحان الدور الاول لانى كنت مريض . وبعدين دخلت المجموعة قبل الدور الثانى » . ثم ذكر ان مجموعته كانت تتكون من « السيد عواد ، وأحمد الفيومى ، وعلى شاهين ، ويوسف عليان ، وطلعت ابراهيم ، وسلامة ميخائيل ، وانا ، وفيه واحد أظن كمان مش فاكر اسمه دلوقت » (٢٩٤) . وقد اختير محمد على نصيرى بعد ذلك لاغتيال عبد الناصر كما سيرد فى حينه .

---

٢٩٢ ــ محكمة الشعب : الجزء الاول ، شهادة حامد عبد الفتاح نويتو ص ١٨٦ ــ ١٨٧ .

٢٩٣ ــ محكمة الشعب : الجزء الثانى ، شهادة حلمى عبد السلام ص ٤١٩ ــ ٤٢٠ .

٢٩٤ ــ محكمة الشعب : الجزء الاول ، شهادة محمد على نصيرى ص ٧٦ .

وقد روى محمود الحواتكى ، انه دخل النظام السرى عن طريق يوسف هارون بعد خروجه من الاعتقال . فقد « قابلنى الاستاذ يوسف هارون ، رئيس منطقة الجيزة ، ودعانى لان اشترك فى النظام الخاص بالجيزة ، وكنت انا قد سمعت عن هذا النظام فى سنة ١٩٤٨ » . ثم ذكر أن النظام فى الجيزة شكل بعد الاعتقال بحوالى شهرين ، « فقد حدثنى يوسف هارون فى هـذا الامر واحنا فى مارس ، يبقى فى اوائل يونية أو منتصف يونيـة » (٢٩٥) . ومعنى ذلك أن الاتصال لاعادة بناء التنظيم الجديد بدأ فى مارس عقب الافراج وتكون فى الجيزة بعد شهرين . وقد ذكر محمود الحواتكى أن النظـام فى الجيزة « شكل بأن اختير الاخوان الذين يفهمون الاسلام كما نظن فهمـا سليما » . وذكر أن من الشروط التى كانت واجبة فى العضو ان يكـون « عاقلا غير متهور ، وان يكون فوق ٢١ سنة ، وان يكون مستعدا للجهاد فى القضايا العامة وقت ان تكون البلاد فى حاجة اليه » (٢٩٦) .

وقد روى صلاح الدين ابو الخير ، وهو مهندس معمارى ، كيف دخل الجهاز السرى ، فذكر انه كان نقيب اسرة عادية فى الاخوان ، وفى يـوم جاءه محمود الحواتكى وقال له احنا حنكون نظام جديد ، وحنكون حـذرين علشان ما نقعش فى الاخطاء القديمة ، مايه رايك ؟ . فقلت له : مافيش مانع . فملكنى مجموعة ، وادانى اسماء سبعة ، وقال : دول تجتمع معاهم فى أى مكان . وربطنى بهم علشان نعمل مجموعة ، وكان البرنامج بتاعنا فى النظام له ناحيتان : ناحية تربية روحية ودراسات اسلامية ، وناحيـة عسكرية وهى تدريب على التشكيلات العسكرية والاسلحة لمن لم يتدرب . وكان معظمنا مدرب فى الحرس الوطنى » (٢٩٧) .

كان أهم ما فى التنظيم الجديد ، الى جانب تكوينه من اعضاء قدامى واعضاء عاديين من النظام العام ، هو الربط بين النظام الخاص والنظـام العام . فحتى ذلك الحين ، كان هناك فصل تام بين رؤساء الجهاز العلنى ورؤساء الجهاز السرى ، بمعنى أن رؤساء النظام العام لم يكونوا يعلمون شيئا عن النظام الخاص أو عن رؤسائه فى مناطقهم ، ولكن فى التنظيم الجديد

---

٢٩٥ ـــ محكمة الشعب : الجزء الثانى ، شـــهادة محمود الحواتكى ص ٢٣٠ ـــ ٢٣١ .

٢٩٦ ـــ نفس المصدر .

٢٩٧ ـــ محكمة الشعب : الجزء الثانى ، شهادة صلاح الدين أبو الخير ص ٢٦٩ ـــ ٢٧٠ .

اصبح رئيس المنطقة هو رئيس جهازها السرى . ومعنى ذلك أن الجماعة قد تحولت الى جهاز سرى ، او أن العمل السرى قد اصبح جزءا من نشاط الجماعة العلنى . وهذا التطور يجعل الجماعة اخطر بكثير مما كانت اثناء حياة الشيخ حسن البنا ، حيث لم يعد هناك فصل بين العمل السرى والعمل العلنى ، واتسعت اختصاصات رئيس الجهاز السرى لتشمل رؤساء الجهاز العلنى .

وهذا ما تكشف أثناء محاكمات الاخوان فى حادث المنشية . فعندما سئل محمود الحواتكى عما اذا كان يعرف أن هنداوى دوير ، رئيس منطقة امبابة ، هو رئيس جهازها السرى ، أجاب قائلا : « طبعا ! رئيس المنطقة هو رئيس الجهاز السرى » . وقد سأله جمال سالم قائلا : « هل هذه قاعدة اتوماتيكية ؟ » ، فرد بالايجاب قائلا : « نعم » (٢٩٨) .

وعندما سئل محمد عبد المعز عن وظيفته فى جماعة الاخوان ، قال :

ـ قائم بأعمال رئيس منطقة شرق القاهرة .
ـ فين ؟ فى النظام السرى والا فى النظام العلنى ؟ .
ـ فى النظام السرى والنظام العلنى » (٢٩٩) .

وقد عبر عبد العزيز أحمد ، وهو من الاعضاء القدامى ، ورئيس منطقة الفسطاط ، عن هذه النقطة ، تعبيرا بليغا . فعندما سأله جمال سالم عما اذا كان « المسئول عن اخوان المنطقة يعتبر هو المسئول عن الجهاز ؟ « اجاب قائلا : « أيوه ، لان اللى ما ينفعش لرياسة الجهاز ، ما ينفعش لرياسة المنطقة ! » (٣٠٠) .

وهذا الكلام يظهر حقيقة اخرى لا تقل اهمية ، هى أن اعادة بناء النظام الخاص ، قد ترتب عليها اعادة بناء النظام العام ، بحيث يتطابق مع النظام الخاص . كما ترتب عليها أيضا تغيير قيادات النظام العام ، اذ استبعدت القيادات التى لا تصلح لرئاسة الجهاز السرى ، وحلت محلها قيادات صالحة لرئاسة النظامين . ففى منطقة امبابة ، على سبيل المثال ،

---

٢٩٨ ـ نفس المصدر ، شهادة محمود الحواتكى ص ٢٤٩ .
٢٩٩ ـ نفس المصدر : شهادة محمد عبد المعز ص ٣٥٩ .
٣٠٠ ـ نفس المصدر : شهادة عبد العزيز أحمد ص ٣٢٩ .

كان رئيسها الدكتور حسن الباشا ، وهو مدرس بكلية الاداب ، وكان لا يعلم شيئا عن النظام السرى ، وكان وكيل المنطقة هنداوى دوير ، فأصبح هو رئيس الجهاز السرى ، واستقال الدكتور حسن الباشا ، وأصبح هنداوى دوير رئيس المنطقة (٣٠١) . وفى منطقة الفسطاط عين لها عبد العزيز احمد ، ويقول : « لما كلفت برياسة منطقة الفسطاط ، علمت أن هناك فصيلتين عندى فى المنطقة ، فصيلة برياسة على صديق ، واخرى برياسة فتحى البوز ، وأن هذه الفصائل هى التى تعتبر هذا النظام » . وهكذا .

ووفقا للتنظيم الجديد للجهاز السرى فان القاهرة قد انقسمت الى عشر مناطق يراسها ابراهيم الطيب ، وهو محام يبلغ من العمر ٣٢ سنة :

١ ـ منطقة وسط القاهرة . وقد عين لها السيد حسين ابو سالم ، وهو مأمور ضرائب يبلغ من العمر ٣٠ سنة ، وكان رديفه (وكيله) فريد عوض . وكانت هذه المنطقة تشتمل على ثمانى شعب : بولاق ، والتوفيقية ، وعابدين ، ودرب سعادة ، والجمالية ، والدراسة ، والموسكى ، والازبكية . وكان بها فصيلة من ثلاث مجموعات ، من افرادها : عثمان عبد الله واسماعيل عبد المعطى ، وصالح غطا ، ومحيى محمد ابراهيم ، ومحمد محمود احمد ، وفؤاد حجاج ، وصالح الحديدى ، ونجدى صالح ، وعلى قناوى ، ورفعت حسين (٣٠٢) .

٢ ـ منطقة الفسطاط . وكان يطلق عليها اسم منطقة الروضة قبل ضم حلوان اليها . وقد عين لها عبد العزيز أحمد ، ويحمل دبلوم الاقسام الصناعية والسيارات ، وعمره ٣٦ سنة . وكانت تشتمل على شعب . حلوان ، وطره ، والمعادى ، ومصر القديمة ، وجزيرة الروضة . وكان بها فصيلتان ، احداهما برياسة على صديق ، والاخرى برياسة فتحى البوز ، وكل فصيلة تتكون من اربع مجموعات يصل عددها الى ٣٠ عضوا (٣٠٣) .

٣ ـ منطقة الجيزة . وقد عين رئيسا لها يوسف هارون ، ومن بعده محمود الحواتكى ثم اسماعيل محمود يوسف . وكان بها فصيلة يراسها

---

٣٠١ ـ نفس المصدر : شهادة محمود الحواتكى ص ٢٤٩ ، الجزء الاول ، شهادة هنداوى دوير ص ٣٨ ـ ٣٩ .

٣٠٢ ـ محكمة الشعب : الجزء الثانى ، شهادة عبد العزيز أحمد ص ٢٩٣ ، شهادة السيد حسين أبو سالم ص ٣٣٥ ـ ٣٣٦ .

٣٠٣ ـ نفس المصدر : ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٣٣٦ .

محمود الحواتكى ، مكونة من أربع مجموعات يرأسها : صلاح ابو الخير ، وتوفيق شلبى ، وعبد الفتاح موسى . والرابعة لم يكن رئيسها ثابتا (٣٠٤).

٤ ـ منطقة شرق القاهرة . وقد عين لها محمد عبد المعز ، وهو معاون فنى بوزارة الصحة متخرج من مدرسة الصناعات الزخرفية ، وعمره ٣٢ سنة . وكان بها ثلاث فصائل برئاسة كل من : وائل شاهين ، وعبد المنعم ابراهيم ، وعبد الرحمن البنان . وكانت الفصيلة الاخيرة مكونة من شعب سراى القبة ، وحمامات القبة ، ومصر الجديدة (٣٠٥) .

٥ ـ منطقة جنوب القاهرة ، ويرأسها كمال السنانيرى ، وكان السنانيرى ممن قادوا مظاهرات ٢٨ فبراير ١٩٥٤ .

٦ ـ منطقة شمال القاهرة ، ويرأسها محمد شديد .

٧ ـ منطقة المرج ، ويرأسها محمود يونس .

٨ ـ منطقة عرب جهينة ، ويرأسها محمود يونس أيضا . وكان قائد الفصيلة السيد عبد الله الريس ، وهو طالب بكلية الآداب ، ورديفه محمد الديب . وكان قائد المجموعة الاولى سيد ناصر ، وقائد الثانية محمد سليمان الهضيبى ، وقائد الثالثة أحمد الصاقورى ، وقائد مجموعة الخدمات أمام حجر . وقد استبدل بسيد ناصر فيما بعد أمين درويش (٣٠٦) .

٩ ـ منطقة بين السرايات ، ويرأسها على الفيومى (٣٠٧) .

١٠ ـ منطقة امبابة . وكان على رأسها هنداوى دوير . وقد كون هنداوى فصيلة مكونة من ثلاث مجموعات ومجموعة مخابرات . وكانت المجموعة الاولى ، مجموعة وراق العرب ، ويرأسها صلاح عباس ، ومعه عبد القادر سليمان ، وحلمى عبد السلام ، وعبد الحميد البنا (عامل) ومحمود الفوتيرى ويوسف همام ، ومحمد رءوف . أما المجموعة الثانية ، فيرأسها على نويتو ، وتتكون منه ومن مصطفى الوردانى ، وعبد رب النبى

---

٣٠٤ ـ نفس المصدر : شهادة صلاح الدين أبو الخير ص ٢٧١ ـ ٢٧٢ شهادة محمود الحواتكى ص ٢٣١ .

٣٠٥ ـ نفس المصدر ، شهادة محمد عبد المعز ص ٣٥٨ ، ٣٦٦ ـ ٣٦٧

٣٠٦ ـ محكمة الشعب : الجزء الاول ، شهادة السيد عبد الله الريس ص ١٢٣ ـ ١٢٤ ، والجزء الثانى شهادة محمد عبد المعز ص ٣٧٣ .

٣٠٧ ـ محكمة الشعب : الجزء الاول ، شهادة هنداوى دوير ص ٣٨ .

عباس ، وسعد حجاج ، وعبد المنعم حنفى ، ومحمد نجيب راغب . وكانت المجموعة الثالثة مكونة من محمود الصياد ، وعبد العزيز شميس (خردواتى) وعبد المنصف البحيرى . وأما مجموعة المخابرات فكانت مكونة من يحيى سعيد ، وعبد القادر سليمان ، ومحمود عبد اللطيف ، ومحمد زكى . وقد ذكر على نويتو ، وهو موظف بالمساحة ، انه كانت هناك مجموعة اخرى على راسها حسن عبد المنعم ومعه يوسف السيد ، وحامد نويتو (مجلد) وحلمى عرفة (طالب) وحسين شعلان ، واحمد خليل (عامل) ، وعبد المنصف البحيرى (موظف) وعبد القادر سليمان (موظف) (٣٠٨) .

ويتضح من كلام هنداوى دوير ، رئيس منطقة امبابة ، أن هذا الجهاز كان مجرد تشكيل كونه مؤخرا ولم تتح له الفرصة للتدريب . وقد ذكر أن السبب فى ذلك يرجع الى أنه كان لابد أولا من اختبار صلاحية الافراد « فاذا اثبت الشخص أن عنده استعداد ، نديله تدريبات عسكرية ، وبعد هذا اذا ثبتت صلاحيته نفهمه أنه فى النظام ، وبعدين نديله تدريبات عملية . وهذه المراحل كلها لم تطبق فى امبابة ، وكل ما طبق اننا شكلناهم ، وعملناهم جماعات » . وعلى ذلك فان المجموعة العاملة بالفعل كانت تتكون منه ومن محمود عبد اللطيف فقط ، بدليل يذكره ، وهو انه حين تقرر اختيار واحد آخر ليقوم بنفس عمل محمود عبد اللطيف ، تم اختيار محمد على نصيرى ، وهو من خارج المنطقة (٣٠٩) . ونلاحظ فى هذا الصدد أن محمود عبد اللطيف الذى قام بمحاولة اغتيال عبد الناصر قد اضاف الى ما ذكره هنداوى دوير من أعضاء مجموعته عضوا ثالثا اسمه سعد حجاج (٣١٠) .

هذا فيما يختص بتنظيم القاهرة . اما الاقاليم ، فكان يراسها احمد حسنين . وقد عرف من أقسامها : اقاليم الشرقية وشرق منطقة القنال ، والغربية ، والمنوفية ، والبحيرة ، وبنى سويف ، واسيوط ، والمنيا . وكانت هناك فصيلتان فى كل من الاسماعيلية ، السويس ، والشرقية ، والغربية ، والمنوفية ، وبنى سويف . وكانت مجموعتان فى أسيوط ، ومجموعة فى كل من الفيوم ، والمنيا (٣١١) .

---

٣٠٨ ــ نفس المصدر شهادة على عبدالفتاح نويتو ص ١٥١ ــ ١٥٥ .

٣٠٩ ــ نفس المصدر ، شهادة هنداوى دوير ص ٣٩ ــ ٤١ .

٣١٠ ــ نفس المصدر شهادة محمود عبد اللطيف ص ٨ .

٣١١ ــ محكمة الشعب : الجزء السادس ، شهادة يوسف طلعت ص ١٣٠٦ .

على كل حال ، فان هذا الجمع بين رئاسة النظام العلنى ورئاسة النظام السرى ، قد اتاح الفرصة لرئيس التنظيمين لتسخير امكانيات النظام العلنى فى خدمة النظام السرى . فوفقا لما ذكره ابراهيم الطيب ، رئيس مناطق القاهرة ، كان كل رئيس منطقة يتبعه عدد من نواب الشعب يبلغ تسعة نواب ، يجتمعون معا ، ولهم ضابط اتصال بينهم وبين القاهرة (٣١٢). وكانت مهمة نواب الشعب اعطاء معلومات لرئيس المنطقة ، وترشيح أسماء الصف الأول فى الشعب للنظام الخاص . وفى ذلك ذكر محمد عبد المعز ، رئيس منطقة شرق القاهرة ، انه بعد اسناد المنطقة اليه « طلبوا منا تكوين الصف الأول ، وجمع معلومات بعدد افراده فى المنطقة . فجمع الصف الاول، وبعد ذلك قالوا لنا : عاوزين نكون الجماعة دول فى مجموعات من سبعات ، وكل أربع سبعات تكون فصيلة . فقمنا بعمل هذا التنظيم ، وجمعنا المعلومات المطلوبة من نواب الشعب ، وكونا ثلاث فصائل فى منطقة شرق القاهرة (٣١٣) .

وقد وضع نظام اتصال بين يوسف طلعت وابراهيم الطيب ، وبين ابراهيم الطيب ورؤساء الفصائل ، عن طريق ضباطاتصال فنيين يتبعون يوسف طلعت . منهم : اسماعيل عارف ، ومهدى عاكف . وكان هناك ضباط اتصال اداريون منهم : محمد عبد المعز ، وحسين شعبان (٣١٤) . ويفهم مما رواه اسماعيل عارف أنه كان مسئولا عن الاتصال بأربع فصائل فقط . فقد ذكر ان يوسف طلعت أخبره بأنه سيكون حلقة اتصال بينه وبين ابراهيم الطيب ، ثم قام بتوصيله بابراهيم الطيب ، الذى وصله بدوره باربعة رؤساء فصائل لتوصيل الرسائل اليهم وتلقى رسائلهم . اما هؤلاء الاربعة فهم : محمد يوسف ، رئيس فصيلة السيدة زينب وفصيلتين آخريين ، وعلى نويتو ، رئيس فصيلة امبابة وفصيلتين أخريين ، ومحمد عثمان عبد الله المسئول عن وسط القاهرة ، وعبد الرءوف (لم يذكر بقية اسمه) . وكان هناك اتصال دورى ثم كل اسبوع (٣١٥) . ومعنى هذا الكلام أن ضباط الاتصال كانوا مكلفين بالاتصال بفصائل معينة .

---

٣١٢ ـ محكمة الشعب : الجزء الثانى ، شهادة ابراهيم الطيب ص ٤٣٠ .

٣١٣ ـ نفس المصدر : شهادة محمد عبد المعز ص ٣٦٦ ـ ٣٦٧ .

٣١٤ ـ نفس المصدر : شهادة اسماعيل عارف ص ٣٩٧ .

٣١٥ ـ نفس المصدر ص ٣٩٦ ، ٤٠٨ ـ ٤٠٩ .

وقد أقيم قسم قائم بذاته للمخابرات ، يرأسه صلاح عبد المعطى ، ويتبع يوسف طلعت مباشرة (٣١٦) . وكانت مهمته مراقبة أعضاء الجهاز ، وتقديم تقارير عنهم ليوسف طلعت تشتمل على زياراتهم واجتماعاتهم ، وملاحظة ما يطرأ على حالاتهم النفسية (٣١٧) . وقد ذكر صلاح الدين أبو الخير (مهندس معمارى) ورئيس مجموعة فى فصيلة الجيزة ، ان هذه المخابرات كانت تتجسس على الشيوعيين . وقال انه يعرف أن الاخوان « ضبطوا خلايا من مدة » . وقد سأله الدفاع قائلا : « هل كان الاخوان يحاربون الشيوعية ؟ » ، فأجابه قائلا : « طبعا ، لأنها ضد مصلحة البلد » (٣١٨) .

● تسليح الفصائل :

كانت الخطة الأساسية أن تزود مجموعات الفصائل بسلاح يكفى لادائها المهام الموكولة اليها . وهذا السلاح ــ وفقا لرواية يوسف طلعت ــ فى حدود : « مجموعة برن ، وثلاثة بنادق ، واستن » (٣١٩) . على ان محمد عبد المعز الذى قام بعمل رئيس منطقة شرق القاهرة ، ذكر أن ابراهيم الطيب أبلغه أن تسليح المجموعة سيتكون من : مسدس لرئيس المجموعة وثلاث بنادق ، ومدفعين استن (٣٢٠) . وقد ذكر عبد العزيز أحمد ، رئيس منطقة الفسطاط ، أن تسليح المجموعة كان يتكون من ٤ بنادق ، ومدفعين استن ، ومدفع برن ، وقنبلتين لكل فرد . وهذا التسليح يتفق مع عدد أفراد المجموعة ، فيحمل أربعة منهم بنادق ، ويحمل اثنان مدفعين « استن » ويحمل السابع مدفع برن ، هذا بالاضافة الى قنبلتين لكل فرد (٣٢١) . وكان تسليم السلاح يتم مباشرة بين أمين مخازن السلاح وقادة

---

٣١٦ ـــ محكمة الشعب : الجزء الثالث ، شهادة ابراهيم الطيب ص ٥٢٩ .

٣١٧ ـــ نفس المصدر : ص ٥٣٠ ـــ ٥٣٣ .

٣١٨ ـــ محكمة الشعب : الجزء الثانى، شهادة صلاح الدين ابو الخير ص ٢٨٦ ـــ ٢٩٠ .

٣١٩ ـــ محكمة الشعب : الجزء السادس ، شهادة يوسف طلعت ص ١٣٠٣ .

٣٢٠ ـــ محكمة الشعب : الجزء الثانى شهادة محمد عبد المعز ص ٢٦٨

٣٢١ ـــ نفس المصدر ، شهادة عبد العزيز أحمد ص ٢٩٤ .

الفصائل (٣٢٢) . وكان السيد عبد الله الريس ، وهو طالب بالآداب ، هو أمين مخازن السلاح . وقد روى قصة تكليفه بهذه المهمة من قبل ابراهيم الطيب ، رئيس مناطق القاهرة ، فذكر أنه كلفه « بأن أجرد الاسلحة الموجودة لدى الاخوان . فجردت الاسلحة الموجودة فى عرب جهينة ، وكفر حكيم ، والدقى . وكلفت بنقل أسلحة الى حلوان والمعادى ، فنقلتها فعلا » (٣٢٣) . ويلاحظ أن حلوان والمعادى كانتا تتبعان منطقة الفسطاط ولذلك يذكر عبد العزيز أحمد ، رئيس المنطقة ، أنه شاهد السيد الريس يتصل بعلى صديق ، رئيس احدى الفصيلتين بالمنطقة ، « ويتحدث معه فى الاسلحة » وكيفية احضارها (٣٢٤) .

وكانت التعليمات بتوزيع السلاح تصدر من ابراهيم الطيب الى السيد عبد الله الريس عن طريق ضابط الاتصال اسماعيل عارف . وهذا ما كشفه الأخير ، فقد ذكر أن ابراهيم الطيب « كان يوصلى أوراق أوصلها للسيد الريس علشان يوصل اسلحة الى جهات معينة بالتعاون مع فؤاد مكاوى » . وقال ان البيانات التى كانت فى الأوراق كانت تقضى بأرسال اسلحة الى شبرا وحلوان ومصر القديمة . وقد وصل لشبرا ومصر القديمة ١٦ بندقية وعدد من القنابل ، وربما جلجنايت (٣٢٥) . وكانت مسئولية السيد عبد الله الريس تتجاوز عملية توزيع السلاح الى التفتيش عليه والتحقق من صلاحيته للاستعمال (٣٢٦) .

ومع ذلك ، فنيما يبدو أن مسئولية السيد عبد الله الريس عن توزيع السلاح ، كانت قاصرة على بعض المناطق دون الأخرى . فقد ذكر محمود الحواتكى ، رئيس فصيلة الجيزة ، ان « المسئول الأول والاخير عن السلاح كان محمد مهدى عاكف (وهو ضابط اتصال فنى يتبع يوسف

---

٣٢٢ ـ نفس المصدر .

٣٢٣ ـ محكمة الشعب : الجزء الاول ، شهادة السيد عبد الله الريس ص ١٢١ .

٣٢٤ ـ محكمة الشعب : الجزء الثانى ، شهادة عبد العزيز أحمد ص ٣٠٠ ـ ٣٠١ .

٣٢٥ ـ نفس المصدر : شهادة اسماعيل عارف ص ٣٩٧ ـ ٣٩٨ .

٣٢٦ ـ محكمة الشعب : الجزء الاول ، شهادة على عبد الفتاح نويتو ص ١٨٤ .

طلعت — كما مر بنا)وان المفروض ان يكون الاتصال به وحده » . كما ذكر ان الاتصال بالسيد الريس كان محظورا . وقال ان محمد مهدى عاكف كان يزوربعض الجماعات فى الجيزة وفى أماكن أخرى (٣٢٧) .

وكان مخزن السلاح الرئيس الذىتجمع فيه الاسلحة الخاصة بمنطقة القاهرة وتوزع منه على مختلف الفصائل ، هو مخزن عرب جهينة . وكان مقره مقابر أسرة المرشد حسن الهضيبى . وكان امين هذا المخزن هو اسماعيل الهضيبى ، ابن عم الهضيبى (٣٢٨) .

على أنه كان من الضرورى أن يكون لكل منطقة مخزنها الخاص،الذى كان غالبا ما يكون شقة فى أحد المبانى . ففى امبابة ، حيث كان هنداوى دوير رئيسا للمنطقة ، كان هذا المخزن عبارة عن شقة كما ذكر على نويتو، وقد ذكر أن هنداوى أتى له فى احدى المرات « بشيلة فيها قوالب ت.ن.ت وقنابل فاضية ، ولفة ثانية لا اعرف فيها أيه . هذه اول مرة ، وثانى مرة بعث شنطة ، وقال لى : « شيلها فى المخزن الذى كان عبارة عن شقة ساكن فيها عبد الحميد البنا » (٣٢٩) .

وقد شرح السيد عبد الله الريس ، المسئول عن توزيع الاسلحة ، كيف كان يتم نقلها وتوزيعها على الفصائل ، فقال : نقلت مرتين اثنين : المرة الاولى ، نقلت ١٦ بندقية فى أربع لفات ، كل بندقية فيها أربعة وعشرون مشعل مولوتوف ، وكل عشرة فى ربطة ، علشان نوديهم لفصيلة مصر القديمة وفصيلة حلوان . وصلنا بعربة ، وكنا قد قمنا من عرب جهينة ، ومعنا محمد فؤاد مكاوى والسواق . وكان منتظرنا واحد عند مصر القديمة اسمه محمود . فقلت له : أنا حاقابل على صديق . وبعدين رحنا وديناهم عند واحد اسمه السعدنى فى حلوان .

---

٣٢٧ — محكمة الشعب : الجزء الثانى ، شهادة محمود الحواتكى ص ٢٣٤ — ٢٦٤ .

٣٢٨ — محكمة الشعب : الجزء الاول ، شهادة عبد الله الريس ص ١٣٧ ، الجزء السادس ص ١٣٨٢ .

٣٢٩ — نفس المصدر ، شهادة على نويتو ص ١٥٨ ،وكان مخزن الدقى أيضا عبارة عن شقة . انظر شهادة السيد عبد الله الريس ، نفس المصدر ص ١٢١ .

« وفى المرة الثانية ، قلت لمحمد فؤاد مكاوى : تستنى عند صديق فى مصر القديمة علشان تودى السلاح لعلي صديق . فأنتظرنى ، وبعدين رحنا المعادى . وطبيعى الأنواع كلها أنا لا اعرفها بالضبط ، وانما على صديق طلع صندوق ذخيرة ٣٠٣ ، واخذ تنبلتين » (٣٣٠) .

وكان التدريب يتم فى بداية الامر فى معسكر كرداسة ، وكان يقع على حدود الزراعة وجبل كرداسة . وقد ذكر محمد عبد المعز ، رئيس منطقة شرق القاهرة ، انه زار هذا المعسكر ، وعاينه هو وابراهيم الطيب ، وكان يتولى التدريب فيه واحد اسمه الخضرى (٣٣١) وقد هاجم البوليس بعد ذلك معسكر كرداسة ، ولكنه لم يتمكن من القبض على أحد (٣٣٢)

على انه يبدو انه كان لكل منطقة أو عدة مناطق مدرب مسئول . فقد ذكر محمود الحواتكى ، قائد فصيلة الجيزة ، أن محمد مهدى عاكف كان هو المسئول عن التدريب (٣٣٣) . وقد ذكر يحيى سعيد أن عبد المنعم عبد الرءوف قد تولى التدريب ايضا فى معسكر كرداسة قبل مهاجمته .

وتشير الادله الى ان عبد المنعم عبد الرءوف لم يكن يكتفى بالتدريب الفعلى ، بل كان يشرح لرؤساء الفصائل التكتيك العسكرى . فقد روى يحيى سعيد ، وكان عضوا فى منطقة امبابة التى كان يختفى فيها عبد المنعم عبد الرءوف ، انه ذهب فى احدى المرات فى رفقة على نويتو الى منزل مصطفى الوردانى بالمنيرة ، وكان غائبا فى بلدته ، « فوجدت شخصا متوسطا حليقا ، وقاعد يشرح على ترابيزة بعلب كبريت مناورات حربية ، وبيدرس فيها . فقال لى على نويتو : هذا عبد المنعم عبد الرءوف . وقعدت معهم أكثر من ساعة ، وكان بيشرحها لاربعة ، أعرف منهم حسن عبد المنعم ، وعلى نويتو ، واتنين تانيين موش متذكر حقيقة من هم » (٣٣٤) .

---

٣٣٠ — نفس المصدر ص ١٤٢ .
٣٣١ — محكمة الشعب : الجزء الثانى ، شهادة محمد عبد المعز ص ٣٧١ — ٣٧٢ .
٣٣٢ — محكمة الشعب : الجزء الاول ، شهادة يحيى سعيد ص ١٠٠ .
٣٣٣ — محكمة الشعب : الجزء الثانى ، شهادة محمود الحواتكى ص ٢٦٤ .
٣٣٤ — محكمة الشعب : الجزء الاول ، شهادة يحيى سعيد ص ٩٩ — ١٠٠ .

وكانت مشكلة توفير السلاح اللازم للجهاز السرى قد طرحت على بساط البحث بين عبد المنعم عبد الرءوف ويوسف طلعت ، عندما تقرر الاخذ بنظام « الفصائل » التى تتكون من سبعات . فيذكر يوسف طلعت أنه قال لعبد المنعم عبد الرءوف : « اجيب لك التسليح ده منين » . قال : « التسايح لازم يكون كده » ! . وتعدنا نراجع كشوف التسليح الموجودة عند الاخوان ، وهل التشكيل اللى عملناه ينفعه التسليح الموجود ويكفيه ؟. لقيناه مايكفيش . قال : « لازم تسعى لتسليح هذه المجموعات » .

ويقول يوسف طلعت انه تم شراء سلاح عن طريق الاكتتابات وجمع الأموال . وضرب بعض الامثلة ، ففى القاهرة عمل ابراهيم الطيب اكتتابا جمع منه بعض الاموال التى اشترى بها ١٨ مدفع برن . وفى الاسماعيلية جمع يوسف طلعت بنفسه بعض الاموال اشترى بها خمسة مدافع استن (٣٣٥) ، كذلك فقد صدرت أوامر لبعض المناطق باعداد الزجاجات الفارغة لتعبئتها كقنابل مولوتوف (٣٣٦) .

وقد قدر محمد خميس حميدة عدد افراد الجهاز السرى عند تولى يوسف طلعت رئاسته بأنه كان « فى حدود الف او الفين » . . وقال : فى تقديرى أن الشبان الذين دربوا على السلاح فى حدود الفين ، ولا يزيدون على هذا . وهذا هو العدد الذى أعلمه ، وانا اتكلم عن التقدير العام » (٣٣٧) . وكانت خطة يوسف طلعت الارتفاع بهذا العدد الى عشرة آلاف ـ كما ذكرنا .

وقد ذكر ابراهيم الطيب ، رئيس مناطق القاهرة ومساعد يوسف طلعت ، انه علم من الاخير ان هناك قوات للاخوان موجودة فى اقليم الشرقية وشرق منطقة القنال ، وانها مستعدة للقيام بحرب عصابات ضد الانجليز فيما لو فكروا فى التدخل اثناء الاشتباك بين الاخوان والحكومة . وقال ان خطة عرقلة التدخل كانت تقوم على القيام بحرب عصابات ، ونسف طرق

---

٣٣٥ ـ محكمة الشعب : الجزء السادس شهادة يوسف طلعت ١٣٠٢ ـ ١٣١٩ ـ ١٣٣٩ .

٣٣٦ ـ محكمة الشعب : الجزء الثانى ، شهادة السيد حسين أبو سالم ص ٣٤٠ ـ ٣٤١ .

٣٣٧ ـ محكمة الشعب : الجزء الخامس ، شهادة خميس حميدة ص ١٠٦٥ ـ ١٥٦٦ .

المواصلات والمنشآت التى يحتلونها ، وتقطيع خطوط امداداتهم . وعندما تشكك جمال سالم فى قدرة الاخوان على ذلك ، ذكره ابراهيم الطيب بمساعدة الاخوان للثورة عند قيامها قائلا : « بمجرد ما قامت الثورة كان فيه تقدم لقوات الانجليز ، ولذلك الاخوان تقدموا ليكونوا تحت تصرف الثورة » (٣٣٨) .

● المجلس الاعلى للجهاد :

والسؤال الآن : من كان المسئول الاعلى عن الجهاز السرى ؟ . هل كان المسئول الاعلى هو الهضيبى كما كان الحال أيام البنا ، أم كان ما اسماه يوسف طلعت فى ذلك الحين : المجلس الاعلى للجهاد ؟ .

ان الاجابة على هذا السؤال ليست سهلة كما قد تبدو ، ويرجع السبب فى ذلك الى تضارب الآراء فيها الى حد كبير جعل منها اشبه بلغز من الالغاز ؟ .

وكان يوسف طلعت هو الذى اثار هذه المسألة حين سئل عمن كان يدير شئون الجهاز ، وممن كان يتلقى أوامره ، ولمن كان يتبع ؟ . فقد ذكر أنه بعد ان اختير لرئاسة الجهاز ، دعاه الشيخ محمد فرغلى الى بيته للقاء لجنة مكونة منه ، اى من يوسف طلعت ، ومن الشيخ محمد فرغلى ، والاستاذ محمود عبده ، وأبو المكارم عبد الحى ، وصلاح شادى . وذكر ان الشيخ محمد فرغلى قال فى هذا الاجتماع : « اننا نعتبر اللجنة العليا للجهاد فى دعوة الاخوان ، وهذه اللجنة هى التى تنسق قوى الاخوان » ، واستطرد قائلا انه قد عقد هذا الاجتماع الأول حتى « يقول كل واحد اللى عنده » . وكان من رأى الشيخ محمد فرغلى انه يجب الا يقتصر عمل اللجنة على مصر ، وانما يجب ان تمتد اعمال الجهاد الى اى بلد آخر . « وكانت ايامها حكاية مراكش زادت شويه » . ثم قال يوسف طلعت ان هذه اللجنة «كانت معمولة علشان آخذ الاوامر منها » (٣٣٩) . وحدد الوقت الذى تشكلت

---

٣٣٨ ـ محكمة الشعب : الجزء الثالث ، شهادة ابراهيم الطيب ص ٤٩٠ ـ ٤٩٣ .

٣٣٩ ـ محكمة الشعب : الجزء السادس ، شهادة يوسف طلعت ص ١٣٠٨ .

فيه هذه اللجنة بأنه كان فى أواخر مارس أو اوائل ابريل ١٩٥٤ ، اى بعد الافراج عن الاخوان بعد الحل الاخير (٣٤٠) .

وقد أيد ابراهيم طلعت ، مساعد يوسف طلعت ورئيس مناطق القاهرة ، وجود هذا المجلس . فقد ذكر أنه كان للجهاز السرى مجلس أعلى مكون من يوسف طلعت ، وصلاح شادى ، والشيخ محمد فرغلى ، والدكتور محمد خميس حميدة . وأن هذا المجلس كان يخضع مباشرة للمرشد العام ، ويتعاون معه فى ادارة الجهاز ، وقال ان هذا المجلس كان يتلقى الخطط العامة للعمل من المرشد ، فاذا استقر على خطة ، لابد من موافقة المرشد على تنفيذها (٣٤١) . ثم ذكر أن هذا المجلس كان مستقلا تمام الاستقلال عن مكتب الارشاد (٣٤٢) .

كذلك تحدث محمود عبده عن اجتماع دعاه اليه الشيخ فرغلى بمنزله بعمارة وهبة فى اغسطس ، وكان معه يوسف طلعت وابو المكارم ، وصلاح شادى (٣٤٣) .

على أن محمد فرغلى أنكر مسألة المجلس الاعلى للجهاد انكارا قاطعا . فحين تحدث عن النظام السرى ، اوضح أن التشكيلات الخاصة بالبوليس والجيش والمدنيين ، كانت تتبع المرشد رأسا ، وأن رئيس كل تشكيل كان يتصل بالمرشد رأسا ويتبعه رأسا ، ولا يخضع لاى هيئة أخرى من هيئات الجماعة . وعندما سئل عما اذا لم يكن هناك بين رؤساء هذه التشكيلات وهم الصاغ صلاح شادى ، وابو المكارم عبد الحى ، ويوسف طلعت ـ مجلس أعلى أو لجنة عليا ؟ ، اجاب : « هؤلاء الثلاثة هم المسئولون عن الجهاز ، ويعتبرون لجنة عليا ، ويرأسهم المرشد » . وعندما ووجه بكلام ابراهيم الطيب بانه كان مع الدكتور محمد خميس حميدة وصلاح شادى .. الخ . أعضاء فى اللجنة العليا للجهاز السرى ؟ قال بصورة قاطعة : « هذا غير صحيح . فأنا لست عضوا فى هذه اللجنة ، ولا اعرف أن هناك لجنة

---

٣٤٠ ـ نفس المصدر : الجزء السابع ، من أقوال يوسف طلعت فى التحقيق ص ١٥٥٦ .

٣٤١ ـ نفس المصدر : ص ١٥٥٩ ـ ١٥٦٠ .

٣٤٢ ـ محكمة الشعب : الجزء الثالث ، شهادة ابراهيم الطيب ص ٥١٧ .

٣٤٣ ـ محكمة الشعب : الجزء السابع ص ١٥٥٧ .

عليا للجهاز السرى أو النظام الخاص ، الا من ذكرت » . وقد سأله المدعى: « ولماذا يقول ابراهيم الطيب هذا القول ؟ ، وما الذى دعاه الى أن يذكره ؟» فرد قائلا : « لا أدرى ما الذى يدعوه الى هذا الادعاء . وأنا أقول ان هذا كذب ، وغير صحيح ، واقطع بذلك فيما يختص بنفسى » ! (٣٤٤) .

كذلك انكر محمد خميس حميدة عضويته بالمجلس الاعلى للجهاد . فقد سأله جمال سالم :

ـ قرر ابراهيم الطيب ان هناك رئاسة عليا لنظام الجهاز السرى ؛ زى مجلس ادارة الشركات . من يكونون مجلس ادارة الشركة ؟.

محمد خميس حميدة : الذى أعرفه هو يوسف طلعت ، وهو يتصل مباشرة بالمرشد . فاذا كان المرشد قد عمل مجلسا ، فيكون هذا خاصا بالمرشد . والذى اعلمه أن صلاح شادى ويوسف طلعت يتصلون مباشرة بالمرشد .

جمال سالم : قرر ابراهيم الطيب فى اعترافاته أن اللجنة العليا التى تترأس الجهاز السرى مكونة من الاثنين ومن الشيخ فرغلى وسيادتك خميس حميده .

محمد خميس حميدة : الذى أقوله عن نفسى أنى لست مسئولا ، لا عضوا اعلى ولا عضوا أصغر فى هذه التشكيلة . واشهد واعترف بأنه ليس لى اتصال بهذه اللجنة العليا او اللجنة غير العليا » (٣٤٥) .

وفى موضع آخر انكر الدكتور محمد خميس حميدة وجود مجلس أعلى للاشراف على النظام قائلا : « ليس للنظام مجلس أعلى . انما هو يوسف طلعت فى نظامه ، وصلاح شادى فى نظامه ، كل واحد يتبع حسن الهضيبى مباشرة » (٣٤٦) .

ويتضح من ذلك انه فى حين يعترف محمد فرغلى بوجود مجلس اعلى ، او لجنة عليا ، للاشراف على الجهاز ، مع انكار عضويته فيها ، فان محمد خميس

---

٣٤٤ ـ محكمة الشعب : الجزء الثالث ، شهادة محمد فرغلى ص ٧٠٧ ـ ٧١٠ .

٣٤٥ ـ نفس المصدر : شهادة محمد خميس حميدة ص ٦٥٦ ـ ٦٥٨

٣٤٦ ـ محكمة الشعب : الجزء الخامس ، شهادة محمد خميس حميدة ص ١٠٤٢ .

حميدة ينكر وجود المجلس الاعلى أو اللجنة العليا اصلا ؛ ويقرر أن اتصـــال رؤساء الفروع الثلاثة للتنظيم السري كان بالمرشد بشكل مباشر .

وازاء هذا الخلاف ، فان شهادة حسن الهضيبي تعد ذات اهمية كبـيرة . فقد ذكر أنه عندما أقر مكتب الارشاد اقصاء عبد الرحمن السندي ، « عينا ثلاثة من الاخوان علشان يبقوا متصلين بالنظام . ووجه الصلة بينهم ـ يعني اللي يتصل بهم ـ عن طريق الشيخ محمد فرغلى . وان الدكتـور حسين كمال الدين ـ لأن اللجنة مكونة من حسين كمال الدين وكمال خليفة والشيخ فرغلي ـ علشان يبقوا يلاحظوا هذه المسألة ، والشيخ محمد فرغلي عضو في مكتب الارشاد ويتصل بهم . كما أني تركت العمـــل فيه للدكتور محمد خميس حميدة » (٣٤٧) . وترجمة هذا الكلام أنه تعينت لجنة من الدكتور حسين كمال الدين وكمال خليفة ومحمد فرغلى للاتصال بالنظام وكان ضابط الاتصال بين اللجنة والنظام هو الشيخ محمد فرغلى باعتباره عضوا فى مكتب الارشاد . وكان محمد خميس حميدة مفوضا فى ادارة شئون الجهـــاز .

وفى موضع آخر سئل بواسطة رئيس النيابة :

ـ هل حددتم أمام من يكون المسئول (يوسف طلعت) عن التنفيـذ وكيفيته ؟ .

الهضيبي ـ يوسف طلعت عين بقاله سنة وكسور ، ولم تحـدث اى حـادثة ! .

رئيس النيابة ـ وكان مسئول أمام مين ؟ .

الهضيبى ـ خميس وفرغلى .

رئيس النيابة ـ بس ؟ .

الهضيبى ـ ويمكن ـ أنا مش فاكر ـ يمكن حسين كمال الدين .

رئيس النيابة : فرغلى وخميس معا قررا أن المسئول الأول والاخير عن الجهاز السرى هو المرشد العام .

الهضيبى : قانونا كده صح . ولكن عملا هم كانـوا بيشوفوا كـل حاجة » (٣٤٨) .

وفى موضع ثالث سئل بواسطة جمال سالم :

ـ هل إطلعتم على الجهاز السرى وتفاصيله ؟

الهضيبى : ده موكول لخميس يشوفه هو وفرغلى .

---

٣٤٧ ـ محكمة الشعب : الجزء السابع ، شـــهادة حسن الهضيبى ص ١٤٤٤ ـ ١٤٤٥ .

٣٤٨ ـ محكمة الشعب : الجزء الرابع ، شـــهادة حسن الهضيبى ص ٨٤١ ـ ٨٤٢ .

جمال سالم : رغم انك انت المسئول عنه ؟
الهضيبى : مسئول قانونا ، ولكن فعلا هم المسئولين .
جمال سالم : هل المسئول قانونا يزاول حقه القانونى أم لا ؟.
الهضيبى : أنا لم أزاوله . وانا قلت لك أنه صعب علـى أن أباشر جماعة الاخـوان (٣٤٩) .

هذا الكلام للمرشد العام حسن الهضيبى يؤكد مسئولية الدكتور محمد خميس حميدة والشيخ محمد فرغلى عن الجهاز السرى ولكنه لا يشير أية اشـارة الى المجلس الأعلى للجهاد بالصـورة التى رواها يوسـف طلعت وابراهيم الطيب ومحمود عبده . وانما يشير الى لجنة للاتصال بالنظام عن طريق محمد فرغلى ، مع تفويض محمد خميس حميدة فى أدارة الجهـاز ومعنى هذا الكلام ان محمد فرغلى ومحمد خميس حميدة كـانا مسـئولين عن النظام بهـذه الصـفة ، وليس بوصـفهما عضوين فى مجلس الجهاد الأعلى ، وأن الهضيبى لم يعين مجلسـا اعلى للجهـاد بالشـكل الذى تحدث عنه يوسف طلعت ومحمود عبده وابراهيم الطيب .

واذا كان الامر كذلك ،فهل كان مجلس الجهاد الاعلى من اختلاق الثلاثة ولا أساس له من الحقيقة ؟ . فى الواقع أن الامر ليس كذلك ، وانما كان مجلس الجهاد الاعلى موجودا بالفعل ، ولكن الذى أنشأه لم يكن الهضيبى ، وانما محمد فرغلى ومحمد خميس حميدة المسئولان عن النظام ، وبالتالى لم يكن له صفة رسمية ، بمعنى أنه لم يكن فى تنظيم الجهاز السرى ، لان الذى يملك قانونا انشاء مثل هذا المجلس هو الهضيبى ، الرئيس الاعلى للنظـام الخاص ، وعلى ذلك ، فان انكار محمد فرغلى ومحمد خميس حميـدة كان منصبا على الشكل القانونى للمجلس ، بينما كان اعتراف يوسـف طلعت وابراهيم الطيب ومحمود عبده منصبا على الواقع الفعلى ، أما الهضيبى فان انكاره كان صحيحا لانه لم يعين مجلسا بهذا الاسم ، ولم يكن التنظيم يحوى مجلسا بهذا الاسم .

وفى الواقع أن محمد فرغلى ومحمد خميس حميدة كان لأبد أن يكـون لهما دور فى الجهاز السرى . فقد كانا عضوين فى اللجنة القديمة التى كانت تشرف على النظام الخاص أيام عبد الرحمن السندى ، والتى كانت تتكون من : الشيخ سيد سابق ، والشيخ محمد فرغلى ، والدكتور محمد خميس حميدة ، ومحمود الصباغ ، واحمد عادل ، وعبد الرحمن السندى . وهى

---

٣٤٩ ـــ نفس المصدر ص ٨٨٦ .

التى كانت « تحل وتربط فى هذا النظام . وكانت تتحكم فيه » كما يقـــول يوسف طلعت (٣٥٠) .

وقد كان للدكتور محمد خميس حميدة دور فى اقصاء عبـــد الرحمن السندى عن التنظيم ، كما سبق أن ذكرنا ، حين نشب الخلاف بينه وبين الهضيبى قبل الثورة ، وكون الهضيبى لجنـــة من محمـــد خميس حميـدة وعبد العزيز كامل والدكتور حسين كمال الدين لدراسة المشــكلة ، فقررت تعيين حلمى عبد الحميد رئيسا للجهاز بدلا من عبد الرحمن السندى .

كما لعب محمد فرغلى دورا آخر لا يقل أهمية فى طرد عبد الرحمن السندى كلية من الجماعة بأسرها ، بعد مقتل السيد فايز . وقد كشـــف الهضيبى عن هذا الدور ، فذكر أن الشيخ محمد فرغلى عرض على مكتب الارشاد مسألة اقصاء عبد الرحمن السندى من الجماعة ، بجميع الظروف التى احاطت بها ، وافهمه أنه هو الذى ارتكب الحوادث فى الاول ، وأنه مادام موجودا فى الجماعة فان اتصاله بالاخوان ، حتى ولو تنحى ظاهريا ، فانه ما يديناش اطمئنان كافى على اننا ننفذ الخطة اللى احنا عايزينها ، وبنـــاء على ذلك أقر مكتب الارشاد اقصاء عبد الرحمن السندى » (٣٥١) .

نحن أذن أمام عضوين غير عاديين من أعضاء الجماعة ، يملكان نفوذا وسيطرة فى النظام الخاص وفى النظام العام على السواء . وقد اشرنا الى تعيين يوسف طلعت رئيسا للجهاز السرى ، وقلنـــا أنه لـــم يتم الا بعـــد أستشـارتهما وموافقتهما ،باعترافهما وباعتراف الهضيبى . ولذلك فقـــد كان امرا طبيعيا للغاية أن يكون لهما دور قيادى فى التنظيم السرى الجديد برئاسة يوسف طلعت .

وهذا ما هب الشيخ محمد فرغلى للقيام به وممارســـته بعد خروج الجماعة من السجن الحربى فى آخر مارس ١٩٥٤ . فقد روى يوسف طلعت — كما ذكرنا — أن الشيخ محمد فرغلى دعاه وكلا من صلاح شادى ، رئيس تشكيل البوليس ، وأبو المكارم عبد الحى ، رئيس تشكيل الجيش ، وقال : « اننا نعتبر اللجنة العليا للجهاد فى دعوة الاخوان ، ودى اللجنة العليـــا

---

٣٥٠ — محكمة الشعب : الجزء السادس ، شهادة يوســـف طلعت ص ١٣٠٩ — ١٣١٢

٣٥١ — محكمة الشعب : الجزء السابع ، شـــــهادة حسن الهضيبى ص ١٤٤٤ — ١٤٤٥ .

للجهاد » . وقد كان هذا الكلام لمحمد فرغلي تعبيرا عن الواقع الفعلى . وسواء سمى هذا الامر الواقع باللجنة العليا للجهاد ام لم يسم على الاطلاق . لان رئاسة الجهاز السرى الفعلية كانت فى يد رؤساء التنظيم الثلاثة المسئولين عن البوليس والجيش والمدنيين ، وفى يد محمد فرغلى ومحمد خميس حميدة الموكل اليهما من قبل المرشد شئون هذا الجهاز . وقد ضم محمد فرغلى محمود عبده ، رئيس مكتب ادارى القاهرة ، الى هذه اللجنة للاستعانة بخبرته فى هذا الميدان .

وعلى كل حال ، فقد اعترف محمد فرغلي بدوره فى رئاسة الجهاز بصورة حاسمة دون أن يدرى ، حين تعرض للاتصالات التي جرت بين الاخوان والثورة فى أعقاب الافراج عنهم من السجن الحربى ، للقيام بنشاط فى القنال ضد الانجليز . وكان عبد الناصر قد شعر بحاجته الى مثل هذا النشاط فى القناة بعد أن اعلنت الحكومة البريطانية فى ٢٣ مارس ١٩٥٤ قطع المفاوضات مع مصر حتى تتخذ السلطات المصرية الاجراءات الكفيلة بحماية أرواح البريطانيين وممتلكاتهم (٣٥٣) — فيقول محمد فرغلي :

« أردنا أن نتعاون مع بعض رجال الثورة حينما كان يراد القيام بحركة فى القنال . واتصلت انا بأحد الضباط القائمين على هذا الأمر وكان هناك ضباط موجودون فى المنطقة ، كل واحد يختص بجهة معينة . فانا اتصلت بالهضيبى ، وقلت له : اننا فى منطقة القنال لابد أن نتعاون مع رجال الثورة فى اى عمل يطلب منا فى مقاومة الاستعمار . وطلبت من يوسف طلعت بالذات أن يختار من كل منطقة من المناطق اللى معين فيها ضابط من ضباط الثورة ، شخص مسئول (من الجهاز السرى) ليتصل به (بالضابط) ويتعاون معه فيما لو طلب ذلك . وفعلا تم هذا ، واختار الاسماء وقدم لى هذه الاسماء، ودعونا هؤلاء الاشخاص فعلا ، واجتمعوا فى ادارة الحرس الوطنى بحضور الصاغ كمال الدين حسين ، عضو مجلس قيادة الثورة ، وبعض الضباط ، وجاء مندوب من كل منطقة من المناطق . فعرفت هؤلاء المندوبين ، وعرفت انهم مسئولون لهم صلة بأوضاع النظام فى هذه المناطق » (٣٥٤) .

---

٣٥٣ — مذكرات كمال الدين رفعت : حرب التحرير الوطنية بين الغاء معاهدة ١٩٣٦ والغاء اتفاقية ١٩٥٤ ، اعداد مصطفى طيبة ص ٣١٨ .

٣٥٤ — محكمة الشعب ، الجزء الثانى ، شهادة محمد فرغلي ص ٧١١ — ٧١٢ .

وهذا الكلام حاسم فى اثبات دور محمد فرغلى فىرئاسة الجهاز السرى، حيث قد اعترف بأنه أصدر التعليمات ليوسف طلعت للاتصال بمندوبيه فى مناطق القنال للتعاون مع ضباط الثورة ، وبأن يوسف طلعت قدم لـــه الاسماء . وهذا لا يحدث الا اذا كان محمد فرغلى فى وضع يسمح له باصدار التعليمات لرئيس الجهاز السرى ، والا لاصدر الهضيبى هذه الاوامر مباشرة الى يوسف طلعت باعتباره الرئيس المباشر .

● سلطة اتخاذ القرار فى الجهاز السرى : ●

يتضح من ذلك أن الهضيبى قد فوض بالفعل اختصاصـــاته فى ادارة شئون الجهاز السرى الادارية لمحمد خميس حميدة ومحمد فرغلى . ولـــكن يلاحظ من المثال السابق أن محمد فرغلى لم يصدر تعليماته ليوسف طلعت الا بعد أن حصل هو نفسه على موافقة الهضيبى ، وهذا يثير قضية من فى يده سلطة اصدار القرار فى الجهاز السرى ؟

لقد ذكر محمد فرغلى ومحمد خميس حميدة ان سلطة اتخاذ القرار كانت فى يد الهضيبى بصورة قاطعة .فقال محمد فرغلى : «رئيس هذا النظام (يوسف طلعت) مسئول مسئولية مباشرة أمام المرشد العام ، ويتلقى منه الامر مباشرة ، ولا يتلقى من أى شخص آخر » (٣٥٥) . وفى موضع آخر ساله جمال سالم :

ـــ من الذى كان على رأس النظام السرى ؟
ـــ يوسف طلعت .
ـــ ويوسف طلعت يأتمر بأمر من فى الجماعة ؟
ـــ بأمـــر المرشـــد .
ـــ حسن الهضيبى ؟
ـــ نعم . (٣٥٦) .

وفى موضع ثالث ساله المدعى :

ـــ هل اذا اقر المجلس الاعلى لهذا الجهاز أمرا أراد تنفيذه ، هل تبت هذه اللجنة فى هذا الامر ، ثم تأمر بالتنفيذ دون الرجوع الى المرشد ، الرئيس الفعلى ، لتأخذ موافقته ؟

---

٣٥٥ ـــ نفس المصدر ص ٧٠٢ .

٣٥٦ ـــ محكمة الشعب : الجزء الخامس ، شـــهادة محمد فرغلى ص ١١٣٢ .

— أعتقد لابد من الرجوع الى المرشد .
— ليـــه ؟
— لانه الرئيس الاعلى . (٣٥٧) .

وقد اكد محمد خميس حميدة ايضا سلطة الهضيبى فى اصدار الأمر ، فقد سأله وكيل النائب العام عمن يرأس يوسف طلعت ، فقال :
— المرشـــد .
— هل يستطيع يوسف طلعت ان يتصرف من غير موافقة المرشد ؟
— لا .

— يعنى لابد ان المرشد يوافق علشان يعطى الامر وينفذ ؟
— أيـــوه .
— اعد الكلام ده من فضـــلك .
— رئيس الجهاز السرى هو يوسف طلعت ، ولا يمكن لرئيس الجهاز السرى ان يتصرف الا اذا اخذ امرا من المرشد . (٣٥٨) .

وفى موضع آخر طرح القضية بصورة حاسمة قائلا :
—— لايمكن أن ينفذ شيء فى الجهاز الا اذا صدر به امر من رياســة الجهاز .
جمال سالم — حولها الى اسماء .

حميدة — يسنى حسن الهضيبى يدى ليوسف طلعت، وده يدى للمسئول اللى بعده منه وهو ابراهيم طلعت رئيس منطقة القاهرة ، وده يدى لرؤساء الفصائل (٣٥٩) .

على أن الهضيبى انكر تماما مباشرته لهذا الدور ، وكانت عبارته فى هذا المجال : « انا لا أباشر التنفيذ » (٣٦٠) .

---

٣٥٧ — محكمة الشعب : الجزء الثالث ، شهادة محمد فرغلى ص ٧١٠
٣٥٨ — نفس المصدر : شهادة محمد خميس حميدة ص ٦١٧ .
٣٥٩ — محكمة الشعب : الجزء الخامس ، شهادة محمد خميس حميدة ص ٦٣٥ .
٣٦٠ — محكمة الشعب : الجزء الرابع ، شهادة حسن الهضـــيبى ص ٨١٤ .

بل لقد أنكر صلته الوثيقة بيوسف طلعت فى رئاسة التنظيم . فعندما سـئل :

ـ ما مدى ثقتك فى يوسف طلعت بعد عمله معك عامين ؟ .

ـ ما اتجهتش له . ما اتجهتش انني أختبر كفاءته . وانا سئلت مثل هذا السؤال فقلت انى ما أعرفش يوسف طلعت معرفة دخائل، ما اعرفش ايه فى نفسه . واحد جه علشان يكون رئيس لقسم : ده ينفع ؟ قالوا : ايوه ينفـع ! .

ـ اذا قال لك كلام ، تثق فيه أم لا ؟

ـ ما جربتوش فى أى شيء ، وما كنتش محتاج أنى أجربه (٣٦١) .

وقد برر الهضيبى عدم مباشرته سلطته فى ادارة الجهاز بقوله :

« أنا ما كنتش قادر على تنفيذ اختصاصات الرئيس السابق . ولـو بحثت الحقيقة تجد أنه فى سنة ١٩٥١ كنت مريض ، واصبت بالشلل وانا فى محكمة النقض والابرام . . ولكن الاخوان الحوا على فى أن اقبل (منصـب المرشد) وقالوا : احنا موش عايزين منك حاجة . احنا نجيب لك الاوراق ، واللى يعجبك تمضيه ، واللى ما يعجبكش ما تمضهش . فقبلت على هذا الشرط . ولكن بعد ذلك وجدت أن اللى وعدونى به من انجـاز العمل بواسطتهم لم يتحقق . . وبعد خمسة أو ستة اشهر ، رأيت أن العمل وقف فى الاخوان ، وبعض الاعضاء يوجهون اللوم للمرشد ، قلت لهم : طيب ، يطلع المرشد ! . فما رضيوش . فجبت الدكتور خميس علشـان يتولى التنظيمات الادارية والاعمال الادارية . ومن وقتها ، وأنا لا اجد فى كل شهر جواب أمضيه وبس . وانما كانت مهمتى قاصرة على زيارة البلاد واستقبال الناس ومراسلى الصحف » (٣٦٢) .

ولكن ما هى رواية يوسف طلعت فى هذا الشأن ، وهو الذى يستطيع أن يحسم الامر ، ويحدد ممن كان يتلقى أوامره ؟ . هناك روايتان ليوسف طلعت بهذا الصدد : الاولى ، وتؤيد رواية الهضيبى ، والثانية ، وتؤيد رواية محمد خميس حميدة ومحمد فرغلى ! .

وبالنسبة للرواية الاولى فقد سئل بواسطة الدفاع :

ـ هل قابلت المرشد بعد تعيينك ؟

---

٣٦١ ـ نفس المصدر : ص ٨١٤ ـ ٨٢٢ .

٣٦٢ ـ نفس المصدر ص ٨١٤ ـ ٨١٦ .

ـ أيـــوه .
ـ قال لك أيه ؟

ـ قال : « موش عايز روح العصابة تهيمن على الافراد ، والتزمت ، والسرية . عايز الروح دى تنشال .

ـ هل قابلت المرشد تعرض عليه حاجة خاصة بالجهاز بعد هـــذه التنظيمات ؟

ـ تفصـــيلات ؟

ـ أيـــوه .

ـ لا .

ـ أمال كنت تتكلم مع مين فى شئون الجهاز الذى توليت رئاسته ؟ . كنت بتقدم حساب للمرشد عن الجهاز فى المأمورية التى كنت مكلفا بها ؟ .
ـ حساب أيه ؟ أفراد واللا سلاح ؟

ـ يعنى كنت بتقدم له تقارير عن تنظيم ، تسليح ، حساب الافراد ، الاشتراكات . مقدار تقدم التدريب ؟

ـ مرة قلت له علشان حكاية الاختلافات . وقلت له ربنا يسهل ! .
ـ كنت تتصل بالدكتور خميس فى هذا الشأن ؟ .
ـ الاول ، لغاية ما زعلنا من بعض .

ـ هل كان هو الواسطة بينك وبين المرشد ؟
ـ أيـــوه (٣٦٣) .

أما الرواية الثانية ليوسف طلعت ، فكانت ردا على سؤال لرئيس المحكمـــة :

---

٣٦٣ ـــ محكمة الشعب : الجزء السادس ، شهادة يوســـف طلعت ص ١٣٣٨ ـــ ١٣٣٩ .

ـــ أنت تبع حسن الهضيبى ؟

ـ حسن الهضيبى كان مرشد الاخوان .. يعنى لو انشال وجبنا واحد تانى أبقى تبعه . النظام والعرف كده .

ـ هل يمكن أن تعمل حاجة بالجيش بتاعك من غير ما تاخذ موافقة من المرشد ؟ .

ـ موش ممكن .

ـ يعنى فى اى عمل كبير : تروح تحارب فى فلسطين مثلا ـ مش لازم تأخذ موافقته ؟ .

ـ أيــوه (٣٦٤) .

هاتان هما الروايتان اللتان ادلى بهما يوسف طلعت ، وتبدوان متعارضتين ، ولكنهما ليستا كذلك عند امعان النظر . فقد انكر يوسف طلعت أنه يعرض التفصيلات على الهضيبى ، وهو ما يتفق مع رواية الهضيبى التى روى فيها انه ليس على صلة وثيقة بيوسف طلعت ، وكان نص عبارته : « أنا ما ليش صلة به كثير ، أنا لا أباشر التنفيذ » . كما تتفق مع رواية محمد خميس حميدة التى روى فيها أن يوسف طلعت لا يستطيع أن يتصرف بدون أمر من المرشد . ومعنى ذلك ان الهضيبى لم يكن يرجع اليه فى التفصيلات ، وانما فى الخطوط العريضة او الجليل من الامور ، حيث لم يكن يوسف طلعت يستطيع التصرف فيها بدون أمر أو موافقة المرشد . وفى ذلك اثبات لمباشرة الهضيبى اختصاصاته ، وانه اليه وحده الامر فى اتخاذ القرار .

وهذه النتيجة معقولة تماما ولا يتصور عكسها . بدليل ان الذى أتى بيوسف طلعت الى رئاسة التنظيم السرى ، انما هو الخلاف الذى حدث بين الهضيبى وعبدالرحمن السندى بسبب عدم خضوع الاخير لاوامر المرشد . صحيح أن الخلاف بدأ بسبب رغبة الهضيبى فى الغاء النظام ، ولكن بعد أن قبل بقاءه استمر الخلاف أيضا لرفض عبد الرحمن السندى الخضوع له . فقد قرر محمد فرغلى أن المدة التى قضاها عبد الرحمن السندى ، وهى اكثر من سنة ، كانت « تتخللها فترات خلاف وفترات وفاق . وفى فترة الوفاق كان

---

٣٦٤ ـ نفس المصدر : ص ١٣١٤ ـ ١٣١٥ .

يستجيب فيها عبد الرحمن السندى للهضيبى » . ثم قال : « ان أوضاع الجماعة تقتضى أن رئيس النظام خاضع للمرشد . فاذا اختلف رئيس النظام مع المرشد ، يجب ان يتنحى رئيس النظام ، بقطع النظر عن بقاء النظام ذاته » (٣٦٥) .

وعلى ذلك فان انكار المرشد مسئوليته عن مباشرة التنفيذ ، لا يعنى أنه قد تخلى عن مسئولية اتخاذ القرار ، أو أن رئيس النظام السرى يوسف طلعت كان يستطيع أن يتصرف بالجهاز كما يشاء دون الرجوع للمرشد .

ولقد باشر محمد خميس حميدة فى الفترة الاولى شئون الجهاز مع يوسف طلعت باعتباره واسطة بينه وبين المرشد ، ولكن بعد أن دب الخلاف بينهما توقف هذا الاتصال وقد عبر يوسف طلعت عن ذلك بقوله انه كان يتصل بالدكتور خميس « لغاية ما زعلنا من بعض » . ولكن هذا الخلاف بينهما لم يكن خلافا شخصيا ، وانما كان انعكاسا للخلاف بين فريقين فى الاخوان : فريق على رأسه الهضيبى ، وفريق على رأسه محمد خميس حميدة وقد انحاز الجهاز السرى الى فريق الهضيبى كما سوف نرى .

---

٣٦٥ ـ محكمة الشعب : الجزء الثالث ، شهادة محمد فرغلى ص ٧٠٤ ـ ٧٠٥ .

الفصل العاشر

انتقال الاخوان إلى العمل السرى

فى تلك الاثناء كانت العلاقات بين الاخوان وعبد الناصر قـد تطورت بعد التوقيع على المبادىء الاساسية لاتفاقية الجلاء ، عندما اعتزمت الجماعة تحويل الخلاف بينها وبين الثورة الى قضية وطنية ، وعندئذ اخذ عبد الناصر فى معاقبة الجماعة على النحو الذى يرويه الهضيبى فى خطابه الى الاخوان المسلمين يوم ٩ سبتمبر ١٩٥٤ قائلا :

« عدت من رحلتى الى البلاد العربية ، فوجـدت الامور اكثر تأزما ، ووجدت الشائعات تقول ان الاخوان المسلمين لايتعاونون مع رجال الانقلاب، وتهديدات بحلهم ، وتنقلات للموظفين (من الاخوان) بالجملة ، واتهامات باطلة ، ومصادرة لجميع الوان النشاط حتى الرياضى ، ومنع لصلاة العيد فى فضاء المدينة ، واعتقال لخطباء المساجد ، وتفتيش بيوت الاخوان ، واعتقال بعضهم . ووجهت الينا حملة صحفية ظالمة ، ولم يسمح لنـا لا بالكتابة ، ولا بالقول فى محافلنا . وكنا قد اصدرنا مجلة الاخوان المسـلمين ، فضيق عليها وشطبت منها المقـالات والتعليقات والانبـاء ، حتى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية . فأوقفناها مضطرين لانها اصبحت لا تعبر عن شئون الدعوة فى قليل أو كثير . وكان مما وقع منهم فى محافلهم ان جعلوا يحرضون بعض الناس على الاخوان المسلمين ، ويغرونهم بهم . واخـذت الجرائد ، وهى لا تكتب الا ما تبيح الحكومة بنشره ، تشكك الناس فى الاسلام وحكم الاسلام، وداب خطباؤهم فى محافلهم على مثل ذلك متمثلين ببعض الـدول التى تدعى الحكم بالاسلام ، وهى ابعد ما تكون عنه .. هذا ما وجدته عند عودتى ، ولا اظن انسانا عنده مسحة من عقل يستطيع ان يحمل الاخوان المسلمين تبعة ذلك ، ولا ان يجد مبررا له عند رجال الحكومة . (٣٦٦) .

فى تلك الظروف فاجأ الهضيبى الحكومة والاخوان باختفائه عن الانظار ، واختفى معه عدد من قادة الجماعة ، ومنذ ذلك الحين بدات صفحة جديدة . فهل كان هذا الاختفاء تمهيدا لعمل جديد ، ام كان اختفاء اضـطراريا تحت ضغط الارهاب الحكومى ؟

اغلب الظن أن السبب الاخير كان وراء الاختفاء . فقـد ذكر حسن العشـماوى فى مذكراته أن مادعا الهضيبى الى الاختفاء هـو ما تاكد لـه

---

٣٦٦ ـــ خطاب من حسن الهضيبى الى الاخوان المسلمين فى ٩ سبتمبر ١٩٥٤ (الدعوة فى فبراير ١٩٧٧) .

« وما تأكد لنا من انه قد صدر أمر بالقبض عليه نتيجة اجتماع عام عقده فى المركز العام للاخوان ، ورد فيه على اتهامات جمال عبد الناصر » (٣٦٧) .

وقد روى محمد خميس حميدة ما يؤيد هذا الرأى . فقد ذكر ان « رجال البوليس راحوا سألوا عن المرشد فى البيت ، فظن انه مطلوب للاعتقال أو القبض عليه ، فقال : انا حاسلم نفسى للبوليس » (٣٦٨) . وروى محمد فرغلى أن الهضيبى صارح بعض الاخوان الذين زاروه فى مخبئه بأنه « يخشى على نفسه الاغتيال ، وانه اختفى حتى لا يحمل الجماعة تبعة ذلك ، ومن جانب آخر ليعطى بعض الاخوان الذين يريدون التفاهم مع الحكومة فرصة لهذا التفاهم » (٣٦٩) . وقال محمد فرغلى أنه زار الهضيبى مع بعض الاخوان « وسألناه عن سبب الاختفاء ، فقال : انا اختفيت لانه بلغنى أخبار يقين بأنى مهدد بالاغتيال » . (٣٦٩)

وقد اعترف الهضيبى بهذا السبب نفسه . فعندما سئل عن سبب اختفائه قال : « قيل لى ان الحكومة تريد اغتيالى » . وقد سئل عمن ابلغه ذلك فقال : « يمكن عبد القادر ، يمكن خميس .. موش متحقق » (٣٧٠) .

واذا كان هذا هو سبب الاختفاء ، فهل كان الهدف منه الاستعداد للمعركة أم الانسحاب من المعركة ؟ .

يقول الهضيبى انه أراد من اختفائه « الاعتزال » . ويذكر السبب فى ذلك فيقول انه حين عاد من سوريا وجد أن الاخــوان يتكلمون كثيرا ، ولا يتفقون على شىء ، « واكمالا للخطة بتاعتى من البعد عنهم حتى لا يظن أنى مؤثر فيهم ، اعتزلت » (٣٧١) .

على ان رواية محمد خميس حميدة فى هذا الشأن تنقض هذا الكلام . فقد ذكر انه ذهب الى الهضيبى فى مكان اختفائه لمطالبته بأن يترك لمكتب

---

٣٦٧ ـ حسن العشماوى : الاخوان والثورة ص ٥٩ .

٣٦٨ ـ محكمة الشعب : الجـزء الثالث ، شـهادة محمد خميس حميدة ص ٦٥٠ .

٣٦٩ ـ محكمة الشعب ، الجـزء الرابع ، شـهادة محمد فرغلى ص ٧٧٣ ـ ٧٨٣ .

٣٧٠ ـ نفس المصدر : شهادة حسن الهضيبى ص ٨٢٥ ـ ٨٣٦ .

٣٧١ ـ نفس المصدر

الارشاد التصرف فى كل ما يتعلق بالجماعة ، « فقال لى : انا حر ، ادى اللى عاوز اديله . انت وكيل فى غيابى فقط ، وانا موجود » (٣٧٢) .

وقد يكون مفيدا فى القاء الضوء على هذه المسالة ان نذكر ان الهضيبى لم يختف وحده ، فقد سبقه الى الاختفاء يوسف طلعت بفترة وجيزة (٣٧٣) . كما اختفى معه كل من صلاح شادى ، ومحمود عبده ، وحسن العشماوى ، وكمال عبدالرازق ، وصالح ابو رقيق ، ومنير دلة ، وعبدالقادر عودة(٣٧٤) ، ولما كان عبد المنعم عبد الرءوف مختفيا قبل ذلك منذ هروبه ، فمعنى ذلك أن رؤساء تشكيلات الجهاز السرى كانوا فى الاختفاء ، وكان هؤلاء بالاضافة الى القادة الاخرين السالف ذكرهم هم الذين اخذوا ــ كما يقول محمد خميس حميدة ــ يديرون سياسة الاخوان فى تلك الفترة (٣٧٥)

ومعنى هذا الكلام بوضوح ان الجماعة انتقلت من العمل العلنى الى العمل السرى ، وتحولت من جماعة علنية الى جماعة سرية . وهذا مـــا يصوره لنا حسن العشماوى فى مذكراته ، فيذكر انه فى فترة اختفاء الهضيبى فى القاهرة «اجتمع مع زملائه اعضاء مكتب الارشاد مرتين ، فضلا عن اجتماعات تكميلية تمت مع من أراد الاجتماع بهم من الاعضاء » . وهذه الاجتماعات تمت فى سرية تامة ، حيث « كان الاستاذ الهضيبى فى المرتين يحدد لنا الموعد فى الليلة السابقة مباشرة على الاجتماع ، تاركا لنا تحديد مكانه ، وعلينـــا الا نخبر احدا بمكان الاجتماع أو زمانه ، الا قبله بدقائق » . وقد بلغ من احكام السرية « أننا انفسنا ، يا من كنا نقوم بتنظيم الاجتماع ، لم نكن نستطيع أن نعلم مكانه تحديدا الا قبله بســـاعات قلائل ، لاننا كنا ننتهز الفرص لنعثر على مكان مناسب يتم فيه الاجتماع ، ثم نعتبر هذا المكان بعد ذلك منطقة مكشوفة محرمة علينا ان نرتادها . وكنا نجمع الاعضـــاء فى مكان الاجتماع

---

٣٧٢ ــ محكمة الشعب : الجـــزء الثانى ، شـــهادة محمد حميس جميدة ص ٦٦٤ .

٣٧٣ ــ محكمة الشعب ، الجزء الخامس ، شـــهادة محمد فرغلى ص ١١٤٧ .

٣٧٤ ــ محكمة الشعب : الجزء الثالث ، شهادة محمد خميس حميدة ص ٦٤٠ ــ ٦٤١ .

٣٧٥ ــ نفس المصدر .

أولا ، ثم ننتقل الاستاذ الهضيبى ، تحت العيون التى لا تغفل . من مكان سكناه الى مقر الاجتماع ، ونرجع به قبل أن يغادر المكان غيره » (٣٧٦) .

ولاشك أن المسئول عن هذه النتيجة ، وهي تحول الجماعة من العمل العلنى الى العمل السرى ، هو النظام الدكتاتورى الذى فرضه عبد الناصر بعد انتصاره على القوى الديمقراطية والتقدمية فى أزمة مارس ، والذي منع فيه جماعة الاخوان من ابداء رأيها فى المعاهدة فى اطار ديمقراطي ، واعتبر نشاطها فى معارضة هذه المعاهدة نشاطا يستحق من يقوم به الاعتقال والتنكيل . فمن المحقق انه كان لجماعة الاخوان الحق فى معارضة المعاهدة ، وممارسة هذه المعارضة علنا بكل الوسائل المشروعة ، دون أن يترتب على ذلك اى صدام مع الحكومة . فهـذا هـو المفروض فى النظم الديمقراطية التى تؤمن بحرية الشعب فى ممارسة الحكم . وكان فى وسع عبد الناصر الدعاية للمعاهدة بكل ما يملك من وسائل الاعلام ، وما يسخره من أقلام ، وفضح قبول الاخوان للمبادىء التى قبلها هو اساسا للمعاهدة . ولكن عبد الناصر لم يكن يؤمن بالاساليب الديموقراطية فى ممارسة الحكم ، مما اضطر الاخوان للنزول تحت الارض ومباشرة نشاطهم بشكل سرى . وقد كان على الاخوان فى ذلك الحين أن يدفعوا ثمن وقوفهـم الى جانب الدكتاتورية ، وأن يدركوا أن نيران الدكتاتورية لا يمكن أن تقتصر طويلا على خصومهم الوفديين والشيوعيين ، وانما لابد أن يصل لهبها اليهم ليحرقهم .

ومن المثير ان الاخوان عرفوا هذه الحقيقة متأخرا حين أخذ الخلاف بينهم وبين عبد الناصر يأخذ شكل صدام خطير . فقد روى سيد قطب ، الذي كان فى تلك الفترة يرأس تحرير جريدة « الاخـوان المسلمون » ، التى صدر العدد الاول منها فى مايو ١٩٥٤ (٣٧٧) ، أنه توجه الى بيت الهضيبي فى الاسبوع الاول من عودته من سوريا — أى فى أواخر اغسطس — «وأعدت عليه الاقتراح الذى كنت اقترحه دائما ، وهو أن على الاخوان المسلمين أن يقوموا بواجبهم فى المطالبة برد الحريات الشعبية ، وخاصة الضـمانات القانونية . كنت أود ، وكنت أدفع الجماعة أن تكون جماعة شعبية ، أي أن تطالب بقضايا الشعب مطالبة علنية ، وتؤدى دورها فى هذا باعتبارها أكبر جماعة فى البلاد ، ومن واجبها الا تترك قضية أو مظلمة من مظالم الشعب

---

٣٧٦ — حسن العشماوى : المرجع المذكور ص ٥٩ — ٦٠ .
٣٧٧ — الدعوة عدد يناير ١٩٧٨ .

الا وتتبناها وتدافع عنها ، وتخرج الى الطريق ، الى الناس ، وتذكر لهم اغراضها ، وتقود الحركة الشعبية (٣٧٨) .

على ان أجهزة الرقابة فى نظام عبد الناصر وقفت بالمرصاد لجريدة « الاخوان المسلمون » حين أرادت اداء هذا الدور ، حتى انها ــ كما ذكر الهضيبى فى خطاب ٩ سبتمبر ــ « كانت تشطب آيات القرآن والاحاديث النبوية » . وبذلك أصبحت الجريدة « لا تعبر عن شئون الدعوة فى قليل أو كثير » ، وعندئذ قرر سيد قطب اغلاقها ، وعلى حد قوله : « أغلقت الجريدة باختيارى ، لانى لم استطع ان انشر فيها ما أريد بسبب الرقابة » (٣٧٩) .

● حرب المنشورات ●

فى ذلك الحين ، تركز نشاط الجماعة فى المنشورات ، لتعبئة الرأى العام ضد المعاهدة . وكان يقوم على هذا النشاط الجهاز السرى بقيادة يوسف طلعت ، الذى كانت اجهزته المنبثة فى القطر تتولى توزيع المنشورات على أوسع نطاق ممكن .

وسلاح المنشورات لم يبرز ــ فى الحقيقة ــ مع عملية اختفاء الهضيبى وكبار قادة الاخوان ، وانما برز اثناء حل الجماعة فى ١٤ يناير ١٩٥٤ وفترة الاعتقال فى السجن الحربى . وفى ذلك يقول محمد خميس حميدة : « واحنا فى المعتقل كان فيه منشورات يوسف طلعت » (٣٨٠) . وفى ذلك الحين صدرت نشرة منتظمة بلغ عدد الاعداد التى صدرت منها حتى فبراير ١٩٥٤ خمسة .

وكانت هذه النشرات والمنشورات تستخدم لغة الدين فى اثارة روح الحماسة والتضحية والفداء فى نفوس الاخوان . وعلى سبيل المثال ، فقد صدر فى العدد الخامس من نشرة الاخوان المسلمين فى فبراير ١٩٥٤ ، تحت توقيع حسن الهضيبى ما يلى :

---

٣٧٨ ــ محكمة الشعب : الجزء السادس ، شهادة سيد قطب ص ٢٥٨ .

٣٧٩ ــ خطاب حسن الهضيبى الى الاخوان المسلمين فى ٩ سبتمبر ١٩٥٤ (الدعوة عدد فبراير ١٩٧٧) .

٣٨٠ ــ محكمة الشعب : الجزء الخامس ، شهادة محمد خميس حميدة ص ١٠٩٥ .

« يا شباب الاخوان ، تعالوا نشترى الجنة بسياط العذاب وبرصاص أعداء الله .

تعالوا نرق الدم المسفوك والدم الساخن ، ليكون أوسمة نحلى بهـا صدور الشهداء .

تعالوا نشم أريج الجنة ، فداء لله وللدين .

وتعالوا ننعم النظر الى جمال الله وصحبة رسول الله .

تعالوا الى ما وعـد الله فى كتابه الكريم : « وجوه يومئذ راضية » ، و « بشر المؤمنين » .

والله اكبر ولله الحمد » (٣٨١) .

وقد توقفت المنشورات بعد الافراج عن الجماعة ، لتستانف مرة اخرى عندما عاد الخلاف مع عبد الناصر ، واخذت الرقابة تمنع جريدة « الاخوان المسلمون » ، التى يديرها سيد قطب ، من نشر ما لا يتفق مع راى النظام. فقد أصدر النظام السرى مجلة سرية بعنوان : « الاخوان فى المعركة » ، تشير الدلائل الى انها كانت تصدر فى وجود المجلة العلنية قبل اغلاقها ، وتنشر فيها ما لا تجيز الرقابة نشره فيها . فقد ورد على لسان محمد خميس حميده ، فى معرض تدليله على معارضة مكتب الارشاد لهـذه النشرات : « احنا قلنا ان اللى يصلح (من المقالات) ننزله فى الجـريدة ، وننزله احنا يا مكتب الارشاد . ليه نطلع منشورات ؟ (٣٨٢) .

على أن الهضيبى كان موافقا تماما على هذه النشرات ، ويشجع على صدورها . بل لقد كان صاحب فكرة طبع المقالات التى تصادرها الرقابة وتمنع نشرها فى المجلة العلنية ، فى شكل منشورات . فقد روى سيد قطب أنه زاره بعد عودته من سوريا ، وشكا اليه من أنه لا يستطيع أن ينشر فى الجريدة مايريد بسبب الرقابة ، وانه بقيت لديه تعليقات كثيرة لم يسـمح الرقيب بنزولها ، و اننا لا نستطيع أن نوصل صوتنا الى الشعب » ! . وقد رد عليه المرشد قائلا : « ان مكتب اداري القاهرة (ويرأسه محمود عبده) (٣٨٣) له امكانيات ، ويطبع منشورات الاخوان ، فيمكن أن يطبع هـذه

---

٣٨١ ـــ محكمة الشعب ، الجزء الرابع ، مرافعة النيابة ص ٩١٦ — ٩١٧ .

٣٨٢ ـــ محكمة الشعب : الجزء الخامس ، شـــــهادة محمد خميس حميدة ص ١٠٩٦ .

٣٨٣ ـــ محكمة الشعب : الجزء الثانى ، شـــــهادة محمد عبد المعز ص ٣٧٥ .

المقالات والتعليقات التى تقف الرقابة دونها » . ويقول سيد قطب انه ذهب بعد ذلك الى رئيس مكتب ادارى القاهرة لهذا الغرض ، فأخبره بأنه لايملك سوى « ماكينة صغيرة » ، فعاد الى المرشد ، الذى أمر فورا بصرف ثمن ماكينة رونيو جديدة لهذا الغرض بلغ ثمنها ١٨٠ جنيها (٣٨٤) .

ومع تصاعد الصراع بعد هجوم المرشد على توقيع مبادىء اتفاقية الجلاء ، اخذت المجلة السرية تتجاوز حدودها الموضوعية فى النقد والهجوم. فقد احتوى أحد هذه الاعداد ، الى جانب الهجوم على المعاهدة ، على اتهام لعبد الناصر بأنه قد اثث بيته بمفروشات من القصور الملكية المصادرة عن طريق لجنة جرد القصور . وكان هذا الاتهام باطلا باعتراف محمد خميس حميدة نفسه الذى ذكر انه يعرف أنه لا يوجد فى بيت عبد الناصر من الاثاث « سوى العفش اللى كان فيه من أيام زواجه » (٣٨٥) .

وقد ازعج هذا التجاوز الكثيرين داخل مكتب الارشاد ، ولما كان محمد خميس حميدة ينوب عن المرشد فى الاشراف على الجماعة اثناء غيابه فى البلاد العربية ، فقد استدعى يوسف طلعت « وقلت له : ازاى العدد ده ينزل ؟ وكيف تنزل اشياء من غير أن ترسلها لمكتب الارشاد ويوافق عليها ؟ قال : انا آخذ أوامرى من الهضيبى رأسا مش منك ، وانا مش بآخذ منك أى شيء . قلت له : المرشد مش موجود هنا الان ، وانا قايم بعمل المرشد مع مكتب الارشاد . قال : « ولو ! احنا نتصل به فى سوريا ! » (٣٨٦) . وكان حميدة قد علم بالعدد قبل صدوره ، وطلب عدم اصداره ، وفوجىء بنـزوله .

وقد اعترف يوسف طلعت بهذه الواقعة . فقد روى أن محمد خميس حميده كلمه فى مسـألة نشرة « الاخـوان فى المعركة » ، وقال لـه : « دى ما تنزلهاش . قلت له : يادكتور ، دى نزلت ! . فقال لى : ازاى تنزلها مـن غـير اذنى ؟ . وبعدين قال لى : « لما أقول لـك ما تنزلهاش تبقى ماتنزلهاش » . فانا قلت له : « هى المسألة مسـألة راى ، وانا وزعت

---

٣٨٤ ـ محكمة الشعب : الجزء السادس ، شهادة سيد قطب ص ١٢٥٧

٣٨٥ ـ محكمة الشعب : الجـزء الثالث ، شـهادة محمد خميس حميدة ص ٦٢٩ ـ ٦٣٤ .

٣٨٦ ـ نفس المصدر : الجزء الخامس ، ص ١٠٥٥ .

النشرة » .. وحصـلت مناقشـة ، وقال : « انصرف ! » . وسـيبنا الموضوع (٣٨٧) .

فى ذلك الحين كان سيد قطب يرأس تحرير مجلة «الاخوان فى المعركة» السرية . وهذا ما يفهم من كلام يوسف طلعت ، فقـد روى أنه كان يتلقى من سيد قطب « شوية مقالات » . وعندما سأله رئيس المحكمة جمال سالم عمن يقوم بتحرير الاخبار ، تهرب يوسف طلعت قائلا :

— موش فاكر حاجة من الاخبار . ويعنى حتهمك حقيقة هذه الاخبار ؟

— سيد قطـب كان بيكتبهـا ؟

— أيوه يا فندم (٣٨٨) .

على كل حال ، فقد استمرت مجلة « الاخوان فى المعركة » فى الصدور بعد مجىء الهضيبى ، باعتراف حميدة ، الذى يذكر انه عرض على الهضيبى قصة الخلاف بينه وبين يوسف طلعت بخصوص المجلة ، فرد عليه قائلا : ان « الاخوان متضايقين منك فى الوضع ده ، لأنك مش مريحهم ، وسياستك مش عاجباهم » وقد سأله وكيل النائب العام :

— سياسة ايه ؟

— سياسة المهادنة مع الحكومة » (٣٨٩) .

ولم يلبث نشاط المنشورات ان ازداد بعد اختفاء الهضيبى ومساعديه. يقول حميده : « فى الفترة الاخيرة ، المنشورات كانت بتنزل من غير مانعرف والامور كانت تدار دون علمنا » . وقد سأله جمال سالم :

— من الذى كان يديرها ؟

— المرشد مع الاخوان المختفين معه (٣٩٠) .

كان أبرز المنشورات التى ظهرت فى ذلك الحين ، المنشور الذى صدر باسم اللواء محمد نجيب ، رئيس الجمهورية ، ضد المعاهدة . وقد ذكـر محمد نجيب انه كتب آراءه فى المعاهدة فى مذكرة أرسلها ، ولكن هذه المذكرة

---

٣٨٧ — محكمة الشـعب : الجزء السادس ، شهادة يوسف طلعت ص ١٣٥١ — ١٣٥٢ .

٣٨٨ — نفس المصدر ص ١٣٥٢ — ١٣٥٣ .

٣٨٩ — محكمة الشعب : الجزء الخامس ، شهادة محمد خميس حميدة ص ١٠٩٦ — ١٠٥٥ — ١٠٥٦ .

٣٩٠ — نفس المصدر : ص ١٠٩٩ — ١١٠٠ .

«وصلت الى الاخوان المسلمين ، الهيئة الوحيدة المنظمة والمصرح بوجودها ، عن طريق لا اعرفه ، فقاموا بطبعها ، وتوزيعها منشورا » (٣٩١) . وقد روى ابراهيم طلعت ، رئيس مناطق القاهرة ، انه وجد مذكرة محمد نجيب مع عبد القادر عودة ، فى شكل « ورقة مكتوبة بالرصاص ، مسودة بدون توقيع » . وقد سأله عبد القادر عودة عما اذا كان يعرف مكانا يستطيع فيه طبع هذا الكلام . فأخبره بأن « فيه بعض الاخوان الذين يستطيعون القيام بطبع هذا الكلام . وفعلا أخذنا هذه الورقة ، وقمنا بطبعها ، ووزعت على رؤساء المناطق ، فقاموا بتوزيعها (٣٩٢) . وكان نقد الرئيس نجيب قائما على نقطة الاعتداء على تركيا فى المعاهدة الذى يبيح للقوات البريطانيةالعودة الى مصر واستغلال الموانىء والمطارات (٣٩٣) .

اما المنشور الثانى ، فكان بقلم سليمان حافظ . وكان سليمان حافظ ، الذى كان يشغل منصب وكيل مجلس الدولة عند قيام الثورة ، قد لعب دورا أسود فى تحويل مسارها ألى الطريق الدكتاتورى منطلقا فى ذلك من موقف حزبى متعصب ضد الوفد ، حيث كان من رجال الحزب الوطنى قبل الثورة . وقد وضع خبرته القانونية فى خدمة النزعة الدكتاتورية لضباط الثورة . وقد تخلص عبد الناصر منه كما تخلص من غيره من رفاق الطريق ممن ادوا أدوارا ضد الوفد وضد الديمقراطية . ولكنه عاد فى ذلك الحين يتذكر الديمقراطية ويبحث عن دور جديد يكفر به عن خطاياه ، وكانت اتفاقية الجلاء هذهالمناسبة المختارة . وكان المنشور فىالاصل حديثا للنشر فى جريدة «الاخوان المسلمون» ثم تحول الى منشور بعد تعذر نشره وتوقف الجريدة ، وصدر تحت عنوان : « حديث وزير سابق » (٣٩٤) .

وفيما عدا هذين المنشورين ، فقد اتبعت المنشورات الاخرى نفس أسلوب استخدام لغة الدين فى تعبئة المشاعر ضد النظام استعدادا للاطاحة به عند سنوح الظروف المناسبة . ففى منشور بعنوان : « مناجاة » ، ورد به الآتى :

---

٣٩١ ـ محمد نجيب ، المرجع المذكور ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨ .

٣٩٢ ـ محكمة الشعب : الجزء الثانى ، شهادة ابراهيم الطيب ص ٤٧١ ـ ٤٧٢ .

٣٩٣ ـ محمد نجيب ـ المرجع المذكور ص ٢٢٧ .

٣٩٤ ـ محكمة الشعب : الجزء السادس ، شهادة يوسف طلعت ص ١٣٤٢ .

« اللهم انك تعلم ان أعداءك قد فجروا فى الارض ، والحدوا فى اسمائك وحاربوا قرآنك ، وعطلوا قيوده ، وفتنوا المؤمنين من عبادك .

« اللهم ازل دولتهم ، واكسر شوكتهم ، وفرق جمعهم ، واجعل باسهم بينهم ، وانصرنا عليهم ياخير الناصرين .

« اللهم انك ترى أن السجون قد غصت بعبادك المؤمنين . وانت وحدك سبحانك تعلم سرهم ونجواهم ، وهم عبادك يعملون لدعوتك . . » (٣٩٥) .

وقد صدر منشور من المرشد العام مؤشر عليه فى ٥ اكتوبر ١٩٥٤ ، يحمل نفس النبرة ، نبرة الاثارة الدينية ، ويدعو الى الاستعداد لحمل السلاح قائلا :

« الى جنود الله فى ارضه . يأمرنا الله فى كتابه العزيز بقوله تعالى : **((وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عـــدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم)) .**

« فيا أيها الاخ الكريم ، قد جاء يومك ، وعليك أن تستعد وتتاهب . . فأمامنا اعداء وليس عدوا واحدا ، الا وهم : الكفرة ، والفجرة حكام هذا الوطن العزيز . . هؤلاء الذين ليس فى قلوبهم مسة من الرحمـــة او ذرة من شفقة . وهذا الشعب البائس ، الذى يحكمه الطغاة ، لايصح أن يعيش فى هذه الذلة والمسكنة .

« الا تعلم ايها الاخ انهم يشردون اطفالك باعتقالاتهم الجنونية ، وربما يحتاج الامر الى استعمال القسوة فى معاملتهم . فعلى كل اخ يعتز بدعـــوته أن يستعد بكل ما عنده من مال وسلاح ، الى أن يحين اليوم الموعود » (٣٩٦) .

● الاتصالات بين الاخوان المسلمين والشيوعيين ● :

فى تلك الاثناء كانت الظروف قد اخذت تجمع بين اقصى اليمين واقصى اليسار ممثلين فى الاخوان المسلمين والشيوعيين . . فقد جرت اتصالات بين الفريقين لتنسيق التعاون بينهما فى اسقاط نظام عبد الناصر .

ولم تكن هذه الاتصالات هى الاولى ، فقد سبقتها اتصالات اخرى فى العام السابق ١٩٥٣ ، حين اخذ التنظيم الشيوعى « حدتو » (الحـــركة الديموقراطية للتحرر الوطنى » فى انشاء جبهة وطنية ديموقراطية عـــلى

---

٣٩٥ ــ نفس المصدر ، قرار جمال سالم ص ١٣٤٧ .

٣٩٦ ــ محكمة الشعب : الجزء الرابع ص ٩١٦ .

مستوى الطلبة لمحاربة حركة الجيش . وجرى الاتصال بالاخوان المسلمين عن طريق عبد الحفيظ الصيفى الذى كان يحمل اتجاهات تقدمية . وقد تبدل الاخوان الدخول فى الجبهة بطريقتهم الخاصة فى عدم التورط .. فقد أبدوا تعذر اصدار بيان بانضمامهم الى جبهة من الشيوعيين والوفديين ، ولكنهم سمحوا لمندوبى الجبهة بالاتصال بشباب الاخوان المسلمين من الطلبة .. وجرى التنسيق بالفعل بين الجبهة وهؤلاء الشباب والطلبة ، الذين يذكر منهم زكى مراد فتحى البوز (٣٩٧) . وهو من اعضاء الجهاز السرى كما مر بنا .

وقد عبر الهضيبى بعد ذلك عن موقف متغير من الشيوعيين . فقد أعلن فى تصريح له ان « الشيوعية لا تقاوم بالعنف والقوانين » ، وقال انه « لا مانع لديه من أن يكون لهم حزب ظاهر ، والاسلام كفيل بضمان وسلامة الطرق التى تسلكها البلاد » (٣٩٨) .

وقد كانت الظروف فى صيف عام ١٩٥٤ شبيهة تماما بظروف صيف عام ١٩٥٣ ، من حيث أن جميع القوى الوطنية والديموقراطية كانت مضروبة وكانت علاقات الاخوان المسلمين بالثورة تشبه لحد كبير علاقتها بها قبل عام مضى ، من ناحية أنها كانت تسير فى طريق صدام محتوم . وبذلك تهيأت الفرصة للقاء بين الاخوان والشيوعيين مرة أخرى .

وتشير الادلة الى أن الخطوة الاولى فى سبيل هذا اللقاء كانت من جانب الحزب الشيوعى . ففى ١٩ يونيو ١٩٥٤ أعلنت جريدة « راية الشعب » ، لسان حال الحزب الشيوعى المصرى ، الذى كان يراسه الدكتور فؤاد مرسى أن المقاومة ضد الثورة تقودها قوتان رئيسيتان هما : الحزب الشيوعى وجماعة الاخوان المسلمين . واوصى نفس المقال بوجوب بذل الجهد المشترك من اجل اسقاط حكومة عبد الناصر . وقد تجدد العرض فى شهر يوليو التالى (٣٩٩) .

وفى نفس الوقت تقريبا كانت العلاقات بين الطلبة الشيوعيين والطلبة من الاخوان فى الجامعة تسير فى طريق تحالف .. فقد جرت اتصالات بينهم

---

٣٩٧ ـ عبد العظيم رمضان : المرجع المذكور ص ٨٦ أنظر حديثى مع زكى مراد .

٣٩٨ ـ نفس المصدر ص ٨٧ ، انظر أيضا حديث القائمقام يوسف صديق للمصرى فى ٢٦ مارس ١٩٥٤ .

٣٩٩ ـ ميتشيل ، المرجع المذكور ص ٢٨٦ .

لعقد مؤتمر عام فى الحرم الجامعى ، وافق فيه الطلبة الاخوان على الاشتراك فيه باعتباره فرصة سانحة للاعراب عن شعورهم بعد اعلان الطلبة الشيوعيين تضامنهم معهم فى هذا الشأن . وكان ممثل الطلاب الاخوان هو الطالب محمد على نصيرى . وهو أحد اعضاء الجهاز السرى كما مر بنا .

وفى يوليو ١٩٥٤ جرى اول اتصال بين مندوب عن الحزب الشيوعى وسيد قطب ، رئيس تحرير جريدة « الاخوان المسلمون » . وكان يرمز اليه فى هذه الاتصالات بحرفى س . ق . ووفقا لتقرير مندوب الحزب الشيوعى الذى أجرى الاتصال ، وهو بتاريخ ١٦ يوليو ١٩٥٤ ، فان النقاش دار حول الاهداف المشتركة للجماعتين ، وقد اتفق فيه على أن معارضة ارتباط البلاد بمعاهدة احلاف مع الاعداء ، واسقاط الحكومة يمثلان هدفا مشتركا للجماعتين . أو على حد التعبير الذى ورد فى التقرير : « ان الوطنى الآن هو الذى يعارض أن ترتبط بلاده بمعاهدة أو حلف مع الاعداء ، والوطنى هو الذى يكافح من أجل اسقاط الحكومة التى وضعها الاعداء على نفوسنا لتربطنا بعجلته وحروبه » .

كما كان من راى الحزب الشيوعى الدعوة الى قطع المفاوضات والغاء الاحكام العرفية وغيرها مما يقيد الحريات . وهو ما وافق عليه سيد قطب « من حيث المبدأ موافقة تامة » . وقد جرى الحديث عن أن « هناك نفرا من الاخوان الخونة الذين يسيرون وفق خطط الاستعمار ، وقد أعلمنى رسول الاخوان المسلمين ان المرشد قد ترك مصر للخلاف الذى بينه وبين دعاة التعاون مع الحكومة » . وكان من رأى الحزب الشيوعى أن « الطريقة الوحيدة لاسقاط الحكومة لا يمكن أن تنجح الا اذا قامت الحركة من خارج الجيش ، وعلى الشعب أن يقاوم لاسقاط الحكومة الحاضرة » .

وقد جرى اتصال آخر تضمنه تقرير بتاريخ ٢٠ أغسطس ١٩٥٤ ، لدراسة الاعمال التمهيدية اللازمة لتجميع القوى . وتناول الحديث سلاح المنشورات ، فأوضح مندوب الاخوان ان الجماعة اصدرت عشرة آلاف منشور وستصدر غيرها . وقد بين مندوب الحزب الشيوعى أن هذا السلاح لايكفى بل يجب أن تكون هناك اعمال ايجابية لتشجيع الجماهير على التجمع فى عمل نهائى حاسم . وقد نوقشت فكرة المظاهرات كوسيلة لعمل مشترك ، وكان راى مندوب الاخوان أن الاشتراك فيها يعرض الجماعة لحل سريع ، وأن « علينا أن نرتب عملا مشتركا مدروسا » ، بينما كان من راى مندوب الحزب الشيوعى أن انسحاب الاخوان من الاشتراك فى المظاهرات يعرضهم أمام الجمهور لموقف

سيء . وقد أبدى رسول الاخوان المسلمين امكان الاشتراك فى المظاهرات ، على الا تستعمل هتافاتالاخوان المعروفة وهى : الله أكبر وللهالحمد (٤٠١).

ويلاحظ على هذين التقريرين انهما يحملان بالفعل وجهة نظر الحزب الشيوعى المصرى فى الحركات التى تقوم بها الجيوش ، وهى وجهة نظر تتسم بالشك . فحين سئل رأيه من قبل قيام ثورة ٢٣ يوليو فى حركة يقوم بها الضباط ، أبدى حذره وتخوفه على اساس ان الجيش لايضمن .. وبعد قيام الحركة فى ٢٣ يوليو ، خاطبها مخاطبة ودية لمدة ثلاثة أيام ، ثم هاجمها فى اليوم الرابع — اى فى يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢ — فى منشور مشهور باسم « الخدعة الكبرى » ، وصفها فيه بأنها « انقلاب عسكرى له طبيعة فاشية » (٤٠٢) . كذلك يلاحظ أن المعلومة التىوردت فى التقرير الاول والخاصة بأن المرشد قد ترك مصر الى البلاد العربية للخلاف بينه وبين دعاة التعاون مع الحكومة ، هى معلومة صحيحة اعترف بها الهضيبى نفسه فيما بعد اثناء محاكمة الاخوان فى حادث المنشية ، كما مر بنا .

وعلى كل حال ، فقد أكد لى الدكتور فؤاد مرسى ، وهو رئيس الحزب الشيوعى فى ذلك الوقت ، هذا الاتصال الذى تم بين الحزب وسيد قطب . وذلك فى أحد لقاءاتنا .

وتبقى هذه النقطة : هل كانت هذه الاتصالات بموافقة الهضيبى ؟ . والرد على ذلك انه لا توجد معلومات كافية . ولكن قد يفيد أن هذه الاتصالات السالفة الذكر قد تمت اثناء غياب الهضيبى فى البلاد العربية . وقد ذكر البعض أن كبار المسئولين فى الجماعة قد نبهوا الى حماقة التحالف مع الشيوعيين ، واستحالة هذا التحالف من الناحية الايديولوجية . وبالتالى فلم يتمخض من النتائج الظاهرة لهذه الاتصالات الا التعاون بين الطرفين فى مجال توزيع المنشورات ، فقد قبض على اثنين من الاخوان بينما كانا يوزعان منشورات الحزب الشيوعى المصرى ، وقدما الى المحاكمة أمام المحكمة العسكرية العليا (٤٠٣) .

---

٤٠١ — محكمة الشعب ، الجزء الرابع مرافعة مصطفى الهلباوى ص ٩٠١ — ٩٠٣ .

٤٠٢ — عبد العظيم رمضان : المرجع المذكور ص ٣٦٥ ، انظر حديثى مع الدكتور فؤاد مرسى .

٤٠٣ — محكمة الشعب ، الجزء الرابع ص ٩٠٢ .

الفصل الحادى عشر

التمزق الداخلى فى الاخوان

بينما كانت جماعة الهضيبى تنتقل من العمل العلنى الى النشاط السرى،تحت وطأة أجهزة القمع لجهاز عبد الناصر ، مستعينة بالجهاز السرى الذى كان يدين بالولاء للهضيبى ، كانت هذه الجماعة تتعرض لعداء ومعارضة من فريقين هامين فى الاخوان :

الفريق الاول ، فريق محمد خميس حميده ، وكيل الاخوان ونائب المرشد اثناء اختفائه ٠

والفريق الثانى ، فريق صالح عشماوى ورفاقه المفصولين من الجماعة ٠

وبالنسبة لفريق صالح عشماوى ، فقد كان يستمد خطورته واهميته من مجلة « الدعوة » ، لسان حاله ، التى كانت مستمرة فى الصدور وقتذاك ، وتمثل بكتابها وقرائها من الاخوان وغيرهم قوة ضغط رهيبة على الهضيبى وفريقه ٠

وكان صالح عشماوى ورفاقه المفصولون قد زاروا الهضيبى بعد خروجه من السجن الحربى يوم ٢٥ مارس ، مهنئين بالعودة ومجددين للبيعة ـ كما ذكرنا ـ واستأنفت الجماعة نشاطها فى جو يبشر بالأمل ، « وظن الجميع » ـ كما يقول صالح عشماوى ـ « أن الصف قد توحد ، والشمل قد التأم » وأخذ المفصولون يترددون على المركز العام للاخوان . ولكن التساؤل كان يدور بين الكثيرين عما اذا كانت قيادة الاخوان سوف تصدر قرارا بعودة هؤلاء المفصولين رسميا الى الجماعة ، ومتى يحدث ذلك . ثم جاءت المفاجأة فى النشرة السرية للاخوان التى صدرت فى ذلك الحين تحمل الاجابة على هذا السؤال ٠ فقد ورد فيها : « يتساءل الاخوان عن موقف بعض الناس المفصولين الذين يترددون على المركز العام ٠ وجوابنا الى الاخوان أن عليهم أن يقاطعوهم ويناوابجانبهم عنهم » ٠ وقد كانت تلك بداية معركة حامية بين مجموعة الدعوة ومجموعة الهضيبى ، فقد شعر المفصولون بوقع الاهانة ، خصوصا عندما تحدثت عنهم النشرة بوصفهم « بعض الناس » ، وليس « بعض الاخوان » (٤٠٤) ٠

وقد قام هجوم مجلة « الدعوة » على نفس الاساس القديم ، وهو أن جماعة الاخوان المسلمين تدار بطريقة استبدادية بواسطة نفر محدود منها ، ويستأثر بالقيادة فيها « الجدد » (تقصد الهضيبى) ، وأن هذا النوع من القيادة يخالف مبادىء الاسلام التى تقوم على مبدأ الشورى (٤٠٥) ٠

---

٤٠٤ ــ الدعوة فى ١٤ سبتمبر ١٩٥٤. مقال صالح عشماوى ٠
٤٠٥ ــ الدعوة فى ٢٧ يوليو ١٩٥٤ ٠

وقد وصف أحمد عادل كمال ، المساعد السابق لعبد الرحمن الســـندى فى التنظيم السرى ، أحوال الجمـــاعة فى ذلك الحين بأنهـــا تنقسـم الى مجموعتين : مجموعة ساخطة على القيادة لا يفتأ أفرادها يرددون فى وصفها عبارات : الدخلاء ، المغرضون ، الماسون ، الظالمون ، المحدثون ، الوارثون ، الانحراف .. الخ ــ وهى مجموعة المفصولين . والمجموعة الثانية ، وهى مجموعة القيادة ، تكثر ــ كما قال ــ من « الفصـــل ، والابعاد ، والايقاف ، والاستغناء عن الاعداد الغفيرة من الاخوان ، والشك ، والاتهام ، والمقاطعة ، والخصام .. الخ » . وقال : « هذا وذاك هما شقا الرحى اللذان كنا طحنا بينهما طوال شهور تسعة ، ولا حول ولا قوة الا بالله » (٤٠٦)

وقد هاجم أحمد أنس الحجاجى مجموعة الهضيبى قائلا : « ان السفينة فى خطر ، وانكم احدثتم فيها خروقا عدة من حيث تشعرون أو لا تشعرون . ومحال أن يكون مقصدنا التشهير والتعريض ، ان دورنا معكم هو دور حارس السفينة وحاميها . وفى الوقت الذى كان يجب أن يكون فيه صـــوت الدعوة وصوت الاسلام هو صاحب الامر ، وهو القول الفصل ــ فى هذا الوقت ، نرى الصف الاسلامى آخر الصفوف ، وحتى مهمة النصيحة الهينة لم ندركها ، وما ذاك الا لاننا مشغولون بحرب داخلية . واذا قال الناس عنا ذلك غضبنا عليهم وشتمناهم » (٤٠٧) .

فى ذلك الحين طلبت « الدعوة » التحكيم فيما شجر من خلاف : « اننا نطلب تحكيم القرآن وشرع الاســـلام . وماذا نخشى ؟ ، ولمـــاذا ندعى لبعض الاشخاص القداسة فلا نناقش أقوالهم ، ولا يحاسبون ولا يناقشون » ؟ (٤٠٨) . وكانت «الدعوة» تعلق آمالها فى التحكيم على الهيئة التأسيسية التى أظهرت فى ذلك الحين عجزا واضحا عن القيام بدورها فى شئون الجماعة تحت ســـيطرة الهضيبى ومجموعته . فقد كتبت تصف الهيئة التأسيسية بأنها هى الجهة التى من شأنها أن يرد اليها كل أمر فى الجمـــاعة ، وهى التى تنتخب مكتب الارشاد العام والمرشد العام ، وهى التى تناقشهم الحساب وتعرض عليهـــا اعمالهم (٤٠٩) . وقد نعت عليها أنهـــا بعد الحل الاخير للاخـــوان ، كانت

---

٤٠٦ ــ الدعوة فى ٧ سبتمبر ١٩٥٤ .
٤٠٧ ــ الدعوة فى ١٧ اغسطس ١٩٥٤ .
٤٠٨ ــ الدعوة فى ٣ اغسطس ١٩٥٤ .
٤٠٩ ــ الدعوة فى ٧ سبتمبر ١٩٥٤ .

« بعيدة عن النشاط الجبار الذى يقوم به الاخوان العاملون » ، وانه « فى التجربة الاخيرة التى مر بها الاخوان ، وما صاحبها من فتن كقطع الليل المظلم ، لم يسمع صوت الهيئة التاسيسية الا مرة واحدة ، ثم سكت الصوت ولم يسمع » (٤١٠) ٠

ولما كان التنظيم السرى برئاسة يوسف طلعت فى صف الهضيبى ومجموعته ، فقد تعرض لهجوم الدعوة ، التى تحدثت عن نشرته السرية «الاخوان فى المعركة» وفضحت بذلك سريتها ٠ وقد استشهدت ببعض ما ورد فيها ، فى معرض الدفاع ضد المعارضين ، ووصفتها ، نقلا عن بعض الاخوان ، بأنها : « نشرة مدسوسة » ، وأن « كثيرا مما فيها لا يتفق وشرع الله » (٤١١)٠

وبالنسبة للموقف من الثورة ، فقد اتخذت مجموعة صالح عشماوى موقفا حاسما مؤيدا للثورة فى وجه مجموعة الهضيبى ٠ فقد اكثرت من الاعتراض على خطة الهضيبى فى العداء للثورة ، وكتب صالح عشماوى يقول انه لن يستفيد من هذا الخلاف الا المستعمرون والصهيونيون والشيوعيون والملكيون والاقطاعيون وكل خصم لدود لمصر والمصريين وللعرب والمسلمين » (٤١٢) ٠

لهذا السبب رأت مجموعة « الدعوة » أن الدواء الوحيد للداء الذى تعانى منه الجماعة ينبنى على التسليم بحقائق ثلاث : الاولى ، انه يجب التئام الشمل وجمع الصفوف ٠ والحقيقة الثانية ، انه لن يستفيد من التشاحن بين الاخوان المسلمين والثورة غير أعداء الوطن والدين ٠ والحقيقة الثالثة ، هى أن الهيئة التأسيسية فى يد أعضائها كل شىء ، فهى تملك الغاء قرارات الفصل والايقاف التى صدرت بالنسبة لاعضاء فى الهيئة التاسيسية وخارجها فى مختلف الشعب فى القاهرة والاقاليم (٤١٣) ٠

وحين هاجم الهضيبى اتفاقية الجلاء وهو فى سوريا ، لقى التنديد الشديد من صالح عشماوى ، الذى رأى أن الهضيبى ما كان له أن يدلى بمثل تلك التصريحات قبل العرض على الهيئة التأسيسية ، فكتب يقول : « على اثر اذاعة الخطوط الرئيسية لاتفاقية الجلاء ، اذاع الاستاذ الهضيبى ، وكان

---

٤١٠ ــ الدعوة فى ٢٠ يوليو ١٩٥٤ ٠

٤١١ ــ الدعوة فى ٢٧ يوليو ١٩٥٤ ٠

٤١٢ ــ الدعوة فى ٢١ سبتمبر ١٩٥٤ ٠

٤١٣ ــ نفس المصدر ٠

يومئذ فى بيروت ، بيانا نشر فى الصحف واذيع من محطات الاذاعة المختلفة ، وفيه نقد شـــديد لهذه الاتفاقية ، وهجوم عنيف على رجال الثورة فى مصر · وموقف خطير كهذا ، يربط الاخوان جميعـــا ، ويحملهم نتائج بعيدة المدى ـ لا يملك تقريره المرشد وحده ، ولا أعضاء مكتب الارشاد مجتمعين · لان قانون الاخوان يقضى ، فى مثل هذه المواقف ، بدعوة الهيئة التأسيسية ، وهى التى تمثل الاخوان وترسم سياستهم ، الى الاجتماع لبحث هذه الاتفاقية فى عمق ، ودراستها دراسة مستفيضة . وعلى ضوء ما يدور من مناقشات ، تحدد الهيئة التأسيسية موقف الاخوان من الاتفاقية ، ومن الذين وقعوها · فهل حدث شيء من ذلك ؟ · كان الاستاذ الهضيبى فى بيروت ، وكان يستطيع أن يستقل أول طائرة الى مصر ، وكان يستطيع أن يدعو الهيئة فى أيام بل فى ساعات ـ ولكن الاستاذ الهضيبى سارع الى اعلان رأيه ، وربط الاخوان جميعا بهذا الرأى ، ثم عاد الى القاهرة · ولكنه لم يتدارك ما فات ، بل تجاهل المكتب ، وتجاهل الهيئة » (٤١٤) ·

وعندما اختفى الهضيبى ، شنت عليه الدعوة حملة شديدة ، واعتبرت هذا الاختفاء حركة من الحركات البهلوانية ، وأطلقت على الهضـــيبى اسم « المختفى الاعظم » ! ، وكتب أمين اسماعيل يصف هذا الاختفاء بأنه « عجز عن مواجهة الاحداث» ، وانه «هرب من الذين يريدون أن يناقشوه الحساب ، حساب سياسته الفاشلة التى أودت بالدعوة وبالجماعة الى ما آل اليه الامر من تفكك بعد ترابط ، وتباغض بعد الفة ، وانحراف بعد استقامة » ثم قال «ان الاسلام لا يقر مثل هذه الحركات البهلوانية التى يجيدها المهرجون الذين يعملون فى سرك ; وماذا تجنى الفكرة الاسلامية من هذا الاختفاء ؟ · وماذا يعود على المسلمين وبلاد المسلمين من النعامة التى دفنت رأســها فى الرمال فلا ترى شيئا ظنا منها أن أحدا لا يراها ما دامت هى لا ترى أحدا » ؟ · ثم تســاءل : « أين كان هذا الاختفاء فى عهد فاروق وعهد حافظ عفيفى ، الذى كان طلاب الاخوان يهتفون ضده فى كل مكان ، بينما كان المختفى الاعظم يقدم له أصـــدق التهانى فى قصر عابدين فى ذلك الآوان ؟ · وبينما كان شـــباب الاخوان ينزعون رسوم فاروق وصوره ويمزقونها ويدوسونها بالاقدام ، كان المختفى الاعظم ينزع رسم حسن البنا ليضع مكانه رسم فاروق ؟ » (٤١٥) ·

---

٤١٤ ـــ نفس المصدر ·

٤١٥ ـــ الدعوة فى ٢٨ سبتمبر ١٩٥٤ مقال بعنوان ، « تعـــالوا الى ساحة العمل من جديد » لأمين اسماعيل ·

وكتب صالح عشماوى يهاجم هذا الاختفاء ويقول : « اختفى الاستاذ الهضيبى فى مكان ما ، واخذ يقود شباب الاخوان فى صراع عنيف مع رجال الثورة . فلا عجب اذا ثار كثير من اعضاء الهيئة على هذا الوضع الذى يخالف الشورى التى قررها الاسلام ، والتزمت به الجماعة منذ عهد الامام الشهيد ! » (٤١٦) .

وكان رأى صالح عشماوى فى اتفاقية الجلاء يتناقض على خط مستقيم مع رأى الهضيبى ومجموعته وانصاره . فقد كتب يصف هذه الاتفاقية بانها « تتضمن مزايا لا ينكرها الا مغرض . والرئيس جمال عبد الناصر وزملاؤه المفاوضون قد بذلوا اقصى ما يستطيعون للوصول الى هذه النتيجة . وهم بهذا يستحقون الشكر والتقدير ، فقد كانوا من الشجاعة بحيث صرحوا أن هذه الاتفاقية ما هى الا خطوة ، فلم يضللوا الشعب أو يخدعوه » (٤١٧) .

فى الوقت الذى كان الخلاف يشتد بين مجموعة المفصولين ومجموعة الهضيبى ، كان هناك خلاف آخر يدب داخل الجماعة بين المجموعة التى تريد التفاهم مع الثورة ، والتى كان يرأسها محمد خميس حميده ، ومجموعة المعارضة للثورة برئاسة الهضيبى .

فقد تصادف فى ذلك الحين ـ وفقا لتطور الاحداث ـ أن الفريق المعارض للثورة برئاسة الهضيبى كان قد أصبح كله تقريبا مختفيا تحت السطح ، بينما كان فريق التفاهم مع الثورة يعمل فوق السطح برئاسة محمد خميس حميده .. وعندئذ كانت المشكلة هى : من الذى يدير شئون الاخوان ؟ . هل يدير شئون الاخوان الفريق المختفى تحت الارض ، أم يديرها الفريق الظاهر ؟ .

وبطبيعة الحال فان الامر كان يتوقف على طبيعة الاختفاء : هل هو اختفاء للعمل وممارسة النشاط بحرية ، أم للانسحاب ؟ ، فاذا كان اختفاء للعمل ، انتقلت الادارة الفعلية الى ايدى الفريق المختفى ، واصبح الفريق الظاهر مجرد ستار ، واذا كان الاختفاء للانسحاب ، فان الفريق الظاهر تقع فى يده ادارة شئون الجماعة .

على أن كل فريق كان يرفض حجة الآخر . فقد كان فريق خميس يرى فى اختفاء الهضيبى وفريقه انسحابا يسوغ له تولى شئون الجماعة ، بينما

---

٤١٦ ـ الدعوة فى ٢٤ سبتمبر ١٩٥٤ .
٤١٧ ـ الدعوة فى ٢٦ اكتوبر ١٩٥٤ .

كان فريق الهضيبى يرى فى وجود المرشد ، حتى ولو فى الاختفاء ، ما يمنع خميس وفريقه من الانفراد بالادارة . وهكذا نشأ الخلاف .

وقد شرح محمد خميس حميده ذلك حين ذكر ـ كما ذكرنا ـ انه ذهب الى الهضيبى بعد اختفائه ، وكان فى مخبئه ، وقال له : « حيث انك حتختفى ومش عاوز تطلع ، فلازم الجماعة يديرها مكتب الارشاد » . فرد عليه قائلا « انا حر ، ادى اللى عاوز اديله . انت وكيل فى غيابى فقط ، وانا موجود » !

كان فريق الهضيبى وقتذاك يتكون ـ كما راينا ـ من رؤساء الجهاز السرى الثلاثة ، وهم : يوسف طلعت ، وصلاح شادى ، وعبد المنعم عبد الرءوف ، بالاضافة الى محمود عبده ، وحسن العشماوى ، وصالح ابو رقيق ، وكمال عبد الرازق ، ومنير دلة ، وعبد القادر عودة ، بينما كان فريق محمد خميس حميده يتكون من : عمر التلمسانى ، وعبد المعز عبدالستار واحمد شريت ، ومحمد اسعد جودة ، وفتحى الانور ، وعبد السلام فهمى . وحلمى نور الدين ، ومحمد الخضرى . وكما كان امل مجموعة المنفصلين معلقا على الهيئة التأسيسية ، فان امل مجموعة الهضيبى كان معلقا بها ايضا .

وكان الاجتماع السنوى للهيئة قد تحدد له يوم الخميس ٩ سبتمبر ١٩٥٤ ، وبذلك بدا ان معركة حامية سوف تدور بين انصار الفريقين . وبطبيعة الحال كان لابد للجهاز السرى ان يكون له دور فى تأييد الهضيبى ، فقد أوردت « الدعوة » قبل الاجتماع بيومين ان « هناك تدبيرا من بعض الاخوان للزج « باخوان المناطق والشعب » لمعارضة هذا الاجتماع او الهتاف ضد الهيئة » (٤١٨) .

وقد عقد الاجتماع فعلا ، ولكن الهضيبى ارسل اليه من مخبئه خطابا تلى على اعضاء الجماعة بين فيه وجهة نظره فى الخلافات الدائرة بين الجماعة والثورة من جهة ، ومن معارضة اتفاقية الجلاء من جهة اخرى .. وفى هذا الخطاب الهام ، اوضح الهضيبى ان ما فعله الاخوان المسلمون من معارضة كل اتفاق مع المستعمرين ليس شهوة عندهم ، وانما هو أصل دينهم . فان أحكام الاسلام تقتضى انه اذا وطأت اقدام العدو أرض المسلمين ، وجب على كل واحد منهم صغيرا أو كبيرا أن ينهضوا لدفع العدو أيا كان » وبالتالى « فليس لنا أن نرضى بوجودهم على أرض الاسلام بمقتضى اتفاقات نعقدها

---

٤١٨ ـ الدعوة فى ٧ سبتمبر ١٩٥٤ .

معهم ، ولا أن نرضى بأى ارتباط كان » . ثم ذكر الجماعة بمـــا قدمته من مساعدات « لرجال الانقلاب » منذ بداية الحركة « حتى تماســـكوا وثبتت اقدامهم » ، وتعرض لقرار الحل فى يناير ١٩٥٤ ، واعتقال الاخوان ، واسناد شتى التهم اليهم ، ثم الافراج عنهم من غير تحقيق ولا سؤال ، واستبقاء البعض الآخر فى السجون ، وقال : ان من حقهم ان يفرجوا عنا بلا كلام ؛ ولكن وهم يطلبون منا التعاون ؛ فاننا نرجو ان يفرج عن جميع المعتقلين ، وان يلغى قرار حل الاخوان المسلمين ، وان يذكروا كلمة تنسخ أثر الكلام الذى قيل فى تبرير الحل والاعتقال » .

وبعد أن تعرض الهضيبى لفشل المفاوضات بين الجمـــاعة والثورة فى تحقيق هذه المطالب ، تحدث عن حملة الحكومة على الجمــــاعة ، والوان الحرب التى شنتها عليها ، وقال ان « ما ذكرناه من رأينا فى المعاهدة اذ كنا بسوريا ، وما أصدره المركز العام من راى كذلك فى المعاهدة ، هــــو الذى اغضب الحكومة وجعلها تصف الاخوان المسلمين بما وصفتهم به من أنهـــم خونة ، وعمال هدم وتخريب شأنهم فى ذلك شأن الشيوعيين والصهيونيين . وقال ان ما فعلته الجماعة انما كان « بناء على اصل دينى أخذوا به فى جميع البلاد الشرقية ، واخذوا به كلما همت حكومة أن تتفق مع الانجليز فى مصر»، « وقد كنا نظن أن هذه المعارضة مما تلجأ الحكومة لاستحداثها لو لـــم تكن حـــدثت ، حتى تقوى مركزها فى مفاوضة لم تتم .. واذا كانت الحـــكومة مضطرة فاننا لسنا مضطرين للموافقة عـــلى المعاهدة .. وينبغى أن يكون لكل رأيه فيها كما أن للحكومة رأيها ، وكـــل منا يتحمل تبعة رأيه ، وليس علينا الا البلاغ ، وليس من حق أحد أن يقضى فى مستقبل أمة دون أن يرجع اليها ويتقيد بآرائها » ثم طلب فى النهاية من الاخوان أن « يكونوا مستعدين للموت فى سبيل دعوتكم فان من مبادئنا : الموت فى سبيل الله أسمى أمانينا . والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون » (٤١٩) .

وفيما يبدو أن قوة الحجة فى هذا الخطاب ، قد جعلت الهيئـــة تكتفى بسماع الخطاب وارجاء الاجتماع الى يوم ٢٣ سبتمبر — وان كان صـــــالح عشماوى يسوق رأيا أكثر صحة وواقعية ، فقد ذكر أن « حاشية الاستاذ المرشد شعرت بالسحب التى تتجمع ، فاحتالت على الهيئة بالخداع والارهاب:

---

٤١٩ — خطاب من حسن الهضيبى الى الاخوان المسلمين (الدعوة عدد فبراير ١٩٧٧) .

اما الارهاب ، فقد تم بحشد شباب الشعب والجهاز السرى لتحدى اعضاء الهيئة ، والقاء الرعب فى قلوبهم قبل الاجتماع ، واما الخداع ، فتم فى صورة عجيبة ، وهى أنه قيل للاعضاء أن لجنة اتصال بالحكومة قد تكونت وبدات عملها ، وهى ترجو من الهيئة أن تفسح لها من الوقت ما يمكنها من تصفية الجو بين الحكومة والاخوان . وبذلك انتزعت الموافقة على تأجيل الجلسة لمدة أسبوعين » (٤٢٠) .

فى ذلك الحين ، كان الصدام المتوقع بين آونة واخرى مع الحكومة ، قد بدأ يلقى الرعب فى قلوب الكثيرين من أعضاء الهيئة التاسيسية ومكتب الارشاد ، خصوصا ولما تكن قد مضت اشهر قليلة على محنة الحل والاعتقال والايذاء . ولذلك اقتنع كثيرون بطريقة التماس التفاهم مع الثورة بأى ثمن .
وكانت مجموعة صالح عشماوى ، تحت احساس قوى بخطورة الصدام مع الثورة على مستقبل حركة الاخوان ، قد اخذت تطلق اجراس انذار عالية تدعو فيها الى اولوية حل النزاع مع الثورة على اى شأن آخر من شئون الجماعة » (٤٢١) . بينما كانت مجموعة محمد خميس حميدة تعطى الاولوية لتعديل القانون الاساسى حتى تنتزع السلطة من الهضيبى ومجموعته ، ويكون مكتب الارشاد هو « الذى يحمل اعباء الدعوة » (٤٢٢) .

وقد اشتد الصراع بين الاتجاهين قبل موعد اجتماع الهيئة التاسيسيه فى ٢٣ سبتمبر ، وكتب صالح عشماوى يقول : « بعد غد الخميس ، تجتمع الهيئة للمرة الثانية ، وفى جدول اعمالها مشروع براق هو تعديل القانون . وانى احذر اخوانى اعضاء الهيئة من الوقوع فى خديعة اخرى تصرفهم عما اجتمعوا من أجله . ان تعديل القانون واجب فعلا ، وطالما نادينا به ، ولكن هذا التعديل ، الذى تأخر حتى اليوم ، يمكن أن يتأخر لجلسة أخرى من غير ضرر ، فلم يعد موضوع الساعة . وانما هذه الخصومة الحقيقية بين الاخوان والحكومة هى المسالة البارزة التى يجب أن تتقدم على ما عداها ، وأن يبت فيها بسرعة وحزم . وسنرى بعد غد ان كانت قيادة الاخوان قد انتقلت — كما قال عبد الحكيم عابدين لمراسل جريدة عبرية تصدر فى تل ابيب — الى

---

٤٢٠ — الدعوة فى ٢١ سبتمبر ١٩٥٤ (« موقف حاسم » لصالح عشماوى) .
٤٢١ — نفس المصدر .
٤٢٢ — محكمة الشعب : الجزء الخامس شهادة محمد خميس حميدة ص ١١٠١ .

دمشـــق ، أم ان هـــذه القيادة ، ممثلة فى الهيئة التأسيسية ، ما زالت فى القاهرة ؟ » (٤٢٣) .

وقد عقد اجتماع الهيئة التأسيسية يوم ٢٣ سبتمبر ، برئاسة محمدخميس حميدة ، وحضره نحو مائة عضو من ١٤٧ عضوا ، وكانت فيه اغلبية كبـيرة تعارض سياسة المرشد وتنتقدها نقدا مرا . واستمر الاجتماع ١٨ ســاعة ، كان « الاخوان القدامى » ــ حسب تعبير « الدعوة » يسيطرون فيـــه على الموقف . ووقف العضو الحاج محمد جودة يعبر عن وجهة النظر المعارضـة للهضيبى ، فأوضح ان مايقال عن رفض الثورة الغاء قرار الحل غير صحيح ، فقد تسلم من رئاسة مجلس الوزراء خطابا يعلن فيه عبد الناصر ان القـرار قد الغى من ٢٥ مارس ١٩٥٤ ، وقد سلم هذا الخطاب الى منير دلة قبـــل سفره الى لبنان للحاق بالمرشد . (يلاحظ ان المطلوب لم يكن الغاء الحـل فقط ، بل بيان من الثورة ينسخ اثر المبررات التى قيلت فى بيان الحل) . كمـا كشف النقاب عن اللقاء الذى تم بين لجنة الاتصال التى تشكلت من مـكتب الارشاد وبين عبد الناصر ، وقال أن عبد الناصر فى هذا اللقاء نقد بيان المركز العام الخاص بالمعاهدة ، وقارنه بما قبله الاخوان فى اتصالهم بالانجليز !! ، واستشهد بالدكتور خميس الذى كان حاضر وقائع الاتصال نفسها ، فوافق الدكتور على كل ما قاله الرئيس أمام أعضاء اللجنة جميعا . وتعرض محمد جودة لما حدث من تصريحات عبد الحكيم عابدين فى دمشق (والتى تم على اثرها تجريده من الجنسية المصرية ومعه كل من سعيد رمضان وسعد الدين الوليلى ومحمد نجيب جويفل وكامل اسماعيل الشريف ، وكلهم من الاخوان ، ومحمود ابو الفتح صاحب جريدة المصرى ــ بتهمة تشويههم لسمعة بلادهم فى الخارج) ــ وقال ان الرسميين فى الحكومة اتصلوا بالمسئولين فى المركز العـــام ، وسألوا عما اذا كان عبد الحكيم عابدين مسافرا بقرار ، وأنه يمثل الاخوان، فأجابوا بالنفى ، فطلبوا منهم بيانا بهذا المعنى ، فأبوا . وقال « وهكذا تطورت الأمور الى ما وصلت اليه » (٤٢٤) .

استمر الاجتماع مدة ١٨ ساعة كما ذكرنا ، فى مناقشات وجدل طويل . وبعد هذه المدة المنهكة للقوى والأعصاب اخذ الأعضاء يغادرون الاجتمـــاع للاستراحة . وانتهزت مجموعة الهضيبى الفرصة ولم يبق فى الاجتماع اكثر من ٢٥ عضوا ، فاتخذت قرارا باسم الهيئة ، بحل الهيئة التأسيسية ، وتجديد البيعة للهضيبى مدى الحياة ، وتعديل قانون الجماعة فيما يتعلق بانتخـاب اعضاء الهيئة التأسيسية ، وسلطة ومســـئولية مكتب الارشاد .. وأعلن

---

٤٢٣ ــ الدعوة فى ٢١ سبتمبر ١٩٥٤ .
٤٢٤ ــ الدعوة فى ٥ اكتوبر ١٩٥٤ .

عبد القادر عودة هذه القرارات للصحافة باعتبارها القرارات التى اتفق عليها الجميع (٤٢٥) .

وقد كان لهذه القرارات وقع الصدمة ، ليس فقط فى صفوف الحكومة، بل فى صفوف مجموعة صالح عشماوى ، التى كانت تعلق آمالا على انتصار المجموعة المعارضة للهضيبى يعيدها الى صفوف الجماعة من جديد . ولذلك كتب صالح عشماوى مقالا خطيرا ، يعد اساس فكرة التكفير والهجرة التى اعتنقتها « جماعة المسلمين » (التى عرفت باسم جماعة التكفير والهجرة) بعد عشرين عاما — وهو بعنوان « هجرة وتمييز » . وفى هذا المقال الهام اتهم صالح عشماوي دعوة الاخوان بالانحراف والفساد ، وأعلن يأسه التام من اصلاحها ، ودعا الى الهجرة لتمييز العناصر الطيبة من العناصر الخبيثة ، وارجع بداية فساد الجماعة « منذ جاء الاستاذ الهضيبى مرشدا ، وبعد المقابلة الملكية الكريمة !! على وجه التحديد » ، حيث « بدانا نشعر بالانحراف فى دعوة الاخوان ، وبالفساد يدب فى أوصالها » . وتعرض للخداع الذى تعرضت له الهيئة التأسيسية فى اجتماعها الأخير ، وكيف استطاع الهضيبى « بواسطة بطانته واتباعه أثناء اجتماع الاخوان ، أن يختلسوا قرارا بحل الهيئة التأسيسية فى صورة تعديل للقانون الأساسى للجماعة » ، وقال انه لا يهدف الى تقرير بطلان هذا القرار فحسب ، لان الامر اخطر من هذا وادق ، وانما استطيع أن اؤكد انه لم يعد هناك امل فى اصلاح الهيئة وتنحية العناصر النفعية والانتهازية ، التى تلتف حول الاستاذ الهضيبى ، وتزين له سياسته وان ادت الي تحطيم الجماعة والقضاء عليها . فقد دلت التجارب على أن هذه العناصر لا تتورع عن الغش ، والخداع ، والتضليل . كما انها لا تتردد فى اشاعة الضغط والارهاب لتصل الى اهدافها وتحقق مآربها الشخصية . كما اثبتت الحوادث أيضا أن العناصر المؤمنة الطاهرة المخلصة لا تقوى على الحياة فى هذا المحيط المتعفن ، ولا تستطيع أن تعمل فى هذا الجو الموبوء . ولم يبق هناك بد من هجرة هذه العناصر الطيبة التى تعمل لله ودعوته ، وللاسلام وشريعته ، لا تبغى من وراء ذلك مغنما — الى تربة صالحة لنمو الفكرة الاسلامية وازدهار الدعوة المحمدية . ولابد اذن من تمييز المؤمنين الطيبين عن المنافقين الخبيثين » .

ثم استدل صالح عشماوى بما فعله رسول الله من هجرته الى المدينة، ثم عودته الى مكة معقل الكفر وقلعة الشرك يومئذ ، ففتحت ابوابها ، والقت

---

٤٢٥ — الدعوة فى ٢٨ سبتمبر ١٩٥٤ مقال بعنوان « هجرة وتمييز » لصالح عشماوى ، الجمهورية فى ٢٥ سبتمبر ١٩٥٤ ، نقلا عن ميتشيل ص ٢٩٢ — ٢٩٣ .

زمامها للفاتحين من المؤمنين . وقال : « هذه سيرة الدعوة الاولى ، وتلك سنة الله فى الدعوات ، ولن تجد لسنة اللـــــه تبديلا ولا تحويلا . فلابد من هجرة ، ولابد من تمييز . وليس وراء ذلك الا نصر من الله وفتح قـــريب ، وبشر المؤمنين » (٤٢٦) .

على ان معارضى الهضيبى مالبثوا ، مع تزايد احتمالات الصـــدام ، ان اخذوا يعدون لهجوم مضاد ، فى الوقت الذى جرت فى اكتوبر اتصـــــالات بين وفد مكون من محمد خميس حميدة ، وأحمد شريت ، ومحمد الخضرى ، وحلمى نور الدين ـــ وهم من اعضاء الهيئة التأسيسية ، وبين عبد الناصر ، للتوصل الى اتفاق يزيل اسباب الصدام حول مسألتى اتفاق الجلاء والنظام الخاص (٤٢٧) .

وفى يوم ٢٠ اكتوبر ، اسفرت جهود الفريق المعـــارض للهضيبى عما عرف باسم « انقلاب فى الاخوان المسلمين » ، ولم يكن فى الحقيقة اكثر من انقسام . فقد عقد نحو ٧٠ عضوا من اعضاء الهيئة التأسيسية المنحلة .. اجتماعا يوم ٢٠ اكتوبر ، واتخذوا فيه خمسة قرارات تقضى بالآتى :

١ ـــ اعتبار فضيلة المرشد العام الاستاذ حسن الهضيبى فى اجازة .
٢ ـــ الغاء مكتب الارشاد الحالى .
٣ ـــ الغاء قرارات الفصل والايقاف وحل الشعب ، التى صـــدرت فى السنوات الثلاث الاخيرة .
٤ ـــ بطلان ما نسب للهيئة التأسيسية من اتخاذ قرارات بتعـــــديل القانون الأساسى للجماعة (قرارات ٢٣ سبتمبر) .

٥ ـــ تكوين لجنة مؤقتة لادارة شئون الجماعة ، ريثما تجتمع الهيئـــــة التأسيسية وتتخذ ما تراه لاقرار شئون الجماعة على اسس سليمة .

وقد وقع على هذا البيان ٦٨ عضوا من الهيئة التأسيسية . وحمـــل الاستاذ البهى الخولى ، عضو مكتب الارشاد ، هذه القرارات ، نيـــابة عن الهيئة التأسيسية ، الى دار الاخوان ، واخطر بها مكتب الارشاد .

---

٤٢٦ ـــ الدعوى فى ٢٨ سبتمبر ١٩٥٤ ، هجـــــرة وتمييز لصـــالح عشــــــماوى .

٤٢٧ ـــ محكمة الشعب : الجزء الخامس ، شــــهادة محمد خميس حميدة ص ١٠٨٨ ـــ ١٠٨٩ .

وفى اليوم التالى ، ٢١ اكتوبر ، عقد اجتماع مشترك لمكتب الارشاد وأعضاء الهيئة التأسيسية المنحلة تحت رئاسة الدكتور محمد خميس حميدة فى المركز العام ، شهد مناقشات واشتباكات حامية بين أنصار الهضيبى المعارضين لعبد الناصر ، وخصومه المؤيدين للتفاهم . وأسفر عن عدة قرارات اعلنها الدكتور محمد خميس حميدة تنص على ما يلى :

١ - ضم كل من محمد حلمى نور الدين ، ومحمد الخضرى ، ومحمد اسعد جودة ، ومحمد فتحى الانور ، ومحمد عبد السلام فهمى ، (وهم جميعا من أعضاء الهيئة التأسيسية المنحلة ومن انصار الدكتور خميس) الى مكتب الارشاد المؤقت .

٢ - تأجيل اجراءات انتخابات اعضاء الهيئة التأسيسية الى موعد يقرره المكتب المؤقت فيما بعد .

وقد نوقش فى الاجتماع التعديل الذى يراد ادخاله فى القانون الأساسى للجماعة بما يسمح بانتخاب اعضاء الهيئة التأسيسية ، وذلك بأن يتولى مجلس ادارة الشعب انتخاب سبعة أعضاء عن كل شعبة ، ويقوم ممثلو هذه الشعب باختيار ٩٠ عضوا من أعضاء الهيئة التأسيسية التى تتكون من ١٢٠ عضوا ، وتقوم لجنة العضوية التى يختارها هؤلاء التسعون عضوا بتعيين الثلاثين عضوا الآخرين . (٤٢٨) .

وقد كان معنى هذه التغيرات ، اسقاط الحكم الفردى الذى كان يمثله الهضيبى ، والذى ورثه عن المرحوم الشيخ حسن البنا ، وانتقال القيادة الى مكتب الارشاد ، الذى لم يكن له أية سلطة من قبل . واشاعة الديموقراطية فى تنظيم الجماعة عن طريق انتخاب الهيئة التأسيسية التى كانت العضوية فيها قائمة على التعيين . ولكن نظرا لأن هذه التغييرات قد تمت - كما رأينا - عما عرف باسم « انقلاب » فى الاخوان المسلمين ، فانها لم تكن فى الحقيقة سوى مظهر من مظاهر التمزق الذى كانت تعانيه الجماعة ، والذى افسح المجال بالضرورة للتنظيم السرى للنزول الى الميدان .

---

٤٢٨ - الجمهورية فى ٢٢ اكتوبر ١٩٥٤ .

الفصل الثانى عشر

خطط الجهاز السرى لاسقاط حكم عبد الناصر وحادث المنشية

رأينا مما سبق كيف انقسم الاخوان المسلمون بين مجموعتين تتنازعان الانتماء الى الجماعة وتعلن أنها هى الاخوان المسلمون : مجموعة الهضيبى فى قيادة الجماعة ، ومجموعة صالح عشماوى المطرودة من الجماعة . وكيف انقسمت مجموعة الهضيبى داخليا بين مجموعتين : مجموعة متطرفة بقيادة الهضيبى نفسه ، يساندها الجهاز السرى ، ومجموعة محمد خميس حميده التى لا تحظى بتأييد الجهاز السرى · وكان عبد الناصر يستغل بذكاء هذا الانقسام المعقد والمتعدد الاطراف ، فيضرب مجموعة صالح عشماوى المؤيدة له بالمجموعتين الآخريين ، ويجمع أطراف الموقف لصالحه ·

كذلك رأينا احتدام الصراع بين هذه المجموعات الثلاث من الاخوان ، الذى اتخذ صورة قاسية وغير كريمة من تبادل الاتهامات والاشتباكات اليدوية والاعتصامات والانقلابات ، مما كان يميز الحياة الحزبية قبل الثورة التى كانت جماعة الاخوان تهاجمها بحجة أنها تمزق وحدة البلاد · وقد انتهى هذا الصراع الداخلى فى الاخوان بانقلاب يومى ٢٠ و ٢١ أكتوبر ، الذى أسفر عن اسقاط الحكم الفردى والقيادة الاستبدادية التى أرسى الشيخ حسن البنا اسسها ، وورثها الهضيبى ، وانتقال القيادة الى مكتب الارشاد . ولكن نظرا لان مجموعة الهضيبى لم تعترف بهذا الانقلاب ، فلم يعد أن يكون مظهرا من مظاهر تمزق الجماعة ، الذى أفسح المجال بالضرورة لنزول التنظيم السرى الى الميدان ·

● حادث المنشية ●

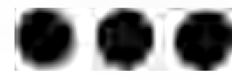
على هذا النحو كانت حركة الاحداث تدفع الى صدام محتوم بين الاخوان وعبد الناصر · ففى ذلك الحين ، وكما رأينا ، كانت قيادة الاخوان المسلمين السياسية تتفسخ تحت وطأة الصراع الطويل الدائر منذ أزمة فبراير ـ مارس ١٩٥٤ · كما كان التنظيم العلنى يتعرض لضربات قاصمة وانقلابات بتأثير السلطة . ومن الطبيعى فى هذه الظروف ان يبرز دور التنظيم السرى الذى أخذت الانظار تتطلع اليه للانقاذ والاخذ بالثأر . وهذا ما عبر عنه تعبيرا بليغا هنداوى دوير فى شهادته أثناء المحاكمة · فقد ذكر أنه كان على أثر الخلاف الشديد الذى وقع فى الهيئة التأسيسية ، أن فقدت احترامها فى نفوس الاخوان ، كما فقد مكتب الارشاد احترامه ايضا ، لانه لم يستطع أن يقوم بمهمته فى توجيه الاخوان ، حتى أصبحت التعليمات التى تصدر منه لا تلقى تأييد الاخوان » · « وفى هذه الفترة » ـ كما يقول ـ « وجدنا أن الاجهزة الادارية فى الاخوان أصبحت كلها معطلة ، فيما عدا الجهاز السرى

في الاخوان ، الذى أصبح يسيطر على الموقف ، ويصدر تعليماته الى الاخوان » ٠

ومن الثابت من مذكرات حسن العشماوى ، رغم حرصه الشديد وتجاهله حقائق الانقسام والتمزقات التى رأيناها ـ أن فكرة استخدام العنف قد طرحت فى الاجتماعات السرية لمكتب الارشاد تحت رئاسة الهضيبى ٠ وهذه نقطة جديدة تماما ، لان مكتب الارشاد تنظيميا يعتبر بعيد الصلة عن الجهاز السرى ٠ ومعنى ذلك أن النشاط العلنى قد أضيف لحساب النشاط السرى ٠ وقد وصف حسن العشماوى ذلك بقوله :

« حين نوقشت مسألة الموقف من الحكومة عموما ، وما يمكن أن نقوم به وحدنا ، ومتعاونين مع غيرنا من أعمال ، لتغيير الوضع القائم ، ومنع استمرار الحكم العسكرى المفروض على شعب مصر ـ حين نوقشت هذه المواضيع ، كان من المحزن حقا أن ينطوى على نفسه كل من يرى مهادنة الحكومة ايثارا للسلامة ، أو عن اقتناع ، فلم يجهروا برأيهم فى الاجتماعات الرسمية ، وان قالوه فى أحاديثهم مع الافراد فى الخارج ٠ ولذلك ظلت صور المقاومة هى وحدها مدار المناقشة » ٠

ثم روى حسن العشماوى انه طرحت فى ذلك الحين « فكرة اختطاف بعض رجال البوليس الحربى والمباحث العامة ، وأخذهم كرهائن مقابل من اعتقل من الاخوان ٠ وكان الهدف من ذلك شل حركة الدولة ، واسقاط هيبتها ، وجعل زملاء الرهائن اكرم معاملة للمعتقلين منا ، وأكثر تحرزا فى تنفيذ أوامر القبض بالجملة » . وتبند أقر هذا الأقتراح بالفعل ـ كما يقول حسن العشماوى ـ وأعدت له وسائل تنفيذه ، ثم أرجىء بعض الوقت ، ثم عاد التفكير فيه بعد تزايد حملات الاعتقال وفصل الموظفين والطلبة من الاخوان ، ولكن دوران عجلة الاحداث منع تنفيذه » . (٤٢٩) .



كان التنظيم السرى فى ذلك الحين يقدم اقتراحاته ،فقد اقترح عبد المنعم عبد الرءوف بعد هروبه من السجن ، اعداد اربع أو خمس فصائل مسلحة ، ترتدى ملابس رجال البوليس الحربى ، وتقوم باقتحام مجلس الوزراء ، واحتلاله ٠ وقد اعترف بهذه الخطة يوسف طلعت أثناء المحاكمة ٠ فقد روى أنه عندما قابل عبد المنعم عبد الرءوف بعد هربه ، أخبره بهذه الخطة وقال له : « عايزين ملابس عسكرية ، وعايزين كام فصيلة : أربعة ، خمسة مسلحة » ٠ وقد سأله جمال سالم :

---

٤٢٩ ـ حسن العشماوى ، المرجع المذكور ص ٥٩ ـ ٦٣ ٠

ـــ يعمل ايه بالفصائل ؟ •
ـــ يقتحم مجلس الوزراء •
ـــ ويحتله ؟ •
يوسف طلعت : أيوه •• لقد قال : « اعطنى قوة ومالكش دعوه ، أنت مدنى مالكش دعوه بالنواحى الفنية العسكرية •
الرئيس : تنفيذا لاقتحام مجلس الوزراء ، اشتريتم ملابس عسكرية ؟ •
يوسف طلعت : أيوه يا فندم ، وهم راحوا جابوها •
الرئيس : ٤٢ عسكرى بالبريهات الحمر ؟ •
يوسف طلعت : أنا عارف بيريهات والا مش بيريهات ! • اهى ملابس عسكرية وبس ! (٤٣٠) • ثم قال : « أنا رحت لابراهيم بركات ، وقلت له : هل ممكن نشترى ملابس عسكرية ؟ • فقال لى : آه ، ممكن • وأخذ منى ٥٠ جنيها : مرة ، ١٠ ، ومرة ٢٠ جنيه ـ بالقطاعى (٤٣١) • وقد تم بالفعل شراء ٥٠ بزة عسكرية تم ضبطها بعد الحادث (٤٣٢) •

على أن هذه الفكرة ـ كما يقول يوسف طلعت ـ استبعدت ، نظرا لتعذر توفير الامكانيات • فقد جاء فى قوله : « لما عجزنا عن اجابة مطالبه (عبد المنعم عبد الرءوف) ، اتسرحت الفكرة دى » (٤٣٣) •

وقد برزت على أثر ذلك خطتان :

الاولى ، وتقوم على الاتفاق مع اللواء محمد نجيب على القيام بتحرك داخل الجيش بمساعدة القوات الموالية له ، ليفرض على عبد الناصر وأعضاء مجلس الثورة الانسحاب الى ثكناتهم ، على أن يقدم له الاخوان المسلمون التأييد الشعبى اللازم •

وهذه الخطة ـ كما هو واضح ـ هى محاولة لتكرار ما حدث فى أزمة فبراير ، عندما تحرك سلاح الفرسان على أثر تنحية محمد نجيب لاعادته الى رئاسة الجمهورية ، وتحرك الاخوان المسلمون بمظاهراتهم الضخمة الى ميدان عابدين لفرض عودته على مجلس الثورة •

---

٤٣٠ ـــ محكمة الشعب : الجزء السادس ، شهادة يوسف طلعت ، ص ١٣٣٠ ـــ ١٣٣٢ ، ١٣٣٧ ، ١٤٨٣ •

٤٣١ ـــ محكمة الشعب : الجزء السابع ص ١٤٨٣ •

٤٣٢ ـــ نفس المصدر ص ١٤٧٣ •

٤٣٣ ـــ محكمة الشعب : الجزء السادس ، شهادة يوسف طلعت ص ١٣٣٢ •

وكانت هذه الخطة تلقى موافقة الهضيبى ، ولكنه لم يجد طريقة لتنفيذها قبل توقيع المعاهدة ، لانه كان يعرف انصراف الجماهير ، خصوصا الوفدية واليسارية ، عن الاخوان المسلمين ، بعد موقفهم الانتهازى فى أزمة مارس ، وتاييدهم لعبد الناصر ورفاقه مما مكنهم من ضرب القوى الوطنية الديموقراطية والتقدمية • لذلك أدرك الهضيبى أنه اذا قام الاخوان المسلمون بحركتهم تحت شعار عودة الحريات ، فلن يصدقهم أحد ، ويكونون منفردين • على أنه بعد توقيع المعاهدة ، واجماع كل القوى السياسية على معارضتها ، عاد مناخ الجبهة من جديد ، وانتعش الامل فى قيام مظاهرات ضخمة كتلك التى قامت يوم ٢٦و٢٧ فبراير ١٩٥٤ . ولذلك أعلن الهضيبى موافقته على هذه الخطة.

وهذا على كل حال ما كشفه سيد قطب فى شهادته أمام المحكمة • فقد ذكر أنه حين قابل الهضيبى بعد عودته من سوريا ، « أعدت عليه (الهضيبى) ما اقترحته قبل ذلك مرات ، من أن الاخوان المسلمين يجب أن يؤدوا واجبهم فى المطالبة بعودة الحريات الشعبية ، والضمانات القضائية ، لان هذا واجبهم الذى عليهم أن يؤدوه لله وللشعب • وكان رده فى المرات السابقة قبل أن يسافر ، أن الاخوان المسلمين لا يجوز أن يقوموا بحركة منفردة ، وأنه يجب أن يكون كل الشعب معهم ، وأن يكون الجيش كذلك أو أغلبيته • ولكنه فى المرة الاخيرة ، أجابنى بأن هناك حركة سيقوم بها الجيش لاعادة الحريات الطبيعية ، ولاعادة الضمانات القضائية ، وأن أغلبية عظمى فى الجيش ستقوم بهذا فى حركة شبيهة بما حدث فى سوريا من اجبار الجيش على أن يعود الى الثكنات ، وأن يسلم البلاد للرجال المدنيين • وقال ان الاخوان سيكون دورهم ان يقوموا بالتأييد الشعبى للحركة الجديدة حتى تتم » •

كما ذكر سيد قطب انه أراد التأكد من المرشد عما اذا كان قد وضع الترتيبات اللازمة لمواجهة الولايات المتحدة التى تؤيد بقاء عبد الناصر ، وكذلك بعض البلاد العربية ، فأجابه بأنه وضع الترتيبات الداخلية اللازمة لذلك • وكانت العبارة التى ساقها سيد قطب فى هذا الصدد قوله :

« كانت النقطة التى احببت أن أتأكد منها (من الهضيبى) هى عن الموقف الدولى وموقف بعض البلاد العربية ، لانى كنت أعتقد ان الموقف فى مصر ليس منفردا ، وانما هو متصل بالموقف الدولى ، وان امريكا بالذات قد تكون حريصة على بقاء الاوضاع الحالية ، وكذلك الحال مع بعض البلاد العربية. وقد اجاب بأن هذا قد عمل حسابه ، وان الرئيس محمد نجيب سيظل على راس الدولة ، وسيعاونه الاشخاص الذين تكمل بهم هذه الضمانات » .

وقد سأله وكيل النائب العام : الم تسأل المرشد عن ما هى القوات التى ستتعاون معه فى هذا ، سواء من الجيش او المدنيين ؟

فرد سيد قطب قائلا : فهمت ان اللواء محمد نجيب سيكون على راس قوات الاغلبية التى ستقوم بالضغط على بقية الجيش لتحقيق فكرة الرجـوع الى الثكنات ، واعادة الحكم للمدنيين (٤٣٤) .

ومعنى هذا الكلام انه جرت اتصالات بين الهضيبى ومحمد نجيب لوضع هذه الخطة موضع التنفيذ . وهو مالم ينكره محمد نجيب فى مذكراته ، ولكنه اعطى الانطباع بأن هذه الاتصالات تمت مع قائد حرسه محمد رياض . فقد ذكر أن محمد رياض أحيل الى المعاش فى شهر أكتوبر ١٩٥٤ (وهو الشـهر الذى جرت فيه محاولة الاغتيال) ، ثم صدر أمر بالقبض عليه لاتهامه بمحاولة عمل انقلاب ضد جمال عبد الناصر بالاشتراك مع الأخوان المسلمين ! (٤٣٥) .

وقد اورد ابراهيم الطيب ، رئيس مناطق القاهرة ، ان الخطـة التى ابلغه بها يوسف طلعت كانت تقوم « على أسـاس الاتفاق والتفاهم القـائم بين الاخوان من ناحية ، وبين اللواء محمد نجيب من ناحية أخرى . واللواء محمد نجيب معه كثير من وحدات الجيش مؤيدة لرايه .

وقد سأله جمال سالم : كيف عرف ان كثيرا من وحدات الجيش مؤيدة لرايه ؟ .

فأجاب : هذا هو الذى ذكره لى يوسف طلعت (٤٣٧) .

وقد اعترف الهضيبى ــ بصعوبة بالغة ــ بانه سمح بعمل مظاهرات « بشرط أن تكون من جميع عناصر الامة » . فقد سأله جمال سالم قائلا :

افرض انه كان فى أمكان يوسف طلعت ان يقـوم بمظاهرات ، وقام بمظاهرات ، تبقى الحالة ايه ؟

الهضيبى : ولا حاجة ! ناس عملوا مظاهرة !

جمال سالم : وبعدين ، يجمع الهيئات والطبقات ؟ .

الهضيبى : اذا كان ممكن يعملوها .

جمال سالم : والنتيجة ايـه ؟

الهضيبى : ولا حاجة !

جمال سالم : والحكومة تسكت ؟

الهضـــيبى : ما اعـرفش !

---

٤٣٤ ــ نفس المصدر : شهادة سيد قطب ص ١٢٥٤ ــ ١٢٥٥ .

٤٣٥ ــ محمد نجيب : المرجع السابق الذكر .

٤٣٧ ــ محكمة الشعب : الجزء الثانى ، شـــهادة ابراهيم الطيب ص ٤٥٥ .

جمال سالم : ماهو الوضع الذى تصل اليه حالة الامن عندما تقوم هذه المظاهرات ؟ .. هل تبقى مستتبة ؟ .

الهضيبى : اذا تعرضت لها الحكومة تكون غير مستتبة ، واذا تركت الناس يقولوا رايهم ، تبقى مستتبه ويتصرف كل واحد لحاله !

جمال سالم : وانت كنت تعرف ان الحكومة ستتعرض لهذه المظاهرة ؟

الهضيبى : أنا شخصيا مافرضتش هذه الفروض ! .

جمال سالم : هل تعلم أن المظاهرات ممنوعة بحكم القانون ؟ .

الهضيبى : أعرف انها ممنوعة ، ولكن سبق أننا عملنا مظاهرات فى مناسبات كثيرة علشان تطالب بحاجات !

جمال سالم : متى ؟ .

الهضيبى : فى ٢٥ مارس ، وفى ٢٨ فبراير !

وفقد جمال سالم اعصابه فقال : « انا مش بقول لك تقف أمام المحكمة علشان تترافع .. أنت واقف شاهد ، رد على السؤل اللى يوجه اليك !

ثم سأل رئيس النيابة الهضيبى قائلا : قرر يوسف طلعت صراحة أنك سمحت له بقيام مظاهرات مسلحة ؟ .

الهضيبى : لا ، هو غلطان . هاته وشوف جسمه لعل عقله مش تمام ؟ (٤٣٨) .

هذا اذن هو قصارى ما وافق عليه الهضيبى . وهو تكرار احداث فبراير ١٩٥٤ : اى حركة جيش تساندها حركة شعبية تتكون من كافةالقوى الوطنية الديموقراطية ، ويقودها الاخوان . وكان هذا التفكير يعتمد على حقيقة لصالح عبد الناصر ، هى انه لن يصطدم اصطداما دمويا مع الجماهير الشعبية اذا تبين له اصرارها على عودة الحياة الديموقراطية . وهو ماحدث بالفعل فى أحداث فبراير ومارس ١٩٥٤ .

وقد عبر ابراهيم الطيب عن هذا التفكير بعبارة واضحة بقوله : «سبق ان كانت هناك سابقة فى حوادث ٢٥ مارس وما سبقها . فان سعادة الرئيس جمال لما وجد اتجاها معينا ، كان يسلم به ، فكان برضه مفهوما لدى الناس

---

٤٣٨ ـ محكمة الشعب : الجزء الرابع ، شهادة حسن الهضيبى ص ٨٤٦ ـ ٨٥١ .

الذين ينفذون • أو الذين يعدون هذا الاعداد ، انه من الجائز أن نحصل على المطالب التي تقوم بها الحركة بدون أى اراقة دماء (٤١٩) .

على انه بالنسبة للتنظيم السرى كان عليه أن يضع احتمالات الصدام المسلح بين قوات عبدالناصر والمظاهرة الشعبية . ومن هنا أخذت تتطور فكرة المظاهرة الشعبية السلمية الى مظاهرة شعبية تحرسها قوات التنظيم السرى الخاص بالاخوان ، فاذا وقع الصدام بالفعل مع قوات عبد الناصر بدأت هذه القوات فى حملة اغتيالات لاعضاء مجلس الثورة !

وقد شرح هذه الخطة ابراهيم الطيب قائلا :

« كانت الخطة هى أن تقوم القوات الموالية للرئيس محمد نجيب مع القوات الشعبية معا ، بالمطالبة بهذه المطالب . فاذا قامت هذه الحركة ، حصلت عليها اعتداءات ، فان هذه القوات ترد هذا الاعتداء بكافة السبل .

جمال سالم : ازاى ؟ .
ابراهيم الطيب : كالاغتيالات !
جمال سالم : اغتيالات مين ؟ .
ابراهيم الطيب : المعارضين من اعضاء مجلس القيادة .
جمال سالم : اتكلم بالاسماء !
ابراهيم الطيب : اللى علمته انه اغتيال المجلس كله اذا حصل اعتداء أو ضرب .
جمال سالم . الكل ؟ .
ابراهيم الطيب : عدا افراد معينين (٤٤٠) .

وقد كان صاحب الفكرة فى المظاهرة المسلحة هو عبد المنعم عبد الرءوف كما اعترف بذلك يوسف طلعت امام المحكمة . . موفقا لكلامه : « فى يوم قابلنى عبد المنعم عبد الرءوف ، وعرض على فكرة المظاهرات المسلحة : مظاهرات تحميها قوات مسلحة ، علشان لو حصل اعتداء عليها ، هذه القوات ترد الاعتداء . وبعدين يعقبها اغتيالات عامة لافراد من مجلس قيادة الثورة » .

وقد سأله جمال سالم عما اذا كانت الخطة هى اغتيال جميع افراد مجلس الثورة ؟ . . فرد عليه قائلا :

---

٤٣٩ ـ محكمة الشعب : الجزء الثانى والثالث ، شهادة ابراهيم الطيب .

٤٤٠ ـ نفس المصدر

- لا ، حيقتلوا بعض افراد مجلس الثورة !

جمال سالم : الوحشين منهم ؟

يوسف طلعت : ما هو انت منهم !

واردف يوسف طلعت قائلا :

- عاوز الحق ، انا اقسمت ان اقول الحق ، وانا حسبى أن اقول الحق وبس ، أما النتائج فهى فى يد الله تعالى ، هو الذى يتصرف فى اقدار الناس . وانا فاهم اننى اتكلم للتاريخ ، وحاقول كل غلطة عملتها » .

ووفقا لما ذكره يوسف طلعت ، فان الخطة كانت تتضمن أن يتولى عبد القادر عودة تدبير هذه المظاهرات ، ويتولى النظام السرى حمايتها .. وعلى حد قول يوسف طلعت :

- عبد القادر مسئول عن اخراج المظاهرات ، وانا مسئول ان اساعد عبد المنعم (عبد الرءوف) .

جمال سالم : تحميها يعنى ؟ .

يوسف طلعت : أيوه نجيب الافراد اللى تحميها ، أما جمع المظاهرات فهذه مش شغلتى ، دى عبد القادر يعملها (٤٤١) .

وقد دخلت احتمالات تدخل الانجليز لاحباط الخطة فى الاعتبار • خصوصا بعد ان ابرم عبد الناصر معهم المعاهدة ، واكتسب تاييدهم لنظامه . ولذلك تضمنت الخطة الاستعدادات اللازمة لمواجهة هذا التدخل .. فقد سال جمال سالم ابراهيم الطيب أثناء المحاكمة قائلا :

« هناك قوات بريطانية مستعمرة موجودة فى منطقة القنال . ما هو الاستعداد الذى اتخذتموه لمجابهة الانجليز اذا ما فكروا فى أن يدخلوا القاهرة ؟ .

ابراهيم الطيب : ابلغنى يوسف طلعت أن هناك قوات موجودة فى اقليم الشرقية وشرق منطقة القنال . وهى مستعدة للقيام بحرب عصابات ضد المستعمر فيما لو فكر أن يحتل جهات اخرى ؟ .

جمال سالم : ما هى هذه القوات فى القنال والشرقية ؟

ابراهيم الطيب : قوات فصائل من الاخوان .

جمال سالم : يعنى فيه قوات فصائل للاخوان فى غير القاهرة فى القنال والشرقية ، وعندهم من الاسلحة مايكفى لمقاومة تدخل الجيش البريطانى ؟.

---

٤٤١ - محكمة الشعب : الجزء السادس ، شهادة يوسف طلعت ص ١٣٢٣ - ١٣٢٩ .

ابراهيم الطيب معترضا : لعرقلته !
جمال سالم : لو عندكم القوة دي ماستعملتوهاش ليه فى القنال ؟.
ابراهيم الطيب : الاخوان اشتركوا فى معركة القنال قبل حرق القاهرة !
جمال سالم : ما هى خطة الدفاع لعرقلة هجوم الانجليز .

ابراهيم الطيب : القيام بحرب عصابات ، ونسف طرق المواصلات والمنشآت التى يحتلونها ، وتقطيع خطوط امداداتهم وتموينهم .

جمال سالم : لكن القوات الانجليزية ماتتحركش فى حالة نشوب معركة داخلية ؟ .

ابراهيم الطيب : يجوز أن تتقدم هذه القوات لاى أخطار ! . وبمجرد ما قامت الثورة ، كان فيه تقدم لقوات الانجليز ، ولذلك تقدم الاخوان ليكونوا تحت تصرف الثورة .

جمال سالم ثائرا : تحرقوا البلد ، وتنسفوا المنشآت ، وتنسفوا الطرق وتنسفوا الكبارى ! مافكرتوش فى الاموال وأصحاب رءوس الأموال يعملوا ايه فى رءوس أموالهم ؟ .. وحملة الاسهم والسندات من بورصة العقود وبورصة لاوراق المالية يحصل فيها ايه ؟ .. والموانى والحركة التجارية يحصل فيها ايه ؟ .. مافكرتوش فى تموين القاهرة ، مافكرتوش فى البترول وحايبجى منين ؟ . ماهى الخطة التى وضعت ؟ .. او لم يكن هذا فى الحسبان .

ابراهيم الطيب : كانت فى الحسبان ! (٤٤٢) .

ومن الثابت أن الهضيبى لم يوافق على استخدام العنف . ولهذا السبب كان يثور أثناء المحاكمة كلما ووجه ببعض اقوال الاخوان التى تدينه فقد سأله الدفاع قائلا :

ــ قرر هنداوى دوير أن ابراهيم الطيب اخبره ان الشاهد السيد حسن الهضيبى هو الذى أمر بتنفيذ خطة اغتيال الرئيس جمال عبد الناصر ما رأيك فى هذه الرواية ؟ .

الهضيبى : والله اذا كانوا قالوا كده ، يبقوا على غير حق !
الدفاع : يعنى كذابين ؟
الهضيبى : يعنى كذابين !
وهنا يتدخل جمال سالم قائلا : تقسم انهم كذابين ؟!
الهضيبى : اقسم بالله العظيم انى ما أمرت ..

---

٤٤٢ ــ محكمة الشعب : الجزء الثالث ، شهادة ابراهيم الطيب. ص ٤٨٨ وما بعدها .

جمال سالم : لا .. اقسم بالله العظيم أن الكلام اللى قلته دلوقتى أن هنداوى دوير فى اعترافه ، وابراهيم الطيب فى اعترافه ، كذابين . انت قلت دلوقتى ان هنداوى دوير كذاب ، وابراهيم الطيب كذاب ، عاوزك تقرن هذا الاعتراف بانهم كذابين بقسم !

الهضيبى مستدركا : هنداوى دوير جايز يكون موش كذاب .. هنداوى ناقل عن ابراهيم الطيب .

الدفاع : هل تقصد ان واحدا على الاقل من الاثنين كذاب ؟ .

الهضيبى : ابراهيم وهنداوى كذابين ان كانوا نقلوا عنى .

الدفاع : تقسم على هذا ؟

الهضيبى : اقسم على هذا : والله العظيم انى لا امــرت ، ولا كلمت واحدا فى هذه الجريمة . (٤٤٣) *

وقد ابدى الهضيبى فى موضع آخر استنكاره للارهاب قائلا : « انــا لا اقر الارهاب كوسيلة لأى شىء .. وانا قلت كده : قلت ان الارهاب ضار بالجماعة وضار بالاسلام ، وضار بمصر . وحذرت أكثر من مرة ، ونشرت هذا الراى بين الاخوان . (٤٤٤) .

وعلى كل حال ، فقد اعترف يوسف طلعت ، وهو الذى يتلقى أوامره من الهضيبى ، بان الهضيبى لم يوافق على استخدام العنف . فقد ذكر انه حين حمل خطة المظاهرة المسلحة التى دبرها عبد المنعم عبد الرءوف الى الهضيبى رفض الموافقة على اكثر من المظاهرة السلمية وقال له :

— اسمع يا فلان ، أنا نفسى تجزع من حكاية الاغتيالات . دى عملية تسىء لسمعتكم وسمعة الجماعة . واذا كان تقدروا ، اعملوا مظاهرات سلمية تشترك فيها الهيئات ، وتحددوا المطالب باطلاق الحريات العامة ، وحــرية الصحافة ، والافراج عن المعتقلين ، وعمل برلمان تعرض عليه الاتفاقية .

ثم ذكر يوسف طلعت ان الهضيبى طلب اليه الاتصال بعبد القادر عودة فى شأن تدبير هذه المظاهرة السلمية (مما يدل على اختصــاص عبد القادر عودة بهذا النوع من المظاهرات)

---

٤٤٣ ــ محكمة الشعب : الجزء الرابع ، شــــهادة حسن الهضيبى ص ٨٠١ ــ ٨٠٣ .

٤٤٤ ــ نفس المصدر ص ٨١٧ .

وقد كلف يوسف طلعت ابراهيم الطيب بعرض هذه الفكرة على الاستاذ عودة ، فقام بدوره بعرضها على لجنة خاصة بالمظاهرات.ولكن هذه اللجنة قررت ارجاءها .. ووفقا لكلام يوسف طلعت فان ابراهيم الطيب جاء لزيارته وأبلغه بأن « اللجنة مش موافقة على عمل اى شيء خالص بالمرة » . فقلت له : هل افهم انه الغاء أم ارجاء ، فقال لى : سوف أسأل عن ذلك . ثم عاد الى وقال لى : تأجيل ! . وقد توجه يوسف طلعت بعدها الى عبدالقادر عودة وسأله عن سبب عدم الموافقة على المظاهرة ، فطلب اليه الانتظار قائـــــلا : « يا يوسف ، طول بالك أحسن » . فقلت له « طيب ! » وانصرفت »(٤٤٥).

على هذا النحو ، سقطت فكرة المظاهرة الشعبية ، سواء فى شكلها السلمى او فى شكلها المسلح الذى يعقبه اغتيالات ـ وذلك بسبب خوف القيـــادة السياسية وترددها . وعندئذ احس التنظيم السرى بأنه لم يعد امامه سوى الاعتماد على نفسه ، والتصرف منفردا تبريرا لوجوده * ولما كانت فـــكرة المظاهرة قد استبعدت ، وهى فضلا عن ذلك خارج نطاق اختصاصه ـ فهذا يفسر الخطة الجديدة التى طرحها فى ذلك الحين ، والتى تقوم عـــلى البدء بالاغتيال ! .

فوفقا لما ذكره فتحى البوز المحامى ، وهو رئيس فصـــيلة فى التنظيم السرى ، فانه تقابل مع ابراهيم الطيب قبل حادث المنشية بخمسة أيام ، وعلم منه أن « مسألة اغتيال الرئيس جمال عبد الناصر أصبحت مقررة ، وان بعض الاخوان قد كلفوا بذلك » . ويقول انه ناقش ابراهيم الطيب فى الامر قائلا : ان هذا «موضوع خطير ، وسيأتى على البلاد وعلى الاسلام بالوبال وبنتائج لايمكن تداركها » . على أنه لم يشأ الاسترسال فى هـــذا الاعتراض حتى لا تحتد المناقشة ، ولكنه سارع الى الاتصال ببعض رؤساء الفصـــائل من الاخوان ، وحذرهم من الاستجابة لهذه التعليمات ، ومن هـــؤلاء محمود الحواتكى واسماعيل عارف وعبد المتعال مدنى .. كما اتصل بعبد القــادر عودة فى بيته ، وطلب اليه منع التنفيذ ، فأخبره عودة بأنه لا علم لى اطــلاقا بهذه النية ، وانه كان فى آخر مقابلة مع المرشد ولم يصرح له هذا بشيء (٤٤٦)

كما روى محمود الحواتكى ، وهو مدرس علوم ، وفى التنظيم السرى ، أنه تقابل مع اسماعيل محمود يوسف ، وهو مدرس مواد اجتماعية ورئيس

---

٤٤٥ ـ محكمة الشعب : الجزء السادس ، شهادة يوسف طلعت .

٤٤٦ ـ محكمة الشعب : الجزء السادس ، شهادة أحمد فتحى البوز ص ١٢٧٣ وما بعدها .

فصيلة الجيزة ، فأخبره هذا بأن التنظيم السرى ينوى القيام بحركة تبـــدأ باغتيال عبد الناصر ، يتبعها اغتيال أو خطف أعضاء مجلس قيادة الثـــورة والضباط الاحرار ، ثم تقوم حركة شعبية ثورية مسلحة .. وأفهمه أن اسم اللواء محمد نجيب سوف يستغل فى هذه الحركة ، وقد يصدر بيانا يؤيد فيه هذه الحركة ، وقد يمسك البلاد بعد انتهاء الحركة (٤٤٧) .

وقد روى اسماعيل محمود يوسف نفس القصة تقريبا . فقد ذكر انه قبل الحادث بخمسة أيام ، « سمع من عضو الاتصال أنه علم ان المسئولين ينوون القيام بحركة اغتيالات لاعضاء مجلس قيادة الثورة ، ثم يقـــومون بحركة شعبية » . ونظرا لخطورة المسألة ، توجه لزيارة محمود الحواتكى ، وابلغه بهذا الخبر ، فنزل ومعه عبد الفتاح قرشى للاتصال ببعض المسئولين ثم عاد وأخبره بأنه قابل احد الاخوان المسلمين ، فنفى لـــه الخبر قائلا أن المرشد لا يوافق عليه (٤٤٨) .

وهذه الاعترافات تتفق لحد كبير مع ما رواه هنداوى دوير المحـــامى ، ورئيس منطقة امبابة الذى عهد اليه من قبل رئيسه ابراهيم الطيب بالتنفيذ فقد روى أنه « قبل أن يتلقى تعليمات ابراهيم الطيب ، كان الاتجاه فى التنظيم يميل الى المظاهرة الشعبية ، ولذلك اخذ فى تعبئة الناس ضد المعاهدة عن طريق المنشورات ، « حتى شحنت نفوس الاخوان شحنا شديدا ، واخذوا يتساءلون : ما المصير ؟ ، حنعمل ايه ؟ . وفجأة وجدنا المنشورات انقطعت نهائيا ! ، فسألت ابراهيم الطيب : انتم عبأتمونا وفرغتونا ليه ؟ .. فقال ان الاتجاه لن يكون شعبيا ، لقد قررنا أن يكون اتجاها ارهابيا » . فقلت له : يا أستاذ ابراهيم ، ان الاتجاه الارهابى لن يؤدى الى نتيجة . وذكرته بمـــا تحمله الاخوان فى أيام فاروق ، وقلت له : اننا لن نجنى والبلد شيئا من هـــذا الطريق . فقال لى : هناك خطة كاملة ، واحنا حننفذها .

واستطرد هنداوى دوير قائلا أنه « قبل الحادث بحوالى خمسة عشر يوما أو اكثر قليلا ، جاءنى ابراهيم الطيب ، وقال لى : النظام قرر ان يعتدى أولا على الرئيس جمال عبد الناصر ، وبعد ذلك يتخلص ـ بتحديد اللفظ ـ

---

٤٤٧ ـــ محكمة الشعب : الجزء الثانى ، شـــهادة محمود الحواتكى ص ٢٣٥ وما بعدها .

٤٤٨ ـــ محكمة الشعب : الجزء الاول ، شهادة اسماعيل محمود يوسف ص ١٩٨ وما بعدها .

من الضباط الاحرار بأى صورة ، سواء بالاعتقال او بالخطف أو بالقتل » •
فقلت له : هل حققتم المسائل اسلاميا ؟ . فقال لى : آه ! » (٤٤٩) .

ثم ذكر هنداوى دوير ان ابراهيم الطيب اتى له بمسدس لتسليمه لمحمود عبد اللطيف ، وهو ما حدث بالفعل ، وتسلم محمود عبد اللطيف المسدس • ولكن فى تلك الاثنـاء قدم كل من محمود الحواتكى وعبد الفتاح قرشى لزيارة هنداوى دوير ، وابلغاه بانهما علما أن المرشد العام غير موافق على الاتجاه الارهابى وانه صرح بأنه برىء من دم جمال عبد الناصر اذا قتل . وعلى اثر ذلك طلب هنداوى دوير من محمـود عبد اللطيف ايقاف التنفيذ • ولكن حين زاره ابراهيم طلعت فى اليوم التالى ، وعرض عليه حديث محمود الحواتكى ، قال له : « الكلام ده غلط ، والناس دول متصلين بالمفصولين وبالاستاذ البهى الخولى ، وعاوزين يعطلوا شغلنا » • فقلت له : يعنى الامر صدر من المرشد ؟ فقال لى : « أيوه ! » • (٤٥٠) •

وتشير الدلائل الى أن التنظيم السرى كان يدبر فى تلك الاثناء اغتيال أعضاء آخرين من مجلس الثورة • فقد روى محمود عبد اللطيف انه كلف مع سعد حجاج بدراســة بيت القائمقام أنور الســادات وجريدة الجمهورية ، « لتحديد أسلم الطرق لاغتياله » ! ، « ورحنا هناك ، وشفنا البيت والجريدة ، وكان أن استقر الامر على أنه (الاغتيال) يكون فى الجريدة • وبعدين قال لنا استنوا لما تصدر أوامر • وبعدين انقطع ما جاش » (٤٥١) •

وفيما يبدو ان الراى استقر على التركيز على اغتيال عبد النـاصر ، باعتباره رأس النظام ، فاذا سقط ، سقط مجلس الثورة ، ولذلك احضر ابراهيم الطيب المسدس ـ كما ذكرنا ـ لهنداوى دوير ليعطيه لمحمـود عبد اللطيف لهذا الغرض . ويقول هنداوى دوير انه عقب تسلمه المسدس من ابراهيم الطيب ، سأله قائلا : « ما هى الخطة يا سيد ابراهيم ؟» ، فقال لى : «الخطة أن محمود يعتمد على مجهوده الشخصى فى تتبع عبد الناصر ،

---

٤٤٩ ـ محكمة الشعب : الجزء الاول ، شهادة هنداوى دوير ص ٢٤ وما بعـدها •
٤٥٠ ـ نفس المصدر •

٤٥١ ـ محكمة الشعب : الجزء الاول ، شـهادة محمود عبد اللطيف ص ١٨ ، ٢٠ •

خصوصا وانه بعد المعاهدة نزل الميادين والى الشعب ، ويمكن أن ينال منه محمود » . وفعلا تلت لمحمود هذا بالفعل (٤٥٢) .

كما ذكر هنداوى دوير ان ابراهيم الطيب وعده ، قبل الحادث بثلاثة أو اربعة أيام ، بأن يحضر له « مدفعين » لاستخدامهما فى عمل « كمين » لموكب عبد الناصر ، و « لغم » ليتمنطق به محمود عبد اللطيف وينسف عبد الناصر (٤٥٣) . ولكن محمود عبد اللطيف رفض فكرة « اللغم » عندما عرضها عليها هنداوى دوير ، وآثر استخدام المسدس . مونقا لكلامه :

« هنداوى عرض على الحزام الساعة الثانية عشرة ونصف ليلا لما رحت اخبره بالسفر ، فقال لى : عندنا حزام تلبسه وتقابل الرئيس جمال عبد الناصر ، وتعانقه وتتنسفوا انتم الاثنين » .

المدعى - شفت الحزام ؟ .

محمود عبد اللطيف : لا .

جمال سالم : لماذا لم تقبل ؟ .

محمود عبد اللطيف : قلت ما ينفعش علشان الزحمة .

المدعى - وانت رايح تقتل الرئيس مافكرتش تعمل ايه علشان تهرب ؟ .

محمود عبد اللطيف : لا ، مافكرتش . هنداوى قال لى : الحرس سيطلق عليك النار وتموت .

المدعى : كنت عارف انك رايح تموت ؟ .

محمود عبد اللطيف : أيوه .

المدعى : مافكرتش فى طريقة للهرب ؟ .

محمود عبد اللطيف : لا (٤٥٤) .

وفيما يبدو أن هنداوى دوير كان يتخذ فكرة الحزام ذريعة لتاجيل سفر محمود عبد اللطيف الى الاسكندرية ، لان الحزام حتى ذلك الحين لم يكن قد وصله من ابراهيم الطيب ، وانما أحضره الاخير اليه فى اليوم التالى ، وهو يوم محاولة الاغتيال (٤٥٥) . ولم ير محمود عبد اللطيف فى الفكرة ما يجذبه

---

٤٥٢ - محكمة الشعب : الجزء الاول ، شهادة هنداوى دوير ص ٢٧ وما بعدها .

٤٥٣ - نفس المصدر .

٤٥٤ - محكمة الشعب : الجزء الاول ، شهادة محمود عبد اللطيف ص ٨ - ١٦ .

٤٥٥ - محكمة الشعب : الجزء الاول ، شهادة هنداوى دوير ص ٢٩

لتغيير عزمه على السفر للقيام بمحاولته (٤٥٦) ٠

على كل حال ، يتضح من هذا العرض أن خطة الاغتيال كانت تقوم على أن يعتمد محمود عبد اللطيف على نفسه فى تدبير مقتل عبد الناصر ، أو على حد تعبيره : « دراســـة طريقة اغتيال الرئيس جمال عبد الناصر » ! وقد عبر ابراهيم الطيب لهنداوى دوير عن ذلك بقوله : « الصعيدى يتتبع خصمه سـنة كاملة لغاية ما يتخلص منه ! » (٤٥٧) ٠ وقد كان هذا هو سبب مفاجأة الجميع بالحــادث ٠ ذلك أن الامر خرج من يد الجميع وأصـــبح فى يد واحدة هى يد محمود عبد اللطيف ، يقرر الشكل الذى يغتال به عبد النــاصر ، والوقت المناسب لذلك ، منذ تسلم أداة القتل وهى المسدس من يد هنداوى دوير ، بل يقرر أيضا المكان المناسب ٠

ومن المحقق أن المكان الذى قرر محمود عبد اللطيف تنفيذ جريمته فيه هو الذى فاجأ الجميع فى التنظيم السرى أكثر من أى شىء آخر ٠ فكما يقول هنداوى دوير ، كان « المفروض أن الحادثة دى تقع من محمود عبد اللطيف فى مصر » (يقصد القاهرة) ولكن هو جانى وقال لى : أنا مسافر اسكندرية ! ٠ ليه يا محمود ؟ ٠ قال : والله أنا قرأت فى جريدة القاهرة أن الرئيس مســافر اسكندرية ٠ قلت له : يا محمود بلاش الحكاية دى ، بلاش السفر لاسكندرية ٠ قال : لا ، أنا حاســافر ! وفعلا سافر (٤٥٨) ٠

لهذا الســـــبب كان يوم الثلاثاء ٢٦ اكتوبر ١٩٥٤ آخر يوم يتوقع فيـه الاخوان المسلمون أن تقوم فيه محاولة اغتيال عبد الناصر ، لا لشىء الا لان عبد الناصر كان فى الاسكندرية وليس فى القاهرة حيث يتوقع الجميع أن تقع فيها هذه المحاولة ٠ ولهذا السبب جاء ابراهيم الطيب فى نفس يوم المحاولة الى هنداوى دوير ، دون أن يعلم بسفر محمود عبد اللطيف ، حاملا معه اللغم والطبنجة ٠ وكان هنــــاك ـ كما يقول هنداوى دوير ـ ميعاد ان محمد على نصيرى يأتى لتسلم اللغم أو المســـدس ، ويؤدى نفس المهمة الموكولة لمحمود

---

٤٥٦ ـــ محكمة الشعب : الجزء الاول ، شــــهادة محمود عبد اللطيف ص ١٥ ٠

٤٥٧ ـــ محكمة الشعب : الجزء الاول ، شهادة هنداوى دوير ص ٢٧ ، الجزء الثالث شهادة محمود عبد اللطيف ص ٥٠٦ ٠

٤٥٨ ـــ نفس المصدر ٠

عبد اللطيف ، كل من جانبه · على أن هنداوى دوير أخبر ابراهيم الطيب بسفر محمود عبد اللطيف الى الاسكندرية ، فوقع عليه الخبر وقع الصـــاعقة يقول هنداوى دوير فى روايته لهذه القصة :

« يوم الثلاثاء كان (ابراهيم الطيب) عندى · ولمــا قلت له ان محمود عبد اللطيف سافر الى الاسكندرية ، قال لى : « ايه ؟ » · وقد عقب ابراهيم الطيب على هذا الكلام أمام المحكمة قائلا : « احنا فوجئنا بهذا التكليف من الاستاذ هنداوى دوير ، ودهشنا له ! » · (٤٥٩) ·

على أن هذه الدهشة لم تمنع هنداوى دوير وابراهيم الطيب من مواصلة تدبير اغتيال عبد الناصر فى حالة فشل مهمة محمود عبد اللطيف !. فقد جاء محمد على نصيرى حسب الميعاد فى الساعة الخامسة والنصف يوم الثلاثاء ، بينما كان ابراهيم الطيب ما يزال فى بيت هنداوى دوير ، وقد عرض الاخير على نصيرى اللغم والمسدس ، ولكنه رفض اللغم قائلا : لا ، ده ما ينفعش ، وأخذ المسدس على أساس أن يقوم بنفس المهمة الموكولة لمحمود عبد اللطيف » - على حد قول هنداوى دوير · (٤٦٠) ·

وفى تلك الاثناء كان محمود عبد اللطيف يؤدى مهمته ، وعلى حد قوله ، فانه بعد لقائه بهنداوى دوير ليلة الثلاثاء ٢٦ اكتوبر ، وحصوله على موافقته على سفره الى الاسـكندرية ، مر فى الصــــباح على زميله يوسف حجاج ، « وقلت له بالامر · فأبدى أسفه لانه ما أحضرشى السلاح بتاعه علشان ييجى معايا ! · وتوكلت ، وسافرت الى الاسكندرية فى قطار الســاعة التاســعة والنصف الذى يصل الســـاعة الواحدة تقريبا · وبعد كده رحت محرم بك ، واتمشيت شـــوية ، ودخلت مطعم ، واتغـــديت ، وبعـــدين رحت لوكاندة دار السعادة وأخذت حجرة خاصة ، وغيرت ملابسى · وفى الســاعة الرابعة والربع نزلت على ميدان المحطة ، ووجدت جماعة متظاهرين رايحين المنشية ، فمشيت وراهم ، وبعد ما وصلت الميدان وقفت · ولما جاء الرئيس ، وهو يتكلم كلمته ، أطلقت عليه طلقات من المسدس » (٤٦١) ·

وكما فوجىء ابراهيم الطيب بسفر محمود عبد اللطيف الى الاسكندرية ، فكذلك فوجىء يوسف طلعت رئيس التنظيم السرى بمحــاولة الاغتيــال فى

---

٤٥٩ ـــ محكمة الشعب :الجزء الثالث ، المواجهة بين هنداوى دوير وابراهيم الطيب ص ٥٠٥ ·

٤٦٠ ـــ محكمة الشعب : الجزء الاول ، شهادة هنداوى دوير ص ٢٩ ·

٤٦١ ـــ محكمة الشعب:الجزء الاول،شهادة محمود عبداللطيف ص٨.

الاسكندرية • فقد روى أن ابراهيم الطيب زاره بعد الحادثة فى بيته ، فسأله :
ـ ايه الحكاية دى ؟ •
قال لى : أخوك هنداوى تسرع ••
قلت له : يا راجل تسمح تبطلوا شغل ، وتقعدوا ساكتين ! (٤٦٢) •
وعلى هذا النحو فان السؤال الذى يثور : على من تقع مسئولية ارتكاب المحـــاولة ؟ : هل تقع على هنداوى دوير ، أم على ابراهيم الطيب ، أم على يوسف طلعت ؟

بالنسبة لهنداوى دوير وابراهيم الطيب ، فان الذى يحسم المسألة بينهما هو تقرير صفة الامر الذى صدر من ابراهيم الطيب الى هنداوى دوير : وهل كان أمرا تنفيذيا أم لا • لقد حدثت مواجهة بين الرجلين أمام المحكمـة دبرها جمال سالم بمهارة ليطعن فى أخلاق الاخوان المسلمين ، ويظهرهم فى مظهر الكذب وتبادل التهم • ففى أثناء شهادة ابراهيم الطيب ، أحضر هنداوى دوير ، وكرر عليه أقواله واعترافاته التى أوردناها فيما سبق . فأمن عليها واعترف بصحتها • فطلب اليه أن يعيد هذه الاعترافات ، فأعادها • وسأل جمال سالم ابراهيم الطيب :
ـ ايه رأيك يا ابراهيم ؟ •

ابراهيم الطيب : الكلام لم يحدث على هذا الوجه • أنا كلمته على أساس عرض خطة عامة وتفاصيل ـ على الا يبدأ بأى عمل من الاعمال قبل تحرك قوات الجيش ضد القوات الشعبية •

جمال سالم : حصل والا ماحصلش ؟ •
ابراهيم الطيب : ماحصلش • وأنا لم أسلم اليه الا الحزام •
جمال سالم : ماسلمتوش الطبنجة ؟ •
ابراهيم الطيب : لا •
جمال سالم : ماسلمتوش نصيرى ؟ •
ابراهيم الطيب : أيوه ! •
جمال سالم : ما حددتلوش محمود عبد اللطيف ليقوم بالحادث ؟ •
ابراهيم الطيب : لا •
جمال سالم : (موجها كلامه لهنداوى دوير) : شايف يا هنداوى الرئيس بتاعك بيحاول نفى التهمة عنه ازاى ؟ •

---

٤٦٢ ـــ محكمة الشعب : الجزء السادس ، شهادة يوســـــف طلعت ص ١٣٣٦ •

فاصر هنداوى دوير على أقواله ، واستدل على أن الامر كان تنفيذيا بما رواه من أنه بعد أن ســـلم لمحمود عبد اللطيف الطبنجـــة ، جاءه محمـــود الحواتكى وأبلغه بعدم موافقة المرشد على الاتجـاه الاغتيـــالى ، فطلب الى محمـــود عبد اللطيف ايقاف التنفيـذ ، ولكن ابراهيم الطيب حين زاره وعلم بأقوال محمود الحواتكي قال له : « دول متصلين بالاستاذ البهى وبالجماعة المفصولين ، وعايزين يعطلوا شغلنا ، والاوامر دى صادرة من المرشد » ٠

وقد علق ابراهيم الطيب على كلام هنداوى دوير قائلا :

ـ حصل فعلا ، ولكن بعد الاعتراض على الخطة ، والاســـتعدادات لم تكن تمت ، لم نعط أى أمر بالتنفيذ ، باعتبارها لم تتم والاجهزة غير مستعدة ٠٠ احنا فوجئنا بهذا التكليف من الاستاذ هنداوى دوير ، ودهشنا له ٠

هنداوى دوير : سبحان الله ! ٠

جمال سالم : (لهنداوى دوير) : ايه رأيك فى الاقوال دى يا هنداوى ؟ ٠

هنداوى دوير : أنا قلت الحق ، ويؤسفنى أن ينكر جزءا من أقوالى ٠

جمال سالم : شفت الاسلام ؟ ٠

هنداوى دوير : الاسلام لا يجيز الكذب على أى حال ٠

ثم عرض جمال سالم الطبنجة التى وقع بها الحادث على ابراهيم الطيب للتعرف عليها ، فقال منكرا :

ـ أنا لم أسلمه هذه الطبنجة اطلاقا ! ٠

جمال سالم (لهنداوى دوير) : ايه رأيك يا هنداوى ؟ ٠

هنداوى دوير : والله الانكـــار ده مالهوش داعى ، لان الامور لا تؤخذ بهذه الصورة ، واذا كان الانسان اخطأ يجب أن يتحمل خطأه (٤٦٣) .

ومن الواضح أن ابراهيم الطيب كان يخفى الحقيقة بانكاره ٠ فاذا كان قد أنكر أنه حدد محمود عبد اللطيف ليقوم بالحادث ، فلم ينكر تسليم نصيرى لهنداوى ، واذا كان قد أنكر انه سلم الطبنجة لهنداوى ، فانه لم ينكر تسليمه الحزام الناسف ! ٠ فضلا عن ذلك فانه أيد أقوال هنداوى دوير التى ذكر فيها أنه بعد أن أمر محمود عبد اللطيف بايقـــاف التنفيذ ، بناء على أقوال محمود الحواتكى القائلة بأن المرشـد غير موافق على الاغتيـــال ، تلقى تأكيدات من ابراهيم الطيب بأن الاوامر صادرة من المرشد بالفعل ، فرفع بعدها اعتراضه على التنفيذ وأمر محمود عبد اللطيف بالمضى بعدها فى مهمته ٠ وقد اعترف

---

٤٦٣ ـــ محكمة الشعب : الجـــزء الثالث ، المواجهة بين هنداوى دوير وابراهيم الطيب ص ٥٠١ وما بعدها ٠

محمود عبد اللطيف بواقعة الاعتراض والعودة الى الامر بالتنفيذ من جانب هنداوى . ففى روايته أمام المحكمة قال : « اللى حصل ان هنداوى دوير قبل الحادث بأربعة او خمسة ايام ، كان لسه ما اداليش الطبنجة ، قال لى : اوقف يا محمود . وانا كنت باستطلع وقتها بس . فوقفت ، وما طلعتش . وبعدين قال لى : امشى زى ما انت فى طريقك » (٤٦٤) . وهـذه الواقعة تفيد أن الأمر كان تنفيذيا بالفعل .

فضـلا عن ذلك فمن الثـابت من أقوال كل من هنداوى دوير وابراهيم الطيب أن الاخير زار الاول فى نفس يوم الحادث ليعطيه الحزام الناسف ، وقد أعطاه الحزام رغم انه علم من هنداوى دوير بسفر محمود عبد اللطيف الى الاسكندرية لاغتيال عبد الناصر ، وذلك ليستخدمه نصيرى فى حالة فشـل مهمة الاسكندرية . وقد جرت أقوالهما كالآتى :

قال هنداوى دوير : « يوم الحادث بالذات ، كان (ابراهيم الطيب) عندى الســاعة اثنين ونصف ، واتغدى عندى ، وانا كنت اتغديت فى البيت ، وهو كان جه من غير غدا ، فجبت له غدا فى أودة المكتب ، وسلمنى حزام فيه لغم ، وشرح لى طريقة اســتعماله ، وجاب لى طبنجة ، وقال لى اديها لنصــيرى واعرض عليه الحزام والطبنجة . وحتى أنا أبديت اعتراضات على الحزام ، فكان رده انه قال : « أنا دلوقتى عندى اجتماع ، وبعدين حابقى أجى آخده . ولما عرضت الحزام على نصيرى رفض ، وفضل الحزام عندى .

ابراهيم الطيب : الكـــلام لم يحدث على هذا الوجه . أنا كلمتـه على أساس عرض خطة عامة وتفاصــيل ، على الا يبدأ بأى عمل من الاعمال قبل تحــرك قوات الجيش ضــد القوات الشـعبية .. وأنا لم أســلم اليـه الا الحزام (٤٦٥) .

اذن فان ابراهيم الطيب يعترف بانه أحضر الحزام الناســف لهنداوى دوير ، ولكنه يدعى أنه كان يكلمه « على أساس عرض خطة عامة وتفاصيل ، على ألا يبدأ بأى عمل من الاعمــال قبل تحرك قوات الجيش ضــد القوات الشعبية » . ولكن ابراهيم الطيب ينسى أنه حين سلم الحزام الناسف لهنداوى دوير كان قد عرف منه أن محمود عبد اللطيف قد سافر الى الاسكندرية لتنفيذ

---

٤٦٤ ـــ محكمة الشعب : الجزء الثالث ، شــهادة محمود عبد اللطيف ص ٥٠٦ .

٤٦٥ ـــ نفس المصدر : المواجهة بين هنــداوى دوير وابراهيم الطيب ص ٥٠١ ـــ ٥٠٣ .

مهمة اغتيال عبد الناصر . فلو انه كان يتكلم على أساس عرض خطة عامة ، وعدم التنفيذ الا بعد تحرك قوات الجيش ضد القوات الشعبية ، لأحجم عن تسليم الحزام الناسف لهنداوى دوير بعد أن رآه يسارع بالتنفيذعلى هذا النحو ! .

ثبوت أن الامر كان تنفيذيا يأتى ـ اذن ـ من ناحيتين : الناحية الاولى ؛ تاكيدات ابراهيم الطيب لهنداوى دوير بموافقة المرشد على خطة الاغتيال ، والتى أمر هنداوى محمود عبد اللطيف على أثرها باستئناف مهمته ، والناحية الثانية ، تسليم ابراهيم الطيب الحزام الناسف لهنداوى دوير لتسليمه الى نصيرى ، رغم معرفته بأن هنداوى قد شرع بالفعل فى التنفيذ وأطلق محمود عبد اللطيف الى الاسكندرية .

أما مبعث الدهشة التى أصابت ابراهيم الطيب لسفر محمود عبد اللطيف ، فهو توقعه أن يكون الاغتيال بالقاهرة وليس بالاسكندرية . فلما علم بموافقة هنداوى على السفر ، اعتبر ذلك تسرعا ، ولكنه لم يتخذ اجراء ضد هذا التسرع ، بل كان الاجراء الوحيد الذى اتخذه هو تسليم الحزام الناسف الى هنداوى لتسليمه الى نصيرى لتنفيذ مهمة محمود عبد اللطيف فى حالة فشلها ! .

وفى الواقع أن الرواية التى يرويها هنداوى دوير لزيارة ابراهيم الطيب له يوم الحادثة توضح تماما أن الاخير ، بعد مفاجأة علمه بسفر محمود عبد اللطيف الى الاسكندرية ، ترك الامور تسير فى مجراها الطبيعى . فيقول هنداوى دوير : « الساعة اثنين ونصف ، جانى الاستاذ ابراهيم ومعاه اللغم والطبنجة . ويظهر انه كان جاى فى السكة ووراءه الاخ الاستاذ عبد العزيز كامل . وبهذه المناسبة اقرر أن الاستاذ ابراهيم الطيب قال لى ما تقولش الحاجات دى للاستاذ عبد العزيز كامل ، لانه معارض فى هذا الاتجاه ، ويمكن يقنعك بأنك تعدل عن تنفيذ الخطة ! .. وبعدين قعدت أنا وابراهيم فى أودة المكتب ، وجبت له على صينية الشاى طبق خضار وشوية رز ، وبدأ ابراهيم يتغدى . وحبة (وبعد قليل) جاء الاستاذ عبد العزيز كامل ، وقعد ابراهيم وعبد العزيز يتغدوا ، وفضلوا قاعدين ييجى ساعة .. ودخلت أنا اللغم ، وكان ملفوف فى ورقة ، وكذلك المسدس ، فى أودة من أود البيت . وبعدين الاستاذ عبد العزيز كامل جاله واحد فلسطينى من الاخوان ، فنزل الاستاذ عبد العزيز ، وبقيت أنا وابراهيم ، وقعدنا لغاية الساعة خمسة ونصف ، وكان فيه ميعاد أن نصيرى حييجى ، فجاء ، وعرضت عليه اللغم فقال لا ده ماينفعش . وأخذ المسدس على أساس أنه يقوم بنفس المهمة الموكولة لمحمود عبد اللطيف ، وعلى أثر ذلك انصرفنا : انصرف ابراهيم ، وخرجت أنا

لمكتبى » • (٤٦٦) • ومعنى ذلك أن ابراهيم الطيب لم يغادر بيت هنداوى دوير الا بعد أن اطمأن الى أن نصيرى سوف يواصل مهمة محمود عبد اللطيف فى حالة فشلها •

على أن الامور سارت فى طريق مضاد عقب فشـــل محاولة الاغتيال ، وذلك بسبب اعترافات هنداوى دوير ، الذى وصـــفه حسن العشـــماوى بأنه « عصبى المزاج ، سريع الانفعال ، بحيث لا يصح وضعه كمسئول فى أى نظام سرى » ! (٤٦٧) • فلم يكد يعرف بفشل المحاولة ، حتى سافر بزوجته الى المنيا فى نفس الليلة ، وعاد فى الصباح ليسلم نفسه لشرطة مركز امبابه • وقد روى الواقعة بأسلوب يستحق التامل • فقال :

« من حمد الله أن الرئيس ما اعتديش عليه ، ونجا بحمد الله • بعد كده أنا قدرت أنه سـيقبض على ، فاخذت الست بتاعتى الســـاعة ٣٠ر٩ ونزلنا بسرعة ، أخذنا قطار ١٥ر١٠ من الجيزة ، وروحتها المنيا ، ورجعت صباحا فى قطر التاسعة ، ونزلت الى مركز امبابه وسلمت نفسى الى البوليس •

وبينما أنا جاى فى القطار ، قدرت عدة مســـائل ، منها : أن زعمـــاء الاخوان المسلمين منقسمين على أنفسهم ، وان الدعوة فى هذه الفترة يسيطر عليها أناس غير مســـئولين وغير معروفين للاخوان ، وان الاتجاه الارهابى اتجاه صورته الطبيعية الواضحة البسيطة أنه غير اسلامى ، وان القتل على هذه الصورة قتل غير اسلامى •

قدرت هذا ، وقدرت أنه لو وقعت العمليـــات التى تحت يدى ، ففيهـا ارهاق للاخوان وارهاق للبـــلاد وعـــلى الامن . واذا كانت دى (المحاولة) ما أصابتش ، يمكن حاجة ثانية تصيب . وقررت لذلـــك أن أســـلم نفسى للبوليس ، واضع نفسى تحت تصرف المسئولين » • (٤٦٨) . وفى مرافعته عن نفسه نوه بما اداه « للعدالة » فى هذا الصدد ، فذكر انه عندما سلم نفسه للسلطات المختصة وسلمها الاسلحة كان غرضه « هو أداء واجب عـــلى لا أرضى له ثمنا ، وانما قمت به كواجب اشعر به شعورا تاما مطلقا لا يرد عليه أى قيد ، والا كنت هربت . ولا أريد أن أقتضى ثمنا لاننى ســـلمت

---

٤٦٦ ـــ محكمة الشعب : الجزء الاول ، شهادة هنداوى دوير ص ٢٩

٤٦٧ ـــ حسن العشماوى : المرجع المذكور •

٤٦٨ ـــ محكمة الشعب : الجزء الاول ، شهادة هنداوى دوير ص ٣٠

نفسى وسلمت الاسلحة والناس واعنت العدالة » (٤٦٩) ! .

وللباحث ان يشعر بالاسف ، لان هنداوى دوير لم يفق على هذه المعانى الا على صوت طلقات مسدس محمود عبد اللطيف ، الذى سلمه اليه بنفسه ليعتدى به على عبد الناصر ، ولو اناق قبلها لانقذ الاخوان من نتائج مهلكة .

هذا على كل حال فيما يتصل بتحديد مسـئولية كل من هنداوى دوير وابراهيم الطيب فى حادثة محاولة الاغتيال . أما بالنسبة ليوسف طلعت ، رئيس التنظيم ، فقد تمسك أمام المحكمة بأن الخطة كانت تقوم على قيام مظاهرة مسلحة يعقبها عملية الاغتيالات اذا اعتدى عليها ، وليس اغتيالات تعقبها مظاهرات . واهمية هذا الاصرار أنه يلقى على هنداوى دوير مسئولية التسرع بالتنفيذ قبل بدء المظاهرة المسلحة ! ويلاحظ أن هذا ما تمسك به ابراهيم الطيب أيضا كما مر بنا .

وكان جمال سالم قد سأل يوسف طلعت قائلا :

- ابراهيم الطيب بيقول انك اديته خطة كاملة للاغتيالات ؟ .

يوسف طلعت : ايه الخطة دى ؟ .

جمال سالم : لاغتيال جمال عبد الناصر !

يوسف طلعت : فى الاول ، لا يافندم ! .

جمال سالم : فى التانى : المظاهرات أولا وبعدين الاغتيال ؟ .

يوسف طلعت (فى ذكاء) ما هو تمسكها من هنا ، تمسكها من هنا ، وصل لنفس النتيجة . والكلام اللى حصل بالضبط أن المظاهرة تكون مسلحة ويعقبها عملية الاغتيالات اذا اعتدى عليها (٤٧٠) .

ومغالطة يوسف طلعت هنا واضحة فى محاولته اظهار المسألتين فى صورة متساوية ، وأن نتيجتهما واحدة ، مع أن المسألة الاولى (المظاهرة المسلحة أولا) تنفى مسئوليته عن الحادث ، بينما المسألة الثانية (الاغتيالات أولا) تثبت هذه المسئولية ! .

على أنه يتجاهل التطورات التى وقعت على الخطة الاولى (المظاهرة المسلحة أولا) ، وهى رفض الهضيبى لها ، ثم رفض لجنة المظاهرات لعبد القادر عودة لفكرة المظاهرة الشعبية غير المسلحة ، مما ادى الى

---

٤٦٩ - محكمة الشعب : الجزء السابع ، مرافعة هنداوى دوير عن نفسه ص ١٥١٢ .

٤٧٠ - محكمة الشعب : الجزء السادس ، شهادة يوسف طلعت ص ١٢٢٦ .

التجاء التنظيم السرى الى الخطة الثانية (الاغتيالات أولا) . ومن سوء حظ يوسف طلعت أنه قدم اعترافات فى هذا الصدد تؤكد الخطة الثانية .

فقد اعترف بأنه هو الذى صنع الحزام الناسف ، وسلمه الى ابراهيم الطيب . وقد سأله جمال سالم قائلا :

ـ علشان ايه ؟ .

يوسف طلعت : قلت له : ده وسيلة من وسائل الاغتيالات ! .

جمال سالم : يغتال مين ؟ .

يوسف طلعت : ما حددتش .

جمال سالم : يعنى فكرة الاغتيال موجودة ؟ .

يوسف طلعت : أيوه .. أنا لا أنكر . ولما أعطى له حزام حيكون ايه الا فكرة من أفكار الاغتيال ؟ (٤٧١) .

على أننا نلاحظ أن ابراهيم طلعت لم يسلم الحزام الناسف لهنداوى دوير الا فى يوم الثلاثاء ٢٦ اكتوبر ، وهو يوم ارتكاب الحادث ، ولم يكن لديه من الاسباب مايدعوه للاحتفاظ به فى بيته بعد تسلمه من يوسف طلعت ، وقد سلمه ابراهيم الطيب لهنداوى دوير للتنفيذ ، لانه كما رأينا عرف منه بسفر محمود عبد اللطيف الى الاسكندرية لاغتيال عبد الناصر . ومعنى ذلك أن الحزام الناسف كان وسيلة لتنفيذ الخطة الثانية (الاغتيالات أولا) وليس الخطة الأولى (المظاهرة المسلحة أولا) .

ثانيا ـ أن توقيت صنع الحزام الناسف من قبل يوسف طلعت وتسليمه اياه لابراهيم الطيب ، كان بعد أن تحقق من رفض الهضيبى لفكرة المظاهرة المسلحة ! ، ومعنى ذلك أن فكرة المظاهرة المسلحة لم تكن موجودة أصلا عند صنع الحزام ، وبالتالى لم تكن موجودة الخطة الاولى (المظاهرة المسلحة أولا) ، وانما كانت الخطة الثانية (الاغتيالات أولا) هى الوحيدة الموجودة فى الساحة .

وواقعة صنع الحزام الناسف بعد رفض الهضيبى لفكرة المظاهرة ثابتة باعتراف يوسف طلعت نفسه . فقد سأل المدعى يوسف طلعت قائلا :

ـ بعد أن رجعت من مقابلة المرشد ، سلمت ابراهيم الطيب الحزام ؟ .

يوسف طلعت : أيوه ! .

المدعى : اذا كان المرشد فى مقابلتك له انتهى الى عمل مظاهرة (سلمية) وبلاش اغتيال ، ليه بعد ما رجعت عملت الحزام وسلمته لابراهيم

---

٤٧١ ـ نفس المصدر : شهادة يوسف طلعت ١٢٣٦ .

الطيب ؟ ، وابراهيم الطيب يقول فى نفس الوقت انه أعطاه لهنداوى علشان يستعمل فى الحادث ؟ •

يوسف طلعت : أنا كنت باعمله أنا ، وأعطيته للطيب قبلها (الحادثة) بثمانية أيام •• عشرة ، حاجة زى كده •

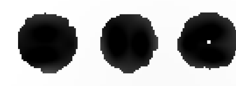
المدعى ـ كان امتى بالنسبة لتاريخ الحادث ؟ •

يوسف طلعت : قبله بعشرة •• ثمانية •• أيام ، حاجة زى كده •

المدعى : انت قلت قبلها بخمسة أيام فى التحقيق ! •

يوسف طلعت : لا ، ثمانى أيام تقريبا (٤٧٢) •

وواضـــح أن الخلاف على عدد الايام لا قيمة له طالما ان يوسف طلعت اعترف بأن واقعة صنعه الحزام الناسف وتسليمه لابراهيم الطيب كانت بعد مقابلته للمرشد فى الاسـكندرية ، وتحققه من رفض الاخير لفكرة المظاهرة المسلحة • فهذا الاعتراف يثبت تماما أن خطة « الاغتيالات أولا » كانت هى التى حملها لابراهيم طلعت ، وحملها هذا الى هنداوى دوير ، ليحملها هذا الى محمود عبد اللطيف ومحمد على نصيرى • وبالتالى فهذا يثبت مسئولية التنظيم السرى عن حادث المنشية مسئولية كاملة •



بقيت مسئولية القيادة السياسية للاخوان عن الحادث • وواضـــح مما ذكرناه أن هذه القيادة لم تكن قائمة من الناحية الفعلية ، بعد أن دبت فيها الانقسامات ، وتفسخت تحت ضـــغط الصراع مع عبد النـــاصر ، حتى ان الهضيبى ـ كما يقول حسن العشماوى ـ قدم اسـتقالته الى نائبه عبد القادر عوده فى أوائل اكتوبر من الارشاد العام ، مكتفيا ببقائه عضـوا فى الهيئة ، وطلب اليه عرضها على مكتب الارشاد فى الوقت الذى يراه مناسـبا • ومنذ ذلك الحين اعتبر نفسه فى حكم المستقيل من الرئاسة فعلا ، وترك الامـــر نهائيا لمكتب الارشاد برئاسة نائبه عبد القادر عودة . كمـا وصـف حسن العشماوى حالة الاخوان قبيل الحادث على هذا النحو : « اعتزلت القيادة ، واختلف أعضاء مكتب الارشاد فى كل خطوة ، وكف المكتب التنفيذى عن الانعقاد ، وتستر أعضاء الجهاز السرى على أنفسهم وأفكارهم !» (٤٧٣).

وقد رأينا كيف أن الهضـيبى رفض فكرة العنف وسـيلة لحل الخلاف الناشب بين الاخوان المسـلمين وعبد الناصر ، ولم يقبل الا بعمل جماهيرى تشترك فيه جميع الفرق السياسية ، مما أجهض فكرة المظاهرة المسلحة التى

---

٤٧٢ ـــ نفس المصدر : ١٣٣٥ ـــ ١٣٣٦ •

٤٧٣ ـــ حسن العشماوى ، المصدر المذكور •

حملها اليه يوسف طلعت رئيس التنظيم السرى ، وبالتالى أبعد عن هذه القيادة السياسية تهمة اصدار الامر بتنفيذ محاولة اغتيال عبد الناصر .

على أن عدم صدور أمر من القيادة السياسية للاخوان المسلمين للتنظيم السرى بارتكاب حادث المنشية ، ليس معناه اخلاء مسئوليتها كلية من الحادث . فالتنظيم السرى هو جهاز الاخوان المسلمين ، وقد انشأته القيادة السياسية لاستخدامه فى تحقيق أغراضها وأهدافها بالقوة عند اللزوم ، واذا كانت قدفقدت سيطرتها على التنظيم ، فان ذلك لا يقلل من مسئوليتها بل يضاعفها .

ومعنى هذا القول أنه اذا كانت قد ثبتت مسئولية التنظيم السرى للاخوان المسلمين عن حادث المنشية ، فان هذا يستتبع بالضرورة مسئولية القيادة السياسية ، سواء أصدرت الامر له أم لم تصدره .

والسؤال الذى يبقى : كيف سقط هذا التنظيم السرى الكبير ، الذى لم تشهد له مصر مثيلا فى تاريخها ، بكل هذه السهولة فى يد بوليس عبد الناصر بعد فشل محاولة الاغتيال ، ولم يتابع بقية الخطة فى اغتيال أعضاء مجلس قيادة الثورة والضباط الاحرار ؟ .

فى الواقع انه جرت محاولة بعد حادث المنشية لتنفيذ خطة احتلال مجلس الوزراء ، التى كان عبد المنعم عبد الرءوف قد اقترحها من قبل وأرجىء تنفيذها . وقد روى يوسف طلعت قصة هذه المحاولة على النحو الآتى :

« بعد الاعتداء على حضرة الرئيس ، انتقلت من بيت أخويا ، وقعدت ثلاث أو أربع أيام أدور على بيت . وحصل أن ابراهيم الطيب كان قد قال لى عن بيته فى السيدة زينب ، فلما رحت ، لقيت عبد المنعم عبد الرءوف هناك فقال لى :

- ايه يا يوسف شغلكم ده ؟ .

قلت له : خير ، وربنا له حكمته .

فقال لى : ترجعوا لخطتى ! .

قلت له : خطة ايه ؟ .

قال : خطة مجلس الوزراء .

قلت له : عندك ابراهيم الطيب ، تفاهم معه .

فقال له : يا ابراهيم ، أنت عندك سلاح أد ايه ؟ .

قال له : فيه سلاح ، وفيه رجال .

حبيت أتكلم معه ، فقال لى :

- اتفضل أنت أدخل المصلى ، أنت مش خلاص سلمت لى ابراهيم ، وهو قال لى فيه رجال وسلاح ؟ .

قلت له : يا عبد المنعم ، مش أتكلم ؟ ٠

قال لى : دى حاجات ملهاش شغل فى الاسلام ـ والله العظيم قال هذه الكلمة !! ، وقال لى : ده فن ! ٠

فقلت له : هو الفن العسكرى مش برضه نوزنه بميزان الاسلام ؟ ٠

قال لى : اتفضل ادخل المصلى ومالكش دعوة ! ٠

وبعدين أنا أخذت على خاطـــرى ، وبكيت وتأثرت ، ونزلت ٠ فنزل لى ابراهيم وقال لى : ماتزعلش !!

فقلت له : ازاى ، عاوز تحط فى رقبتى حاجة من غير ما أشترك فيها ؟ ٠

تفاوضـــوا مع بعض ، وبعدين فى يوم من الايام ، جاءنى عبد المنعم عبد الرءوف ، وصحانى من النوم ، وقال لى :

يا يوسف ٠٠ البوليس ! ٠

قلت : بوليس ايه ؟ ٠

فأخذ ملابسه وقال القيامة ٠ ومن يومها ما شفتش وشه ٠

ثم يقول يوسف طلعت ان ابراهيم الطيب أخذه بعد ذلك الى المنزل الذى توجد فيه مطبعة الاخوان ومنشوراتهم وأسلحتهم ، ولكنه لام عليه وضـــعه فى مثل ذلك المكان ، وطلب منه نقله الى مكان بعيد ، ولكن بعد يومين ، ألقى القبض عليه (٤٧٤) ٠

وواضـــح من هذه الرواية أن كلا من عبد المنعم عبد الرءوف وابراهيم الطيب قد أردا تنحية يوسف طلعت عن العمل ، مما يشير الى عدم ثقتهما فى استمراره فى الاتجاه الارهابى بعد فشل حادث المنشية ٠ وهذا ما يشير اليه حسن العشماوى ٠ فقد روى انه بعد فشـــل محاولة الاغتيال ، ســـأل يوسف طلعت « بوصفه رئيس الجهاز السرى المسئول عنه وعما يضم من أشــخاص وما يملك من سلاح » ، عما ينوى عمله ولكنه لم يجد منه جوابا ، « لا بسبب قلة الرجال والاســتعداد ، ولكن لانه كان يتخوف من أمرين يعـــوقانه عن التصرف ، هما : التدخل الاجنبى اذا ثارت القلاقل فى مصر ، والتشــفى ممن داخل السجون بقتلهم اذا أقدمنا على أى مقاومة سافرة للوضع العســـكرى القائم » ٠ لقد كان هذا التخوف بشقيه ـ كما يقول حسن العشماوى ـ « يسيطر على ذهن يوسف طلعت الى أبعد الحدود ، حتى أعطانى صورة يائسة عن نية رفاقه » ٠

---

٤٧٤ ـــ محكمة الشعب : الجزء الســـابع ، شـــهادة يوسف طلعت ١٤٨٣ ـــ ١٤٨٤ ٠

ثم يذكر حسن العشماوى أنه خاطب يوسف طلعت قائلا : « اختطوا خطة من اثنتين : استسلموا ـ ولن اكون معكم ـ أو أعلنوا مقاومة عامة سافرة ، وليكن ضحاياها من الطرفين ما يكون ـ وأنا عندئذ معكم » ! · ولكن يوسف طلعت اخذ يتكلم عن استمرار التنظيم واصدار المنشورات ومواصلة الاجتماعات ، دون اللجوء الى «المقاومة العنيفة العامة» ، مما أغضب حسن العشماوى ، واجاب يوسف طلعت قائلا : «وماذا بيدنا أن نفعل لنمنع ذلك»؟ فرد عليه العشماوى قائلا : «نقاوم ونموت فى بيوتنا وفى الشوارع وفى الحقول · واذا شقت عليك المعركة فى القاهرة ، فانقلها الى الريف ، وليقبضوا علينا جثثا هامدة فارقتها الحياة » · على أن يوسف طلعت رد قائلا : « لازلت أخشى هذا الاسلوب العام · وعلى كل حال سأراجع زملائى ثم القاك » · ولكن القبض على يوسف طلعت حال دون هذا اللقاء (٤٧٥) ·

فى نفس الوقت الذى كانت تقوم فيه هذه المحاولة الفاشلة من جانب التنظيم السرى ، بعد فشل محاولة اغتيال عبد الناصر ، لتنفيذ خطة احتلال مجلس الوزراء ، ويلح حسن العشماوى على يوسف طلعت لشن حركة مقاومة سافرة عامة ـ كانت هناك محاولة من نوع آخر تجرى من جانب القيادة السياسية ممثلة فى عبد القادر عودة ، نائب المرشد ، لاجراء مصالحة مع عبد الناصر ·

ففى يوم ٢٨ اكتوبر ، أى بعد حادث المنشية بيومين ، وجه عبد القادر عودة خطابا الى عبد الناصر يحمل أسس اتفاق جديد مع الاخوان · وقد بداه بالقول بأنه سمع أن « الذى حاول الاعتداء عليك يتمرن فى مكتبى (يقصد هنداوى دوير) ، فاذا صح هذا ، فانى أؤكد لك انى لا أعلم شيئا عن هذه الجريمة واذا ثبت أن لى يدا فى الجريمة فانا أحل لك دمى » ·

ثم طلب عبد القادر عوده من عبد الناصر أن يقوم بمصالحة مع الاخوان كما فعل مع الانجليز ! : « لقد استطعت يا أخى بما لك من حكمة واسعة الافق ، أن تمهد الجو بين مصر والانجليز بعد نزاع دام سبعين عاما · وانى أحيى فيك سعة الصدر وسعة الافق والتسامح ، وأرجو أن تهيىء جوا من المودة بين الحكومة والهيئات ، والحاكم والمحكوم ، وأحب أن أطمئن أن حادث الاسكندرية لا يكون عقبة فى سبيل ما دعوت اليه من التسامح » ·

ثم شرع عبد القادر عوده فى طرح أسس المصالحة المقترحة ، وهى لا تخرج عن الاستسلام التام لمطالب عبد الناصر السابقة ، فقال :

---

٤٧٥ ــ حسن العشماوى : المرجع المذكور ·

لا زلت أذكر اقتراحاتك بحل الجهاز السرى وتشكيلات الجيش والبوليس وعلى هذا الاساس اقترح ما يأتى :

أولا : من ناحيتنا :

١ ـ يحل النظام الخاص ، ويسلم ما قد يكون لديه من أسلحة أو ذخائر فى مدة تتراوح بين عشرة أيام أو أسبوعين من بدء المدة التى توافقون فيها على هذه الاقتراحات ·

٢ ـ تبتعد الجماعة عن السياسة المحلية ، وتصرف همها الى الدعوة الاسلامية الدينية على الاقل حتى تنتهى فترة الانتقال ·

٣ ـ يتم تنظيم الجماعة على هذا الاساس فى ظرف أسبوعين ·

٤ ـ تعمل الجماعة على ايقاف حملات الاخوان فى الخارج فى ظرف أسبوعين ، ولو اقتضى الامر ارسال مندوبين للخارج لتنفيذ هذا التعهد ·

ثانيا : من ناحيتكم :

١ ـ اصدار قانون بوقف عمل قانون الاسلحة والذخائر لمدة أسبوعين لتمكين تسليم ما قد يكون موجودا من الاسلحة والذخائر دون خشية المحاكمة ·

٢ ـ اطلاق سراح جميع الاخوان المعتقلين بمجرد تنفيذ التعهد الاول ، ثم النظر بعد ذلك فى محو آثار الماضى · والسماح لى بان أجتمع مع الاخوان الموجودين فى السجن الحربى وسجن القلعة لاخذ موافقتهم على هذه المقترحات ، والسماح بعقد الاجتماعات فى الخارج للموافقة على هذه المقترحات ·

على ان عبد الناصر اشر على هذه المقترحات بعبارة واحدة تقول : « خدعة جديدة » ! (٤٧٦) ·

ومن الواضح أن عبد الناصر لم يكن لديه سبب واحد يدعوه الى الموافقة على هذه المصالحة · فقد تخلص من جميع القوى السياسية السابقة على الثورة ، وكان الاخوان آخر هذه القوى ، وآخر عقبة أيضا فى سبيل استخلاص السيطرة كاملة فى يد الثورة · فضلا عن ذلك فان بوليس عبد الناصر كان فى ذلك الحين يسيطر على الموقف بعد تسليم هنداوى دوير نفسه واعترافاته ، وتوالى سقوط أفراد الجهاز السرى والقيادة السياسية ، والزج بهم فى المعتقلات · ومعنى ذلك أن عبد الناصر كان فى يده كل الورق ، بينما كان عبد القادر عودة يتوهم انه يلعب بورقة التنظيم السرى . ولكن التنظيم السرى كان فى ذلك الحين ورقة فى مهب الريح ·

---

٤٧٦ ـ محكمة الشعب : الجزء السابع ، مرافعة عبد القادر عوده عن نفسه ص ١٦٠٣ ، مرافعة الدفاع ضد عبد القادر عودة ص ١٥٨٢ ـ ١٥٨٥

الفصل الثالث عشر

المحاكمة :

١- القاضى

٢- المتهمون

٣- التبرؤ من التنظيم السرى

٤ - المواجهة بين جمال سالم وقيادة التنظيم السرى

٥ - القضايا الفكرية التى طرحتها المحاكمة

١ـ القـــاضي

كان من الممكن ان تجرى محاكمة الاخوان المسلمين أمام محكمة مدنية ، وتقضى مع ذلك بثبوت التهمة على التنظيم السرى . ولكن عبد الناصر ابى الا ان تجرى المحاكمة فى جـو من الرهبة يذكر بمحاكم التفتيش . وقد لعب دور البطولة فى خلق هذا الجو قائد الجناح جمال سالم ، عضو مجلس قيادة الثورة ، ورئيس محكمة الشعب ، طوال جلسات المحاكمة التى بدأت من يوم ٩ نوفمبر ١٩٥٤ ، واستمرت تحت رئاسته الى يوم ٢ ديسمبر ، لتستأنف المحاكم الفرعية مهمتها ابتداء من يوم ٥ ديسمبر .

كان جمال سالم ينتمى الى الجناح المتشدد من مجلس قيادة الثورة ، الذى ينادى بالحكم الدكتاتورى . ويضم كلا من عبد اللطيف البغـدادى ، وحسن ابراهيم ، وصلاح سالم ، وعبد المنعم أمين . وكان يتميز عنهم بميوله الراديكالية ، التى حملته على التفانى باخلاص فى تنفيذ مشروع الاصـلاح الزراعى . ولكنه كان يختلف عنهم طباعا بسبب حالته الصحية . فقد كان يشكو من آلام مبرحة فى معدته وامعائه ، كانت تؤثر بدورها على جهـازه العصبى . فاذا ما فاجأته نوبة الآلام ، تغير لونه ، واصفر وجهه ، وتحول الى « انسان عصبى للغاية » ـ كما روى بعض من خالطوه .

ولهذا السبب كان جمال سالم ـ على وجه التحقيق ـ آخر من يصلح لرئاسة محكمة الشعب . فربما كان اشد القضاة ظلما لأنفسهم وللاخـرين مرضى القرح المعدية ، اللهم الا اذا كان هذا الاختيار مقصودا بالذات لتحقيق الغرض الذى تحقق بالفعل اثناء المحاكمة ، وهو الارهاب : ارهاب الاخوان، وارهاب الآخرين !.

روى المهندس سيد مرعى ، فى مذكراته ، ان جمال سالم ـ وقد عرفه معرفة وثيقة بحكم اشتغالهما معا فى تنفيذ مشروع الاصـلاح الزراعى ـ « كان يندفع فى الغضب الى غير حدود ! ثم يعتذر ويصفو بعـد ذلك » !. وروى مناسبة لقائه به اول مرة . فذكر ان هذا اللقاء « بدأ بأزمة عاصفة » ، و « خناقة عنيفـة » ! وذلك حين ابدى المهنـدس مرعى رأيه فى مشروع الاصلاح الزراعى ، فى اول اجتماع للجنة العليا للاصلاح الزراعى ، واخـذ يبين الثغرات الموجودة فيه .

فقد لاحظ ـ كما يقول ـ أن جمال سالم كان ينصت اليه طول الوقت، ولكن كانت تبدو على وجهه علامات الضيق والانفعال المكبوت . « ولم اكد انتهى من كلامى ، حتى حدثت المفاجأة غير المتوقعة ! . وجدت كل شىء على مائدة الاجتماع يتطاير فى الهواء !. فقد ضرب جمال سالم المائدة بقبضة يده فى عنف وعصبية هاتجا فى وجهى : « اننا لسنا تحت امرك ، ولسـنا على استعداد لسماع كلامك » !. ثم انطلق يقول فى ثورة عارمة : « انت واهم

اذا تصورت اننا جئنا الى هنا لكي نغير ونبدل وندخل تعديلات فى الاصلاح الزراعى فى أول اجتماع لنا . وما تقوله يعتبر تخريبيا للقانون ، وكل آرائك لا تؤدى الى اى نتيجة » !. ولوح جمال سالم بقبضة يده فى الهواء ، وازدادت ثورته وعصبيته ، وقال محتدا : « هذا القانون لن يعدل فيه حرف واحد ، لأنه يمثل اوامر مجلس قيادة الثورة ، ولابد أن ينفذ كما هو ، وبدون تعديل او تغيير » ! .

ويقول سيد مرعى انه رد على جمال سالم قائلا : « أنا لست ضد الاصلاح الزراعى ، وما اقوله يصلح القانون اكثر مما تقوله انت » !. فانتفض جمال سالم لهذا الرد وقال لى : « انا لا اسمح لك بأن تكلمنى بهذا الشكل ولا بهذا الاسلوب » ! . وفوجئت به يقلب المائدة مرة أخرى ويضرب بقبضة يده عليها والجميع من حولنا صامتون مذهولون ، لا ينطقون بحرف واحد . واحسست بالموقف يتطور الى اسوأ ، وجمعت أوراقى وقلت له : اننى مستقيل من هـذه اللجنـة » .

ثم يقول سيد مرعى انه فوجىء بعد ذلك بجمال سالم يزوره فى بيته ، ويعتذر اليه ، ويقول له : « أقول لك الحق ، انك اعجبتنى اكثر من أى واحد آخر فى اللجنة ، لأن عندك شجاعة فى الراى اكثر منهم جميعا » ! . ووجدتنى اقول له : « اذن هل شجاعة الراى تدعوك لأن تكلمنى بهذه الطريقة المهينة أمام الحاضرين ، وتقلب مائدة الاجتماع مرتين ؟ » . واخذ جمال سالم يعتذر لما حدث ، وقال بأسلوب الفلاح الشهم : « من اجل ذلك حضرت لك فى بيتك. والآن أريدك أن تتعاون معى ، وتنسى ماحدث » !.

بل يروى سيد مرعى مثلا اسوأ لطباع جمال سالم . فيقول انه حين كان جمال سالم يتولى منصب وزير المواصلات وشئون الاصلاح الزراعى ، اجتمع به مرة فى مكتبه ، وكان الخلاف بين محمد نجيب وعبد الناصر قد بدأ يطفو على السطح فى ذلك الحين ، فاذا بأحد المواطنين له مظلمة يأتى الى فناء الوزارة ويهتف بحياة محمد نجيب وسقوط الظلم !. فأمر جمال سالم بادخاله الى مكتبه ، تحت الحاح سيد مرعى عليه وصياح الرجل: «وتصورت فى البداية انه يريد أن يعرف مشكلته ويريد حلها . ودخل الرجل : انسان بسيط ، يرتدى قميصا وبنطلونا ، والبؤس فى مظهره . وقدم مذكرة بحالته يطلب فيها عملا ، وعليها تأشيرة موجهة الى جمال سالم من اللواء محمد نجيب . ولم يكد جمال سالم يمرق بعينيه على سطور المذكرة ، ويقرأ تأشيرة محمد نجيب ، حتى ثار فجأة ، وصاح غاضبا فى وجه الرجل : « هى الوساطات دى مش حاتنتهى ؟. وهو احنا قمنا بالثورة علشان الوساطات تستمر برضه ؟ » . وقام هائجا مائجا من مكانه ، وامسك بالرجل من رقبته ،

وانهال عليه ضربا بقسوة وعنف !. واصطدم الرجل بالبـــاب ، ووقع على الأرض ، واخذ يبكى من الألم » .

ويقول سيد مرعى : « شعرت بالقرف لهذا المنظر الغريب ، واقشعر بدنى من منظر الضرب المبرح ، ولم احاول التدخل خشية أن يتطور الموقف الى اسوأ . وكنت فى حالة عصبية شديدة لما حدث ، وانتفضت واقفا ، وجمعت اوراقى . وقمت مغادرا المكتب . وكان جمال ســـالم ممتقع الوجه مرتعش الأطراف ، فقلت له : « أرى أن نكتفى بهذا القدر من العمل ، لانى لا استطيع التفكير بعد الذى حدث الآن » . وقال لى جمال سالم بضيق : « ما دخلك أنت فى ذلك ؟ » . ووجدت نفسى أنفجر بما يؤلمنى ، وقلت له :

« ان ماحدث اليوم فى مكتب الوزير ، ما كان يحدث أبدا أيام الأحزاب! انكم تقولون ان الثوره قامت لتحافظ على كرامة الانسان ! . اين هى هـــذه الكرامة التي اهدرتها لمجرد ان رجلا قدم لك شكوى من بؤسه وفقره ، فتضربه بهذه القسوة ! . ما ذنبه فى تأشيرة اللواء محمد نجيب ؟ »

« رد جمال سالم غاضبا : « هل تريد أن تسير البلد على كيفك ؟ . انت تعمل فى الاصلاح الزراعى ، ولا شأن لك بهذا » ! . قلت له : « انا لن استمر فى العمل معك ، ولن امكث ولا دقيقة واحدة » ! .

ويقول سيد مرعى انه طلب الى الرجـــل المتظلم ان يأتى الى مكتبه فى الاصلاح الزراعى ، وعينه كاتبا فى الأرشيف . ومرت أيام ، جاءه بعدها جمال سالم ، وطلب مقابلة الرجل ، « واقترب منه ، واخرج عشرة جنيهات مـــن محفظته وناولها للرجل ، وهو يقول : « انا متأسف يا اسماعيل . وارجوك أن تقبل منى هذا المبلغ البســـيط لأولادك ! » .وثارت كبرياء الكرامة فى عروق الرجل ، وأشاح بوجهه عن يد جمال سالم الممدودة اليه وهو يقول : « أنا لن آخـــذ منـــك شيئا ، تضربنى هنـــاك ، وتهيننى ، ثم تريد أن تعطينى عشرة جنيهات ! » . ورفض اسماعيل مصافحة جمـــال سالم ، الذى كاد يثور مرة أخرى لولا اننى تدخلت بينهما . . » ! (٤٧٧) .

هـــذه اذن هى صـــورة رئيس محكمة الشعب ، الذى جرت محاكمة الاخوان المسلمين امامه ، بريشة المهندس سيد مرعى ، الذى عرفه عن كثب ومع أن المهندس سيد مرعى يصف جمال سالم بأنه « كان ثوريا مخلصا ما فى ذلك شك » ، وان شخصيته « كانت تحمل فى ثناياها مزيجا مـــن الانسانية

---

٤٧٧ ـــ سيد مرعى : أوراق سياسية ، الجـزء الاول ٣٢٣ ـــ ٣٢٨ ، الجزء الثانى ٢٦٧ ـــ ٢٧١ .

الشفافة والرجولة الحقة»، وانه كان«شعلة من الذكاء المتوقد،وكان صريحا وواضحا كالخط المستقيم » ، الا انه بكل هذه « التركيبة » ـــ اذا صح التعبير . أو بمثل هذه الشخصية المركبة ـــ كان ابعد الناس صلاحية لان يكون قاضيا ، يمسك بيده سيف العدل ! .

لقد عامل جمال سالم كبار قادة الأخوان فى قفص الاتهام بقسوة شديدة ، وسخر منهم ، وأهانهم اهانات بالغة ، وخرج بالمحكمة عن معناها الصحيح الى ساحة للتشفى والانتقام . بل جعل قاعة المحكمة قاعة سباب وشتم ـــ مـــن جانب واحد طبعا ! .

أراد وكيل النائب العام فى احـــدى المرات ، أثناء مرافعته ، اتهـــام عبدالقادر عودة بأنه على الرغم منتحريم التشريع الاسلامي للربا،الا انهطلب لموكله فى احدى قضايا الكمبيالات فوائد ! . وكان غرض النائب العام من وراء ذلك اتهام الاخوان بأنهم يقولون ما لا يفعلون ! . ولكن هـــذا الاتهام استفز مشاعر عبد القادر عودة فهتف قائلا :

ـ لا ! لم أطلب فوائد ! .

فاذا بجمال سالم يفقد اعصابه ويصيح هائجا :

ـــ انت قاعد فى بيتكم ؟ ، قاعد فى مصطبة ؟ .

عبد القادر عودة : بانبهه بس علشان الواقعة !

جمال سالم : تسمح تقفل بقك وتقعد ساكت ! .

اراد عودة فى مرافعته عن نفسه ، التلميح بذكاء الى أنه يحاكـــم بواسطة خصومه ! وأنه مع ذلك يثق فى عدالتهم ! فقال :

« حضرات القضاة . انا متهم بتهم لوصحت لكنت انا الجانى وانتم المجنى عليه . ولست أعلم انا جانيا ارتاح لأن يحاكمه مجنى عليه .. !

ولكن جمال سالم انتفض قائلا مقاطعا عودة :

ـــ ليس لك الحق فى هذا الاعتراض مطلقا !

عودة : انا لا اعترض .!

جمال سالم : ولا تلميحا !

عودة : انا لا اتكلم فى هذا . لو سمعت الجملة الثانية تريح نفسك !

جمال سالم : غير مسموح لك بأى اعتراض على تكوين المحكمة !

عودة : انا لا اعترض ، ولا افكر فى التعريض لا تلميحا ولا تصريحا . واذا سمحتم حضراتكم اسمعوا الجملة الثانية وانتم ترتاحوا . ولـــكن حضراتكم ، انا اشعر بارتياح وانا اقف امامكم !

ولكن جمال سالم زادت ثورته ، واعلن انه يرفض هذا الاسلوب ، الذى اعتبره مشابها لاسلوب محمد خميس حميدة قائلا :

ـــ كلام خميس حميدة مش عايزين ! الشطر الاول والشطر الثانى مش عايزين ! طريقة تفسير القرآن مش عايزين ! تقدر تتكلم مضبوط اتكلم ، ما تقدرش ، نجيب لك محامى !

عودة ـــ أنا متهم وفى الوقت نفسه أدافع عن نفسى .

جمال سالم : اتكلم زى ما انت عايز ، بس مضبوط ! ، حتى للصبح . ولكن تضليل لا ! .. أنا ما احبش المتهمين المحامين .تحب نجيب لك محامى؟

عودة : لا ! محضر الدفاع ولن أتكلم كثيرا !

ولم يتورع جمال سالم ، اثناء مرافعة عبد القادر عودة ، عن تحريف اقواله بجراة ، وتحميلها ما لاتحتمل من معانى . فقد اشار عودة الى « استفادة » الثورة من جماعة الاخوان المسلمين عند قيامها ، ومن النظام السرى بالذات ، ليدلل على ان الثورة كانت راضية عن هذا النظام ، وانه كان « قائما لاغراض شريفة » ، فقال : « كانت الفكرة قائمة فى أول قيام الثورة على الاستفادة من جهاز الاخوان ، وهذا الجهاز بالذات .. »

ومع أن هذه حقيقة تاريخية سبقت الاشارة اليها ، ومع أن جمال سالم يعرف هذه الحقيقة بحكم عضويته فى « مجلس قيادة الثورة » كما سمى فيما بعد ـــ الا انه انبرى بجراة مقاطعا عودة ومتحديا :

ـــ والله ؟ ، ما عندكش وثيقة بهذا ؟

عودة : لا ، ما عنديش وثيقة . ليس معى وثائق !

جمال سالم : أعد الجملة تانى ! بقى الثورة لما قامت ، قامت «معتمدة» على الجهاز السرى ؟

عودة : انا ما قلتش هذا ! اللى قلته صحيح انه بعد قيام الثورة زالت الظروف التى كان ..

جمال سالم مقاطعا : أعد الجملة تانى بتاعة الثورة لما قامت قامت على الجهاز السرى بتاع الاخوان !

عودة : انا لم اقل هذا !

جمال سالم (مخاطبا كاتب المحكمة) : اقراها له !

المختزل يتلو عبارة عبد القادر صحيحة : « .. خصوصا وقد كانت الفكرة قائمة فى أول قيام الثورة على الاستفادة من جهاز الاخوان وهذا الجهاز بالذات » .

وكان من المفروض ان يخجل جمال سالم لانه حرف كلام عبد القادر عودة ، ولكنه استمر قائلا بجراة :

ـــ سامع ! احنا بنتبلى عليك ؟

عودة : انا قلت « الاستفادة » ، مش « الاستعانة » !
جمال سالم : يعنى باتبلى عليك ؟ (٤٧٨) .

ولقد فند عبد القادر التهم الموجهة ضده تفنيدا رائعا ، واثبت انه لم ترد ضده أية اتهامات على لسان المتهمين تفيد صلته بالجريمة ــ ومع ذلك فقد حكم عليه بالاعدام ، ونفذ فيه الحكم شنقا ، لاسباب أخرى تتصل بدوره فى مظاهرات فبراير المؤيدة لمحمد نجيب . اذ لم ينس جمال سالم ــ كما سبق أن ذكرنا ــ العبارة التى خاطب بها المتظاهرين ، والتى اعتبر فيها اطلاق الرصاص على طلبة الجامعة « مظهرا من مظاهر الدكتاتورية » ، و « ان الاسلام وراء القضبان » . فكم كلفت هذه العبارة عبد القادر عودة حياته ! . ولهذا فانه يدخل التاريخ من باب الشهداء .

ولقد كان استخدام جمال سالم للعبارات السوقية مما لم تشهد له قاعات المحاكم فى مصر على طوال تاريخها مثيلا ! طلب الى احد المتهمين ، وهو عبد العزيز أحمد حسن ، رئيس منطقة الفسطاط ، شرح موضوع الاتفاق على قلب نظام الحكم ، فبدأ هذا كلامه قائلا : « كان حضرة الضابط نصير قد سألنى عن الخطة التى اتفق عليها ، فقلت له أنا لا أعلم خطة ! » وهنا قاطعه جمال سالم ثائرا :

« مش عاوز تقول لى فلان سألك ! . قل لنا هنا الاجابة على السؤال ! . ومش عاوز أقول لك « بامية » تقول لى « فاصوليا » ! . لا تخرج عن الموضوع : « بامية » يعنى « بامية » ! . اتكلم معايا فى « البامية » ! الطبيخ الوسخ بتاعكم .. » ! (٤٧٩)

وفى اثناء شهادة محمد خميس حميدة ، سأله جمال سالم عما اذا كان مكتب الارشاد قد اتخذ اجراء فى مايو ١٩٥٣ لتصفية الجهاز السرى وتسليم سلاحه كما طلب عبد الناصر . فرد محمد خميس حميدة بأنه لم يتخذ أى اجراء . فسأله جمال سالم :

ــ هل بلغ هذا الكلام للمرشد ؟
فاستفسر محمد خميس حميدة عما يقصده جمال سالم قائلا :

---

٤٧٨ ــ محكمة الشعب : الجزء السابع ، محاكمة عبد القادر عودة ص ١٥٨٨ وما بعدها .
٤٧٩ ــ محكمة الشعب : الجزء الثانى ، شهادة عبد العزيز أحمد حسن ص ٣٠٢ .

« كلام ايه ؟ ان الحكومة عاوزه حل النظام ؟ »

جمال سالم ثائرا : لا ؛ اللى انا عاوزه أقتين بطاطس ! ٠ ايه المصيبة دى ؟ . اتكلم يا راجل انت ! » . (٤٨٠)

وكثيرا ما دخل فى « قافية » مع المتهمين لاثارة ضحك الجمهور على المتهم ٠

سأل محمد خميس حميدة عما حدث فى الاجتماع الثانى بين قيادات الاخوان وعبد الناصر . ويبدو أن حميدة لم يسمع الشطر الاخير من عبارته فاستفسر قائلا :

ــ مع الرئيس جمال !

جمال سالم : لا ، مع خياله ! . (ضحك) (٤٨١) .

وقد استغل بذكاء الجانب الدكتاتورى فى تنظيم الاخوان ليحرمهم من الحق فى محاسبة الثورة على دكتاتوريتها ، وذلك بأسلوبه السوقى . فقد سأل خميس حميده عما اذا كانت قرارات مكتب الارشاد تعتبر ملزمة للمرشد أم استشارية ؟ ، وعما اذا كانت تلغى قرارات المرشد ؟ . فأجاب خميس :

ــ فى الواقع انها استشارية !

جمال سالم (مخاطبا الجمهور) مكتب الارشاد رأيه استشارى وغير ملزم للمرشد العام للاخوان المسلمين ! . هل هناك دكتاتورية أكثر من كده ؟ . دكتاتورية مقنعة ! . كم واحد فيكم كان يعرف الكلام ده .. شفت التضليل باسم الدين ؟ .

ثم يواصل أسئلته لخميس قائلا :

ــ وهل رأى الجمعية التأسيسية استشارى ايضا ؟

خميس حميدة ــ هى ملزمة !

جمال سالم ساخرا بطريقته الخاصة موجها كلامه للجمهور :

ــ مكسورة من هناك ، ونلحم (هنا) ، والماسورة مكسورة وخربانة من عند الجيران ! . (ضحك) . بالذمة ليه يرضى (خميس حميدة) يقعد

---

٤٨٠ ــ محكمة الشعب : الجزء الخامس ، شهادة محمد خميس حميدة ص ١٠٥٧ ٠

٤٨١ ــ محكمة الشعب : الجزء الثالث شهادة محمد خميس حميدة ص ٦١٤ ٠

فى مكتب الارشاد وده رايه استشارى طرطور ؟ . (موجهــا الحديث لخميس حميدة) : ما قلتش ليه مكتب الارشاد يرضى يقعد طرطور ؟

ويجيب خميس حميدة قائلا : مش رايحين نقعد طراطير !

ويسخر جمال سالم من صيغة المستقبل فى عبارة خميس ، اذ كـان يعتقد كما يبدو انه لم يعد هناك مستقبل للاخوان ! . فيقول ساخرا :

ـ مش حنقعد ! (ضحك) . (٤٨٢) .

وفىاثناء شهادة ابراهيم الطيب ، ابدى هذا استعداده لابداء وجهة نظره فى اولوية الدفاع عن مصر او البلاد الاسلامية من منظور الاخوان ، فقاطعه جمال سالم قائلا : بلاش فلســفة فى المســائل العســكرية ! . فقال ابراهيم الطيب :

ـ أنا مستعد أسكت !

فهاج جمال سالم قائلا :

ـ مستعد ايه ؟ . انت بتتجنى على ؟ . احنا ولاد بلد ، والمحكمـة اسمها محكمة الشعب ، وكلنا متربيين فى الحسينية وباب الشــعرية ودرب الحجر ، والناس كلها عارفة كده . واحنا لم نتربى فى تصور علشــان مانفهمش الحركات دى !

رد على السؤال الذى يقوله الدفاع والتزم حدوده !

ابراهيم الطيب : صح ! اتفضل يا فندم !

جمال سالم ثائرا : اقعد ساكت ! وانا اللى اقول لك اتفضل !(٤٨٣)

وبلغت مهارة جمال سالم حدا فائقا فى الايقاع بين رفاق السلاح فى التنظيم السرى . وتمثل ذلك بصفة خاصة فى المواجهة المثيرة التى عقدها بين اسماعيل يوسف ومحمود الحواتكى . فقد سأل اسماعيل يوسف ، الذى كان يقف فى مواجهة محمود الحواتكى ، قائلا :

ـ يا اسماعيل ! انت قلت انك توليت رياسة الفصيلة مؤقتا لحد الحواتكى ما يروح يشوف له شغل . والحواتكى يقول انك كذاب ! ، وانه سلمك رياسة الفصيلة نهائيا ! : هل انت كذاب أم هو الكذاب ؟ .

اسماعيل يوسف : هو كـذاب !

جمال سالم : قل له : انت كذاب !

---

٤٨٢ ـــ نفس المصدر ص ٥٨٢ ـــ ٥٨٣ .

٤٨٣ ـــ نفس المصدر : شهادة ابراهيم الطيب ص ٥٢٥ ـــ ٥٢٧ .

اسماعيل يوسف (مخاطبا الحواتكى) : انت كذاب يا حواتكى !
جمال سالم : اتسم انه كذاب ! .
اسماعيل يوسف : اقسم بالله العظيم انه كـــذاب ، وانه سلمنى الفصيلة لمدة الشهر الأخير لانه بيدور على شغل !

جمال سالم (مخاطبا الحواتكى) : ايه رأيك يا حواتكى ؟ .
محمود الحواتكى : أنا اطلب الاستماع الى اقوال اعضاء الجماعات!
جمال سالم (مخاطبا الحواتكى) : ايه رأيك فى اقواله ؟ .
محمود الحواتكى : هو كـــذاب !
جمال سالم : تقسم على ذلك !
محمود الحواتكى : اقسم بالله العظيم وبالقـــرآن ، ان اســـماعيل كاذب ، وانه استلم منى الفصيلة استلاما كاملا ، وانه باشر العمل فى الفترة الاخيرة !

جمال سالم : يعنى دلوقت مش واحد فيكم كاذب والأخر صادق ؟
اسماعيل يوسف : مفيش شك !
محمود الحواتكى : مفيش شك !
جمال سالم فى انتصار : هذه هى نتيجة دعوة الاخوان المسلمين بين اثنين متعلمين أرقى تعليم فى البلد : واحد معه بكالوريوس كيميـــا ونبات ومعهد تربية ، والآخر ليسانس آداب ! . والله ، لولا احترام الآدمية ، لكنت خليتكم انتم الاثنين ضربتم بعض ! » . (٤٨٤) .

لقد استغل جمال سالم تلك اللحظات التعسة من لحظـــات الضعف البشرى ، حين تبدو الحياة فجاة للمناضــــل الذى وهب حياته للمبدأ ، اثمن ما فى الوجود ! فيتخبط فى لجة اليأس طلبا للنجاة ، ويتخفف من كـــل ثمين يحمله ، حتى ولو كان المبدأ الذى عاش به وعاش لاجله ، فيخسر الاثنين معا : الحياة والمبدأ !

ولو كان ثمة داع يقتضيه احقاق الحق لاجراء هذه المواجهة المخجلة، لغفر التاريخ لجمال سالم عقدها ، ولكن المحاكمة كانت صورية ، وكانت الادانة مقررة فى ذهنه ، وهى نصيب كل من التحق بالتنظيم السرى من قريب

---

٤٨٤ ـــ نفس المصدر : المواجهة بين محمود الحواتكى واســـــماعيل محمود يوسف ص ٢٥٤ وما بعدها .

او من بعيد . لقد كانت محاكمة للتنظيم السرى فى مجموعه ، وليس محاكمة لأفراده .

ومع ذلك فقد كانت ثورة ٢٣ يوليو آخر من يحق له محاكمة التنظيم السرى للاخوان المسلمين . على الرغم من ادانتنا له ادانة كاملة من واقع دراستنا التاريخية ومن منطلقنا الفكرى الليبرالى ـ فلم يكن وجود هـذا التنظيم السرى سرا بالنسبة لضباط الثورة ، وقد استعانوا به فى حماية الثورة عند قيامها ، وتحالفوا مع الاخوان وهم يعرفون بوجود هذا التنظيم، بل استعانوا بفريق منه ضد الفريق الآخر لاخضاعه لسلطتهم . ومعنى ذلك قبولهم استمرار وجوده ، ولكن لخدمة أغراض الثورة ضد خصـــومها السـياسيين : الشـيوعيين والوفديين ! . فاذا دب الخلاف بين حلفـاء الامس ، فلم يكن ثمة مبرر لامتهان قيادات الاخوان الى الحد الذى رسمنا طرفا يسيرا منه ، طالما ان احكام الاعدام كانت مقررة سلفا ، وطالما أنه تقرر اصابة الجماعة بعجز دائم يخرجها من الحياة السياسية المصرية ، ويقضى على تأثيرها ما بقيت الثورة فى الحكم .

٢ـ المتهمون

قبض على محمود عبد اللطيف فى أعقاب ارتكاب الحادث ، وأوسعه الجمهور ضربا ، وكان هذا الجمهور كما سبق أن ذكرنا يتكون من عناصر موالية لعبد النـاصر ورجال المخابرات ، وفيما يبدو أن سلطات التحقيق اكملت مهمة الجمهور سعيا وراء اعتراف محمود عبد اللطيف ، فقد نشرت صورته جريدة الاهرام يوم اول نوفمبر ، اى بعد خمسة أيام من الحادث — وكان وجهه منتفخا من الضرب ! .

ونعتقد أن المناخ الجماهيرى الموالى لعبد الناصر داخل السرادق ، كان وراء اضطراب محمود عبد اللطيف عند محاولته اغتيال عبد النـاصر ، فطاشت رصاصاته ولم تصبه . فقد اثبتت اجـراءات التحقيـق أن أربع رصاصات استقرت فى الدرابزين الرخامى المقام حول شرفـة مبنى هيئة التحرير ، وان طلقتين استقرتا فى جدار المبنى ، وطلقتين أصابتا الاستاذ احمد بدر ، سكرتير هيئة التحرير — رغم أن المسافة بين محمود عبد اللطيف وعبد الناصر كانت عشرين مترا ! .

وقد تخلص محمود عبد اللطيف فور ارتكابه الحادث من مسدسه بالقائه على الارض ، حتى لا يضبط وفى يده سلاح الجريمة . وقد ضاع المسدس بين اقدام الجماهير ، واصطدمت به قدم بنـاء شـاب من ابنـاء الاقصر يدعى « خديو آدم » ، فالتقطه ، وعندما تبين حقيقته خشى اظهـاره فيظنه الناس شريكا فى الجريمة ، كمـا خشى القاءه على الارض ثانية ، بعد أن طبعت عليه بصماته — فقادته غريزته الى دسه فى جيبه والخروج مـن السرادق الهائج . ولكن قريبا له نصحه بتسليمه طمعا فى المكافأة فى ثكنات مصطفى باشـا بالاسـكندرية . ولـكن الصـحف نشرت ، بمانشـتات عريضة أن خديو آدم تدم من الاسكندرية سيرا على تدميه لمـدة ثلاثة أيام ! ليسلم المسدس بنفسه لعبد الناصر (٤٨٥) . وواضح تلفيق القصـة تلفيقا ساذجا لاظهار التأييد الشعبى لعبد الناصر ، الذى كان يفتقر اليه فى ذلك الحين — اذ انى لبناء بسيط مثل خديو آدم ان يقابل ببساطة عبد الناصر وهو فى مركزه من السلطة وتتذاك ! .

وكما هى العادة فى مثل هذه الروايات الملفقة ، فانها قلبت الغرض منها ، اذ سخر الناس منها ، وأتاحت للاخوان الفرصة للتشكيك فى ارتكاب محمود عبد اللطيف للحـادث اعتمـادا على عدم ضـبط أداة الجريمـة معه ! ،ولكنهم نسوا تبرير وجود محمود عبد اللطيف ، وهو عضو فى التنظيم السرى ، فى مكان الحادث ! ، وهو امر ثابت لا سبيل الى المماراة فيه ، فهل كان وجوده افتتانا بسماع خطب عبد الناصر وتشوقا لمشاهدته ؟ .

---

٤٨٥ — الاهرام فى ٢ نوفمبر ١٩٥٤ .

وعلى كل حال ، فقد تعرف محمود عبد اللطيف وهنداوى دوير على المسدس . وكان من النوع الذى اذا أطلقت جميع رصاصاته ينفتح . ولكن أنكره ابراهيم الطيب أثناء المحاكمة . فعندما عرضه عليه جمال سالم سائلا :

ـ هل دى الطبنجة (التى سلمها لهنداوى دوير) ؟

رد قائلا : أنا لم اسلمه هذه الطبنجة اطلاقا ! .

جمال سالم (ساخرا) : تشتريها بكم ؟ .

ابراهيم الطيب : أنا متأكد يا فندم من كلامى ! .

وهنا طلب جمال سالم من هنداوى دوير ابداء رأيه فى كلام ابراهيم الطيب ، فرد قائلا :

ـ والله الانكار ده مالهوش داعي ، لان الامور لا تؤخذ بهذه الصورة ، واذا كان الانسان أخطأ يجب أن يتحمل خطأه ! (٤٨٦) .

فكانت هذه الاجابة أبلغ من اى رد فى هذا المجال .

وواضح أن هذا الموقف من جانب ابراهيم الطيب ، يتمشى مع خطة دفاعه عن نفسه ، التى قامت على انكار اعطاء هنداوى دوير اية تعليمات بالتنفيذ . لان اعترافه بتسليمه المسدس له يحمل معنى التنفيذ . وكان قد اعترف فقط باعطائه الحزام الناسف ، ضمن خطة الاغتيالات التى ذكر أنه أوقف تنفيذها .

على كل حال ، فلا يجب أن يعول البعض كثيرا على قصة المسدس فى القاء الشبهات حول قيام محمود عبد اللطيف باستخدامه فى اغتيال عبد الناصر ، تنفيذا لتعليمات الجهاز السرى ـ لانه سواء وجد المسدس وقت الحادث ، أو بعده ، أو ضاع الى الابد ! فلا تأثير لذلك على الحقائق المتعلقة بالموضوع وفقا للوثائق التاريخية كما سبق عرضه .

وقد تتابعت اعترافات المتهمين على بعضهم البعض ، وتطوعوا جميعا بتفصيلات دقيقة تتناول شتى شئون العلاقات فيما بينهم داخل الاطار التنظيمى للجهاز السرى ، وعلى مستوى علاقاتهم الشخصية . ويرجع ذلك لاسباب شتى :

أولها : الضرب والتعذيب . وهو عامل هام لم يصمد أمامه كثيرون ، فانتهت مقاومتهم ، وتسابقوا الى الاعتراف بكل شيء طلبا للنجاة .

---

٤٨٦ ـ محكمة الشعب : الجزء الثالث ص ٥٠٧ ـ ٥٠٨ .

ثانيا : اهتزاز ثقة الكثيرين منهم فى النظام السرى وجدواه أو فاعليته ، خصوصا بعد ما ثبت من عجزه أمام أجهزة القمع البوليسية فى الدولة فى كل مناسبة اصطدم بها ، سواء فى عام ١٩٤٨ ، أو فى يناير ١٩٥٤ ، أو بعد حادث المنشية . وربما كان هنداوى دوير خير من يمثل هذا الدافع .

واهمية هذا الدافع تتمثل فى الاعترافات المستفيضة التى ادلى بهـــا اعضاء التنظيم السرى وكشفت اسراره . وقد تطوعوا فيها بتفصيلات دقيقة ومطولة ، حتى أن بعضهم ألقى خطبا استغرقت ست صفحات من المحاضر الرسمية ! ، ولم يجد جمال سالم فرصة يقاطعه فيها كما تعود أن يفعل مع الغير — وهو هنداوى دوير .

ولذلك فان الزعم الذى صدر عن بعض دوائر الاخوان بأن الاقوال التى ادلى بها المتهمون أمام المحكمة كانت من وضع البوليس السياسى ، هو زعم يحمل معنى الاستخفاف بعقول الناس ، لانه لا يوجد بوليس فى العالم يؤلف للمتهمين اقوالا يستغرق الادلاء بها ١٦٥٠ صفحة ! ، ويحمل الناس عـــلى القائها كما يجرى فى المسرحيات ! ، فقد رأينا مواجهات — كما جرى بين محمود الحوانكى واسماعيل يوسف ، ورأينا صدامات فى الرأى بين المتهمين وجمال ســـالم .

وليس معنى ذلك قبول هذه الاعترافات على علاتها ، فهى لا تعـــدو بالنسبة للمؤرخ أن تكون « روايات تاريخية » يطبق عليها ما يطبق على غيرها من الروايات التى يرويها من لعبوا أدوارا فى الاحداث — من قواعد منهج البحث التاريخى لتحقيقها .

بل يمكن القول ان جمال سالم لم يكن مهتما بسماع كل تلك التفصيلات عن النظام السرى وخلافاته ! . فقد حدث أن طلب الادعاء من محمد خميس حميدة الادلاء للمحكمة بمعلوماته عن النظام الخاص ، فأخذ يسهب فى الاجابة عن هذا السؤال على مدى صفحتين من صفحات المحاضر الرســـمية ! — فقاطعه جمال سالم متبرما قائلا :

— تفتكر أن الادعاء طلب منك الحضور علشان نسمع منك الحدوتة بتاعة المرة اللى فاتت ؟ (٤٨٧) .

وفى الواقع ان اهتمام جمال سالم كان منصبا بالدرجة الاولى عـــلى الناحية السياسية من المحاكمة وليس على الناحية التاريخية . فقد كان يستهدف كشف موقف لاخوان من الاتفــاق مــع الانجليز على شروط اقل

---

٤٨٧ — محكمة الشعب : الجـــزء الخامس شـــهادة محمد خميس حميدة ص ١٠٣٠ .

من الشروط التي توصل اليها عبد الناصر فى معاهدة الجلاء ـ وذلك ليسلب حجة الاخوان فى معارضة المعاهدة . وفى الوقت نفسه كان يستهدف كشف النظام الدكتاتورى للاخوان ، ليسلبهم الحق فى اتهام الثورة بالدكتاتورية . وربما كان فى النموذج الذى أوردناه فى الفصل السابق اثناء استجواب محمد خميس حميدة ، والذى قال فيه جمال سالم عبارته المشـــهورة : « مكتب الارشاد رايه استشارى طرطور » ، بناء على اعتراف خميس بأن قرارات مكتب الارشاد استشارية ـ ما يعتبر دليلا على ذلك ،خصوصا وهناك نماذج أخرى تحفل بها محاضر المحاكمة . وفى هذا النموذج حصل على اعتراف من محمد خميس حميدة بأن الهيئة التأسيسية للاخوان المسلمين ، وهى برلمان الاخوان المسلمين ، تتكون بالتعيين لا بالانتخاب ! ، ويخرج منها كل ســنة عشرة ، ويدخل غيرهم بنفس الطريقة ، اى التعيين ، ويختارهم الشيخ حسن البنا . وهذه الهيئة التأسيسية المعينة هى التى تنتخب ، من بينها ، مكتب الارشاد ، ولكنها لا تنتخب جميع أعضائه الخمسة عشر . بل تنتخب اثنى عشر فقط ، والثلاثة الاخرون يدخلون المكتب بالضم ! ، وحتى هذا المكتب ليست قراراته ملزمة للمرشد بل استشارية ! . لذلك التفت جمال ســالم منتصرا الى الجمهور فى القاعة قائلا :

« هذه ديمقراطية الاخوان المسلمين اللى كانت حتطبق عليكم فى الحكومة الاتية ، اللى كانت حتكون تحت وصاية الاخوان المسلمين ! شفتم البرلمانات والدستور والانتخابات المثالية اللى كانت حتطبق عليكم » ؟ (٤٨٨) .

اما الهدف الثالث الذى كان ينصرف اليه اهتمام جمال سالم ، فهـو اثبات صدور الامر باغتيال عبد الناصر من التنظيم السرى للاخوان المسلمين، وانتماء محمود عبد اللطيف لهذا التنظيم ـ لتبرير تصفية قيادات الاخوان المسلمين المسئولة عن وجود هذا التنظيم جسديا عن طريق أحكام الاعدام والزج بهم فى المعتقلات والسجون . وقد حصل جمال سالم على اعترافات كاملة من القيادات التى حوكمت فى مجال هذه الاهداف الثلاثة .

وقد كان أول من مثلوا امام المحكمة محمود عبد اللطيف . وقد اعترف بأنه « مذنب » . وحين سئل عمن يرشحه للدفــاع عنــه ، أقترح محمود سليمان غنام ، أو مكرم عبيد ، أو فتحى سلامة . وقد تملك الثلاثة الذعر لهذا الاختيار ، ورفضوا جميعا أداء هذا الواجب ! . لقد قال محمود سليمان غنام : أنا لا أوافق اطلاقا على الدفاع عن محمـــود عبد اللطيف ، لانى

---

٤٨٨ ـ محكمة الشعب : الجزء الثالث شهادة محمد خميس حميدة .

استنكر كل الاستنكار هذه الجريمة . وقلبنا وطنيا معكم ، ولا استطيع بأى حال من الاحوال تولى هذه المهمة والدفاع عن مجرم » ! .

وقال مكرم عبيد : « هذا غريب ! . وأنا فى حياتى لم ار هذا المتهم . ولا هو رآنى . وأنا لا أستطيع الدفاع عمن يعتدى على جمال عبد الناصر . ماذا بقى بعد ذلك ؟ . هذا أمر خطير ! . انا لا أمانع اذا كانت هذه جريمة قتل عادية . ولكن هذه جريمة موجهة الى قلب الوطن » !
أما فتحى سلامة ، فلم يكتف بالاعتذار ، بل أبى الا أن يهين المتهم ، فصرح علنا بأنه « يحتقر هذا المجرم . فكيف ادافع عنه ؟ » (٤٨٩) .

وقد كان هذا الموقف من جانب المحامين الثلاثة غير كريم ، ومتخاذل ، وسقطة اليمة ، فضلا عن أنه ملىء بالنفاق ! . فقد كانوا جميعا من القوى الديموقراطية دون ريب ، التى كانت تطالب بعودة الحياة الدستورية ، وكانت الجريمة التى وقعت — على وجه التحقيق — احدى النتائج المباشرة للحكم الدكتاتورى وانعدام الحريات واضطهاد الراى المخالف . وكان فى الامكان تحويل محاكمة الاخوان المسلمين الى محاكمة للدكتاتورية ، كما جرى على الدوام فى تاريخ القضاء المصرى الحديث ، الذى كان حربا على الاستعمار والاستبداد . فقد حاكم الاستعمار فى قضية أحمد ماهر المتفرعة عن قضية مقتل السردار عام ١٩٢٦ ، وحاكم العهد الدكتاتورى لمحمد محمود باشا ، الذى عرف بحكم « اليد الحديدية » ، فى قضية سيف الدين التى اتهم فيها مصطفى النحاس باشا عام ١٩٢٨ . وحاكم دكتاتورية اسماعيل صدقى باشا فى أوائل الثلاثينيات فى قضية البدارى عام ١٩٣٣ . وظل القضاء المصرى يحاكم الاستعمار والاستبداد حتى قيام ثورة ٢٣ يوليو ! .

ولكن ذلك كان فى وجود حد أدنى من الضمانات الديموقراطية التى تكفل حرية الفرد ، وكان هذا الحد متوفرا فى ظل دستور ١٩٢٣ ، رغم كل القيود الاوتوقراطية التى حفل بها ! . ولكن هذا الحد الذى يكفل حرية الفرد سقط مع سقوط النظام الليبرالى فى يولية ١٩٥٢ ، واخطر من ذلك انه سقطت معه أيضا انسانية الفرد على يد رجال السجن الحربى فى أزمة مارس ١٩٥٤ ! . فقد ذكرنا كيف انتهت مظاهرات الاخوان المسلمين فى ٢٨ فبراير ١٩٥٤ باعتقال عبد القادر عوده ومعه خمسة وأربعون من الاخوان ، ووقفوا على أرجلهم فى السجن الحربى من الرابعة صباحا حتى السابعة ، يضربهم ضباط

---

٤٨٩ — كمال كيره : محكمة الشعب ، المرجع المذكور ص ٨١ — ٨٢ .

السجن وعساكره بوحشية .. كما ضرب احمد حسين وعمر التلمسانى ، وطلبت الجمعية العمومية للمحامين من النيابة مساءلة المعتدين على المحامين المعتقلين ، وذكرت اسم البكباشى أحمد أنور ، مدير السجن الحربى، صراحة ! .

بل عندما حدث شك بسيط فى أن الدكتور السنهورى ، رئيس مجلس الدولة . سوف يعقد الجمعية العمومية لمجلس الدولة ، لاستصدار قرار بمساندة الحريات ـ سير مدير السجن الحربى مظاهرة يقودها حسين عرفة ، وهو زوج أخته ! ، اقتحمت مجلس الدولة ، وضربت الدكتور السنهورى فى عقر هذا الحرم المقدس !

لذلك كان فى الامكان تحويل محاكمة الاخوان الى محاكمة للدكتاتورية وتصحيح خطى الثورة ، لو توفرت الشجاعة للمحامين الثلاثة مع اقتدارهم، ولكن هذه الشجاعة خذلتهم فى مناخ المعاملة البربرية التى تعامل بها الثورة خصومها . ولو انهم اكتفوا بالامتناع عن الدفاع عن المتهم ، لكان لهم ما يبرر ذلك ، ولكن لا يوجد ما يبرر تفسيرهم هذا الامتناع بأسباب تدخل فى صميم منافقة الثورة ! .

على كل حال فقد انتدبت المحكمة ، للدفاع عن محمود عبد اللطيف ، حمادة الناحل . وكان قد سبق له الدفاع عن مغتالى حسن البنا ! . فانتهت ازمة اختيار الدفاع .

كان محمود عبد اللطيف ، وهو سمكرى بامبابه ، ذا حظ بسيط من التعليم . فقد درس الابتدائية اربع سنوات فى القسم الليلى ، ورسب فيها ! . وقد سبق له ان اعتقل فى عام ١٩٤٩ .

وقد اتهمه هنداوى دوير ، رئيسه فى التنظيم السرى الذى أصدر اليه الامر بالتنفيذ ـ بانه كان « متحمسا » لارتكاب الحادث ! ، وانه هو الذى اقترح عليه السفر الى الاسكندرية ليقوم بهذه المهمة ، وكان الاصل أن يرتكب الحادث فى القاهرة ! .

« ومعنى هذا » ـ والكلام لهنداوى دوير ـ أن محمود عبد اللطيف كان « صاحب تفكير مستقل استقلالا كاملا ، لاسيما وأنا أعلم أنه صاحب شخصية ، ولا يتأثر بسرعة . وأنا بهذا لا أريد اتهامه ، وانما هذه هى الحقيقة . فهو شخص صاحب تفكير مستقل،ويحفظ جزءا كبيرا من القرآن، وكان متحمسا بالذات لهذا العمل . واكبر دليل على هذا انه هو الذى اقترح على السفر الى الاسكندرية » ! .

ولكن محمود عبـــد اللطيف اعترض على كلام هنداوى دوير قائلا :
« انه (هنداوى) الرئيس بتاعى . ولو أراد عدم ذهابى الى الاسكندرية ، ماكنتش اقدر اعصى له الامر ، علشـان هـــو رئيسى . فالحكاية مش حكاية تحمس ! » .

وهنا سأل الدفاع هنداوى دوير : « هل كان يمكن لمحمود عبد اللطيف، بوصفه عضوا فى النظام السرى ، أن يخالف الامر الذى صدر اليه ؟ » .

وقد رد هنداوى دوير قائلا :

ــ كان ممكن يا فندم . ودليلى على هذا ، وهو صادق ولو سألتموه يقول لكم ، أننى قلت له : فكر وشوف اذا كنت توافق على الفكرة أو لا ، واقعد فكر ثلاث أيام ، وانت حر فى هذا ولك مطلق الحرية ، ومن حقك ان تقول لا ، ولا ضـــير عليك فى هذا . ومع ذلك جاءنى وقال لى : « أنا مطمئن لاى عمل يصدر الى » . وكان من الممكن ان يخالف وأن يرفض هذا الطلب » ! .

على أن الدفاع حين سأله قائلا :

ــ فى حالة رفضه هل كان سيستمر عضوا فى الجهاز السرى ؟ » .

اجاب هنداوى دوير قائلا : « ما افتكرش ! . المعقول أن ينحى من الجهاز السرى ، ويظل عضوا فى الاخوان المسلمين » ! (٤٩٠) .

وهذه الاجابة تقدم الشعرة الدقيقة بين مسئولية الجهاز السرى عن ارتكاب الحادث ، ومسئولية محمود عبد اللطيف . فصحيح انه كان من حق محمود عبد اللطيف عدم تنفيذ الامر الصادر اليه ، ولكنه لم يكن حقـــا مطلقا لا يترتب عليه أى مساس بوضعه فى الاخوان المسلمين ، وانما عليه ان يتحمل عاقبته ، وهى طرده من الجهاز السرى وعودته عضوا عاديا ، او ما هـــو اكبر من ذلك فى ضوء تقدير قادة النظام الخاص ! . فنلاحظ أن هنداوى دوير استخدم لفظ « المعقول » الذى يعنى تقديره الشخصى . ولم يقل « المفروض » التى تعنى وجود قاعدة محددة تحسم معاملة من يرفض تنفيذ الامر من أعضاء الجهاز السرى .

ومعنى ذلك بوضوح أن محمود عبد اللطيف لم يرتكب الحادث بصفته الشخصية وبدافع من الحماس الشخصى وحده ، وانما بوصـــفه عضوا فى الجهاز السرى ، وتقديرا منه لعواقب رفضه التنفيذ . فالجهاز السرى ، من ثم ، مسئول مسئولية كاملة عن الحادث .

---

٤٩٠ ـــ محكمة الشعب : الجزء الاول ، شهادة هنداوى دوير ٦٩ ـــ ٧٠

ومع ذلك فلم يكن هنداوى دوير وحده من ادان محمود عبد اللطيف، فقد ادانه ايضا ابراهيم الطيب ، رئيس هنداوى دوير ، على اساس انه فعله مختارا .. فقد سأله الدفاع قائلا :

— ماهى جريمة محمود عبد اللطيف فى نظرك كزميل لمحمود عبداللطيف فى الجهاز السرى ؟

ابراهيم الطيب : اعتقادى انه لاشك فى انه كان هناك تأثير عليه ، فقام بما قام به . وكان تأثيرا بشكل قوى .

الدفاع : ماهو عقاب محمود عبد اللطيف بوصفك رجلا قانونيا ؟

ابراهيم الطيب : هو فاعل اصيل !!

الدفاع : ولكن هل تدخل الظرف الذى جرفه فى حسابك ؟

ابراهيم الطيب : لاشك !!

الدفاع : هل من شأن الاجهزة السرية أن يحتفظ صغارها بارادتهم كما يحددها القانون ؟

ابراهيم الطيب : الذى اعلمه فى هذا ان اى فرد لا يقوم بعمل ما الا اذا كان متحمسا له ، وعارفا بتفاصيله ، ومقدرا لنتائجه .. !

الدفاع : هل استغل جهله فى ذلك ؟

ابراهيم الطيب : لا يافندم ! .. استغل فى ذلك تشبعه بالعمل الذى سيقوم به .

وهنا سأله الدفاع :

— هل كنت تتقدم على ما اقدم عليه ؟

فرد ابراهيم الطيب قائلا :

— لا ! (٤٩١) .

وواضح ايضا أن تركيز ابراهيم الطيب على مسألة « الحماس » لارتكاب الحادث ، كان امرا حيويا فى خطة دفاعه عن نفسه وعن التنظيم السرى . لانه يصور ارتكاب الحادث فى صورة عمل اقدمت عليه مجموعة متحمسة دون الرجوع الى قياداتها ! .. وهذا ما ركز عليه طوال المحاكمة ففى اجابة له على سؤال لجمال سالم قال :

— فى بعض الاحيان يكون الشخص متحمسا من تلقاء نفسه ، بدون صدور أوامر له ، ففى بعض الاحيان كنا نلقى بعض الاخوان متحمسين ، ولا يتقبلون أوضاع الجماعة .

---

٤٩١ — محكمة الشعب : الجزء الثالث ، شهادة ابراهيم الطيب ص ٥٤٤ — ٥٤٥ .

وعندما سأله الدفاع عن تقديره لخطر الجهاز السرى بعد ظهوره على النحو الذى ظهر به ، علق هذا الخطر على اندفاع الافراد الى العمل بدون تلقى أوامر من القيادات ! • وكانت اجابته :

— « لاشك أن اندفاع الافــراد ، دون أن يكونوا ملتزمين بالخطط الموجودة المتفق عليها من الرياسات ، يحدث اضطرابا »

وعندما سأله الدفاع عما اذا كان يرى أن الجهاز السرى يحمل خطرا على الوطن . علق هذا الخطر مرة أخرى . على اندفاع الافراد الى العمل دون رجوع الى القيادات ، فقال :

— على هذا النحو . (أى على النحو الذى تم به الحادث) يعتبر أن فيه خطرا على الجماعة وعلى الوطن ! (٤٩٢) .

وقد جرت محاولة من جانب الدفاع للربط بين حادث محاولة الاغتيال وبين مؤامرة لافون الصهيونية المشهورة ، التى كان قد أعلن عنها فى بداية اكتوبر . فقد وجه هذا السؤال لابراهيم الطيب :

— هل كان من قبيل المصادفة وحدها ، أن تكتشف وزارة الخارجية مؤامرة صهيونية هدفها الفوضى والحيلولة بين مصر وبين اكمال الاتفاقية — فى نفس الوقت الذى يبين فيه أن هناك جهازا سريا للاخوان هدفه الانقلاب عن طريق الفوضى ، أو الفوضى من طريق الانقلاب ؟ .

وقد رد ابراهيم الطيب قائلا :

— لا أعتقد أن الاخوان اداة الصهيونية .

الدفاع : ولو من غير اتفاق ؟

ابراهيم الطيب : لا .

وهنا أراد جمال سالم أن يبرىء الاخوان من العمالة للصهيونية ، لان تاريخهم فى النضال من أجل فلسطين كان يستبعد هذه التهمة ، ولكن ليتهم الحركة بالعمل لحساب الاتحاد السوفيتى — وهى تهمة لا تقل سذاجة عن الاولى ! فسأل ابراهيم الطيب قائلا !

— ولما ييجى الاخوان (الاصل فى المحاضر « الضباط » ولكن السياق يشير الى الاخوان) — ويوجدوا حرب اهلية ، ويخربوا الطرق والمواصلات ويخربوا المنشآت ، والناس ماتلاقيش تاكل ، وتعمل زى البلاد اللى حصل فيها كده ، التى كانت تأخذ تموينها من روسيا ! — أقدر أعرف انك ماكنتش بتشتغل لحساب اسرائيل ، أقدر افهم انك كنت بتشتغل لحساب روسيا ؟

---

٤٩٢ — نفس المصدر .

لان كل البلاد اللى عملت كده ، كانت بتشتغل لحساب روسيا ، وكانت بتجيلها امدادات من روسيا ، كانت تجيلها الذخائر والعتاد والملابس من روسيا ، والأدوية والأكل وجميع المعدات الخاصة بطرق المواصلات والسكان او كانت تجيلهم من امريكا ! . فأى الطرفين كنت تعمل له : روسيا . أم امريكا ؟ ، طالما استبعدنا اسرائيل ؟ .

ابراهيم الطيب : لا هذا ولا ذاك .

الدفاع (مصرا على اتهام حركة الاخوان بالعماله للصهيونية) .

— بماذا تعلل استنكار العالم الانسانى كله لاعمال الاخوان ، فيما عدا راديو اسرائيل ؟ . . فقد اقرها ودافع عنها !

ابراهيم الطيب : ماسمعتوش ، وماسمعتش الصدى فى الجرايد بره ! .

الدفاع : واذا كنت انا انقل لك هذا الخبر ، هل تصدقنى ؟

جمال سالم (متدخلا بسخرية) : هو لا يصدق الا اثنين : يوسف طلعت ، وحسين كمال الدين — أستغفر الله العظيم : انا قلت : اثنين ؟ ، وهم ثلاثة ! ، والثالث عودة » ! (٤٩٣) .

والامر الملاحظ فى هذا الحوار ، هو خطة الدفاع ! لقد كان الدفاع يتسابق مع المحكمة فى محاولة اغراق الاخوان المسلمين ! ، متوهما انه بذلك ينقذ عنق المتهم الذى يدافع عنه ، وهو محمود عبد اللطيف ! ونسى أنه يغرق موكله ايضا ، لانه كان مع الاخوان المسلمين فى سفينة واحدة ! .

---

٤٩٣ — نفس المصدر ٥٥٠ — ٥٥٤ .

٢ـ التبرؤ من التنظيم السرى

انقسم المتهمون أمام محكمة جمال سالم الى قسمين : قسم يشتمل على أعضاء التنظيم السرى ، وقسم يشـتمل على القيادة السـياسية للاخوان المسـلمين ، ومعنى ذلك أن المحاكمة لم تكن محاكمة للتنظيم السرى وحده ، وانما كانت محاكمة للجماعة بأسرها • وهذا هو الهدف الاساسى •

وبالنسبة لاعضاء التنظيم السرى ، فمن الغريب أنهم لم يعكسوا أمام المحكمة قوة التربية الروحية التى عنيت قيادة الجماعة بغرسها فيهم.وتنشئتهم عليها منذ التحقوا بالاخوان ، وتدرجوا فى العضوية حتى وصلوا الى مرتبة « الاخوة المجاهدين » ! •

بمعنى أننا لا نجد فى طول المحاكمة وعرضها موقفا يظهر فيه أعضـاء التنظيم ايمانهم وقناعتهم بهذا التنظيم الذى انضموا اليه طواعية لا كرها ! — بل اظهر الجميع ندمهم واستغفارهم وانكارهم له وتبرؤهم منه ! ..

وكان أول هؤلاء محمود عبد اللطيف نفسه ، الذى ثبت تحمسه لارتكاب الحادث من أقوال هنداوى دوير ، ومن اقتراحه السـفر الى الاسـكندرية لاصطياد عبد الناصر ، رغم أن الخطة لم يكن فيها سـفر الى الاسـكندرية ، وانما تتم الجريمة فى القاهرة ! •

فعندما سـأله المدعى عن الاسـباب التى دعته الى محـاولة اغتيال عبد الناصر ، وابدائه الاستعداد لقتل أنور السادات قبل ذلك ، رغم أنهما مسلمان ! • — رد قائلا :

— مسلمين ، ولكن فهمونا انهم خارجين عن الاسلام !! •

— من الذى افهمك ؟ •

— هنداوى دوير ؟ •

ثم استطرد محمود عبد اللطيف مجيبا :

— صحيح انا اقدمت على العمل ده ، وقبل أن أقدم عليه لم أكن أشـعر بأى شيء ! • كان أمرا طبيعيا ! • ولكن بعد أن أقدمت عليه ، شـعرت بالندم ، وشعرت بأنى خاطىء ، لأنه كان خلاف الاسلام ! (٤٩٤) •

أما هنداوى دوير ، فقد أوضحنا كيف أنه أفاق بعد سماعه بالحادث ، فانهار ، ونقل أسرته الى بلدته المنيا ، وعاد ليسلم نفسه ، ويعترف الاعترافات التى أدت الى القبض على التنظيم السرى ، وقد أعلن ندمه امام المحكمة قائلا انه لم يقدر الامور تقديرا سـليما الا بعد ارتكاب الحادث : « وأنا جاى فى

---

٤٩٤ — محكمة الشعب : الجزء الاول ، شـهادة محمود عبد اللطيف ص ٢١ •

القطار ، قدرت عدة مسائل ، منها : أن زعماء الاخوان منقسمين على أنفسهم ، وان الدعوة فى هذه الفترة يسيطر عليها اناس غير مسئولين وغير معروفين للاخوان ! ، وأن الاتجاه الارهابى اتجاه صورته الطبيعية الواضحة البسيطة انه غير اسلامى ! ، وأن القتل على هذه الصورة قتل غير اسلامى ! • وقدرت انه لو وقعت العمليــات التى تحت يدى ، ففيهـــا ارهاق للاخوان ، وارهاق للبــلاد • لذلك قررت أن أســلم نفسى للبوليس وأضـــع نفسى تحت تصرف المســئولين ! • ومن المؤسف ان هذه الاعتبارات ما قدرتهاش قبل الحادث • وهذا محل الاسف • والواقع ان الانسان يظل يسير فى الخطأ ، ولا يعلم انه خطأ ، حتى يقع فيه » ! (٤٩٥) •

وقد حاول الادعاء اثبات أن هنداوى دوير لم يســلم نفسه بسبب هذه البواعث ، وانما لانه « وجد أن محمود عبد اللطيف ذكر اسمه وقال ان أحد المحامين أمره بارتكاب الحادث » ، فنقل أسرته الى المنيا ، وعاد « ليرتب لنفسه الامر » ، وبالتالى فان ما نسبه الى نفسه من انه عاد « ليخدم العدالة » غير صحيح . ودلل الادعاء على حجته بأنه لاحظ أن هنـــداوى دوير انكر فى المرحلة الاولى من التحقيق علاقته بالحادث ؛ ولكنه بعد مواجهته بمحمود عبد اللطيف وسعد حجاج ، انهار وبدأ يلقى بأقواله ! • ٤٩٦) •

على أن هنداوى دوير أصر على أن عودته انمـــا كانت بغرض « أداء واجب على ، واجب أشعر به شـــعورا تاما مطلقا لا يرد عليه أى قيد ، وهو تسليم الاسلحة للسلطات المختصة » ، وأنه لولا شعورى بهذا الواجب « لكنت هربت » ! وفند حجة الادعاء التى أورد فيهـــا انه عاد لانه وجد أن محمود عبد اللطيف ذكر اسمه فى التحقيق ـ فقال انه لم يرد أى شىء فى الصحف لمدة ثلاثة أيام بعد الحادث عن اعترافات أدلى بها محمود عبد اللطيف ، حتى يحق للادعاء الاستناد الى ذلك ، وبالتالى فقد كان فى وسعه الهرب لمدة « أسبوع واثنين وشهور » ، ولكنى عدت « وسلمت الاســلحة ، والنـــاس ، واعنت العدالة » ! . « ولا أحب أن أقتضى على هذا ثمنا » ! . (٤٩٧) .

وقد كان صحيحا ما ذكره هنداوى دوير عن عدم ورود شىء فى الصحف المصرية عن اعتراف محمود عبد اللطيف بأنه أمره بارتكاب الحادث • ولم يكن فى وسع الصحف أن تنشر مثل هذا الخبر فى اليوم التالى مباشرة للجريمة ؛

---

٤٩٥ ــ نفس المصدر : شهادة هنداوى دوير ص ٣٠ ــ ٣١ •

٤٩٦ ــ محكمة الشعب : الجزء السابع ، مرافعة الدفاع فى قضيـــية هنداوى دوير ص ١٥٠٤ •

٤٩٧ ــ نفس المصدر : مرافعة هنداوى دوير عن نفسه ص ١٥١٢ •

وهو اليوم الذى سلم فيه هنداوى دوير نفسه • وقد فحصت بنفسى هذه الصحف ولم يرد فيهما أى ذكر لاعترافات محمود عبد اللطيف عن أحد المحامين ! •

واذا كان الامر كذلك ، وكانت عودة هنداوى دوير لخدمة العدالة كما قال ، فلماذا أنكر علاقته بالحادث فى المرحلة الاولى للتحقيق كما ذكر الادعاء مستندا الى محاضر التحقيق ؟ •

لعل اجابة هنداوي دوير تحدد الهدف من عودته تحديدا دقيقا . فقد ذكر انه عاد « ليسلم الاسلحة » « ويعين العدالة » ، ولم يذكر إنه عاد ليعترف بدوره في الحادث ، ولعله كان يأمل في النجاة من تهمة الاشتراك فى تدبير الحادث ، ومثل هذا الامل الواهي يمكن فهمه في ظروف عصيبة كتلك التي كان يفكر فيها هنداوي دوير ، والتي من شأنها أن تفقده القدرة علي التفكير السليم .

وعلي كل حال ، فما يهمنا فى هذا المجال الذى نعالجه ، هو ما يتصل بالندم والاستغفار من عضوية التنظيم السري من قائد هام من قادة هذا التنظيم ، نيطت به بالذات أخطر مهمة فى حياة الجماعة ، وهى اغتيال عبد الناصر ! بل لقد اعرب هنداوى عن امله بأن « يكون هذا آخر عهد الاخوان المسلمين بالنظم السرية ، وأن تكون الطلقات الاخيرة آخر طلقات تسدد الى صدر مصرى بهذه الصورة الاسيفة التى آسف عليها أشد الأسف » •

ولم يكن هنداوى دوير وحده فى هذا الموقف ، بل وقفه ايضا — كما ذكرنا — بقية اعضاء التنظيم السرى • ففى شهادة محمد على نصيرى ادعى أنه دخل التنظيم السرى « دون أن أعرف قوانينه ونظمه معرفة وثيقة » ! وقد سأله جمال سالم كيف يسمح لنفسه أن « ينضم لجمعية سرية » دون أن يعرف نظامها وأغراضها ؟ ، فأجاب بقوله : « احنا كنا نعمل للوطن والاسلام » . وهنا سأله جمال سالم : « من الذى يقرر الكفاح المسلح ؟» فأجاب : « الحكومة ! » (٤٩٨) •

أما يحيي سعيد ، فقد هاجم التنظيم ، بل هاجم الدعوة ! • فقد ذكر أنه بعد فترة من عمله في الأسرة « عرفت أنها كلام فارغ ! » ، وهذا زيف وخداع وغش ونفاق منهم ، والمقصود جذب الناس اليهم » • وقد سارع جمال سالم لتلقف هذه « الهدية » من الشاهد ، فسأله مستدرجا :

---

٤٩٨ — محكمة الشعب : الجزء الاول شهادة محمد علي نصيرى ص ٧٧ — ٨٣ •

— علشان ايه ؟ ، يجذبوا الناس اليهم ؟ ٠
يحيى سعيد : علشان يلموا الناس حواليهم !،
جمال سالم : فرحانين بالهيصة دى ؟ ٠
يحيى سعيد : يكسبوا الناس حواليهم !
جمال سالم : بالاشتراكات ؟ ٠
يحيى سعيد : طبعا ، أقل شيء ! (٤٩٩) ٠

وقد ادعى السيد عبد الله الريس انه كان يعارض سياسة التنظيم السرى من قبل حادث محاولة الاغتيال ! ، فقال :
— أنا ، كشاب ، لم أفعل فى حياتى ما يضر بلدى ٠ ولم أكن أتصور — الا حين بدأت الأسلحة توزع — اننا سنتخذ موقفا ايجابيا ، أو أن الشعب سيحارب بعضه ! ٠٠ لم أكن أتصور هذا مطلقا ٠ وبدأت أفكر فى هذه السياسة ٠ ثم بعد ذلك بدأت أعارضها بشدة ٠ ! (٥٠٠) ٠

أما على عبد الفتاح نويتو ، فقد استند فى تبرئة نفسه ، الى خطاب أرسله الى ابراهيم الطيب يعارض فيه الاشتباك مع عبد الناصر فى ذلك الحين وذكر أنه استمر فى التنظيم خوفا من القتل !
وقد سأله جمال سالم عما اذا كان حقا يتوقع القتل ؟ فأجاب قائلا :
— أيوه !
جمال سالم : اذا لم تطعهم ؟
على نويتو : أيوه . ومع ذلك لم أطعهم !
الدفاع : رغم انك تتوقع القتل ؟
جمال سالم : يعاقبوك ليه ؟ ٠
على نويتو : خوفا من أن أفشى الأسرار يمكن يقتلونى ٠ وأنا وفرت على نفسى هذا !
الدفاع : هل كان لديك مقتضيات تجعلك تظن أنهم قد يقتلونك ؟ ٠ هل كنت تعلم أن الذى يخالف يتعرض للقتل ؟
على نويتو : أيوه ! ٠

على أن جمال سالم اثبت من نصوص خطاب على نويتو الى ابراهيم الطيب (وقد قرأها فى المحكمة) أن سبب معارضته يرجع الى شعوره بأن

---

٤٩٩ — نفس المصدر : شهادة يحيى سعيد ص ٩٥ — ٩٦ ٠
٥٠٠ — نفس المصدر : شهادة السيد عبد الله الريس ص ١٢٣ ٠

التنظيم ليس قويا بالدرجة الكافية للتغلب على عبد الناصر ! فقد كانت عبارات على نويتو « خير لنا ان نستمر فى اعدادنا سـنتين بهذا النشاط ، من أن ندخل معركة قد لا تكون فى جانبنا • التدريب لازال ضعيفا جدا جدا ، ولا يسـمح بالقيام بمهام كبيرة ، وكان قد تقرر أن يدخل كل اخ معسكرا للتدريب ، ولكن شيئا من هذا لم يتم • ورجال بدون تدريب لا يكفون لاحراز النصر » !

وقد عقب جمال سالم على ذلك قائلا :

ـــ الثلاث فقرات اللى قرأتهم دول ، الا يدلوا ، بأيمان الله اللى حلفتها يا اخ يا مسلم ! ، ياللى حتقابل ربنا يوم القيامة ! • على أنك كنت متشككا فى نتيجة المعركة ، والاولى أن تنتظـــر الى أن تدرب رجالك ، حتى اذا وقعت المعركة ، يكون النصر فى جانبك ؟ » •

على نويتو : يمكن التعبير خاننى ! (٥٠١) •

على أن موقف شقيق على نويتو المتهم معه ، وهـو حامد نويتو ــ كان بليغا فى التبرؤ من التنظيم السرى ! • فقـــد طلب من المحكمة أن يأتوا له بهنداوى دوير ليقتله ! جزاء خديعته له ولشقيقه . وكانت عبارته :

ـــ جيبوا لى هنـــداوى ، لأقطعه بيدى ، لأنه غـــرر بنا وودانا فى داهيـــة » !

بل انه عقد مقارنة لصالح الثورة بينها وبين جماعة الاخوان فى مجـال العمل الاسلامى •

فقــال :

ـــ عملتم خيرا كثيرا ، بفكرة المؤتمر الاسلامى ، واتصلتم بالشـعوب الاسلامية • والاخوان لو كانوا قعدوا ألف سنة ما كانوش يعملوها ! (٥٠٢)

أما محمود الحواتكى ، فقد ذكر انه لم يدخـل التنظيم السرى الا على أساس « الا يقوم بعمليات داخلية » ، وأن يكون الغرض منه « تدريب الاخوان واعدادهم وتفهيمهم القواعد الشرعية للجهاد » • وأنه قرر ترك الجماعة حين جاءت المعاهدة ، وخرج المرشد العام الى البلاد العـربية ، ورجع منها وبدأت العلاقة بين الثورة والاخوان تتأزم ـــ هنا ـــ حسب كلامه : « رأيت أن هناك

---

٥٠١ ـــ نفس المصدر : شـهادة على عبد الفتاح نويتو ص١٤٠ ـــ ١٤٧ ـــ ١٤٨ •

٥٠٢ ـــ نفس المصدر : شهادة حامد عبد الفتاح نويتو ص ١٥٦ ـــ ١٥٧

هوى يتحكم فى « راعى » الاخوان ، خاصة فى المائدة ! فقررت ترك النظام الخاص » !! (٥٠٣) ٠

ولم يكن موقف صلاح الدين على أبو الخير ، بافضـــــل من المواقف السابقة ٠ فقد أبدى رأيه بأن « النظام السرى فقد فعلا أسباب وجوده ، بعــد ما طرد الملك ، وبعد أن اصبح الانجليز على وشك الخـــــروج ! « وماكانش حيعمل أى شيء من الحاجات دى أبدا » ! ، وأضاف قائلا أنه لم يطرأ فى ذهن الاخوان أن أسباب وجود هذا التنظيم السرى قد زالت » (٥٠٤) ٠

وقد أبدى السيد حسين أبو سالم ندمه لما أقدم عليه ، بحجة أنه فى ذلك الحين لم يكن « بيبصر » ! ٠ وأكثر من ذلك فقـــد أعترف بحق الحكومة فى منع المظاهرات « بالقوة » !

فقد سأله جمال سالم :

ـــ الحكومة تمنع المظاهرات ازاى ؟

أبو سالم : بالقوة !

جمال سالم : ولما تعمل عمل تخلى الحكومة تضرب فى الناس ، ايه نتيجة ذلك ؟ ٠

أبو سالم : نتيجته ضارة !

جمال سالم : وليه فكرت فى العمل اللى نتيجته ضارة ؟

أبو سالم : والله الواحد ماكانش بيبصر !

ثم سأله جمال سالم : كيف كان يريد تطبيق طريقة المظـــاهرات ، التى كانت تستخدم قبل الثورة ، على الثورة ؟ ، فأجاب قائلا :

ـــ ده كان عمـــــل خاطىء منى ٠ وأنـــــــا نادم على التفكير فى هذا ! (٥٠٥) ٠

أما محمد عبد المعز ، الذى كان يقوم بعمل رئيس منطقة شرق القاهرة ، فقد اعتبر معارضة المرشد العام ومكتب الارشـــاد للاتفاقية التى عقــــدها عبد الناصر مع بريطانيا ، « تضليل » للناس ! . وقد التقط جمال ســـالم سريعا طرف هذا الخيط ، فسأله قائلا :

---

٥٠٣ ـــ محكمة الشعب : الجزء الثانى ، شـــــهادة محمود الحواتكى ص ٢٣٠ ـــ ٢٣١ ٠

٥٠٤ ـــ نفس المصدر : شهادة صلاح الدين أبو الخير ص ٢٧٧ ـــ ٢٨١

٥٠٥ ـــ نفس المصدر : شهادة السيد حسين أبو سالم ص ٣١٦ ـــ ٣١٧

ـــ كان تضليل ؟ ٠
محمد عبد المعز : أيوه ! ٠
جمال سالم : من مين ؟ ٠
محمد عبد المعز : من البيان الذى أصدره مكتب الارشاد ! ٠
جمال سالم : بخصوص ؟ ٠
محمد عبد المعز : بخصوص الاتفاقية ! ٠ كان تضليل !
جمال سالم : تضليل من مكتب الارشاد ؟ ٠
محمد عبد المعز : أيوه ! (٥٠٦) ٠

وقد اتهم اسماعيل عارف ، وكان حلقة الاتصال بين يوسف طلعت وابراهيم الطيب ، موقف الاخوان من الثورة بأنه « انحراف » ! ٠ فقد سأله جمال سالم مستنكرا عن الاضطهاد الذى تعرض له الاخوان من ثورة ٢٣ يوليو ؟ ٠ فرد قائلا :

ـــ لاشك أن الثورة فى الأول قابلت الاخوان أكرم مقابلة ٠
جمال سالم : وماذا كان رد الاخوان على هذه المقابلة الكريمة ؟
اسماعيل عارف : انحراف ! (٥٠٧) ٠

بل ان ابراهيم الطيب ، وهو رئيس مناطق القاهرة فى التنظيم السرى ، قد اعترف بخطورة الجهاز السرى « على الجماعة وعلى الوطن » ! ٠ فكما أوردنا فى الفصل السابق فان الدفاع سأله قائلا :

ـــ ما هو تقديرك لخطر الجهاز السرى بعد أن بان على النحو الذى لم تكن تعرفه قبل أن يبين ؟ .

وقد رد بأن اندفاع الافراد الى ارتكاب أعمال دون التزام بالخطط المتفق عليها من الرياسات ، يحدث « بلبلة واضطرابا » ٠

وقد أعاد الدفاع سؤاله بطريقة أكثر تحديدا :

ـــ الجهاز السرى ! ، هل بان لك أنه يحمل خطرا على الوطن ؟ ٠٠ فرد قائلا :

ـــ على هذا النحو يعتبر فيه خطر على الجماعة وعلى الوطن !

وقد كانت الصورة التى رسمها يوسف طلعت ، وهو رئيس الجهاز السرى ، وأشد من وقفوا أمام جمال سالم أثناء المحاكمة صلابة ـــ كما سنوضح فيما بعد ـ قاتمة للتنظيم السرى ٠ فقد اعترف بأنه كان يعيش على

---

٥٠٦ ـــ نفس المصدر : شهادة محمد عبد المعز ص ٣٧٩ ـــ ٣٨٠ ٠
٥٠٧ ـــ نفس المصدر : شهادة اسماعيل عارف ص ٤٠٥

رأس التنظيم « فى تهديد ورعب » ! وانه أراد أن « يرتفع بهذا الجهـــاز الى المعنى الانسانى الصحيح » ـــ الأمر الذى يوضح أن الجهـــاز لم يكن يرتفع الى هذا المعنى ، رغم أنه من المفروض فيه أنه جهاز اسلامى يعمل فى خـدمة الاسلام والمسلمين ! ٠

ولم يتخلف المرشد العام حسن الهضيبى عن ادانة النظـــام السرى قبل توليه الارشاد العام ، ووصفه بالانحراف ، « بعد ما ثبت » ـــ حسب قوله ـــ « أنه ارتكب جرائم قبل ذلك فى السنوات ١٩٤٦ و ١٩٤٧ و ١٩٤٨ ٠ وكل هذه الجرائم التى ارتكبت طبعا انحراف وخروج عن الغرض الأصلى » (٥٠٨) ٠ وعندما سأله جمال سالم :

« ايه رأيك فى الارهاب عامة ؟ » ، أجاب :

ـــ أنا لا أقر الارهاب كوسيلة لأى شيء ٠ وأنا قلت كـــدة ٠ قلت : أن الارهاب ضار بالجماعة ، وضار بالاسلام ، وضار بمصر ٠ وحذرت أكثر من مرة ، ونشرت هذا الرأى بين الاخوان ٠ وان كان الهضيبى قد دافع عن التنظيم الذى أقامه ٠

ما هو معنى التبرؤ من التنظيم السرى وانكار الارهاب ، رغم أن محاولة اغتيال عبد الناصر تدخل فى صميم الارهاب ؟ ٠ هـــل معناه جبن وخور فى العزيمة من جانب أعضاء التنظيم دفعهم الى التماس النجاة على حساب المبدأ الذى كرسوا حياتهم لاجله ، والجماعة التى انتموا اليها طواعية واختيارا ؟ ٠

فى الواقع أن الســـبب يرجع الى الافاقة على الخديعة الكبرى ، وهى الفرق بين الاهداف والمثل العليا التى التحقوا بالتنظيم السرى لتحقيقها ، وبين النتائج الهزيلة التى تمخض عنها التنظيم ، وهى المحاولة الفاشلة لقتل رئيس الحكومة ! ٠

فالشباب عامة ، يحب أن يموت مستشهدا فى ميـــدان القتـــال لتحرير الوطن أو اعلاء نصرة الدين ، وليس معلقا فى أعواد المشانق متهما بالاغتيال والارهاب ! ٠

وبمعنى آخر أنه يحب أن يموت منتميا الى جيش وليس الى عصـــابة سرية ! ٠

---

٥٠٨ ـــ محكمة الشعب : الجـــزء الرابع ، شهادة حسن الهضيبى ص ٧٨٩ ٠

وهذه الاهداف والمثل العليا هى الاسباب التى دفعت شـــباب التنظيم السرى الى الانضمام اليه · ففى طول محاكمة المتهمين وعرضها تســـمع من المتهمين ألفاظ الجهاد والتحرير قرينة للتنظيم السرى · ففى محـاكمة محمود عبد اللطيف يسأله المدعى :

— فهمت ايه الفكرة من النظام السرى ؟ ·

— الفكرة هى الجهاد فى سبيل الله ودراسة القرآن والسـيرة · ده كل اللى فهمته ! ·

— الغرض منه ايه ؟

— محاربة أعداء الاسلام وأعداء الدعوة ·

وفى موضع آخر يعطى محمود عبد اللطيف تصوره للجهـــاد ، فيقول : « الجهاد جربناه قبل كده فى كتائب الجـــامعة لما راحت القنال · كان الانجليز منزعجين من الكتائب » ! ·

ويتحدث محمد على نصيرى ، المرشح الثانى لاغتيال عبد الناصر ، عن الجهاد أيضا بصورة مجسدة ، فحين يسأله جمال سالم عن مهمة الجهـــاز السرى ، يرد قائلا :

— كنا بنتمرن على القتال وحرب العصابات ! (كانت حرب العصابات فى ذلك الوقت تطلق على ما يعرف حاليا بغارات الفدائيين) ·

جمال سالم : ايه الغرض ؟ ·

نصيرى : سيد عواد قال : الغرض تكوين حكومة اســـــلامية ، وطرد المستعمرين ، وعمل جيش ! ·

كذلك يتحدث على عبد الفتاح نويتو عن الجهاد ، فيروى أسباب التحاقه بالنظام الخاص بقوله :

— الدين يحضنا على الجهــاد فى سبيل اللــــه . وانا عشان مادخلتش الجيش ، جيت اشتركت فى الجيش الاسلامى عشان أحارب ! ·

ويروى اخوه حامد نويتو سبب انضمامه فيقول :

— كانوا بيقولوا : حتحتاجكم فى حرب فلسطين ، أو القنال ، أو خارج البلاد وبندربكم علشان تكونوا مستعدين ! ·

وحين يسأل جمال سالم اسماعيل محمود يوسف عن اســـباب التربية العسكرية ، يقول :

— للجهـــاد !

جمال سالم : جهاد ايه !

اسماعيل يوسف : فى القنال وفلسطين ·

ويردد أيضا محمود الحواتكى كلمة الجهاد ، حين يسأله جمال سالم عن الغرض من تشكيل النظام السرى · فيقول :

— الغرض من تشكيل هذا النظام السرى من قديم ، هـــو تمثيل فكرة الجهاد فى الجماعة · الجهاد فى فلسطين أو القنال أو غير ذلك من الأمور · وانا شخصيا كنت مشتركا فيه على أساس أنه يمثل فكرة الجهاد ·

كذلك يذكر صلاح الدين أبو الخير الجهاد ، فيقول « الغرض الأساسى » هو تكوين مجموعة مسلحة مؤمنة ، تدرب تدريب كويس ، علشان تخدم الاسلام وتدافع عنه فى أى وقت وفى أى مكان (٥٠٩) ·

وهكذا ، وكما اعترف بقية المتهمين ، كانت فكرة الجهاد والقتال والتحرير هى الدافع لكل شاب من أعضاء الجهاز السرى على دخـــوله · فلما وجدوا أنفسهم وراء القضبان بسبب محاولة اغتيال قام بها أحـــدهم تنفيذا لأوامر التنظيم ، وشعروا بأن الشنق مصيرهم ، انقلبوا على الجهاز السرى ، وتبرءوا منه جميعا ، لأنه لم يعد يمثل فى الوضـــع الجديد فكرة الجهـــاد ، وانما العنف الفردى · لقد أدرك أعضـــاء التنظيم السرى وقتها أن قتل فرد لا يقضى على نظام ! ، حتى لو قتل عبد الناصر ، فان خلفاءه سينكلون بهم . وهكذا ظهر افلاس التنظيم السرى الذى وهبوه حياتهم ·

لذلك لا نرى فى محاكمة أعضاء جماعة الاخوان المسلمين بطولات كتلك التى تميزت بها محاكمات الشيوعيين على يد نظام ثورة ٢٣ يوليو ! ·· فقبل أربعة أشهر فقط من محاكمة جماعة الاخوان المسلمين ، كانت الثورة تحـــاكم الشيوعيين امام المحكمة العسكرية العليا برئاسة اللواء الدجوى ، فيما عرف باسم « قضية الجبهة الوطنية الديموقراطية » ، وذلك بتهمة الاتفـــاق الجنائى على قلب نظام الحكم ، والقضاء على طبقة الملاك ، وسيادة الطبقة العاملة ! · وقد جرت المحاكمة يومى ٣ و ٤ يوليو ١٩٥٤ · ولكن الشـــيوعيين هم الذين حاكموا الدجوى ! · فقد اتخذوا قرارا بما عرف باسم « الدفاع السياسى » ، وفيه يدافع المتهم عن تهمته ولا يدفعها ! ، حتى ولو لم يكن هناك شىء ضـــده يثبت ادانته ! ، وكانوا يصيحون فى وجه الدجوى : اصدر أحكامك يا خائن ! حتى اضطر الى محاكمتهم فرادى ، فكانت أول قضية فيها اتفـــاق جنائى ، ويحاكم فيها المتهمون فرادى ! (٥١٠) ·

---

٥٠٩ — أنظر هذه الشهادات فى الجزء الاول والثانى من محكمة الشعب

٥١٠ — انظر عبد العظيم رمضان : المرجع المذكور ·

لم يكن الفرق بين الشيوعيين واعضـــاء التنظيم السرى للاخـــوان المسلمين فرقا فى الشجاعة والفداء ، وانما فى الاقتناع والايمـــان ٠ لقد كان الشيوعيون مقتنعين ومؤمنين بالقضية التى حوكموا لاجلها ، أما أفراد الجهاز السرى فلم يكونوا مقتنعين ولا مؤمنين بالقضية التى يحاكمون لاجلها ، وهى محاولة اغتيال عبد الناصر ! ، ولم يكونوا مستعدين للموت من أجل هـــذا الهدف الهزيل ، ومن هنا كان الانهيـــار ! .

ولكن القليل منهم فهم مسرحية المحكمة ، وادرك مصيره مســبقا ، وهو الشنق ، فواجه جمال سالم بالسخرية والاستهزاء كما فعل يوســف طلعت ، أو بالتصميم والثبات كمـــا فعل ابراهيم الطيب ، أو بقـلة الاكتراث والردود المنطقيـــة الجريئة التىكانت تعقد لسان جمال سالم ، كما فعل الهضيبى . فكانت هذه المواقف مما اضاء محاكمات الاخوان ٠

٤ ـ المواجهة بين جمال سالم وقيادة التنظيم السري

لم يكن يوسف طلعت ، رئيس التنظيم السرى للاخـــوان المسلمين ، من المثقفين الذين تكونت منهم قيادات هذا التنظيم ، وانما كان تاجر حبـــوب بسيطا لا يتجاوز الـــ ٤٣ عاما من عمره ، وكان يعمل نجارا قبل أن يعمل تاجرا . ومن ثم فقد كان ذا حظ بسيط من التعليم . وكان يمثل «ابن البلد» المصرى ، بكل ما فيه من بساطة وجراة وشهامة ومكر عند اللزوم !

وقد استغل هذه الصفات فى مواجهة جمال ســـالم . فلم يكن يخاطبه باهتياب وخشية كما كان يفعل الآخرون ، وانما كان يخاطبه مخاطبة الند للند ، ويرفع التكلف بينه وبينه كما لو كانا فى الحياة العادية ، وليسا فى محكمة يقف فيها متهما أمام جمال سالم الذى يجلس على منصة القضاء ! . ولهذا السبب لم ينل جمال سالم الفرصة ليخضعه لما أخضع له الآخرين من اهانات وسباب ، اذ كانت سرعة بديهة يوسف طلعت تفسد هذه المحاولات أولا بأول . وفيما يبدو أن جمال سالم نفسه كان يعرف طبيعة يوسف طلعت ، وتعجبه فيه شخصيته ، لانه كان يتبادل معه النكات لا الشتائم ! ، ويعطيه قدرا أكبر من الاحترام ! .

وقد أدى يوسف طلعت شهادته جالسا بحجة أنه متعب . وكان قد ألقى السلام على المحكمة والشاهدين عند دخوله ، فرد عليه جمال سالم بســـخرية قـــــائلا :

ـــ عليكم السلام ورحمة الله « سى يوسف » ! .

مما أضحك الحاضرين !

وبدأ التراشق بعد فترة قصيرة ، فحين أخذ يوسف طلعت يتعرض لدور عبد المنعم عبد الرءوف ، قاطعه جمـــــال سالم قـــائلا : « غرقكم عبد المنعم عبد الرءوف ! » ، فرد عليه يوسف طلعت بدون مبالاة قائلا :

ـــ غرقنى والا ماغرقنيش ، أهو ده اللى حصل ! .

وعندما كان يوسف طلعت يتحدث عن قطع التسليح التى تتســـلح بها الفصيلة ، وضعها فى صورة تقريبية قائلا :

ـــ ما أعرفش : مجمـــوعة برن ، وثلاثة بنادق ، واستن ـــ حاجة زى كـــــده ! .

فرد عليه جمال سالم ساخرا :

ـــ حاجة تفرح بها العيال ! (ضحك) .

فطلب يوسف طلعت سماع هذا التعليق من جمال ســـالم ثانية لانه لم يسمعه ، قائلا :

ـــ والله عاوز أسمع الكلمة دى لو سمحت ! .

فرد جمال سالم ساخرا أيضا :

ـــ أقولها لك بعدين ! .

فاعتبر يوسف طلعت هذا الكلام وعدا من جمال سالم ، وخاطبه قائلا :

ـــ خلاص ، انت قلت حا أقولها لك !

ومن الطريف انه ظل يلاحق جمال سالم على طول المحاكمة لكى يفى بهذا الوعد ! ٠

وكان جمال سالم — على غير العادة — يسايره ويعده خيرا ! ففى احدى المرات طلب من جمال سالم أن « يطول باله عليه » ! ٠ فرد عليه جمال سالم قائلا : حاضر ، طلبك مستجاب . واذا بيوسف طلعت يذكره بوعده قائلا :

— بس لسه الكلمة ماقلتهاليش ! ٠ أنا فاكرها ٠ ولازم تقولها لى ! ٠

فرد عليه جمال سالم مسايرا :

— بعد الجلسة ! ٠

بل فى نهاية شهادة يوسف طلعت عاد يذكر جمال سالم بكلمته ! ٠٠ فحين طلب اليه الأخير الانصراف قائلا : « مع السلامة » ، قال له يوسف طلعت مازحا :

— فين الكلمة اللى قلت انك رايح تقولها لى ؟

جمال سالم : حاقولها لك بره ! ٠

يوسف طلعت ساخرا : والله ؟!

وقد كان يوسف طلعت فى أحد المواضع يشرح خطة الهجوم على مجلس الوزراء ، التى أعدها عبد المنعم عبد الرءوف ، وقال انه طلب اعداد « ملابس علشان التضليل » أى التمويه ، فعلق جمال سالم على هذه العبارة قائلا :

— طبعا حكاية التضليل انتم شطار فيها قوى !

فضحك يوسف طلعت ! ٠

وقد دأب يوسف طلعت على مخاطبة جمال سالم كما يتخاطب الاصدقاء فى اللقاءات الودية ٠ فقد كان يتحدث عن فكرة المظاهرة التى وافق عليها الهضيبى ، فسأله جمال سالم عن صاحب فكرة حراسة التنظيم السرى لهذه المظاهرة ، وهل كان الهضيبى أم يوسف طلعت ، وكان السؤال :

— والحراسة دى من عندك ؟ (أى نابعة من فكرك) ٠

فرد يوسف طلعت بالأيجاب قائلا :

— الشهادة لله ياشيخ ، دى بينى وبين عبد المنعم (عبد الرءوف) ٠

جمال سالم : يعنى من عندياتكم ؟ ٠

يوسف طلعت : آه ٠

جمال سالم : المرشد مالهوش دعوى بها ؟

يوسف طلعت : بالضبط !

ولم يكن يوسف طلعت يتردد فى السخرية من بعض أسئلة جمال سالم ٠ فحين اعترف بأنه أعطى الحزام الناسف لابراهيم الطيب ، سأله جمال سالم :

— يعنى فكرة الاغتيال موجودة ؟
فرد عليه يوسف ساخرا :
— ولما أعطيله جزام حيكون ايه الا فكرة من أفكار الاغتيال ؟

وقد تعرض يوسف طلعت فى احدى المرات لخطر انقلاب جمال سالم عليه ، حين أقسم « بحياة شرف » جمال سالم على صحة ما فهمه من تعليمات الهضيبى باصلاح النظام السرى . فقد ثار جمال سالم قائلا مهددا:
— مالكش دعوى بشرفى ! أنا أكره اللى يقول لى كده ! . تحب أكرهك ؟
يوسف طلعت مستدركا :
— لا ، أبدا ! .

وهذه العبارة من جمال سالم ، بتلقائيته المعروفة ، تفيد أنه لم يكن يكره بالفعل يوسف طلعت ، رغم أن واجبه كان يقتضيه الحكم باعدامه باعتباره رأس التنظيم السرى . بل لقد أعرب جمال سالم فعلا فى أثناء المحاكمة عن مشاعره تجاه يوسف طلعت ، وبادله الأخير المشاعر ! .. وكانت المناسبة حين طلب يوسف طلعت من جمال سالم أن يكون صبورا معه قائلا :
— والنبى طول بالك على شوية ! .
جمال سالم دهشا :
— أنا ؟ . أكثر من كده ؟
يوسف طلعت : عايز أقول ايه ؟ ..
جمال سالم مقاطعا ولائما :
— عشان خاطر كنت حتقتلنى !
يوسف طلعت : خلى أخلاقك وقلبك أحسن منتا ! . .
جمال سالم : والله مابكرهكش ! .
يوسف طلعت : تعرف ليه انك مابتكرهنيش ؟ . علشان أنا مابكرهكش ! تعرف انه لو كان فى قلبى ذرة قد كده كراهية لك ، تبقى أنت كمان مش حتتصور وشى ! . وانت تؤدى واجبك .
وهكذا كان الاثنان يتبادلان العواطف ! .

وقد دارت مناقشة طريفة بين يوسف طلعت وجمال سالم ، حين وصفه الأخير بأنه « قائد » الجهاز السرى . فقد رد عليه يوسف طلعت ساخرا :
— قائد ازاى ؟ . يظهر انك بتكبرنى علشان تحط .. (والمحاضر لا تورد تكملة الجملة ، وان كانت تكملتها الطبيعية وفقا للهجة المصرية : « تحط راسى فى الخية » ، أى تضع رأسى فى حلقة حبل المشنقة !) . ثم استدار يوسف طلعت الى الجمهور مستكملا كلامه :
— الجماعة دول بيكبروا فينا ، علشان يقطعوا رقبة واحد كبير ؟ ،

الحكاية كلها واحد : مش روح ؟ . انما تكبر فى وتقــول : قائد .. مش قائد ! .

المدعى : مش رئيس انت ؟

يوسف طلعت بلهجة أولاد البلد :

ـــ يا شيخ الله يكرمك ! (ضحك) (٥١١) .

وهكذا كان يوسف طلعت يواجه المحاكمة باستخفاف وشجاعة نادرة .. لقد تساوت فى نظره قضية الحياة والموت ، وهو ما عبر عنه ببساطة شــديدة فى عبارته السالفة : « الحكاية كلها واحد : مش روح ؟ » . ومن ســوء حظ الاخوان أن شهادته أمام المحكمة جاءت متأخرة ، والا ألهم بقية أعضاء التنظيم السرى ، من المثقفين ! الشجاعة التى خذلت الكثيرين ! .

ومن الغريب ، مع ذلك أن يوســف طلعت كان يخلو من تلك النزعة الى سفك الدماء ، والتى كانت تميز سلفه عبد الرحمن السندى الذى قاد العمليات الارهابية خارج الجماعة وداخلها حتى مقتل المهندس سيد فايز ! . فحين قبض عليه ، كان يقيم فى بيت هو ترسانة مسلحة ، ومع ذلك ، لم يشأ اراقة الدماء . وسلم نفسه ! . وقد ذكر المحكمة بهذا الموقف أثناء دفاعه عن نفسه قائلا :

ـــ لو كنت صـــــحيح بتاع دم ، أنا قبض على فى بيت فيه « استنات وقنابل » . وكنت عارف مصيرى شكله ايه ، وكان فى ايدى ســـلاح ، ولكن ضميرى وقلبى لم يسمحا لى بأن استعمل شىء من هذا ! .

وقد كشف أمام المحكمة أنه سلم الحزام الناسف الى ابراهيم الطيب غير مستكمل التجهيز ، حتى لا ينفجر ! قائلا :

ـــ الحزام يا فندم ويا حضرات القضـــاة الى الآن ناقص ! ، وماحدش عارف ايه اللى ناقص فيه ! . وأنا ســـلمته ناقص ، ومش حاقول ناقص ايه لحسن واحد ابن حرام يستعمله ! . واذا كنتم عاوزين أقول ؟ أقــول ايه اللى ناقص ! » (٥١٢) .

---

٥١١ ـــ محكمة الشعب : الجزء السادس ، شـــــهادة يوسف طلعت ١٢٩٨ ـــ ١٣٦١ .

٥١٢ ـــ محكمة الشعب : الجزء السابع ، مرافعة يوســـف طلعت عن نفسه ١٤٧٨ ـــ ١٤٨٨ .

وكان يوسف طلعت هو الذى صنع الحزام كما ذكرنا .

واذا كان هذا صحيحا ، فانه يكون دليـلا على التردد الداخلى فى نفس يوسف طلعت بازاء اغتيال عبد الناصر . وهو تردد عبر عنه فى أثناء المحاكمة قـــــائلا :

ـــ والله انا كنت باسال ربنا انه يبوظ كل حاجة ! .

وقد رد عليه جمال سالم قائلا :

ـــ الحمد لله ربنا استجاب لدعوتك ، وبوظ كل حاجة ! .

وقد عبر عنها فى موضع آخر قائلا :

ـــ انا كنت باشتغل وضميرى مش راضى ! . وعلشان كده كان كل حاجة يقولوها أو يدبروها استخير الله فيها ، فان كانت لله تمشى ، وان ماكنتش لله ربنا يطبقها علينا ! والحته دى أخذتها من الاستاذ البنا !

على أنه من الواضح أن هذا التردد من جانب يوســف طلعت لم يكن له قيمة أو تاثير فى سير الاحداث . فاذا كان قد اخفى عن ابراهيم الطيب ان الحزام الناسف كان غير تام الصنع ، فان اعطاءه له قد فهم مــن جانب ابراهيم الطيب على انه تنفيذ خطة « الاغتيال أولا » ، وهـــو ما يعترف يوسف طلعت نفسه بانه فهم طبيعى من جانب ابراهيم الطيب لواقعــة تسليم الحزام . فقد ذكرنا أنه حين ساله جمال سالم عما اذا كان اعطاء الحزام يعنى أن فكرة الاغتيال موجودة ، رد قائلا :

ـــ أيوه ، أنا لا انكر . ولما أعطى له حزام ، حيــكون ايه الا فكرة من افكار الاغتيال ؟! .

وعلى هذا النحو لم يكن لتردد يوسف طلعت فى ارتكاب الحادث اى تاثير فى منعه أو اعاقة تنفيذه ، اذ كان يعتمد على استخارته لله ! ، وعلى انه اذا كان هذا العمل لله فسينجح ، واذا لم يكن لله فسيفشل ويتقوض كل شئ ـــ أو على حسب تعبير يوسف طلعت : « ان ماكنتش لله ربنــا يطبقها علينا » (٥١٣) .

فأى استخارة تاريخية من جانب رئيس أخطر جهاز سرى شهدته مصر فى تاريخها الحديث والمعاصر ، فى قضية يتوقف عليها حياة جماعة الاخــــوان المسلمين أو دمارها ! . بل أى مقامرة ترتدى ثوب الدين

---

٥١٣ ـــ نفس المصدر .

على كل حال ، اذا كانت محاكمة يوسف طلعت تمثل الشجاعة والاستهانة بالموت ، فان النقيض منها يتمثل فى محاكمة محمد خميس حميدة ، وكيل جماعة الاخوان المسلمين ٠

ومن المحقق أن القسوة والازدراء اللذين عامل بهما جمال سالم محمد خميس حميدة ، فضلا عما يكون قد حدث من ايذاء وتعذيب للرجل ، قد اسهم فى صنع الموقف الاستسلامى الذى وقفه طوال المحاكمة ، والذى لم يكن يليق بمن يشغل مركزه القيادى فى اخطر جماعة منظمة شهدها تاريخ مصر المعاصر !

فقد اعترف الرجل اعترافات مفصلة وبدون تحفظ ، وسلم بما كان يدفعه اليه جمال سالم دفعا من ادانة لأعمال الاخوان ، وكان كل استخذاء من جانبه يفتح شهية جمال سالم لمزيد من الضغط والقسوة فى معاملته ، مما كان يؤدى بدوره الى مزيد من الاستخذاء ٠ فكانت حلقة خبيثة ظللت محاكمات الاخوان بظلال سوداء ! ٠

فحين أراد محمد خميس حميدة الاشارة الى زيارة جمال عبد الناصر لبيت الهضيبى فى أزمة مارس ١٩٥٤ ، بعد اتفاق السجن الحربى الذى كسب به عبد الناصر تأييد الاخوان فى صراعه مع محمد نجيب — صاغ هذه الاشارة على أن زيارة عبد الناصر كانت « زيارة كريمة قام بها الرئيس جمال مع سيادة وزير الأرشاد القومى فى منزل المرشد ، أحب أن أسجلها حيث اننا نروى للتاريخ » ! ٠

على أن وصف هذه الزيارة بأنها « زيارة كريمة » دفع جمال سالم الى السخرية من الرجل ، فقاطعه قائلا :

— اذا كنت حتبتدى فى القصص دى ، نبدأ من الاول ، من أول القصة ! ٠

محمد خميس حميدة : طيب ! ٠
جمال سالم : مش بس تقولوا « ويل للمصلين » ؟
محمد خميس حميدة : حاضر !
جمال سالم : وانت راجل كنت حمامة السلام ؟ ٠
محمد خميس حميدة : أيوه !
جمال سالم : والا كنت حمامة الأيك ؟ ٠
محمد خميس حميدة : حاضر ! ٠
جمال سالم : ابتدى القصة من الألف ٠٠ الكلام المضبوط يمشى مسلسل ٠

تقدر تقرأ الفاتحة بالعكس ؟ ٠
محمد خميس حميدة : لا !
جمال سالم : طيب اقرأ لنا من أول بسم‌الله الرحمن الرحيم ! (٥١٤) ٠

وقد ثار جمال سالم على محمد خميس حميدة لأنه خاطبه بلفظ « أستاذ » ناسيا وضعه العسكرى ، فقد رد عليه قائلا :

— أنا مش أستاذ ! خليك مؤدب !
حميدة : أنا متأسف ، أنا آسف جدا ! (٥١٥) ٠

وقد أدان محمد خميس حميدة تسليح النظام الخاص عندما سأله جمال سالم عما اذا كان هذا التسليح يتفق مع العلنية ، فقال :

— غلط يا أفندم !

فرد عليه جمال سالم : أنا مش عايزك تقول غلط أو صح ! ٠ احنا قاعدين هنا نقول غلط أو صح ؟ ٠ الجهاز اللى تكونه وتسلحه بأسلحة مهربة يبقى جهاز سرى أو علنى ، أو سرى علنى ؟ ٠
محمد خميس حميدة : سرى ! (٥١٦) ٠

وقد دفعه جمال سالم الى الاعتراف بخطئه وخطأ اللجنة التى ألفها الهضيبى لحل مشكلة وجود عبد الرحمن السندى على رأس الجهاز السرى ، لأنها لم تضع تفاصيل للنظام الجديد الذى أقامته ، فسأله قائلا :

— أليس هذا خطأ ؟ ٠
حميدة : خطأ !
جمال سالم : كرر بصوت عالى !
حميدة : خطأ يا أفندم !
جمال سالم : من مين ؟
حميدة : منى ومن اللجنة !
جمال سالم : وما تأثير هذا الخطأ ، وما انعكاساته على جماعة الاخوان المسلمين ، باعتبارك رجل مسئول فى الجماعة ؟

---

٥١٤ — محكمة الشعب : الجزء الثالث ، شهادة محمد خميس حميدة ص ٥٦٧ ٠

٥١٥ — نفس المصدر ٢٧٠ ٠

٥١٦ — نفس المصدر ص ٥٧٢ ٠

حميدة : الخطأ اللى احنا فيه أساء الى الجماعة !

وهكذا كان محمد خميس حميـــــدة يدخل عنقه شيئا فشـــيئا فى حبل المشنقة ! ٠

وقد اعتبر حميدة الاعتداء على جمال عبد الناصر عملا اجراميا يحـــول جماعة الاخوان المسلمين الى جماعة اجرامية ! ، أو على حد قوله : « أن يقوم فرد من جماعة الاخوان باغتيال الرئيس جمال فى وقت ٠٠ مش قادر أتصـــور أقول ايه ؟ ٠٠ يكفى هذا ! نقول ايه : أن يصبح الاخوان المسلمون اجراميين ؟

جمال سالم : يفهم من كده أن جماعة الاخوان المسلمين غلط ؟ ٠

حميدة : الى أبعد حدود الغلط ! ٠

وقد دفع جمال سالم محمد خميس حميدة الى الاعتراف بخطأ قيادة الاخوان المسلمين لأنها لم تلجـــــأ الى الحكومة لحل التنظيم السرى عندما استعصى عليها تحت رياسة السندى ٠ فقد رد قائلا :

ـــ ما اتصرفناش هذا التصرف ٠ وأحب أقول لسيادة الرئيس انها سلسلة أخطاء ! ٠

جمال سالم : زعق شوية ! انت كان صوتك مجلجل فى الأول ! ٠

حميدة : سلسلة أخطاء كانت متتابعة ٠٠ كانت أخطاء منى ومن غيرى !

جمال سالم : لماذا لم تشركوا الحكومة كوصية عليكم ؟

حميدة : أخطأنا لأننا لم نفعل ذلك ! (٥١٧) ٠

ولعله من المفيد هنا أن نضع أمام القارىء صـــــورة مقابلة لرد يوسف طلعت عندما سأله جمال سالم هذا السؤال . فقد كان سؤاله على النحو الآتى :

ـــ لماذا لم تذهب الى الحكومة ياقصير الباع ! يا قصير الذيل !

فرد عليه يوسف طلعت قائلا :

ـــ الحكومة ماتقدرش تحله !

جمال سالم فى دهشة : ماتقدرش تحله ؟ ٠

يوسف طلعت مصرا : آه ! ٠

---

٥١٧ ـــ نفس المصدر : انظر أيضا الجزء الخامس ٠

٥١٨ ـــ محكمة الشعب : الجزء السادس ، شـــــهاده يوسف طلعت ص ١٣٢٣ ـــ ١٣٣٤ ٠

جمال سالم ثائرا : احنا حلينا سلسلة وسط أبوه ! . احنا مش نحله هو ، مش بس هو ! (٥١٨) .

وكان جمال سالم يستفيد من اعترافات محمد خميس حميده المتوالية بالخطأ ، فى تشويه صورة الاخوان أمام الجماهير ، ولهذا السبب كان يبتز منه هذه الاعترافات بالخطأ لأشياء تافهة ! • فقد سأله لماذا لم يسأل عن سبب دعوته لحضور اجتماع مع عبد الناصر عند منير الدلة أثناء المفاوضات مع الانجليز — مع أن هذه مسألة شخصية لا تأثير لها فى المحاكمة • وقد أجاب محمد خميس حميدة :

— ماسألتش فيها أبدا ، وحياة المصحف ، وشرفى ماسألت ! •
جمال سالم : هل انك ماتسألش ، يبقى صح والا غلط؟
حميدة : غلط ! •

جمال سالم مخاطبا الجمهور : يعنى يا اخوانا يا مواطنين كل حاجة غلط فى غلط فى غلط فى غلط ! •• الف مبروك عليكم حكم الاخوان ! •

على ان استمرار محمد خميس حميدة فى التسليم اللانهائى بالخطأ قد أدى به الى تحميل الجماعة مسئوليات خطيرة • فقد سأله جمال سالم عن نتائج مطالبة الاخوان للثورة بالديموقراطية ، بينما الديموقراطية مفتقده فى نظام الاخوان ! • فرد قائلا :

— غلط وغير اسلامى ! •
جمال سالم : وتعتقد أن السكة دى توصل لفين ؟ •
محمد خميس حميدة : توصل الى اضطراب وفتنة ! •
جمال سالم (طالبا المزيد) : والى ؟ .
حميدة : فوضى !
جمال سالم : والى ؟ •
حميدة : حرب أهلية ! •
جمال سالم : والحرب الاهلية توصل البلاد الى ايه ؟ •
حميدة : دمار !
جمال سالم : والاسلام أمر بالدمار ؟ •
حميدة : لا يا أفندم •• هذا يخالف الدين الاسلامى ويخالف السياسة الاسلامية ! •
جمال سالم مستزيدا : ويخالف المبادىء الاسلامية ؟
حميدة : طبعا يخالف المبادىء الاسلامية !

بل ان محمد خميس حميدة حكم على موقف الاخوان المعارض للمعاهدة بالخطأ • فقد تعرض باشارة سريعة لخطبة حسن دوح فى جامع الروضة بعد عودة المرشد من سوريا ، فسأله جمال سالم :

— قال ايه فى الخطبة ؟

حميدة : عارض الاتفــاقية على المنبر ، وتناول فى الخطبة كلام لتجريح المعاهدة وتجريح للحريات ؟

جمال سالم : بحق ؟

حميدة : لا ! ما كان بحق ! (٥١٩) •

وقد كان تنازل محمد خميس حميدة فى مسألتى الديموقراطية والمعـاهدة من أسوأ تنازلاته •

على انه اذا كان محمد خميس حميدة قد وقف هذا الموقف المتخاذل ، تحت ظروف القهر والتسلط والتعذيب — فان الهضيبى وقف موقفا شجاعا ، وكانت اجاباته جريئة ومفحمة فى كثير من الاحيان ، ولم يقدم فيها تنازلات •

فقد انكر سرية التنظيم المطلقة ، ووصفه بأنه « نظـــام فيه بعض السرية وبعض العلنية » ! وقال ان يوسف طلعت كان معروفا أنه رئيس النظام ! •

المدعى : كان معروف لمين ؟

الهضيبى : الناس كلها !

بل أنه دافع بجرأة عن تسليح النظام الخاص ! • فقد سأله المدعى كيف يتأتى تدريب الافراد فى النظام على اطلاق النار ، بدون أسلحة ؟ • فرد قائلا :

— يتأتى بشيئين : اعداد الأسلحة للجماعة ، أو أن كل فرد يحـاول أن يحضر السلاح بنفسه ! •

المدعى : هل ده عمل قانونى ؟

الهضيبى : لا مش قانونى • ولكن البلد مليانة أسلحة ! ، واللى يقـدر يتعلم بالطريقة دى يتعلم ، واذا ضبط يبقى مرتكب جريمة احراز أسلحة!.

المدعى : ازاى تسمح لنفسك بعمل مخالف للقانون ؟ •

الهضيبى فى اجابة مفحمة : فى أول الثورة ، ثلاثة من الاخوان المسلمين كانوا بيتدربوا على المتفجرات فى صحراء المعادى • فقبض عليهم البوليس •• وبعدين الجيش نفسه (يقصد الثورة كما كانت تسـمى فى ذلك الحين) قال : دول بيشتغلوا بعلم الجيش ولمصلحته • فأقر المسألة ؟ •

---

٥١٩ — محكمة الشعب : الجزء الثالث والخامس ، شــهادة محمد خميس حميده

وهكذا استند الهضيبى بمهارة الى اقرار الثورة لوجود التنظيم السرى عند قيامها ، وتشجيعها له ، حين كانت متحالفة مع الاخـــوان ضـــد الوفد والشيوعيين ! ٠

وبناء على ذلك دافع الهضيبى عن بقاء التنظيم السرى ، واعتبر وجوده امرا عاديا لا خطر منه ولا يشكل مخالفة قانونية ! . فقد سأله المدعى ٠

ـــ ما السبب فى وجود هذا النظام بعد قيام الثورة ؟

الهضيبى . النظام الخاص ، بالصورة التى شرحتها ، مفيش خوف منه ، مفيش ضرر منه ٠ وقد وجد بعد الثورة لانه كان هناك انجليز فى البلد ! ٠ ومن جهة أخرى احنا بنقول : الوطن الاسلامى : يصح نروح فى القنال ، فى اسرائيل فى أى حتة ثانية ٠ فالترتيب الى عملناه هو لســـد الفراغ ! ٠ ولقد قلت ان ثلاثة من النظام وجدوا بعد الثورة يتدربون على المتفجرات ، وأفرج عنهم !

المدعى : ايه السبب فى وجوده بعد الثورة وبعد أن انشئت معســـكرات التدريب والحرس الوطنى ؟ ٠

الهضيبى : فى نظرنا وجوده مايضرش ! ٠

جمال سالم متدخلا : مخالفين بذلك القانون الذى حكمت به طيـــلة مدة وجودك فى القضاء ؟ ٠

الهضيبى بجرأة : لا ، مش مخالفين !

وقد سأله المدعى : كيف تضمن أن النظام الخاص لا يرتكب جرائم ؟ ٠

الهضيبى : قاعد ثلاث سنين من وقت ماجيت مرشد فى ١٩ أكتوبر ١٩٥١ لحد أكتوبر سنة ١٩٥٤ لم يحصل أى جريمة !

المدعى : ايه مسئولية محمود عبد اللطيف عن الحادث ؟

الهضيبى : أيش عرفنى ؟ ٠

ثم أنكر الهضيبى أن اختفاءه كان لتدبير الحادثة قائلا : « الحادث كان يمكن ان يدبر وأنا قاعد فى المركز العام ، فى أى وقت من الاوقات ، لو سـمح لى ضميرى بهذا ! ٠

بل لقد حاول الهضيبى تفنيد أن مسألة يمين الطاعة الذى يحلفه الاخوان للمرشد ، تدخل فى الناحية الدكتاتورية فى تنظيم الاخـــوان ، بحجة أن « كل الاخوان بيحلفوا يمين الطاعة : السمع والطاعة للمرشد . وهذا مفهوم انه فى غير معصية ، لأن الاسلام لا يجيز أن يستمع انسان لآخر فى معصية !.

على أن جمال سالم حاصره فى هذه النقطة قائلا :

انا لا اتكلم عن معصية . السياسة التنفيذية مش شرط أن تساوى

سمصية يمكن ان تكون سياسة بناء ، ويمكن ان تكون سياسة هدم ه هل يمكن لأى جهاز او قسم لجماعة الاخوان المسلمين ان يقـــوم بسياسة تنفيذية ، او ينفذ سياسة بدون موافقة المرشد ؟

الهضيبى : لا يجوز ! • (٥٢٠) •

على ان قمة المواجهة بين الهضيبى وجمال سالم كانت حول حرية التعبير عن طريق المظاهرات ، وتحديد المسئولية عن الاشـــتباكات التى تحدث بين الجماهير وقوات الحكومة فى حالة قيام هذه المظـــاهرات ! •• فقد ابدى الهضيبى رأيه بصراحة — كما ذكرنا — بأن تعرض الحكومة للمظاهرات هو الذى يودى الى عدم استتباب الامن ، بينما اعتبر جمال ســـالم خروج هذه المظاهرات اخلالا بالامن •• لقد اتخذ كل من الحليفين السابقين الموقف الذى يمليه عليه وضعه من السلطة • فقد انحازت جماعة الاخوان الى الجمـاهير ، بينما انحازت الثورة الى قوات الحكومة ! •

---

٥٢٠ — محكمة الشعب : الجزء الرابع ، شهادة حسن الهضيبى

٥ ـ القضايا الفكرية التى طرحتها المحاكمة

كان من الطبيعى بالنسبة لقضية سياسية كبيرة كهذه القضـــية التى تحاكم فيها جماعة الاخوان المسلمين بأسرها ـ أن تتفجر فيها كثير من القضايا الهامة ، التى تشـــغل بال المجتمع المصرى الحديث الى يومنا هذا ، مثل : الحكومة الاسلامية ، وتطبيق الشريعة الاسلامية ، وعلاقة مصر بالقضية الفلسطينية ، والديموقراطية ، ومشروعية قتل المسلم · وقد ألقيت فيها آراء هامة تشرح وجهة نظر المتهمين ، على جميع مستوياتهم التنظيمية فى النظام الخاص أو فى القيادة الســـياسية ، كما تشرح وجهة نظر المحكمة والدفاع · الامر الذى يستوجب تناولها بالتحليل ·

وبالنسبة للقضية الاولى ، وهى الحكومة الاسلامية ، فقد ردد المتهمون أمام المحكمة أن هدفهم الاســمى هو اقامة الحكومة الاســـلامية ، وقد دارت مناقشة هامة فى هذا الشأن مع هنداوى دوير ، عن كيفية اقامة هذه الحكومة ، ومدى استعداد المجتمع المصرى لتقبلها ، ومدى استعداد الاخوان المســـلمين انفسهم لاقامة مثل هذه الحكومة ، وما هو الشكل القانونى لهذه الحكومة ·

وقد اتضح من المناقشة أن الاخوان المسلمين لم يقدموا اجتهادات فكرية فى هذا الشأن ، بل ولم يعنوا انفسهم بتقديم هذه الاجتهادات . فقد سأل المدعى هنداوى دوير :

ـ هل الجماعة من أهدافها الحكم بالاسلام ؟ ·

هنداوى دوير : هدفها الوحيد الحكم بالاسلام !

المدعى : الم تضعوا أبحاثا عن كيفية الحكم بالاسلام ، زى الدستور والقانون ·· الخ ؟

فأجاب هنداوى دوير بالنفى ·

فسأله المدعى :

ـ الحكم ازاى يكون ؟

هنداوى دوير مستفسرا : يعنى شكل الدولة ؟ ·

المدعى : شكل الدولة وقوانينها . هذه المسائل الم يعمل لها أبحاث؟ .

فأجاب هنداوى : اتعمل لها أبحاث ، ولكن فى شكل فردى ·

ثم عاد هنداوى سريعـــا فصـــحح اجابته منكرا وجود هذه الابحاث ، قائلا :

ـ شكل الدولة ، وكونه يبقى جمهورى أو ملكى ، أو حكم على أى صورة من الصور المعروفة ، لا . ما اتعملش شىء فى هذا الصدد . وانما الشكل كان يتحدد فى صورة اسلامية تختلف عن الديموقراطية وعن الدكتاتورية وعن الشيوعية ! ٠

المدعى : يعنى مانيش تحديد ، ولا نص مضبوط ؟ .

فأجاب هنداوى دوير بالنفى ٠

وقد اتضح ان السبب فى عدم عناية الاخوان المسلمين بتقديم اجتهادات فكرية بخصوص الحكومة الاسلامية وكيفية الحكم بالاسلام ، يرجع الى الاعتماد على أن « المكتبة الاسلامية مليئة » فى هذا الصدد ! ٠

ففى اجابة هنداوى دوير على المدعى فى هذا الشأن قال :

ـ أيام الاستاذ البنا ، طلبت منه أن يكتب فى هذا ٠ فقال لى ٠٠ أذكر بالضبط انه قال لى : احنا شبعنا كتب وكتابات ، والمكتبة الاسلامية مليانة ! .

وكانت فكرة الشيخ حسن البنا فى عدم الدخول فى الميدان النظرى ، هى الخوف من أن الدخول فى هذا الميدان قد « يستهلك » الاخوان فى التفاصيل الفرعية ، ويفرق وحدتهم الفكرية حول المبادىء الاساسية للاسلام ٠ وقد كشف هنداوى دوير عن هذا التفكير بقوله :

ـ قلت للاستاذ البنا : احنا عاوزينك تفضى شوية (تتفرغ) وتكتبلنا ايه اللى يطبقه الاخوان ! ٠ وأذكر انه قال فى مناسبة ما : ان الناس يجتمعون على مبادىء ، لا على تفاصيل ٠ لاننا اذا دخلنا فى التفاصيل ، فسنختلف ونتفرع ، ولا ننتهى الى خير كثير . احنا ماشيين على مبادىء اسلامية ، ولو تعرضنا للتفاصيل ، فيمكن ييجى فقيه ويختلف معنا ، وجايز نستهلك فى مسائل فرعية ٠

لهذا السبب كان البنا يرى ان مهمة الجماعة ليست تأليف كتب ، وانما تكوين أفراد ! ٠ ففى حديث له مع هنداوى دوير فى هذا الشأن ، رواه فى المحكمة ، قال : « ان مهمتنا مش اننا نعمل كتب ، بل مهمتنا أن نعمل رجالة ! » ٠

وقد علق هنداوى دوير على هذا القول من جانب الشـــيخ حسن البنا قائلا : « معنى هذا أن مهمته أن يربى الامة تربية اسلامية ، تنتهى بأن تطبق ما هو موجود فى المكتبة الاسلامية » ! ٠

وقد سأله جمال سالم :

ـ ما هى التربية الاسلامية ؟

فأجاب قائلا : اعداد الفـــرد المســـلم من حيث تطبيق الواجب عليـــه نحو الله ٠

جمال سالم : ازاى ؟ ٠

هنداوى دوير : الصلاة والصــوم ! ٠ يعنى اعداد الناس وتفهيمهم أن الاسلام دين صالح فى كل مكان وزمان ، وتكوين الجماعة التى تقوم على هذه المعانى ٠ ولما تتكون غالبية الشعب على هذا النحو ، ونيجى نطبق القرآن كما كان فى أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ، يبقى معقول ومقبول ٠

على أنه وفقا لهنداوى دوير ، لم يكن فى مخطط الاخوان وقتذاك انتقال البلاد الى الحكومة الاســـلامية عن طريق اقامة حكومة اخوانية ــ وانما عن طريق حكومة انتقال تحت وصايتهم ، ثم بعد ذلك ينتقل الحكم اليهم تلقائيا ! ٠

ويرجع الســبب فى ذلك ــ كمـــا ذكر ــ الى عدم وجود برنامج للحكم الاسلامى معد سلفا يحكمون بمقتضاه . فحين سأله جمال سالم عما اذا كان لدى الجماعة « مبادىء أو خطط ونقط موضوعة علشان الحــكومة (الانتقالية) تيجى تشتغل على أساسها ؟ » . أجاب قائلا :

ـ فى الجماعة لأ ٠ مفيش ! ٠ وانما فى المكتبة الاسلامية مخلفات الائمة الاربعة ، وهى فيها ما يفى بهذا الغرض من الناحية الدينية ! ٠

جمال سالم : يعنى الجماعة ما كانش عندها خطة مرسومة ؟ ٠

هنداوى دوير : لا ، ما كانش عندها ٠ وعلشان كده هم كانوا بيؤخروا أنفسهم ! ٠

جمال سالم : ازاى كانوا بيؤخروا أنفسهم ، ويدعوا بالعملية ؟ ٠

هنداوى دوير : هم ما كانوش عاوزين ينفذوا الخطة فورا ، لانهم كانوا خايفين لينكشفوا ! ٠

ثم قدم هنداوى سببا آخر لتفضيل الاخوان الحكومة الانتقالية وتأخير أنفســهم . فقال :

ـ الاخوان كانوا بيتهموا بأنهم عاوزين يصــلوا للحكم · فيجوز هم عاوزين يداروا (يدرءوا) عن أنفسهم هذه التهمة ! ·

جمال سالم معلقا : يعنى هم كانوا عاوزين يجيبوا حكومة صورية تكون زى « الاراجوز » ! ·

وفى موضع آخر سأل جمال سالم :

ـ الحكومة دى حتكون تحت وصاية الاخوان طبعا ؟

هنداوى دوير : أيوه ، المفروض هذا ! ·

على ان هنداوى سبق له ان قدم سببين آخرين بمنعان — فى رأيه — الاخوان من تولى الحكم فقال :

« لا يحكم الاخوان لسببين : الاول ، أن بعض الاخوان ما يمثلوش الاســلام ومايقدروش يطبقوا الاسلام ، والسبب الثانى ، أن البلاد غير مستعدة لتقبل النظم الاسلامية ككل لا يتجزأ . ولهذا يحسن أن نسير بالتدريج . ولذلك اقول انه لم يكن فى ذهن الاخوان أن يحكموا ! » ·

وعلى كل حال ، فقد كانت فكرة الاخوان فى وسيلة تطبيق الشريعة الاسلامية ، تقوم على أن يتم ذلك عن طريق أن تقوم الحكومة الانتقالية بعمل دستور اسلامى ، أو على حسب تعبير هنداوى دوير ! « كان ثابت فى ذهننا أن يعلن الدستور الذى يوضــع ، وتستقى مبادئه من المبادىء الاســلامية على أساس أنها مبادىء صالحة لحكم البلد » ·

وقد طلب جمال سالم منه ان يضرب الامثلة ، فضرب المثل بالتشريع الجنائى والتشريع المدنى فى مصر قائلا :

— مثلا التشريع الجنائى والتشريع المدنى ! . التشريع المدنى يستقى كل مبادئه من التشريعات الفرنسية » ! (٥٢١) .

على أن الهضيبى ، وهو مستشار سابق وأكثر علما من هنداوى دوير فى الميدان القانونى ، كان له رأى مخالف فى مدى مطـابقة القــانون المدنى والقانون الجنائى فى مصر للشريعة الاسلامية · وهو رأى خطير ، ويضاعف

---

٥٢١ ـــ محكمة الشعب : الجزء الاول ، شــهادة هنــداوى دوير ص ٦٣ ـــ ٧٥ ·

من خطورته أنه لا يصدر فقط عن علم من أعلام القانون فى مصر ، وانما عن المرشد العام للاخوان المسلمين أيضا ! ٠

ويقوم هذا الرأى على أساسين :

الاول ، أن القانون المدنى فى مصر يتفق مع الشريعة الاسلامية ، فيما عدا الربا ! ٠

والثانى ، أن القانون الجنائى ، ولو أنه لا يتضـــمن الحدود الشرعية ، الا انه من حق ولى الامر ايقاف تطبيق هذه الحدود ! ٠

وقد حدثت مناقشة مثيرة حول هذه القضية حين أراد الدفاع عن محمود عبد اللطيف التعريض بحسن الهضيبى على أساس أنه تبل ، وهو مستشار قضائى ، الحكم بغير الشريعة الاسلامية ! ٠ فسأله قائلا :

ـ كم سنة ، على وجه التحديد ، اشتغل الاستاذ الهضيبى فى القضاء قاضيا أو مستشارا فى القضاء بوجه عام ؟ ٠

الهضيبى : أنا تخرجت سنة ١٩١٥ ، وبقيت فى المحاماة لمايو ١٩٢٤ ، وعينت قاضيا فى مايو ١٩٢٤ ٠

الدفاع : ومنذ ذلك التاريخ ، اى قانون كنت تطبقه خلال هذه المدة ؟ ٠

الهضيبى : القانون المدنى والقانون الجنائى ٠

الدفاع : المطبقين فى الدولة ؟ ٠

الهضيبى : أيوه ! ٠

الدفاع : بطبيعة الحال ، اقسمت على تطبيقهما ؟ ٠

الهضيبى : طبعا !

الدفاع : هل كنت طوال هذه المدة راضى الضمير عن هذين القانونين ؟ ٠

الهضيبى ، وقد فوجىء : ضميرى أنا ؟ ٠

الدفاع : آه ! ٠

الهضيبى : فيها بيان !

جمال سالم : البيان ده يأخذ كم دقيقة يعنى ؟ ٠

الهضيبى : على كيفك ! ٠

الدفاع : اذا كان مش طويل ، وتحتمله الجلسة ، اتفضل قوله ٠

الهضيبى : لا أبدا مش طويل ٠ أنا أجد ، مثلا ، أن القانون المدنى متفق مع الشريعة فى كثير من المسائل ، أو فى كل المســـائل ! ٠ يعنى تقدر ترجع

القانون المدنى الى أصول شرعية ـ فيما عدا مسألة الربا • فأنا ، بنيتى ، كنت أحكم فى مسائل على اعتبار أنها متفقة مع الشريعة فى القانون المدنى •

الدفاع : وفى هذه الفرعية ، وهى الربا : هل كنت تقضى بها أم لا ؟ •

الهضيبى : فى أكثر الاحيان كنت أخلى النـــاس تتنازل عنهــا • ولما مايرضوش يتنازلوا عنها ، أحكم بها ! •

الدفاع : مخالفا الشريعة ؟ •

الهضيبى : مخالفا الشريعة ! •

الدفاع : لانك أقسمت على ذلك ؟ •

الهضيبى : أيوه ! •

الدفاع : وفى القانون الجنائى ؟ .

الهضيبى : القانون الجنائى كله تعاذير ! ، كله تعاذير وليس فيه من الحدود الشرعية شىء • ولكن الحدود الشرعية متى أوقفها ولى الامر ، علينا الطاعة ، ونطبق القواعد المعمول بها : التعاذير ! •

الدفاع : هل يملك هذا ؟ (ولى الامر) •

الهضيبى : يملك هذا ! •

الدفاع : هل أفهم من ذلك انك طوال خدمتك الجنائية طبقت ما لم تقض به الشريعة فى ظل هذا التفسير ، وارتاح ضميرك لهذا ؟ •

الهضيبى : لا مش كده ، ما حصلش كده !

الدفاع : أمال حصل ايه ؟ • انت طبقت التعاذير ، والتعاذير مش هى اللى وردت فى الشريعة ! .

الهضـيبى : لا • كل العقوبات التى نص عليها فى القرآن والســنة ، سبعة . كلها سبع عقوبات من أولها لآخرها . واما الباقى ، فأغلاط بترتكب كثير ، وفيها جرائم بترتكب (بتترتكب !) عليها • فلولى الامر أن يعذر عليها • وده عمل صح داخل فى حدود اختصاصه • فأنا قلت لحضرتك ان ولى الامر أوقف الحدود لعلة فى نفســه لا أعرفها ، وهذا من حقه • فيبقى الباقى كله تعاذير مسموح بها شرعا » •

الدفاع : معنى هذا انك طوال مدة خدمتك الجنــائية كنت راضــيا عن نفسك • مستريح الضمير ؟ •

الهضيبى : أيوه ! (٥٢٢) •

٥٢٢ ـــ محكمة الشعب : الجزء الرابع ، شـــــهادة حسن الهضيبى ص ٨٠٩ ـــ ٨٢٣ •

وقد اثيرت أثناء المحاكمة المسألة القومية ، وحدودها فى ذهن الاخوان : هل يشـعرون بالانتمـاء الى مصر ، أم الى الوطن العربى ، أم الى الوطن الاسلامى ؟ • ومنها يتضح أن حدود كلمة الوطن فى فكر الاخوان المسـلمين تنصب على الوطن الاسلامى كله ، ولم ترد كلمة الوطن العربى على لسانهم • وتعكس هذه المناقشة موقف الفكر المصرى من الفكرة القومية فى ذلك الحين •

وكان الدفاع قد أثار هذه القضية حين تحدث ابراهيم الطيب عن أغراض الجهاز السرى فى تحرير البلاد الاسلامية المستعمرة ، فقد حاول الدفـاع عن محمود عبد اللطيف أن يشكك فى ولاء الاخوان ووطنيتهم ، فتساءل قائلا :

— هل من مصلحة مصر — كمواطن — أن تحـارب فى كل ميادين الارض : فى الجزائر ، وتونس ، ومراكش ، واندونيسيا ؟

فرد ابراهيم الطيب قائلا :

— لاشك أنه من واجبها !

الدفاع : هل ترى من الممكن ، أو من ناحية المنطق ! ، أن تحـرر مصر بقاع الارض من مستعمريها ، قبل أن تحرر نفسها ؟

ابراهيم الطيب : مع وجود القوات الانجليزية ، اشترك الاخـوان فى فلسطين • وهى غير مصرية !

الدفاع : وعلى هذا النحو تحاربوا فى تونس والجزائر ، وترجعوا بنفس النتيجة ! •

ابراهيم الطيب متسائلا : ماهى نفس النتيجة ؟

الدفاع : أنا اسألك عنها !

ابراهيم الطيب : الذى أعلمه أن الاخوان يجب أن يقوموا بالواجب الذى عليهم ، لا أكثر •

الدفاع : هل من الدين ، أو من الوطنية ، أن يتطوع صاحب القوة للدفاع عن الغير ، بينما هو فى حاجة الى الدفاع عن نفسه ؟

ابراهيم الطيب : يحدث هذا فى كثير من الحالات !

الدفاع : ألم تسمع الحديث الذى يقول : « ابدأ بنفسك ثم بمن تعول ؟ »

ابراهيم الطيب : الاخوان اشتركوا فى فلسطين ! •

الدفاع : كان هذا دفاعا عن مصر ، لان اسرائيل تطمع فيها ، فيبقى هذا دفاع عن مصر ! (٥٢٣) •

---

٥٢٣ — محكمة الشعب : الجزء الثالث ، شـهادة ابراهيم الطيب ص ٥٢١ — ٥٢٧ •

والمذهل فى هذه المناقشة المثيرة ، المنطلقان القوميان اللذان ينطلق منهما الاخوان المسلمون والدفاع عن محمود عبد اللطيف ، فى فهم قضيـــــية حرب فلسطين • فالاخوان ينطلقون من منطلق اسلامى بحت باعتبارها جـــزءا من العالم الاسلامى ، بينما ينطلق الدفـــاع من منطلق مصرى بحت ، على اعتبار أن دفاع مصر عن فلسطين انما كان دفاعا عن مصر ، لان اسرائيـــل تطمع فى مصر ذاتهـــا !

لذلك نرى أن هذه المناقشة تهم الحـوار الحاد الدائر الآن فى مصر بين الذين يرون أن مصر انما كانت تحارب وتضحى من أجل فلسطين ، وبين الذين يرون ان مصر انما كانت تحارب دفاعا عن نفسها !

فالملاحظة الجديرة بالذكر ، أن الدفاع لم يكن يدين بفكر قـومى عربى ، كما انه لم يكن يدين بفكر اسلامى فى فهم المسالة القومية ! ـــ وانمـــــا كان يدين بالولاء للقومية المصرية وحدها • ومن هنا بالذات تكمن اهمية رؤيته لحرب مصر فى فلسطين ! •

ذلك انه اذا كان الفكر القومى المصرى وقتذاك والفكر القومى العـــربى فى مصر حاليا ، فضلا عن الفكر القومى الاسلامى ممثلا فى جماعة الاخوان المسلمين ، قد اتفق على ان دفاع مصر عن فلسطين ، انما هو دفاع عن مصر ذاتها ـــ فان الراى الذى يقول ان مصر كانت تحارب من اجل فلسطين فقط ، يكون منقطع الصلة بأى فكر قومى اصيل فى مصر !

على كل حال فقد كان من الطبيعى أن تقود هذه المناقشة الى حوار آخر حول العلاقة بين السياسة الاسلامية والسياسة الوطنية ! • فقد وصف ابراهيم الطيب جماعة الاخوان المسلمين بأنها « تعمل للاســـلام عامة » • فســـــأله الدفاع :

ـــ أى لا صلة لها بالسياسة الوطنية ؟

ابراهيم الطيب مكررا : السياسة الاسلامية ! •

وهنا سأله جمال سالم : ما هى السياسة الاسلامية ؟ •

فأجاب ابراهيم الطيب : هى تحـــرير جميع البلدان الاســـلامية من المستعمر •

جمال سالم : وما هى السياسة الوطنية ؟

ابراهيم الطيب : نفس السياسة ! •

جمال سالم : اذن ليه تنفى ان للاخوان صلة بالسياسة الوطنية ؟ •

ابراهيم الطيب : السياسة الوطنية جزء من السياسة الاسلامية •

جمال سالم : اذن السياسة تختلف فى كل دولة حسب طابعها الداخلى ؟
ابراهيم الطيب : نعم ؟ •
جمال سالم ساخرا : علمنا مبادىء جديدة يا سـقراط ! • ياريته كان عايش علشان يلطم على المنطق الذى وصل اليه ! • (٥٢٤) •

وفيما يبدو أن هذه القضية كانت تستهوى الدفـاع ، الذى كان المفهوم القومى فى نظره مفهوما مصريا بحتا ، فحين قال الهضيبى أنه يرى أن الارهاب « ضار بالجماعة ، وضار بالاسلام ، وضار بمصر » ـــ أراد الدفاع أن يعرف ترتيب هذه المصالح فى فكر الاخوان ، وسأل الهضـيبى أن يرتبها • فأجاب الهضيبى :
ـــ أولا الاسلام •
فسأله الدفاع : ثانيا الوطن ؟ •
فأجابه الهضيبى : الوطن يدخل فى نطاق الاسلام • (٥٢٥) •

وقد دارت مناقشات طويلة حول مشروعية قتل المسلم • ومن الغريب ذلك الاجماع من أعضاء التنظيم السرى ، فضلا عن أعضاء القيادة السـياسية للاخوان ، على تحريم القتل السياسى • والاكثر اثارة للدهشـة أن يكون على رأس هؤلاء هنداوى دوير الذى أعطى الامـر التنفيذى لمحمود عبد اللطيف باغتيال عبد الناصر ! •
فقد سأل المدعى هنداوى دوير :
ـــ هل هناك قتل اسلامى وقتل غير اسلامى ؟ •
هنداوى دوير : الاسلام حدد خمس حالات ، على سبيل الحصر ، للقتل ، ولا يجوز قتل المسلم الا فى حـدودها . وليس منها طبعا فكرة الاغتيال السياسى ، باعتبار ان القتل السياسى قتل عمد ، وفاعله يدخل النار !

واذا كان الامر كذلك ، فلماذا أمر هنـداوى دوير محمود عبد اللطيف باغتيال عبد الناصر ؟ •
يجيب على ذلك بقوله :
ـــ أصبح القتل من تقاليد النظام السرى من أيام الاسـتاذ حسن البنا وقتل النقراشى والخازندار ـــ اى أنها أصبحت مسألة مفترضة ! •

---

٥٢٤ ـــ نفس المصدر ص ٥٣٦ ـــ ٥٣٧ •
٥٢٥ ـــ محكمة الشعب : الجزء الرابع شـهادة حسن الهضيبى ص ٨١٧ ـــ ٨١٩ •

وقد عاد المدعى فى موضع آخر ليسأل هنداوى :

ـــ ايه رايك فى الاسلوب الذى اتبع فى القتل ؟ . وهل هو يتفق مع اسس وأحكام الاسلام ؟ .

وقد رد هنداوى مؤكدا :

ـــ هذا الأسلوب ، من حيث شرعية العمل فى الاسلام ، محرم،ومحرم على الاطلاق ! • أما كيف وافقت عليه ؟ ، زى ما قلت لحضراتكم ، انه كان من تقاليد الجماعة فى أيام الاستاذ البنا القيام بمثل هـــذا العمل • وعلى هذا الاساس أصبحت هذه التقاليد مستقرة • وانما من الناحية الاسلامية لا يجوز القتل بهذه الصورة • وده اللى خلانى اهتزيت ، وده خلانى سلمت للحكومة بكل الحاجات اللى عندى ، علشان أوقف التيار الجارف للارهاب ! • (٥٢٦) •

وقد اعتبر المرشد حسن الهضيبى ما ارتكبه التنظيم السرى فى سنوات ١٩٤٦ و ١٩٤٧ و ١٩٤٨ « جرائم » • وعندما سئل عن رأيه فيما اقــدم عليه محمود عبد اللطيف من محاولة اغتيال عبد الناصر ، أجاب قائلا :

ـــ انا ما أعرفش الا أنه اذا قال لى أى واحد اقتل شخصا ، فلايجوز أن اقتل ، لان هذه معصية .

وقد أدان ابراهيم طلعت قتل الخازندار بك ، واعتبر ان هذا القتل يؤثر على رسالة القضاء • فقد سأله الدفاع :

ـــ هل تعتقد أن مقتل الخازندار ـــ الشهيد بحق ـــ من شأنه أن يعرض رسالة القضاء ، وهى رسالة مقدسة ، للمؤثرات ، أم لا ؟

فأجاب ابراهيم الطيب : لاشك فى هذا ، وأنا مقتنع بهذا ! (٥٢٧) •

كذلك يتضح من المناقشات التى دارت فى المحاكمة مع أعضاء الجهـــاز السرى ، أن فكرة مشروعية قتل المسلم قد نوقشت بين الافراد ، خصوصا بعد مقتل المهندس سيد فايز لخروجه على فريق عبد الرحمن السندى ـــ لتحديد مشروعية قتل الخارج على الجماعة • وقد قاد هذا الى تحديد صفة جمـــاعة الاخوان المسلمين :

هل هى جماعة للارشاد ، أم هى جماعة المؤمنين ؟ •

---

٥٢٦ ـــ محكمة الشعب : الجـــزء الاول ، شـــهادة هنداوى دوير ص ٦٦ ـــ ٦٩ •

٥٢٧ ـــ محكمة الشعب : الجزء الرابع ، شـــهادة حسن الهضيبى ص ٧٨٨ ـــ ٧٩١ •

ويقول محمود الحواتكى انه ناقش هذه المسالة مع ابراهيـــم الطيب قبل دخوله النظام :

« فى هذه الجلسة تعرضنا لمسائل من شـــانها الاتفاق على امور رئيسية تسمح لى بالاشتراك فى هذا النظام · منها ، مثلا ، ان جماعة الاخوان ليست زى « جمــــاعة المؤمنين » فطبيعى فيه فرق كبير بين الاثنتين ، لانه لو كانت جماعة الاخوان زى جماعة المؤمنين ، يبقى الامر بتاعها ملزم . اما اذا كانت جماعة الاخوان كجماعة للارشاد ، فلا يكون الامر ملزما . فالخارج على جماعة المؤمنين يقتل ، اما الخارج على جماعة الاخوان المسلمين فلا يقتـــل ! » .

جمال سالم : قلها تانى ! ·

محمود الحواتكى : كل من يخرج على جماعة المؤمنين جزاؤه القتل فى الاسلام · وجماعة الاخوان ليست جماعة مؤمنين بل جماعة كجماعة الارشاد وبالتالى فالخارج عليها لا يقتل · وهذا التفكير ماكانش واضح لدى النظـــام القـــديم ! ·

ومع ذلك فمن الغريب انه بعد كل هذا التاكيد بعدم مشروعية قتل المســلم لغرض سياسى · قتل الشيخ الذهبى بعد ربع قرن من هذه الاحداث على ايدى « جماعة المسلمين » التى عرفت باسم « جماعة التكفير والهجرة » . ولكن عثمان بن عفان قتل من قبل على ايدى مسلمين ايضا ! اذن فالقتل السياسى يتم باســـم الدين على مدى اربعـــة عشر قرنا · فكم من الجـــرائم ترتكب باسم الدين ! (٥٢٨) ·

---

٥٢٨ ـــ محكمة الشعب : الجزء الثانى ، شـــهادة محمود الحواتكى ص ٢٥٩ ـــ ٢٦١ ·

الفصل الرابع عشر

الاخوان المسلمون وحركة ١٩٦٥

فى السنوات التالية ، اخذ يتكشف تحت القشرة الدكتاتورية للنظام الناصرى جوهر ثورى مستعر ، اتخذ شـكل صدام مروع مع الاسـتعمار والامبريالية ، وكسر لاحتكار السـلاح ، ومقاومة باسلة للاحلاف ، وتأميم قناة السويس . وبرزت الحركة التحريرية للقومية العربية على نحو لـم يشهده تاريخ المنطقة من قبل ، كما برزت حركة عدم الانحياز . واستدار النظام الى الداخل لضرب الاستغلال بقرارات التأميم . والانطلاق قدما فى ميدان التصنيع والبناء .

ومع هذا التحول الثورى العظيم ، تغيرت مشاعر ومواقف القـوى الديمقراطية والتقدمية تجاه عبد الناصر ، وحظى بتأييد هائل اعاد الى الاذهان تأييد الجماهير لسعد زغلول ومصطفى النحاس ، وتعدى هـذا التأييد الى الجماهير العربية على طول وعرض المساحة العربية .

ومع اطمئنان عبد الناصر الى صلابة الجبهة الداخلية ، اخذ يفرج تدريجيا عن الاخوان المعتقلين . ففى منتصف ١٩٥٦ افرج عن اعداد مـن المعتقلين الذين لم يحكم عليهم . وفى عام ١٩٦٠ بدأ بعض المحكـوم عليهم بالسجن يخرجون بعد قضاء مدة العقوبة ، وقد تكونت من بعضهم فيما بعد « مجموعات الخمسات » ، اى الذين قضوا فى السجن خمس سنوات . ثم حدثت افراجات اخرى فى سنة ١٩٦١ حتى سنة ١٩٦٤ حين خرج جميع المحكوم عليهم ، حتى هؤلاء الذين لم يكونوا قد اتموا بعد مدة العقوبة . وكان قد افرج من قبل عن المرشد حسن الهضيبى وصدر له عفو صحى ، وفى مايو ١٩٦٤ افرج عن سيد قطب بعفو صحى ايضا . ثم وضع قانون خـاص للموظفين من الاخوان الذى فصلوا ، للعودة الى وظائفهم .

وقد خرج الاخوان المسلمون من كهوف السجون عاجزين تماما عن استيعاب التغييرات السياسية والاجتماعية التى حدثت اثناء محنتهم ، أو فهم التحول الذى طرا على القـوى الوطنية والديموقراطية من موقف المعارضة والمقاومة للثورة فى أزمة فبراير — مارس ١٩٥٤ الى موقف التأييد والمساندة فى عام ١٩٦٤ . وفى الوقت نفسه لم يستطيعوا ادراك مغزى التغيير الاجتماعى الكبير الذى وقع اثناء وجودهم فى السجون متمثلا فى تحرير جماهير غفيرة من الفلاحين والعمال بقوانين الاصلاح الزراعى والتأميم — وانما خرجوا تملأهم فكرة واحدة هى « الانتقام لما جرى للجمـاعة سنة ١٩٥٤ » .

فى تلك الاثناء ، كانت المعاملة غير الانسـانية لاسر المعتقلين من الاخوان ، الذين فصلوا من وظائفهم وتركوا عائلاتهم دون معين ، قـد

أوجدت بذور تنظيم جديد اتخذ مظهرا اجتماعيا بحتا ينحصر فى جمع التبرعات لهذه الاسر . كما أن المحنة بطبيعتها وظروفها قد أوجدت تكتلا طبيعيا فى مجتمع الاخوان المسلمين ، انعزل بالضرورة عن المجتمعات الاخرى ، التى وقفت موقف التجاهل من الاخوان تحت تأثير الخوف والرهبة من اجهزة عبد الناصر البوليسية . وكان هذا التكتل الاخوانى هو التربة الخصبة التى التقيت فيها بذور ايديولوجية اسلامية جديدة وضعها مفكر الاخوان الكبير سيد قطب .

وكان هذا التكتل الاخوانى قد اخذ منذ عام ١٩٥٧ يدخل فى طور جديد ، حين تقابلت زينب الغزالى مع عبد الفتاح اسماعيل فى مكة ، وتحدثا معا فى وجوب « تنظيم صفوف الجماعة واعادة نشاطها » ! . وتم الاتفاق على استئذان الهضيبى فى ذلك عند عودتهما الى مصر . وارتبطا معا « ببيعة أمام الله على أن نجاهد فى سبيله ، لا نتقاعس حتى نجمع صفوف الاخوان . وننفصل بيننا وبين الذين لا يرغبون فى العمل أيا كان وضعهم ومقامهم » .

وفى مصر تعددت لقاءات زينب الغزالى بعبد الفتاح اسماعيل ، وأسفرت « دراساتهما الفقهية » حول قرار الحل . على أنه قرار باطل . كما أسفرت عن أن عبد الناصر ليس له أى ولاء ، ولا تجب له طاعة على المسلمين ، حيث انه يحارب الاسلام ، ولا يحكم بكتاب الله » ! . ووضعت خطة عمل « تستهدف تجميع كل من يريد العمل للاسلام » لينضم اليهما . وقد حصلت هذه الخطة على مباركة الهضيبى !

وقد قامت خطة العمل التى اعدها عبد الفتاح اسماعيل وزينب الغزالى على أن يقوم عبد الفتاح اسماعيل « بعملية استكشاف على امتداد مصر كلها ، على مستوى المحافظة والمركز والقرية » ، لمعرفة « من يرغب فى العمل من المسلمين ، ومن يصلح للعمل معهما ، مبتدئين بالاخوان المسلمين لجعلهم النواة الاولى لهذا التجمع » . وكان عبد الفتاح اسماعيل يعد تقارير عن كل منطقة يقوم بدراستها مع زينب الغزالى ، وتعرض نتائجها على الهضيبى ، الذى كان « تارة يقر ما يعرض عليه ، وتارة يعطى بعض التوجيهات » (٥٢٩) .

---

٥٢٩ ـــ زينب الغزالى : أيام من حياتى .

وكما هى العادة فى التجارب السابقة ، كان لابد من التربية الروحية توطئة للانتقال الى الخطوة التالية وهى الجهاد . وكانت هذه التربية تعتمد « فكريا » على كتابات البنا ومفكرى الاخوان فضلا عن مصادر اسلامية قديمة . ولكن فى سنة ١٩٦٢ ، حدث انقلاب خطير فى فكر الجماعة بظهور ايديولوجية اسلامية جديدة متكاملة ممثلة فى كتاب سيد قطب : « معالم فى الطريق » .

قامت ايديولوجية سيد قطب على الاسس الآتية باختصار شديد :

١ — ان العالم المعاصر يعيش فى جاهلية ، لا تخفف منها شيئا هذه التيسيرات المادية الهائلة ، وهذا الابداع المادى الفائق .

٢ — هذه الجاهلية تقوم على أساس الاعتداء على سلطان الله فى الارض ، وعلى اخص خصائص الالوهية ، وهى الحاكمية . انها تسند الحاكمية الى البشر ، فتجعل بعضهم لبعض اربابا ، لا فى الصورة البدائية الساذجة التى عرفتها الجاهلية الاولى ، ولكن فى صورة ادعاء حق وضع التصورات والقيم والشرائع والقوانين والانظمة والاوضاع ، بمعزل عن منهج الله للحياة ، وفيما لم يأذن به الله .

٣ — ترتب على هذه الجاهلية — اى هذا الاعتداء على سلطان الله — اعتداء على عباده . فما مهانة الانسان عامة فى النظم الجماعية (الشيوعية والفاشية) ، وما ظلم الافراد والشعوب بسيطرة رأس المال والاستعمار فى النظم الراسمالية — الا من آثار الاعتداء على سلطان الله ، وانكار الكرامة التى قررها الله للانسان .

٤ — ان المنهج الاسلامى يتفرد عن كافة النظم بأن فيه وحده يتحرر الناس من عبادة بعضهم لبعض بعبادة الله وحده ، والتلقى من الله وحده ، والخضوع لله وحده . وهذا هو الشئ الجديد كل الجدة الذى نملكه ولا تعرفه البشرية ، ولا تملك هى أن تنتجه .

٥ — ان هذا الجديد لابد ان يتمثل فى واقع عملى ، لابد ان تعيش به امة ، امة تقر عقيدة لا اله الا الله ، وان الحاكمية ليست الا لله ، وترفض ان تقر بالحاكمية لاحد من دون الله ، وترفض شرعية اى وضع لا يقوم على هذه القاعدة . والامة الاسلامية بهذه المواصفات قد انقطع وجودها منذ انقطاع الحكم بشريعة الله من فوق ظهر الارض جميعا . ولا بد من اعادة هذه الامة لكى يؤدى الاسلام دوره المرتقب فى قيادة البشرية مرة اخرى .

٦ — يترتب على هذا الكلام ، « اعادة انشاء هذا الدين فى نفوس الناس » ، حتى لو كانوا يدعون انفسهم مسلمين ، وتشهد لهم شهادات الميلاد بأنهم « مسلمون » . فهؤلاء يجب أن يعلموا ان الاسلام هو اقرار

عقيدة لا اله الا الله بمدلولها الحقيقي وهى رد الحاكمية لله فى أمرهم كله ، وطرد المعتدين على سلطان الله بادعاء هذا الحق لانفسهم » .

٧ — لكى يبدأ هذا « البعث الاسلامى » لابد من طليعة . طليعة تعزم هذه العزمة ، وتمضى فى الطريق ، تمضى فى خضم الجاهلية الضاربة الاطناب فى ارجاء الارض جميعا . تمضى وهى تزاول نوعا من العزلة من جانب ، ونوعا من الاتصال من جانب آخر بالجاهلية المحيطة . ولابد لهذه الطليعة التى تعزم هذه العزمة من أن تعرف طبيعة دورها، وحقيقة وظيفتها، وصلب غايتها ، ونقطة البدء فى الرحلة الطويلة ، ومن أن تعرف طبيعة موقفها من الجاهلية الضاربة الاطناب فى الارض جميعا .

٨ — قد ينضم المجتمع الجاهلى القديم بكامله الى المجتمع الاسلامى الجديد ، وقد لا ينضم . كما أنه قد يهادن المجتمع الاسلامى الجديد أو يحاربه ، وان كانت السنة قد جرت بأن يشن المجتمع الجاهلى حربا لا هوادة فيها ، سواء على طلائع هذا المجتمع فى مرحلة نشوئه ، وهو افراد أو مجموعات ، أو على هذا المجتمع نفسه بعد قيامه فعلا — وهو ما حدث فى تاريخ الدعوة الاسلامية منذ نوح عليه السلام الى محمد عليه الصلاة والسلام بدون استثناء .

وطبيعى ان المجتمع المسلم الجديد لا ينشأ ، ولا يتقرر وجوده الا اذا بلغ درجة من القوة يواجه بها ضغط المجتمع الجاهلى القديم ، قوة الاعتقاد والتصور ، وقوة الخلق والبناء النفسى ، وقوة التنظيم والبناء الجماعى ، وسائر أنواع القوة التى يواجه بها ضغط المجتمع الجاهلى ويتغلب عليه ، أو على الاقل يصمد له .

***

بهذا الكتاب ، لم يعد المجتمع الاسلامى المحيط بالاخوان المسلمين مجتمعا مسلما ، وانما أصبح مجتمعا جاهليا ، وهذا هو أساس فكرة التكفير . وسيد قطب فى ذلك صريح كل الصراحة فيقول :

« يدخل فى اطار المجتمع الجاهلى تلك المجتمعات التى تزعم لنفسها انها مسلمة . هذه المجتمعات تدخل فى هذا الاطار لا لانها تعتقد بألوهية احد غير الله ، ولا لانها تقدم الشعائر التعبدية لغير الله أيضا ، ولكنها تدخل فى هذا الاطار لانها لا تدين بالعبودية لله وحده فى نظام حياتها ، فهى — وان لم تعتقد بألوهية احد الا الله ، تعطى أخص خصائص الالوهية لغير الله ، فتدين بحاكمية غير الله ، فتتلقى من هذه الحاكمية نظامها ، وشرائعها وقيمها، وموازينها ، وعاداتها وتقاليدها ، وكل مقومات حياتها تقريبا . والله سبحانه

يقول عن الحاكمين : « ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون » (٥٣٠) .

***

على كل حال ، اذا كانت هذه هى أيديولوجية سيد قطب ، وهى تقوم على التربية الطويلة والتحول البطىء للمجتمع الجاهلى الى مجتمع اسلامى ، فكيف تورط فى حركة ١٩٦٥ ؟ . لقد روى بنفسه هذه القصة فى سرد أمين اثناء التحقيق معه فى هذه القضية ، فذكر أنه بعد الافراج عنه بعفو صحى فى مايو ١٩٦٤ ، اتصل به عبد الفتاح اسماعيل وعرفه بمجموعة من الشباب هم : على عشماوى ، وأحمد عبد المجيد ، ومجدى عبد العزيز ، وصبرى عرفة ، وعرف منهم بعد لقاءات عديدة أن وراءهم عددا آخر من الاخوان المسلمين ، وان لهم تنظيما سريا يرجع الى عدة سنوات سابقة ، وان هذا التنظيم كان قائما على أساس انه تنظيم فدائى للانتقام مما جرى للجماعة فى سنة ١٩٥٤ ، اى لجماعة الاخوان المسلمين . ولكنهم بعد أن قرأوا كتاباتى وسمعوا بما سمعوا فى هذه اللقاءات ، يدركون الآن ان عملية الانتقام عملية تافهة بالنسبة لمستقبل الاسلام ، وأن اقامة النظام الاسلامى تستدعى جهودا طويلة فى التربية والاعداد ، وانها لا تجىء عن طريق احداث انقلاب فى القمة ، وانهم أصبحوا مقتنعين بذلك ، ولكنهم أمام تنظيم قائم بالفعل ، وكان قائما على عقلية أخرى غير هذه العقلية ، وهم لا يملكون الآن حل هذا التنظيم واعادة بنائه على الاسس التى فهموها من حديثهم معى ، غير انهم يمكنهم تحويل عقلية هذا التنظيم عن طريقهم هم اذا انا بذلت معهم جهدا فى اعدادهم وتربيتهم ليقوموا بتربية الآخرين من ورائهم .

« فى هذا الوقت » — كما يقول — « طلبوا منى قيادتهم فى الناحية الفكرية فقط ، على أساس انهم هم الخمسة متولون قيادة التنظيم الفعلية ، وسيتولون هم تحويل أفكار من وراءهم . وفعلا صارت المقابلات منتظمة فى فترات تتراوح بين اسبوع وثلاثة أسابيع . وكنا نحدد فى نهاية كل مقابلة ميعاد المقابلة التالية . وفى حوالى ديسمبر سنة ١٩٦٤ او يناير ١٩٦٥ بداوا يكشفون لى عن طبيعة هذا التنظيم ، وفهمت انه تكون من عدة تنظيمات تام بها هؤلاء الافراد كل على حدة فى أول الامر ، ثم تلاقوا فى اثناء تحركهم ، واستوثق بعضهم من بعض ، فتم تكوين التنظيم برؤسائه الخمسة » .

---

٥٣٠ — سيد قطب : معالم فى الطريق (دار الشروق) .

ثم يذكر سيد قطب انه فى احدى المرات علم من علي عشماوى انه حين كان بالسعودية سنة ١٩٦٢ او ١٩٦٣ طلب من أحد الاخوان هناك مجموعة قطع اسلحة ، وكتب له بها كشفا ، وانه فوجىء بخبر من هذا الاخ بان هذه الاسلحة اعدت ، وانها ستصل عن طريق السودان . وقد ذكره سيد قطب بما اتفقا عليه من أن البرنامج قائم على اساس « التربية الطويلة المدى » ، فرد عليه انه لايزال مقتنعا ، ولكن الاسلحة التى أرسلت لابد من استلامها لان تركها يكشف التنظيم . وبعد مناقشات تقرر استلام الاسلحة ، وكلف على عشماوى بهذه المهمة وتخزينها .

ويقول سيد قطب انه فى تلك الاثناء نوقشت فى عدة جلسات الاجابة على سؤالهم المتكرر التالى : ماذا نصنع اذا كنا فى اثناء سيرنا السلمى الذى اتفقنا عليه ، انكشف هذا التنظيم ، واخذنا لنعذب كما حدث سنة ١٩٥٤ »؟ « ويقول ان اجاباته فى البداية كانت غير حاسمة ، ولكنه لاحظ من اتجاههم انهم اميل الى رد الاعتداء وعدم الوقوع مرة أخرى فى صورة سنة ١٩٥٤ ، « وقد انتهيت لراى تلته لهم وهو انه فى حالة وقوع التنظيم فقط ، يرد الاعتداء » .

فى ذلك الحين كان هناك احساس عام داخل الجماعة بقرب اعتقالات للاخوان منشؤه عدة مظاهر ، اولها ، الجدل العنيف حول كتاب « معالم على الطريق » بين مجموعات الاخوان الخارجة من سجن القناطر ، مما كان من شأنه كشف التنظيمات المختلفة داخل جماعة الاخوان للحكومة . ثانيا ، بعض الاشاعات التى كانت تروج عن أن الشيوعيين بصدد تدبير مؤامرات يريدون نسبتها الى الاخوان ! . ثالثا ، تهور بعض الشبان على نحو كشف حركتهم للحكومة . ويقول سيد قطب انه تلقى تحذيرا من منير الدلة وفريد عبدالخالق عن « وجود شبان متهورين راكبين راسهم ليتحركوا تحركات خطره » ، وأن هناك خوفا أن تتسبب هذه الحركات فى كارثة عامة للاخوان . كما عرف من عبد الرازق هويدى أن السلطات على علم بهذه التحركات . على انه لم يكشف صلته بهؤلاء الشبان « لانى ما أحبش أن هذه الصلة تنكشف حتى ولو لاعضاء جماعة الاخوان القدامى ، وانا عارف أن الاستاذ فريد من الفريق الذى آثر عدم الحركة ، وكان من رأيه أن خير تنظيم الا يكون هناك تنظيم » . وفى اواخر مايو كرر منير دلة تحذيره ، وأضاف ان تحركات هؤلاء الشبان مكشوفة ، وانهم فى مكتب المشير يفكرون فى ضربهم .

كل هذه العوامل ، وتوقع حركة اعتقالات — دفعت الجماعة الى مناقشة كيفية رد الاعتداء بعد أن قررت اخذ مبدأ الرد . ويقول سيد قطب انه فى

مناقشة هــذه المســألة جاء احمــد عبد المجيــد بكشف اقتراحات لاغتيالات وتدمير منشــآت « وبــدأ يقرأ الاشــخاص المقترح اغتيــالهم فقال : رئيس الجمهورية ورئيس الوزارة ورئيس المخابرات (مش فاكــر المخابرات العامة او العسكرية) ورئيس المباحث العامة ، ومــدير مكتب المشير : شمس بدران . ولما وصل الى هذا القدر من الكشف ، اشرت بأن دول كفاية ، وده يعتبر نجاح عظيم . ثم اخذ احمد عبد المجيد فى قائمة المنشآت فقال : محطتى كهرباء القاهرة ، وكبارى القاهرة . واذكر تعليقا من واحد من المجموعة مش فاكره ، وجايز يكون على عشماوى قال ان ده يعمــل تعطيل لحركة تعقب الاخوان ، ويحدث ارتباكا فى الاذاعة وفى تنقلات القوات التى تريد القبض على الاخوان . فاضفت أنا : قناطر محمد على ، اذا كان المقصود هو أحداث الارتباك . ثم سألت : فماذا عندكم من وسائل التنفيذ ؟»، « وفهمت انه فى الوقت الحالى ليس لديهم إمكانيات للتنفيذ ، وكذلك عــن عمليات التدمير ليس لديهم المتفجرات اللازمة ، وانهم بصدد اجراء تجارب لم تتم لعمل متفجرات محلية من صنع ايديهم ، وقالوا ان مجموعة عندهمهى اللى بتجرى هذه التجارب . واللى اتكلم عن كدة مجدى وانا اعرف انه فىكلية العلوم . وسألتهم عن رجال الصف الاول ، وكنت اعنى الذين تمت تربيتهم ليتدربوا ، فتكلموا مع بعض وحصروا العدد فى ٧٠ شخصا . فاستنتجت من هذا أن التنظيم يكون اذن بين ٢٠٠ أو ٣٠٠ فرد . واتفقنا ان هؤلاء السبعين هم الذين — يبدأ تدريبهم للقيام بهذه العمليات . وكان هذا الكلام فى مايو ١٩٦٥ » .

على ان حركة الاعتقالات بدات . ففى اواخر يوليو ١٩٦٥ اعتقــل محمد قطب ، وتقدم سيد قطب احتجاجا على ذلك ، واصبح التنظيم امــام مهمة التنفيذ بالرد على الحكومة ، واصبح الامر متوقفا على أمر يصدر من سيد قطب . ويقول انه بدأ يتحرج ، لمعرفته بعدم وجود الامكانيات وضعف الاستعداد ، وعدم جدوى اية عمليات مضادة للاعتداء (كــان يســمى الاعتقالات اعتداء ، « لمخالفة مايجرى فيه لاى قانون معروف ! ») . لذلك ارسل فى يوم ٤ اغسطس رسالة لزينب الغزالى بأن « تقــول للاولاد أنهم يلغوا كل العمليات بما فيها عملية السودان » . وقد وصله رد مــن زينب الغزالى على لسان على عشماوى يسأل : هل هذه التعليمات نهائية حتى فى حالة ما اذا وقعنا ؟ . وعندئذ — كما يقول سيد قطب : « اهتز شعورى مرة اخرى أمام صور التعذيب والتقتيل الذى لاقاه الاخوان سنة ١٩٥٤ ، والمحتمل فى نظرى دائما عند كل اعتقال » ، فأرسل رده بتعديل تعليماته السابقة ، وبأنه فى هذه الحالة يمكن الرد «على ان يكون فى الامكان توجيه ضربة شاملة.

فاذا لم يكن هذا ممكنا ، فلنلغ جميع التعليمات » . على انه — كما يقول — كان يعرف انه « ليس فى امكانهم توجيه هذه الضربة الشاملة » .

وفى يوم ٩ اغسطس اعتقل سيد قطب ، واخذت بعض الاعتقالات تتم عشوائيا نظرا لعدم وجود معلومات دقيقة عن خبايا التنظيم ، ولكن بعد اسبوعين ، وبضربة حظ كبيرة ، اعتقل على عشماوى بطريق المصادفة ، ليعترف بكل شىء ، ويسقط كل الاعضاء فى يد السلطة ، وتبدأ من جديد محنة لا تقل هولا عن محنة ١٩٥٤ .

خـــــاتمة

على كل حال فان اهم ما يلاحظ فى هذا العرض لحركة الاخوان المسلمين والعنف هو تلك العلاقة الفريدة بينها وبين الدكتاتورية . لقد نشأت حركة الاخوان فى عام ١٩٢٨ كحركة دينية بحتة ، او كرد فعل ســلفى لحــركة التغريب التى كانت تغزو المجتمع الاسلامى الشرقى فى مصر فى ذلك الحين . ولكنها ما لبثت أن تحولت من فكرة الاصلاح الدينى والخلقى الى فكرة اقامة الحكومة الاسلامية ، وشمولية الاسلام للدين والدولة ، والانتماء للوطن الاسلامى والقومية الاسلامية . وبذلك تناقضت تناقضا اساسيا مع النظام السياسى والاجتماعى القائم .

وقد كان عليها فى ذلك الوقت أن تحل هذا التنــاقض وتصــل الى أهدافها فى الحكومة الاسلامية بالطريق الديموقراطى والتمثيل النيابى ، وكان هذا اتجاهها فى البداية، ولكنها اكتشفت أن هذا النظام ليس نظاما ديموقراطيا حقيقيا ، الامة فيه هى مصدر السلطات ، وانما هو نظام ديموقراطى زائف القصر فيه هو مصدر السلطات. وبدلا من أن تخوض معركتها ضد الدكتاتورية التى يفرضــــها القصر كما كان يفعل الوفد ، وتشق طريقها الى ثقة الامة ، وتضع الدين فى خدمة الحرية والديموقراطية ، آثرت طريق القصر ، ودخلت معه فى علاقات تحالفية تكتيكية ، لحماية دعوتها من خطر الديكتاتورية . وفى الوقت نفسه كانت تبنى جيشها الكبير من الجوالة ، وتؤسس جهازها السرى لتأمين نفسها ولكى تنقض به على النظام عند سنوح الفرصة المناســـبة ، واستكمال التربية الروحية فى نفوس الامة . وبذلك اعتمدت العنف وسيلة لتحقيق أهدافها والوصول الى الحكومة الاسلامية ، متفردة بذلك عن القوى الوطنية والديموقراطية والتقدمية الاخرى التى اعتمدت النضال الجماهيرى لتحقيق أهدافها السياسية والاجتماعية .

على أن تحالفها مع الدكتاتورية كان لابد أن يكلفها غاليا ، كما هـــو الشأن دائما وأبدا فى التحالفات مع الدكتاتورية . ففى عام ١٩٤٨ حين اكتشف القصر ان الجماعة قد قوى ساعدها الى الحد الذى يهدد النظام بالخطر ، لم يتردد فى توجيه ضربة اجهاضية لها بقرار الحل . وحين قابلت الجماعة ذلك باغتيال النقراشى ، تعرضت لارهاب فظيع من خليفته ابراهيم عبد الهادى ، واكتشفت أن العنف لا يفيد شيئا .

وكان من المتوقع أن تتلقن الجماعة هذا الدرس ، فتتحالف مع القوى الديموقراطية التى تولت الحكم فى يناير ١٩٥٠ ، ممثلة فى الوفد ، ضد القصر الذى أذاقها العذاب ، ولكنها عادت الى التحالف معه من جديد ، فى أشد فترات انحلاله وتحلله وكراهية الامة له ، فبرهنت على انها تنتمى ، بنظامها وتكوينها وفكرها ، الى نظام آخر يبعد كل البعد عن الديموقراطية ، ويقترب كل الاقتراب من الدكتاتورية .

وحين عرض عليها تنظيم « الضباط الاحرار » التحالف معه لاسقاط الملك ، قبلت العرض ، لا لاقامة عهد ديموقراطى جديد يتخلص من قيود الحكم الملكى ، وانما لاقامة دكتاتورية نظيفة عادلة — كما اسمتها ، ولكنها بعد قليل ادركت أنه لا توجد فى النظم السياسية ديكتاتورية عادلة نظيفة ، فحين أرادت فرض الوصاية عليها ، صدت صدا شديدا ، وكان عليها أن تدفع الثمن مرة أخرى بقرار الحل فى يناير ١٩٥٤ .

وقد هيأت لها انقسامات الثورة فرصة مواتية للتكفير عن خطئها والوقوف فى صف الديموقراطية ، ولكن ذلك لم يستمر لاكثر من يوم واحد ، هو يوم ٢٨ فبراير ١٩٥٤ ، وهو اليوم الوحيد فى تاريخ حركة الاخوان الذى حاربت فيه من أجل الديموقراطية . فبعد شهر واحد فقط كانت تعود الى التحالف مع عبد الناصر متخلية عن القوى الديموقراطية والتقدمية التى خاضت الصراع الباسل فى أزمة مارس ، واتاحت بذلك لعبد الناصر الفرصة لسحق هذه القوى وفرض نظامه الدكتاتورى .

وكان عليها أن تدفع الثمن مرة أخرى ، فلم يمض قليل حتى كانت تلقى جزاء سنمار على يد النظام الناصرى ، وتحول الحلفاء سريعا الى أعداء الداء . وارادت الجماعة استخدام العنف كما استخدمته عام ١٩٤٨ ، ولكنها تعثرت فى الخطوة الاولى ، ودفعت الثمن غاليا عذابا وتنكيلا يتوارى الى جانبه خجلا عذاب وتنكيل ابراهيم عبد الهادى .

وعندما عرف النظام الناصرى اتجاه حركة التاريخ ، وسار فى طريق التحرر الخارجى من الاستعمار والامبريالية ، والتحرر الداخلى من الاستغلال الرأسمالى ، واكتسب بذلك ولاء وتأييد القوى الديموقراطية والتقدمية ، كانت الجماعة قد انعزلت تماما عن المجتمع المصرى ، وتجمدت حيث سقطت فى المعتقلات والسجون . وكان النظام الناصرى فى ذلك الحين يقع فى تناقضه الغريب ، فعلى الرغم من انجازاته الديموقراطية فى البناء التحتى بتحرير علاقات الانتاج الاقطاعية والرأسمالية ، الا انه فى البناء الفوقى كان يبسط

وصاية دكتاتورية لا مبرر لها عـلى الجمـاهير الغفيرة التى تؤيده تأييـدا ساحقا . لقد كان يقود التجربة الاشتراكية بأساليب فاشية .

ولم تستطع جماعة الاخوان الاعتراف بانجازات النظـام الناصرى التحريرية والديموقراطية فى البناء التحتى ، فتعرضت بالضرورة لاسـلوب حكمه الفاشى فى البناء الفوقى . وكانت ظروف القهر والاضطهاد من جانب النظام الناصرى ، والتنكر من جانب المجتمع المصرى للاخوان بتأثير الخوف من سلطة الدولة ، قد الهمت مفكر الاخوان الكبير سيد قطب داخل السجن ابداعه الفكرى ممثلا فى كتاب « معالم فى الطريق » ، الذى رفض به المجتمع المصرى وكل المجتمعات باعتبارها مجتمعات جاهلية ، لا لاسباب اجتماعية فى هذه المرة كتلك التى الهمت حسن البنا حركته فى العشرينيات فى وجه حركة التغريب ؛ وانما لاسباب تتعلق بصلب العقيدة ذاتها . فلم يعد الاعتقـاد بألوهية الله ، وتقديم الشعائر التعبدية الاسلامية له ، امرا كافيا لكى يصبح المجتمع المصرى مجتمعا مسلما ، وانما لابد أن ينكر حاكمية غير الله ، لابد أن ينكر الطاغوت وكل الطواغيت من حكام البشر ، وينكر كل ما تقدمـه الحاكمية البشرية من نظم وشرائع وقيم وموازين وعادات وتقاليد . وبذلك اصبحت المجتمعات الاسلامية التى تحكم بقوانين وضعية مجتمعات كافرة ، مهما شهد افرادها بأن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول اللـه ، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وصاموا رمضان ، وحجوا الى البيت ما استطاعوا الى ذلك سبيلا .

ومن الطبيعى فى ظل هذه الايديولوجية : ان يكتسب العنف صـفة شاملة ، تشمل الحاكمين والمحكومين . وهذا هو الفارق بين العنف فى عهد حسن البنا أو حسن الهضيبى ، وبين العنف فى عهد سيد قطب . لقد كـان العنف فى عهد البنا محصـورا فى نطاق ضيق هـو نطـاق اليهود والانجليز والحكام ، وكان العنف فى عهـد الهضيبى فى عام ١٩٥٤ قاصرا على شخص عبد الناصر وبعض اعضاء مجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء ؛ ولكن العنف فى عهد سيد قطب هو عنف شامل يشمل الطاغوت والمجتمع الذى يتخـذ من هذا الطاغوت ربا من دون الله . انه عنف يتجاوز اغتيال عبد الناصر ومعاونيه الى تدمير يشمل منشآت الكهرباء والكبارى والقناطر والتليفونات وغيرها — اى يصيب المجتمع الجاهلى ، مما لم يسـبق له مثيل من قبـل فى خطط الاخوان .

وهكذا تهيىء النظم الدكتاتورية دائما وابدا البيئة المناسـبة التى تفرخ فيها الايديولوجيات الاجتماعية المتطرفة ، ويفرخ العنف .

تمـت

الملاحق

١ ـ رسالتى الى صلاح شادى ٠

٢ ـ رد صلاح شادى على الرسالة ٠

٣ ـ مقالات صلاح شادى ٠

٤ ـ ردودى على مقالات صلاح شادى ٠

٥ ـ مقال د٠ فؤاد زكريا ٠

٦ ـ ردى على مقال د٠ فؤاد زكريا ٠

٧ ـ مقـــال فاروق حافظ ٠

٨ ـ رسالة د٠ محمد فؤاد منير ٠

٩ ـ مقالى الختامى بروز اليوسف ٠

ملحـــق (١)

(١) رســالتى الــى صــلاح شـادى

اخى الفاضل الاستاذ صلاح شادى

تحية ود وأخاء واحترام وبعد

يسرنى أن اكتب لكم بعد عودتى ألى القاهرة من لندن ، لابلغكـــم تحياتى وأتمنى لكم موفور الصحة والسعادة وكامل التوفيق باذن الله ·

ان كتـابى عن التنظيم السرى للاخـــوان المســلمين ، الذى نشر فى حلقات بجريدة الهدف الكويتية وبعض الصحف الاخـرى ، فى طريقـــه الى الطبع . وقد عن لى أن الحق به ردود بعض الاخـــوة على مـــا ورد بهـــذه الدراسة ، مما يستحق النشر ويتميز بالموضوعية ، حتى لا يستأثر الكتاب بوجهة نظرى ، وحتى أتيح للقارىء الاطلاع على الرأى الآخر ·

وبطبيعة الحال فان أبرز التعليقات التى صدرت هى تعليقاتكم التى استغرقت مساحة شاسعة من صفحات جريدة « الوطن » ، لانهـا احتوت على وجهة نظر متكاملة تقريبا لداعية كبير لعب دورا رئيسيا فى الاحداث ، ومناضل هام كرس حياته لقضية من انبل القضايا ، وهى الدفاع عن دين الله .

واذا كانت وجهات نظرنا قد اختلفت فى الوسيلة ، الا انى حريص على أن أفسح المساحة الكافية فى كتابى لوجهة نظركم ، لتبقى للقارىء فرصـــة الحكم فى قضية من اخطر القضايا فى تاريخنا المعاصر ، وهى قضية لاتزال محركا هاما فى الاحداث السياسية لبلادنا .

لقد كان اتجاه فكرى فى البداية الى تلخيص مقالاتكم ، ولكنى خشيت الاتهام بالتشويه واختيار ما يروق لى منها وما يسهل على الرد عليه ، لذلك كتبت اليكم مستطلعا رأيكم فى الموافقة على التلخيص ، أو نشر النصـــوص كاملة وهو ما ارحب به كل الترحيب · مع السماح لى بنشر صورة هـــــذا المكتوب معصور قردكم الكريم ، الذى آمل أن يصلنى فى أقرب فرصة .

واخيرا اكرر تمنياتى لكم بالتوفيق فى خدمة قضـــايا امتنا العربيـــة ، وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته .

اخوكم

عبد العظيم رمضان

٧ /١٢ / ١٩٨١

ملحـــق (٢)

رد صــلاح شـــادى على الرســالة

التاريخ : ربيع الاول ١٤٠٢ هـ ــ الموافق يناير ١٩٨٢ م
الاستاذ الكبير الدكتور / عبد العظيم رمضان
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وصلنى خطابكم الرقيق ، يحمل عرضكم الكريم بتدوين نصوص ردودى التى نشرت فى جريدة « الوطن» حول موضوع « التنظيم الخاص للاخـــوان المسلمين » الذى ترغبون فى تدوينه فى كتاب يحمل وجهة نظركم فيما آثرتم تســـميته « بالتنظيم السرى للاخوان المســـلمين » ، والذى نشر فى جـــريدة « الهدف » تباعا ، فى الوقت الذى نشرت فيه جريدة « الوطن » ردودى على بعض ما جاء فيه قرابة أحد عشر مقالا ··

ولعلكم تذكرون انى قد استاذنتكم فى تدوين كتاب حول هذا الموضوع يحمل وجهتى النظر فيما كتبتم وفيما وفقنى الله فى الرد عليه .. ولقد بدأت فعلا تجهيز هذا الكتاب وان شغلنى عن تمام اخراجه كتاب « صفحات من التاريخ » الذى أوقف توزيعه فى مصر فى حياة الرئيس السادات .. وما زلت أسعى لتقرير مصيره الذى لم يبت فيه ·

ولكن ..

بعد أن بدت لى رغبتكم فى نشر النصوص الكاملة التى اسهمت فيهـــا ــ بجهد متواضع ــ فى تصحيح ما شاركت فيه من وقائـــع التـــاريخ الذى اعتبرتنى قد لعبت دورا رئيسيا فى احداثه ، بالاضافة الى ما اسبغتم على فى خطابكم من تكريم ــ لا أستحقه ــ ازاء تكريس حياتى لخدمة قضية مـــن انبل القضايا وهى الدفاع عن دين الله ··

لذا رأيت المبادرة بالموافقة على نشر هذه المقالات فضلا عن ردودى التى ناقشت فيها ردودكم مع رجاء عدم اضافة شىء لم ينشر فى ذلك الحين .

ولقد كنت آمل أن ابادر فى الرد على خطابكم حين وصل الى الكويت فى ١٩٨١/١٢/١٧ ولكنى كنت فى سفر خارجها وعدت منذ ايام لاجد خطابكم فى انتظارى ·

واكرر لكم تمنياتى بالتوفيق فى كتابكم الجديد الذى ارجو أن يحمل الى القارىء من نفاذ الرؤية ما يذهب الضباب الذى استفاضت به وسائل الاعلام فى الماضى والحاضر حول دين الله والعاملين فى حقله ··

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

اخوكم
صلاح شادى

ملحق (٣)
مقالات صلاح شادى

المقــال الاول لصـــلاح شــادى

« لماذا يتجنى البعض فى تصوير جماعة الاخــوان المسلمين »

(الوطن فى الاربعــاء ٥ نوفمبر ١٩٨٠)

قرات مقال الدكتور عبد العظيم رمضان عن جماعة الاخوان المسلمين المدون فى جريدة الهدف فى يوم الخميس ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٨٠ ، فأدهشتنى المفارقة بين محتويات المقال وبين دعواه عن الدراسة العلمية التى يعنيها من ورائه !

وبالرغم من « الباقة » البريئة التى قدم بها الدكتور حديثه عن « اخطر حركة دينية فى التاريخ الحديث » !! .. حين ذكر أن بحثه هذا انما ينصب على الماضى فقط ولا صلة له بالحاضر .. وبالتالى فمن الخطأ ان تعدها اية هيئة محاولة للادانة او الهجوم التى هى أبعد ما تكون عن أغراض الدراسة العلمية الحقيقية .. التى « يتوخاها الدكتور طبعا » ! . الا ان القــارىء الذى يتميز بقليل من الفطنة يعجز عن مدافعة ما يزكم انفه مــن الســـعى الحثيث الذى يستهدفه الدكتور « المؤرخ » بالتشكيك فى المقاصــد والنوايا التى حملها الشهيد حسن البنا لامة الاسلام جمعاء ! .. وحملته بعده جماعة الاخوان المسلمين ..

واذا تحدثنا عما يزكم انف القارىء من « الباقة » الجديدة التى يقدمها الدكتور المؤرخ لقارىء اليوم ، فانما اشير الى ارائه القديمة التى « يشمها » كل من قرأ كتبه سنة ١٩٧٣ او ١٩٧٦ عن تطور الحركة الوطنية فى مصر او كتاب عبد الناصر وأزمة مارس ، وكلها لا تخرج فى مضمونها عما أثاره أمام قارىء اليوم الذى ربما لم تزكم أنفه من قبل ريح تشــير الى الأصـــول التى ينتمى اليها فكر الدكتور فى صياغته لأحداث التاريخ ! .

وانك لا تعجز عن ادراك ما يعنيه الدكتور « المؤرخ » ! فى أول سطور مقاله التاريخى عندما يضعك أمام قضية مسلم بها لا تحتـــاج ــ عنده ــ الى نقاش هى « فكــرة العنف والاســتيلاء على السلطة عند جمــاعة الاخوان المســلمين » !

فهو لا يناقش هذه القضية ذاتها وانما يوحى اليك انها من البديهيات التى لا تقبل النقاش ‥ وأن القضـــية التى يطرحهـا للبحث هى فقط معرفة الوقت الذى بدأت تظهر فيه هذه الفكرة فى رأس حسن البنا !!

ولا أحسب ان الدكتور « المؤرخ » قد غاب عنه أن هذه « الفكرة » كانت موضوع قضية قدمتها النيابة فيما سمى فى هذا الوقت قضية « الجيب » التى صدر الحكم فيها سنة ١٩٥١ ٠

‥٠ وسمع القضاء من ممثليل الاتهام الكثير عن تطور فرق الرحلات التى جعلها الدكتور موضوع حديثه ، بل وفرق الجوالة ونظام الكتائب ‥ بل والنظام الخاص نفسه ‥ الذى انشأه حسن البنا ! ٠

وصدرت احكام هذه القضية بعد مقتل النقراشى وبعد محاولة قتل حامد جوده التى اتهم فيها الاخوان المسلمون ٠ بل وساقت النيابة حشداً مـــن الاتهامات نسبتها الى جماعة الاخوان منها حوادث شركة الاعلانات الشرقية « اليهودية » وحـــوادث نسف محـــل جاتينيو وشــيكوريل وأوريكو « اليهودية » ونسف حارة اليهـود « القرائين » وحادث نسف حارة اليهـــود الربانيين ‥ كل ذلك ساقته النيابة للتدليل على نوايا الجماعة الارهابية فماذا قال القضاء فى حيثيات حكمه عن هذه الجماعة وأسلوبها فى التربية والتكوين وما ردت به هذه الحيثيات على القول بمحاولة القفز على السلطة ‥ وفكرة العنف ‥ التى روج لها الدكتور « المؤرخ » ؟ ‥

ان المحكمة التى اصدرت حكمها فى ١٧ مارس سنة ١٩٥٠ ـ بعد هـذا الحشد من اتهامات النيابة لجماعة الاخوان بالنسف والتدمير ـ لم تبرىء الاخوان المسلمين فقط من دعوى الارهاب ولكنها اشادت بدورها البطـــولى المشرف فى خدمة مصر ‥

وفى نفس الوقت خطأت المحكمة النيابة فى وصفها للجهاز الخاص بأنه جهاز ارهابى « ـ وليس فقط جهاز الرحلات !! ـ » وقالت المحكمة فى حيثيات الحكم انه جهاز تدريب يتمشى مع الاهداف المقررة لتحرير وادى النيل وجميع البلاد الاسلامية ‥ وانه لم يتضمن ولم يدع الى ارتكاب جريمة ٠ ولا يعنيه او يضيره ان بعض أعضائه كونوا من تلقاء انفسهم مؤامرة اجرامية لاعمال القتل والتخريب ‥

ولكن ..

يبدو أن الدكتور المؤرخ « لم يقرأ هذه الحيثيات وكذلك لم يقرأ ثناء اللواء أحمد المواوى واللواء أحمد فؤاد صادق على الاخوان المسلمين فى شهادتيهما أمام المحكمة وما ذكراه عن البذل والفداء الذى قدمه الاخوان المسلمون فى الصراع الفلسطينى « وعلى مستوى التدريب العـــالى الذى حصلوا عليه مما جعل المحكمة تدين لهذا الامر بالتقدير فى الحكم على نوايا الجماعة وحقيقة أهدافها » .

واذن فقد عجز الجهاز الحاكم وعلى راسه الملك فى تشويه سمعة جماعة الاخوان المسلمين أمام القضـــاء ، ولكن ... نجح رئيس الوزراء ابراهيم عبد الهادى فى تقديم راس « البنا » هدية له فى عيد جلوسه على العرش فى ١٢ فبراير سنة ١٩٥٠ ليكون عنوانا على نوعية الصلة التى كانت بين فاروق والاخوان المسلمين !! .. تلك الصلة التى حاول الدكتور « المؤرخ » أن يلوى فيها الحقائق ليوحى الى القارىء ان ثمة نفعا مشتركا أقام تحالفا بين الاخوان والملك !! ولم يسق فى ذلك دليلا واحدا سوى ظنونه الحالكة السواد .

ومما يؤسف له أن الدكتور « المؤرخ » عجز أيضا عن أن يرى فى مقتل حسن البنا ارهابا !! ولا فى اللوم الذى وجهته المحكمة الى الســـلطات الحاكمة فى قضية الجيب بسبب تعذيب الاخوان المسلمين فى اخر ما وقـع من حوادث الارهاب « المدعى » بمحاولة قتل حامد جوده التى أتهم فيها الاخ مصطفى كمال عبد المجيد حين حضر رئيس الوزراء ابراهيم عبد الهـــادى التحقيق ورأى المتهم معلقا فى الهواء داخل غرفة فى قسم مصر القديمة ! .. وجسده مقطع من أثر السياط ! ومع ذلك عجز الدكتور رمضان عن أن يرى فى ذلك أى لون من الارهاب أو العدوان على كرامة المواطنين عامة والاخوان المسلمين خاصة !! ..

وهذا بعينه ، هو الانصـــاف — فى رأى الدكتـــور — وان خالف رأى القضاء !! ..

واذا كانت وقائع الاحداث تلوى بهذه الصورة ، فما بالك بموضوعية فكر حسن البنا الذى ساقه لنا الدكتور رمضان فى اطار من المهانة أهدر به أصول العقيدة ذاتها التى كنت أظن انها أصبحت من المسلمات التى لا يمارى اليوم فيها مسلم ! ..

والعجيب انه اذا قال احد الناس ان الاسلام دين ودولة . عقيـــدة

وشريعة • مصـــحف وسيف فلا بأس أن يقول ذلك ما دام القائل ليس حسن البنـــا ! ••

أما أن ينادى حسن البنا بهذا الاصل الذى لا يختلف عليه احد فهذا فى رأى الدكتور رمضان إنحراف عن وسيلة « الحب والاخاء والتعارف » التى نادى بها الرجل سنة ١٣٥٢ هـ !!

وآذا جرى هذا الاختلاف فى وجدان الدكتور فلا شك انه يرى اختلافا أيضا حين يقرأ فى كتاب الله قوله تعـالى : « ادع الى ســبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » وبين قوله تعالى : « قاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » أو بين قوله تعالى لموسى وأخيه هارون « اذهبــا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى » •• وبين حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الايمان » ••

فاذا استقام لدى الدكتور وجود تفاوت فى هذه الايات فانه لا شــك يعتبر معذورا فيما يراه من تفاوت فى سلوك حسن البنا فى مبدأ دعوته التى نهضت على « الحب والتعارف » وبين ما نادى به فى سنة ١٩٣٨ بضرورة حمل الحكومة على منهج الاسلام ! .

هذه واحدة من اغلوطات الدكتور ••

واغلوطة ثانية وجدت طريقها الى مقال الدكتور رمضان فألبسهــا ـ كعادته ـ ثوب الحقيقة ليزين للقارىء بأن ما يقوله « دراســـة علمية حقيقية » ! ••

فهو لا يستطيع أن يفسر ارتفاع عدد فروع جمعية الاخوان المسلمين من عشرة الى خمسين بعد عام واحد ثم الى ثلاثمائة سنة ١٩٣٨ « أى بعد عشرة أعوام » ! •• ويستطرد فى شرح ذلك فيقول « واذا كان هذا مفهوما بالنسبة لفترة الوفد ـ لالتزامه بالخط الدستورى الديمقراطى ـ فهـو غير مفهوم فى عهد الانقلاب !! وعلى كل حال تبقى هذه الملاحظة صحيحة وهى أن جماعة الاخوان المســلمين كانت تزدهر دائما وأبدا فى العهود الرجعية حتى وقع الانشقاق وانفض التحالف عام ١٩٤٨ » ••

لقد كدت اتصور وهو يتحدث عن عهد الانقلاب هذا أنه يعنى حـركة

الجيش سنة ١٩٥٢ ولكنى أدركت أنه تجاوز هذا المفهوم واعتبر عهد الانقلاب هو اقالة الملك لحكومة الوفد وتشكيل الوزارة من أحزاب الاقليات !! فسمى هذا انقلابا وحكما رجعيا فى حين نراه يصف حكم الوفد بالحكم الملتزم بالخط « الدستورى الديمقراطى » ! ··

وانه ليدهشنى حقا من الدكتور « المؤرخ » أن يبدو كأنه مقتنع بما يقول ! ·

فان كل الحكومات ـ بما فيها حكومة الوفد لم تسلم معها جماعة الاخوان من الاضطهاد تارة بالقبض وأخرى بالمصادرة وثالثة بالاعتقال والتشريد ··

ان المد الذى أصابته جماعة الاخوان ، لا علاقة له بعهد من العهود أو حكومة من الحكومات فطبيعة الاسلام تحمل قوته فىذاته وانتشاره انما ينطلق من معنى الربانية الذى يوحيه فى قلوب الناس ويركزه فى عقولهم ··

ولكن « مؤرخنا » لا يرى فى هذه القوة ما يدعو الى أن يكون للاخوان المسلمين ثلاثمائة شعبة فى عشر سنوات !!

··· ولكن بعض المنصفين ممن لا يحملون مثله أجازة الدكتوراه فى التاريخ لم يحجبهم بغضهم لجماعة الاخوان عن قول الحق فى هذا الصدد ، فيروى لنا السادات فى كتاب البحث عن الذات صفحة ٣٦ هذه الواقعة :

« كان الاخوان دون شك قوة لا يستهان بها ويكفى للتدليل على هذه القوة انه كانت أمام مقرهم بالحلمية فيلا رائعة أراد الشيخ البنا أن يجعلها مقرا جديدا للجمعية فطرحها للاكتتاب ، وفى أقل من يوم غطى الاكتتاب واشتراها !! » ·

واذن ·· فمحاولة التشكيك فى مصادر المال الذى استطاع به حسن البنا انشاء ثلاثمائة شعبة فى عشر سنوات لا يقدم ولا يؤخر شيئا حتى لدى المنصف الكاره !! ·· أما أمام الدكتور « المؤرخ » فتلوى عنده الحقائق ليقول « انه يفهم أن تنتشر فروع الجمعية بالنسبة لفترة الوفد لالتزامه بالخط « الدستورى الديمقراطى » ولكن لا يفهمه فى غير ذلك من العهود !! ··

فكيف تناسى الدكتور أن النحاس باشا رئيس الوزراء ورئيس حزب الوفد استدعى حسن البنا سنة ١٩٤٢ بعد اعلان رغبته فى ترشيح نفسه

عن دائرة الاسماعيلية وطلب منه تنازلا عن هذا الترشيح وصارحه بأن الدوائر البريطانية لا تسمح له بدخول البرلمان ووعده اذا فعل ما يطلبه منه أن يترك له حرية مزاولة نشاطه بالكامل وأن تقوم الحكومة بمنع شرب الخمر ومنع الدعارة الرسمية كطلب حسن البنا لقاء هذا التنازل ٠٠ !!

ولكن ٠٠

ما ان شارفت سنة ١٩٤٢ على الانتهاء حتى أغلق النحاس باشا الشعب ثانية وصادر نشاطها وراقب تحركات الافراد !!

فهل ما زال الدكتور رمضان مقتنعا بأن وزارة الوفـــد كانت ملتزمة بالخط « الدستورى الديمقراطى » أم أن حظ الاخوان مع وزارة الوفد كـان كحظهم مع باقى الحكومات الرجعية امتدادا وانحسارا !! ٠٠

٠٠٠ وثمة أغلوطة ثالثة تطرح لك منهج الدكتور رمضان فى التفكير حين يقول « انه يعتبر حسن البنا أنموذجا فريدا لفريق الشباب المتدين الرافض لتيار الغرب فلم يستلفت نظره شيء من الوان الحياة والكفاح الســـياسى والاقتصادى والاجتماعى والفكرى الدائر فى القاهرة فى العشرينيات سوى ما يتعلق بما أسماه « بالتحلل الاخلاقى » !!

واذن ٠٠ فالمؤرخ المدقق يرى أنه ما دام حسن البنا قد عنى فى مبدأ دعوته بمواجهة التحلل الاخلاقى الموجود نتيجة حالة « التغريب » التى ظهرت موجاتها فى المجتمع المصرى فى نبذ المرأة المصرية للحجاب واقبالها على التعليم ونزولها الى ميدان العمل والى ميدان السياسة وتنديدها بتعـــدد الزوجات ٠٠ فمعنى ذلك أن كفاح حسن البنا السياسى فضلا عن مؤسسات الجماعة الاقتصادية ، والاجتماعية ، التى نشأت فى تاريخ متأخر لنشأته ونشأة الجماعة لم تكن واردة فى آماله ! ٠٠ بل ولا حتى فكرة الخـــلافة الاسلامية التى نادى بها فى المؤتمر الخامس سنة ١٩٣٨ والتى أعتبرها البنا احدى دعائم ايدلوجية الاخوان المسلمين كانت تعنيه فى هذا الوقت !

وينتهى من ذلك الى هذه النتيجة الخطيرة فيقول :

« يتضح من ذلك أن حركة الاخوان المسلمين لم تدفع اليها عـــوامل سياسية تتعلق بقضايا الاستقلال والدستور أو رفض للنظام القائم وانما دفعت اليها أفكار سلفية تعارض تيار « التغريب » ، أما فكرة العنف والســـعى

للوصول الى الحكم بالقوة فلم تكن واردة فى رءوس أصحابها ، وانما العمل السلمي المتمثل فى اصدار الجرائد الاسلامية والوعظ والارشاد وتاليف الجمعيات وغيرها من الوسائل ٠

وهذه الاغلوطة الثالثة التى يجعلها الدكتور رمضان مطيته الى فهم حركة الاخوان المسلمين كما وردت فى تلخيصه الاخير لا توصف الا بأنها حق أريد به باطل !!

فأنه من الامور اليقينية أن حركة الاخوان المسلمين لم تدفع اليها عوامل سياسية تتعلق بقضايا الاستقلال والدستور أو رفض للنظام القائم ٠ ولكن دفع اليها ايمان ركيز بأن الاسلام نظام حياة شامل لا يستقيم ظله الا بالايمان بالكتاب كله والدولة جزء من منهاج الحياة الذى رسمه الاسلام

وليست هناك بدائل عن هذاالنظام ، كما انه ليست هناك بدائل عن وسيلة التغيير التي رسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بدفع المنكربالبد فان لم يستطع فباللسان فان لم يستطع فبالقلب ٠

واذن ٠٠ فالتدرج الذى أنكره الدكتور « المؤرخ » على حسن البنا هو نفسه الذى لا أحسبه يستطيع انكاره على رسول الله صلى الله عليه وسلم ! كما جرت سنته العملية وكما جرى بذلك حديثه كما ترويها وقائع التاريخ الذى أدركنا منه كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى نصر جيوش المسلمين بعد خروجه من مكة هربا من كفار قريش وهوفي طريقه الي المدينة !! فيعد سراقة بن مالك بأحد سوارى كسرى بعد أن ساخت قوائم فرسه وهو يتبع الرسول صلى الله عليه وسلم ليعود بخبره الى الكفار ! ٠٠ واذن فلم تغب عنه حقيقة تألب الفرس والروم على المسلمين بل نصر جيوش المسلمين عليهم — الذى لم يمتد به الاجل ليراه — وهو بعد ٠٠ يخطط لهربه من بطش الكفار !!٠٠ فهل غيرت غزوات المسلمين أسلوب الدعوة الاسلامية الذىيجرى بالحب والاخاء والتعارف أو منهاج الاسلام فى مجال التربية الخلقية بالوعظ والارشاد أم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علم أصحابه مواجهة الحرب بالحرب والكيد بالكيد والعدوان بالرد عليه !؟

وهكذا جرى أو كان يجرى فهم حسن البنا لما ينتظر أتباعه جريا على سنن الله فى الكون فكان لابد من مواجهة بطش الباطل بالحق ورجاله ، بالعدة والعتاد التى اعتبرها الدكتور رمضان تحقيقا « لفكرة العنف » وفى

نفس الوقت اعتبرتها المحكمة التى حاكمت الاخوان المسلمين « تدريبا يتمشى مع الاهداف المقررة لتحرير وادى النيل وجميع البلاد الاسلامية » ٠

ولكن ٠٠

يبدو ان تأثر الدكتور رمضان بأفكار الغرب عن الدين المسيحى حال دون تصـــوره لهذا المنهاج الذى بدا متكاملا فى فهم حسن البنـــا منذ ظهرت دعوته بقدر تكامله فى كتاب الله بعد انقطاع الوحى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بدءا من مفهوم الخلافة الاسلامية الذى يعلم المسلمون جميعا انه فرض كفاية لابد أن ينهض البعض لتحقيقه حتى يسقط اثمه عن عامة المسلمين ومرورا بنظام الدولة فى مجال السياسة والاقتصاد عبر الامة التى تستظل بشريعة السماء فى دستورها لتعيش فى كنفها الاسرة المســـلمة التى تنهض قوائمها عليه ويصح به ايمان الفرد الذى يبنى طاقاته على ركائز التوحيد .

كل هذا كان يدركه حسن البنا فلم تكن خطواته عشـــوائية ولم ينهض بدعوته من فراغ ولم يكن أنمـــوذجا فريدا لفريق الشـــباب المتدين الرافض لتيار التغريب كما يقول الدكتور « المؤرخ » ولكنه كان نموذجا فريدا للفريق الشباب المتدين الرافض لكل نظام سوى الاســـــلام وليس تيار التغريب فحسب !! ٠

والجهد الذى بدأ من الدكتور رمضان لاقناع القارىء بأن حسن البنا لم يحفل بأى لون من الوان الكفاح السياسى والاقتصادى والاجتماعى و الفكرى الدائر في القاهرة فى العشرينيات سوى ما كان من التعلل الخلقى ، يصـــبح بذلك كلاما لا يحتاج الى دليل فى الرد عليه ٠٠ فالبنا لم يخترع لنفســـــه اسلاما ٠٠ ولم يجهل ما يعرفه كل مسلم عن شمول الاســـــلام فى بنائه للسياسة والاقتصاد والاجتماع ٠٠٠ ولكن كانت نقطة البدء هى تكوين الفرد على العقيدة الصحيحة والخلق السليم لتفجير طاقاته الايمانية لايجاد القوة التى يحتاجها المصلحون فى تحقيق البناء المنشود ، هذه القوة التى اعتبرها الدكتور جريمة نكراء ونقطة سوداء فى تاريخ الجماعة ورآها البنـــا ضرورة من ضرورات البناء وتحدث عنها وعن الثورة بما يغنينا فى الرد على الدكتور « المؤرخ » ٠

يقول الامام الشهيد حسن البنا فى رسالة المؤتمر الخامس « أما القوة فشعار الاسلام فى كل نظمه وتشريعاته فالقرآن الكريم ينادى فى وضوح وجلاء « وأعدوا لهم ما اســـتطعتم من قوة ومن رباط الخيـــل ترهبون به عدو الله

وعدوكم » ... ! بل ان القوة شعار الاسلام حتى فى الدعاء وهـــو مظهر الخشوع والمسكنة واسمع ما كان يدعو به النبى صـــلى الله عليه وسـلم فى خاصة نفسه ويعلمه أصحابه وينادى به ربه « اللهم انى اعوذ بك من الهم والحزن واعوذ بك من العجز والكسل واعوذ بك من الجبن والبخل واعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال وهكذا استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل مظهر من مظاهر الضعف ، ضعف الارادة بالهمّ والحزن وضعف الجيب والمال بالجبن والبخل ... وضعف العزة والكرامة بالدين والقهر !! » .

ثم يستطرد فيقول :

والاخوان المسلمون اعمق فكرا وابعد نظرا من ان تستهويهم سطحية الاعمال والفكر ، فلا يغوصون فى أعماقها ولا يزنون نتائجها وما يقصد منها وما يراد بها ، فهم يعلمون ان أول درجة من درجات القوة العقيدة والايمـان ويلى ذلك قوة الوحدة والارتباط ثم بعدهما قوة الساعد والسلاح ولايصح ان توصف جماعة بالقوة حتى تتوفر لها هذه المعانى جميعا ، فانهـــا اذا استخدمت قوة الساعد والسلاح وهى مفككة الاوصال مضطربة النظام او ضعيفة العقيدة خاملة الإيمان فسيكون مصيرها الفناء والهلاك .

ثم يتساءل الإمام « البنا » فيقول :

« ولكن هل أوصى الاسلام – والقوة شعاره – باستخدام القوة فى كل الظروف والاحوال ام حدد لذلك حدودا واشترط شروطا ووجه القوة توجيهـا محدودا .

وهل تكون القوة أول علاج ام ان آخر الدواء الكى

وبعد هذه الاسئلة يجيب السائلين فيقول :

« ان الثورة اعنف مظاهر القوة ومن هنا كان نظر الاخوان المسلمين اليها ادق واعمق وبخاصة فى وطن كمصر جرب حظه فى الثورات فلم يجن منها الا ما تعلمون ، وبعد كل هذه التقديرات اقول لهؤلاء السائلين « ان الاخوان المسلمين سيستخدمون القوة العملية حيث لا يجدى غيرها وحيث يثقون انهم قد استكملوا عدة الايمان والوحدة وهم حين يستخدمون هـذه القوة سيكونون شرفاء صرحاء وسينذرون اولا وينتظرون بعـــد ذلك ثم يقدمون فى كرامة وعزة ويحتملون كل نتائج موقفهم هذا بكل رضاء وارتياح .

« اما الثورة فلا يفكـر الاخـوان المســلمون فيها ولا يعتمدون عليهـا ولا يؤمنون بنفعها ونتائجها .... وان كانوا يصارحون كل حكومة فى مصر

بأن الحال اذا دام على هذا المنوال ولم يفكر اولو الامر في الاصلاح العاجل والعلاج السريع فسيؤدى ذلك حتما الى ثورة ليست من عمل الاخــــــوان المسلمين ولا من دعوتهم !! » ٠

ـ هكذا فهم جماعة الاخوان المسلمين القوة منذ نادى بها حسن البنا وهكذا نظروا للثورة التي تأبى عقلية الدكتور المؤرخ أن تفهمها من خلال المسار التاريخي للجماعة لا لشيء الا لينجح الدكتور المؤرخ فى عرض الاخوان المسلمين بالصورة التى تخيف الحكام والمحكومين ، وفى نفس الوقت يأبى ايضا الا ان ينظر الى الاسلام بعقلية « الخواجة » الذي يعتبر الدين منهاج صلاة لا منهاج حياة ! ٠٠٠ حتى اننا لنراه يتساءل فى مقاله التاريخي :

« ما الذى دفع بحسن البنا الى ميدان السياسة ؟ » ٠ ويجيب على ذلك قائلا « ان نمو القوة الذاتية لجماعة الاخوان عامل أساسي في هذا التحول » ٠

واذن فالدكتور « المؤرخ » يرى ان دخول الاخوان المسلمين فى السياسة عنوان تحول عن حقيقة الاسلام وجوهره ، وفى نفس الوقت يروى — فى نفس مقاله — أن دخول المرأة ميدان السياسة عنوان حضارة للامة !

اما حق المسلم في المشاركة في ميدان السياسة فيحتـــاج ـ فى راى الدكتور ـ الى « قوة ذاتية نامية » تثقل بها كفته لتوازى كفة المرأة فيصبح له الحق في المشاركة في ميدان السياسة ! ٠

هــــذا كــــلام له خبيء   معنـــاه ليست لنا عقــول !

كلمة اخيرة ارجو ان يعيها الدكتور عن شخصية حسن البنا الــذى كثيرا ما خاض هو وأمثاله فى عرضه وسيرته :

ان الظروف والاحوال لم تكيف خصائص دعوته ، وانما استطاع هو أن يصلح الارض التى تنبت عليها الثمرة لتصبح بها وتزكو ، ولا شك أنك قرأت له نداءه الى الاخوان المسلمين « لا تصادموا نواميس الكون فانها غالبة ٠٠ ولكن غالبوها واستخدموها وحولوا تيارها واستعينوا ببعضهــــا على بعض » ! ٠

ولا احسب ان الدكتور رمضان قد اغفل ـ ما دام قد قرأ رسالة المؤتمر الخامس ـ عن قول حسن البنا الذى يرسم به خطوات المستقبل في روية

واناة ، فيقول لعامة الاخوان « ان طريقكم هذا . مرسومة خطوطه موضوعة حدوده ، ولست مخالفا هذه الحدود التى اقتنعت كل الاقتناع بانها اسلم طريق للوصول فمن أراد منكم ان يستعجل الثمرة قبل نضجها فخير له إن ينصرف عن هذه الدعوة الي غيرها من الدعوات ! » ٠

واخيرا ٠٠٠

همسة أزجيها الى اذن الدكتور رمضان ٠ ٠

انه من الخير له ان ينظر الى حقائق التاريخ من خلال سنن الله فى كونه لا من خلال ظن يتيمه او فكر يروج له .

فذلك ادعى الى صدقه وتصديقه ان كان يبتغى النفع لأبناء أمته ٠

والسلام على من اتبع الهدى ٠

— يمكن للقارىء أن يقرأ ردنا على هذا المقال فى الملحق رقم (٤) من هذه الدراسة ، الذى يتضمن ردودنا على الاستاذ صلاح شادى (المقال الأول) ٠

المقال الثانى لصلاح شادى

« لماذا يتجنى البعض فى تصوير جماعة الاخوان المسلمين »

(الوطن فى ١٣ نوفمبر ١٩٨٠)

مازلت اقرأ للدكتور رمضان ، فى حديثه الاسبوعى فى جريدة الهدف الغراء محاولاته المتكررة فى تصوير جماعة الاخوان المسلمين بأنها تهدف الى العنف ، والاستيلاء على السلطة ·· ويبدو أن هذه المعانى قد أصبحت « لعبته » المفضلة ! ··

واستدل على ذلك — هذه المرة — بتكوين فرق الجوالة !! · فى حين كان استدلاله السابق يتناول فريق الرحلات !! ·· وكلها — فى نظر الدكتور — كانت « روافد » البنا الى النظام الخاص ! ··

وكنت أحسب أنى — فى مقالى السابق — قد وفرت عليه جهده الضائع بما سقته عن « البنا » فى هذا الصدد من انه هو الذى أنشأ النظام الخاص أو النظام السرى — كما يحب الدكتور ان يسميه — وتناولت أيضا فى هذا الصدد حكم القضاء المصرى سنة ١٩٥١ الذى خطأ النيابة فى وصف هذا الجهاز بأنه « ارهابى » حين ذكر فى حيثياته « انه جهاز تدريب يتمشى مع الاهداف المقررة لتحرير وادى النيل وجميع البلاد الاسلامية وأنه لم يتضمن ولم يدع الى ارتكاب جريمة ·· وأن المحكمة تدين بالتقدير لروح البذل والفداء الذى قدمه الاخوان المسلمون فى فلسطين الامر الذى شهد به اللواء المواوى ، واللواء احمد فؤاد صادق مما دعاها الى الحكم — من خلال ذلك — على نوايا الجماعة وحقيقة أهدافها ·· » ·

وهكذا تطيش سهام الدكتور « المؤرخ » التى سددها الى الاخوان المسلمين فى مقاله السابق ··

ولكن ···

وجدته للاسف يجرى فى مقاله الثانى على نفس المنوال ويسوق نفس الاباطيل ! ·· وكنت احب الا اتعرض لانتماءات الدكتور رمضان الفكرية ·· التى اشرت اليها فى يسر ، فى مقالى السابق ·· ، ولكن ، اما وقد أبى — فى

مقاله الثانى ـ الا أن يكشف ستر الله عليه ، فلم اجد مناصا من توضيح « هويته » فيما اكتبه اليوم ، ان شاء الله ٠٠٠

يقول الدكتور « المؤرخ » أنه فى يوليو عام ١٩٣٧ عند عودة الملك فاروق الى القاهرة استقبلته جوالة الاخوان المسلمين على باب قصر عابدين رافعين اعلامهم يهتفون « الاخوان المسلمين يبايعون الملك المعظم ٠٠ نبايعك علىكتاب الله وسنة رسوله » ٠٠

واعتبر الدكتور رمضـــان هذه المظاهرة ـ بتلك الصـــورة ـ احدى سقطات جماعة الاخوان المسلمين ! ٠٠

ونقول فى ردنا على الدكتور انى لا أحسبه يجهل أن الملك فاروق كان فى هذا الوقت فى مبدأ توليه العرش ، موطن رجاء الامة جمعاء ان يثبت الله أقدامه على الطهر والعفة والتدين وهى الامور التى كانت تبدو سماتها على سلوكه ، اذ كان يرعاه حينذاك الشـــيخ « المراغى » رائده ومربيه ٠٠ وكان الاخوان المسلمون يهدفون الى تزكية فضائل الملك الجديد ، ودفعه الى ادراك الرؤية الصحيحة للاسلام ، التى بدت شواهدها على تصرفاته كما قلنا .. فلم يكن بدعا أن يستقبله الاخوان ـ فى أول عهده بولاية العرش ـ بهـــذه المظاهرة التى بايعته فيها جوالتهم على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ٠٠ وكان هذا هو نفس هتافهم الذى عابه عليهم الدكتـــور المؤرخ وأدانهم به !! ٠

واذا اعتبر الدكتور رمضان هذه المظاهرة سقطة فى تاريخ الاخـــوان المسلمين السياسى ٠٠ فماذا تراه يقول عن المظاهرة العسكرية التى حشد فيها السـفير البريطانى « مايلز لامبسون » قوات الجيش الانكليزى حول القصر فى ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ لتكون مرسوما انكليزيا بتعيين النحاس باشا رئيسا للحكومة ؟! ٠٠ فلما استدعى الملك رؤساء الاحزاب والسياسيين القدامى لاستشارتهم فى هذه الكارثة ، انتهى التفكير الى قبول الانذار البريطانى وتكليف النحاس باشا برئاسة الوزارة ! ٠٠

ولكن النحاس باشا رفض هذا التكليف ! ٠٠ ، وأسر الى الملك أن لديه شرطا وحيدا للقبول !! .

وظن الحاضرون أن هذا الشرط لابد سيحفظ للعرش كرامته وللوطن عزته ! ٠٠

ولكن ٠٠٠ ٠

اذا به يقول بين دهشـــة الحاضرين ٠٠٠ « الشرط ٠٠٠ أن تأذن لى

بتقبيل يدك ... » شرط أذل صاحبه .. ولم يرفع رأس مصر ! .

ونسأل بدورنا الدكتور رمضان .. هل كانت مظاهرة الاخوان المسلمين التى نادت الملك بتحكيم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ،أدنى قدرا ــ فى مجال المطالب السياسية ــ من طلب النحاس باشا تقبيل يد مولاه فى هذا الظرف الذى كانت دبابات الانكليز تحاصر قصر الملك !!؟ ..

وهكذا تلوح لنا من ملامح شخصية الدكتور رمضان حقيقتان ، من واقع ما يكتب ، بالاضافة الى ماضيه الذى نعرفه ويعرفه الكثير ..

الاولى : انه وفدى صارخ الحزبية ، يمنعه جموده الحزبى من التحرر ليبلغ مستوى الصدق والتجرد الضروريين لمن يناقش أحداث التاريخ .

الثانية : انه من الجناح اليسارى للوفد الذى قام لموازنة جناح فؤاد سراج الدين اليمينى ، وانتهى الامر به اخيرا الى أن أصبحت نظرته الماركسية هى وحدها التى تشكل اطار فهمه لقضايا الاسلام فضلا عن جماعة الاخوان المسلمين الامر الذى أعتم لديه الرؤية الصحيحة لاحكام الاسلام ! . حتى لنراه يناقش المسلمات والاصول ، وكأنها نقائص تستدعي منا الدفاع عنها أمامه !! ..

اذن فلا يدهشنا بعد ذلك شجبه لمظاهرة ، دعت فيها الرعية حاكمها الى ان يستظل بكتاب الله فى منهاج حكمه ، لانه لم يتذوقها بوجدان المسلم ، وانما رآها بمنظار كارل ماركس .. مظاهرة رأسمالية تؤيد الملك الذى يمثل عنده قمة العداء للاشتراكية العلمية الجاحدة للاديان ! ..

أجل ... لا يدهشنا ذلك ، وانما قد يدهشنا العكس ..

فاذا مضت بنا سطور الدكتور المؤرخ ــ فى مقاله الثانى ــ رأيناه يدلل على سوء نية الاخوان المسلمين فى جمع السلاح بقصة رواها عن «شاهده» أنور السادات بأن المرشد حسن البنا كان يجمع السلاح ويخزنه !! ..

ثم ...

يغرق « المؤرخ » المخضرم بعد ذلك فى « حيرته العلمية » ! للبحث عن الجواب لهذه المشكلة العويصة التى بدت أمامه ! ..

هل كان التسليح من جانب البنا لاسباب تتعلق باخراج الانكليز من مصر ؟! .. أم كان لاسباب داخلية تتعلق بالاستيلاء على الحكم عند اللزوم؟ ولا يلبث أن يجيبك فى رصانة « العالم » المتجرد فيقول :ــ

« من الثابت ان الاخوان المسلمين لم يتورطوا فى أى دور من أدوار المقاومة السرية ضد الانكليز أثناء الحرب العالمية الثانية !! » ..

هكذا ٠٠ ! ، ٠٠ وبكل جرأة ! ٠٠ ويستدل على ذلك فيقول :

« أنه لم يكن لهم دور فى مظاهرات « الى الامام يا روميل » !! التى جرت فى أول فبراير سنة ١٩٤٢ !! »

ان خيبة الامل التى تطالعك من هذا « الدكتور » لا تأتيك فقط من الباسه الباطل ثوب الحق « كمؤرخ » ولكنها تأتيك أيضا من فهمه المتاث لمعنى الوطنية ذاته !..

فان معنى الكفاح عنده لا ينبع من محاولة تفجير طاقات الأمة لدفع غوائل الاستعمار ايا كان لونه انكليزيا أو المانيا !! ، ولكنه ينبع من محاولة استعداء مستعمر على مستعمر ! ، فى حرب ضروس تأكل الاخضر واليابس من وطنه حتى اذا ترك الانكليز شيئا من بقايا العمران اثناء انسحابهم المأمول ، اجهز الالمان على ما أبقاه الانكليز فى صراع لا ناقة لنا فيه ولا بعير!!

كان هذا هو مفهوم الوطنية عند الدكتور المؤرخ !! ٠

فاذا لم يشارك الاخوان المسلمون فى مظاهرة تدعو المستعمر الجديد الى التقدم فى ظل هذه الصيحات « الهستيرية » « الى الامام يا روميل »! أصبحوا — عنده — « خونة » يجمعون السلاح لغرض آخر غير محاربة الانكليز ! ٠٠

والعجيب أن هذا الفهم — دفع مستعمر قديم بمستعمر جديد — كان يحمله السادات والبغدادى وحسن ابراهيم فى مبدأ نشاطهم السياسى حتى ليقول السادات فى كتابه البحث عن الذات ص ٤٩ انه أرسل بموافقة اخوانه البغدادى وحسن ابراهيم أعضاء مجلس الثورة المصرى وغيرهم من ضباط الصف الثانى وجيه اباظه وغيره ، مسودة معاهدة بينهم وبين الالمان !! ، عندما تقدموا الى العلمين فى الحرب العالمية الثانية ، حملها الطيار سعودى على طائرة هرب بها الى مواقع الالمان وحمل معه فيها خرائطعن مواقع الدفاع الانكليزية !! ٠٠

ولكن من الانصاف أيضا أن نقول « أن البغدادى قد اعتذر عن هذا السلوك — منه ومن اخوانه — فى مذكراته فى الجزء الاول ص ١٣ حيث يقول ربما يكون هذا التفكير فيه سذاجة !.. ، ولكن لا ينسى القارىء قلة خبرتنا فى السياسة فى ذلك الحين ٠٠ فلم يكن عمر أحدنا تعدى الاثنين وعشرين عاما ، كما لا ينسى أيضا أن الدافع لهذا التحرك منا كان الحماس الوطنى مع اندفاع الشباب كما لم تكن صورة المانيا الهتارية على حقيقتها واضحة لنا»٠

٠٠٠ واذا صح عذر البغدادى ومن معه عن هذا السلوك ٠٠ وهو عندى لا يصح ٠٠ فما عذر الدكتور المخضرم فى علم السياسة الذى ما زال يرى

ـ حتى الان ـ أن عدم اشتراك الاخوان المسلمين فى مظاهرة تدعو الى تقدم روميل !! خيــانة ٠٠ ودليــل على رفض الاخــوان لأى نشــاط ضــد الانكليز ؟! ٠٠

ـ ودعونا نسال مؤرخنا « الجليل » عنمدى تقنينه لسلوك أنور السادات فى محاولته اقناع حسين توفيق بالكف عن حوادث قتل الانكليز التى كــان يمارسـها فى هذا الوقت .. ليبدا نشاطا داخليا آخر بقتل اعوان الانكليز فى الداخل امثال النحاس باشا وامين عثمان ، لأنهم اخطر شأنا من الانكليز ؟!٠. واورد السادات ذلك فى كتابه البحث عن الذات ص ٨٢ ٠

ـ ثم ما رأيه ، ثانية ، فى قيام السادات فعلا مع حسين توفيق بمحاولة قتل النحاس باشا بالقاء قنبلة على سيارته فى ٦ سبتمبر سنة ١٩٤٥ ، كما ورد ايضا فى نفس المصدر السابق ص ٨٣ ٠٠ ، فضلاعن قتل أمين عثمان الذى قام فيه السادات بدور المحرض ! ٠٠

ثم ٠٠

ما رأيه ـ ثالثا ـ فيما قرره جميع ضباط حركة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢، انهم قاموا عبر تخطيطهم لتخليص البلد من الاستعمار الانكليزى ـ قبل قيام حركة يوليو سنة ١٩٥٢ بســتة أيام فقط ـ بالتفكير فى اغتيال بعض الساسة المصريين من الذين ساهموا فى افساد الحياة السياسية فى مصر ، وكان عددهم ثلاثين شخصا !! ، ولما لم تكن لدى قادة الثورة سيارات تمكنهم من القيام بهذه الاغتيالات ٠٠ ، اضطرتهم الظروف الى اعادة النظر فى هــذه الخطة وابدالها بما تمت به أحداث انقلاب ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، وكل ذلك يرويه أحد اعضــاء مجلس الثــورة عبد اللطيف بغدادى فى مذكرته ص ٤٧ الجزء الاول ٠٠ ، ولا ينكره السادات وان استثنى نفسه من جملة الموافقين على حركة الاغتيالات الجماعية !! فلماذا نرى صوت المؤرخ « الشجاع »غير ظاهر فى اتهام السادات ورفاقه بالتخلى عن صراع الانكليز ٠٠

٠٠٠ ومع ذلك ٠٠٠

فالاخوان المســـلمون الذين علمهم حســـن البنا ان تنبع قوتهم من داخلهم بتفجير الطاقات الايمانية الكامنة فى قلوب هذا الشـــعب ، لم يستعينوا يوما بكافر على كافر ، ولم يغفلوا قط عن محاربة الانكليز بأنفسهم، وفى نفس الوقت لم يطعنوا حكامهم من الخلف !

ـــ وانى لاتساءل عما دعا الدكتور «المؤرخ» الى اغفال وقائع التاريخ التى اتهم فيها الطالب نفيس حمدى وحسين عبد السميع سنة ١٩٤٢ ـــ وهما من شباب الاخوان المسلمين ـ ومن النظام الخاص أيضا !! بالقاء قنابلهم على النادى البريطانى أيام عيد الميلاد حيث الف الجنود الانكليز الســكارى أن

يخرجوا الى الطريق العام يعتدون على النساء ويحطمون المحلات ويقتلون الأبرياء !! .

فهل جهل الدكتور هذه الحادثة المعلومة فى سجل القلم السياسى حينذاك كما كانت معلومة فى سجلات النيابة والقضاء ؟ · أم كان لا يدرى ؟!

وفى كلا الحالين أتمثل فيه قول الشاعر :

ان كنت لاتــدرى فتلك مصــيبة   أو كنت تدرى فالمصــيبة أعظم !

— وأتساءل مرة ثانية ، هل غابت عن الدكتور المؤرخ أحداث الجناية العسكرية رقم ٨٨٢ لسنة ١٩٤٢ قسم الجمرك التى اتهم فيها جمال فكيه ومحمد عبد السلام فهمى بأنهما يعدان جيشا لمحاربة الانكليز اثناء انسحابهم وبأنهما يحدثان بلبلة فى الافكار ودعاية انهزامية للانجليز ، وطلب النيابة بالحكم عليهما بالاعدام !! ··

فهل غفل الدكتور أيضا عن هذه الحادثة أم تراه اعتبرها وفاقا بين حسن البنا والانكليز ومهادنة ، واسترخاء ! ·

— وحادث القطار الذى كان يحمل جنودا انكليز فى الشرابية فالقيت عليه القنابل من الرصيف الى داخل القطار من خلال نوافذه أثناء تهدئته بمكان الحادث بسبب اصلاحات فى الطريق ·· قام بها أيضا جنود الاخوان المسلمين من سلاح الطيران والصيانة ورصدت الحكومة خمسة الاف جنيه لمن يتقدم لها بدليل يمكنها من ضبط الفاعل ··

والكثير من الحوادث التى لم يضبط فاعلها والتى وقعت ضد الجنود الانكليز لا أطالب الدكتور أن ينسبها الى الاخوان المسلمين ، ولكنى فقط كنت أمل فيه باعتباره مورخا منصفا ، أن يحذر من اطلاق حكم عام على الاخوان المســلمين بامتناعهم عن مواجهــة الانكليز ·· فى الوقت الذى قام افراد النظام الخاص باغلب هذه الوقائع التى حدثت ضد الانكليز فى القاهرة والاسكندرية ··

ولكن ··· ، ربما كان من الخطــأ أن أحمل الدكتور رمضــان عناء « الانصاف » ! فى الحكم على الجماعة فى الامور التى قد تكون موضــع احتمال ! ·· ، فى نفس الوقت الذى ينحو بالحكامه التاريخية منحى الاجحاف حتى فيما تؤكده الحقائق !! ··

··· ومع ذلك ···

فيلزم أن نذكر الدكتور رمضان ، بأنه اذا غيب عنه حقده جهاد الاخوان ضدالانجليز فلا يجب ان يغيب عنه حقيقة أخرى ·· وهى أن الاخــوان لم

يطعنوا حكامهم من الخلف بالرغم مما عانوه من بطشهم الذى بلغ حدا لم يشهد الاخوان أعنف منه ، الا فى عهد عبد الناصر .. وكل ما استطاع « المزيفون » نسبته الى الاخوان فى هذا الصدد هو حادث قتل النقراشى الذى جرى فى غيبة الجماعة واثناء حلها ، ولا يتصور احد أنه قصد به الوثوب على الحكم ، كما يظهر جليا من وقائع الاحداث أو من واقعما قرره عبد المجيد أحمد حسن فى مبدأ التحقيق معه من انه هو المسئول الوحيد عن ارتكابه الحادث ، وعزا ارتكابه الى خيانة النقراشى لقضية فلسطين بالتمهيد للهدنة·· فأين هذا مما يدعيه الدكتور « الامين على حقائق التاريخ » من أن الاخوان انما يجمعون السلاح للوثوب على الحكم ؟! والعجيب أن يستدل على ذلك بما قاله الامام الشهيد فيما يعرضه فى رسالة المؤتمر الخامس :ـ

« قد يكون مفهوما أن يقتنع المصلحون الاسلاميون برتبة الوعظ والارشاد اذا وجدوا من أهل التنفيذ اصغاء لاوامر الله وتنفيذا لاحكامه وايصالا لاياته وأحاديث نبيه صلى الله عليه وسلم · أما والحال كما نرى ، التشريع الاسلامى فى واد والتشريع الفعلى فى واد اخر ، فان قعود المصلحين الاسلاميين عن المطالبة بالحكم جريمة اسلامية لا يكفرها الا النهوض واستخلاص قوة التنفيذ من ايدى الذين لا يدينون بأحكام الاسلام الحنيف » ·· ثم يستطرد فيقول :

« هذا كلام واضح لم نأت به من عند أنفسنا ، ولكننا نقرر به احكام الاسلام الحنيف وعلى هذا فالاخوان المسلمون لا يطلبون الحكم لانفسهم ، فان وجدوا من الامة من يستعد لحمل هذا العبء ، واداء هذه الامانة ، والحكم بمنهاج اسلامى قرآنى فهم جنوده وأنصاره واعوانه .. وأن لم يجدوا فالحكم من منهاجهم وسيعملون لاستخلاصه من أيدى كل حكومة ، لا تنفذ اوامر الله·

وبعد ··

فدعنا نسأل مؤرخنا الفاضل بعد هذا الكلام الواضح الصريح هل هذا يعنى شيئا ابعد من الوقوف على امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بالالتزام بتغيير المنكر بكل وسيلة مستطاعة ابتداء من الدفع باليد وانتهاء الى الانكار بالقلب ؟!

وهل هذه المصارحة خيانة وطعنة من الخلف ؟ ·

ولكن الدكتور معذور ! ، لان الاسلام فى رأيه « كعالم محقق » ليس الا وسيلة لتخدير الشعوب .

واذهلنى من الدكتور رمضان دعواه التى رواها ـ بغير حياء ـ بعد ان ظن انه اقنع الناس بأن الاخوان المسلمين لم يرفعوا سلاحا ضد الانكليز ·· فقال أن الاخوان تعدت سلبيتهم الى لون من الاتفاق مع الانكليز سماه «الاتفاق

الصامت » ! ويعرض فى هذا الشأن بالمرشد . فيقول « بالنسبة للبريطانيين فنيما يبدو أن اتفاقا صامتا ، قد تم بينه وبينهم على البقاء لمحو اسطورة « الحاج محمد هتلر » فى الجوامع والامتناع عن أى نشاط معاد لهم ، فى مقابل التغاضى عن نشاط الاخوان فى القرى والمدارس » .

ويسوق تأكيدا لهذه الفرية المدعاة قوله :ـ
« ويدخل فى هذا الاطار (اطار مهادنة السلطة البريطانية أثناء الحرب) مهادنة الاخوان لحكومة الوفد التى تألفت فى ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ ، فحين اعترض النحاس باشا على ترشيح البنا نفسه لعضوية البرلمان عرض عليه اطلاق يده فى الشئون الدينية فى مقابل الامتناع عن الاشتغال بالسياسة ، وقبل البنا ذلك ، لا لانه كان ينوى التنفيذ الفعلى ، وانما لان هذا الاتفاق كان يتيح له استكمال مرحلة التكوين تحت شعار النشاط الدينى وبناء قوته العسكرية ، وكان هذا النشاط يحرج حكومة الوفد التى عمدت فى احدى المرات الى اغلاق جميع شعب الاخوان والتضييق عليهم فى الاجتماعات والمطبوعات » ثم يستطرد « المؤرخ » الامين فيقول :
« ولكن ليبرالية الوفد .. كانت تتغلب .. فتطلق يدهم مرة اخرى »

واذن .. فالمؤرخ الصادق يعترف بالواقعة التى سقناها فى المقال السابق ردا على هذا الكلام . ولكنه كعادته يسوقها مغلوطة مشوهة ! .
فان المضمون الذى ساقه « عما يبدو من الاتفاق الصامت بين البنا والانكليز ، لم يكن سوى « الاتفاق الناطق » الذى جرى على لسان النحاس باشا مع البنا ! .. بنفس نصوصه التى يرويها « مؤرخنا الصادق » محذوفا منها بعض التفاصيل ! ومضافا اليها اخرى .

فاذا جرى الامر على الحال الذى صوره الدكتور فما حاجة الاخوان اذن الى « الاتفاق الصامت » مع الانكليز ! فى وقت لم يكن فيه النحاس باشا لسان الانكليز فحسب . بل يدهم التى يبطشون بها لهدم قدرات الشعب وامتهان حرماته... ومن هنا .. رأينا الدكتور رمضان يحذف اعتراف النحاس باشا للبنا بأن الانكليز طلبوا منه بصراحة منعه من ترشيح نفسه فى البرلمان ! ولانكاره فى حصول هذا الاعتراف فما كان النحاس يستحيى أن يقول هذا للبنا لان جميع المصريين كانوا يعلمون حينذاك أن النحاس جاء الحكم فى سنة ١٩٤٢ بحراب الانكليز ! .

اما الفرية التى اضافها فهى ان البنا قبل مطالب النحاس بتنازله عن الاشتغال بالسياسة !

ولسنا فى حاجة الى القول بأن حسن البنا ما كان ليقبل هذا الطلب من النحاس لان ذلك يبطل دعواه التى ينادى بها فى الناس بأن السياسة جزء من دعوته ومعلم من معالم الطريق الى الحكم بكتاب الله ٠

ثم ٠٠٠٠

لم يذكر « المؤرخ » نوع « المقابل » الذى طلبه البنا من النحاس لقاء تنازله عن الترشيح !؟ ٠

وما ترويه حقائق التاريخ التى كتبها المحققون تتضمن ثلاثة امور :

١ ـ ترك نشاط الاخوان مفتوحا ٠

٢ ـ اغلاق بيوت الدعارة ٠

٣ ـ عدم السماح بوجود الخمر والخمارات ٠

وهذا الافتراء من المؤرخ ـ الذى نال كلام البنا بالحذف والاضافة لم يثبته اى من المنصفين الذين تعرضوا لهذه الواقعة ، فنرى الدكتور «ميتشل» صاحب كتاب الاخوان المسلمون الذى ترجمه الدكتور محمود أبو السعود يسوق هذه الاحداث فى ص ١٠٣ بتفصيل يجنبنا مزالق الدكتور رمضان التى سبق شرحها !

ـ واذن فحسن البنا فى خوضه غمار السياسة لم يهدف الى التمكين لنفسه قط ، وانما هدف الى التمكين لشرع الله الذى اهدرته الحكومات العابثة ، فآثر ان يتنازل عن ترشيح نفسه مقابل اغلاق حانات الخمر ومواطن اللهو والفجور ! .

هذا هو الرجل الذى ادعى المؤرخ « الفاضل » انه كان يبغى القفز على الحكم والوصول أليه على جثث وهامات المواطنين ! .

ـ والمؤرخ « الشريف » يدعى ايضا « ان المصادر اختلفت فيما اذا كان البنا قد اخذ لقاء هذا « الاتفاق الصامت » مساعدات مالية من الانكليز أم لم يأخذ ؟! ، فبينما ذكر البعض ان البنا ابدى استعدادا للتعاون وقبول نوع من الدعم المالى انكرت مصادر الاخوان نية البنا فى قبول اموال الكفرة » !

ومرة اخرى يعود البنا الوجه الماركسى القبيح للدكتور رمضان فى سخريته الملفونة من راى الاسلام فى اموال الانكليز ! .. ومن سخريته المفضوحة التى يتناول بها الجماعة حين ينسب اليها انها تنطلق فى نشاطها كله من كراهيتها للتغريب لا من دواعى الشرف والاستقامة التى تدعو اليها اصول المنهاج الاسلامى الشامل للحياة ٠- ونحن نقول فى الرد على ذلك

بان الاخوان المسلمين لا يستحون من تسمية أموال الانكليز بأنهـا امـوال كفرة فالله لا يستحيى من الحق ، وقد سماهم ربهم فى كتابه كفارا حين قال « لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم » ·

ولكننا نضيف الى ذلك ايضا ان الاخوان لو اخذوا من الانكليز مـالا لنضبت مواردهم واصبحوا افقر الناس ، وانضبهم وجدانا ، وهو ما لم يؤثر عنهم قط ··· وفى رواية السادات التى اشرنا اليها فى المقال السابق عـن تمكن الاخوان من تغطية اكتتاب شراء دارهم فى الحلمية الجديدة فى يـوم واحد ، غناء عن الرد ·

واختم حديثى عن هذه الفرية بالقول ان المؤرخ المنصف لتعجزه رؤية هذه المهادنة المدعاة بين الاخوان والانكليز حين يرى ان مرشد الاخـوان كان يلقن اتباعه كراهة الانكليز فى الصـلاة ! وفى القنوت ، وفى دعاء السحر ! ·

حتى لقد حفظنا عنه هذا الدعاء واستظهرناه ·

« اللهم رب العالمين ، وأمان الخائفين ومذل المتكبرين ، وقاصم الجبارين تقبل دعاءنا وأجب نداءنا ، وأنلنا حقنا ، ورد علينا حريتنا واستقلالنا .

اللهم ان هؤلاء الغاصبين من البريطانيين قد احتلوا ارضنا وجحدوا حقنا ، وطغوا فى البلاد وأكثروا فيها الفساد ، اللهم فرد عنا كيدهم وفـرق جمعهم ، وخذهم ومن ناصرهم واعانهم او هادنهم اخذ عزيز مقتدر ··· اللهم واجعل الدائرة عليهم وسق الوبال اليهم ،وأدل دولتهم ، واذهب عـن ارضك سلطانهم ولا تدع لهم سبيلا على احد من المؤمنين ! ·

فكيف يستقيم فى وجدان المنصف قيام أى لون من المهادنة بين البنا والانكليز بينما يلقن اتباعه الدعاء على مـن « هادنهم » او ناصرهم او « أعانهم » ، ولكن انحراف الفكر ونكسة الوجدان ومرارة الحقد التى فى نفس مؤرخنا « الفاضل » التى لا يسباكنها حق ... أو تردها الى الصواب حقيقة ! لا تقف عند حدود ·

واخيرا ·· ارانى مضطرا الى لمس جانب من شخصية الدكتور « المهولة المهوشة » بما ساقه حول بناء النظام الخاص حين آثار اقوال عبد المجيد احمد حسن قاتل النقراشى فى التحقيق الذى اجرته النيابة معه بما يوحى انه بهرته الرموز والطقوس عند تلقينه قسم العمل الذى عقده مع السـندى رئيس النظام الخاص فأثار الدكتور بذلك صورة من الرهبة ، تدعو القارىء الى التساؤل عن حقيقة هذا القسم ! .

وهذا القسم ليس سوى البيعة التى تتم بين افراد جماعة الاخوان وبين مرشد الجماعة أو الذى ينوب عنه فيها من رؤساء الاقسام الذين يعملون فى حقل الدعوة ! ·

والاسلام يعرف هذه البيعة وذلك الرباط وان جهله ـ طبعا ـ صاحبنا « المؤرخ » ٠٠ لان هذه البيعة ليست طبعا من دقائق النظام الماركسي ، ولذا رأينا « الدكتور » يعزو ما سماه « القسم » الى طبيعة العنف والسرية في هذه الجماعة « لتهويش » العضو الجديد ! ٠

وليت الدكتور المؤرخ يسوق لنا طرفا من مضمون هذا « التهويش » الذى جرى مع عبد الناصر عندما عقد بيعته مع السندى سنة ١٩٤٤ !٠

ان احداث التاريخ التى يتجاهلها مؤرخنا « الفاضل » لا يمكن ان تغيب عن وجدان القارىء الفطن ، فقد بايع عبد الناصر عبد الرحمن السندى ، كما بايعه كمال الدين حسين وخالد محيى الدين والبغدادى وحسن ابراهيم ، وحسين الشافعى ، وعبد الحكيم عامر وصلاح سالم ٠

ولم يقل احد ان ذلك كان مدعاة « لتهويشهم » وانما قال الناس أنهم « خانوا الاخوان المسلمين » ! ٠

ولعلى بهذا اروى للدكتور حديثا معادا يعرفه كل المعرفة لانه لا شك قد قرأ ما قاله كمال حسين عضو مجلس الثورة فى الطبعة السابعة من كتاب الصامتون يتكلمون عن بيعته وجمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر للاخوان المسلمين فى شخص عبد الرحمن السندى فى ص ١٥٨ من هـــذا الكتـــاب وما رواه البغدادى وحسن ابراهيم وخالد محيى الدين فى كتاب شهود ثورة يوليو لاحمد حمروش ص ١١٨ ، و ص ١٠٩ ، ص ١٤٥ عن بيعتهم كذلك .

واما صلاح سالم فقـــد روى لى بنفسه سنة ١٩٥١ قصـــة بيعته للامام الشهيد . . وحسين الشافعى كانت صلته وروابطه بالجماعة ـــ كما يعرضها اخوان طنطا ـــ تتمثل فى اندراجه فى سلك الضباط تحت اشراف محمود لبيب حيث بايعه كذلك على السمع والطاعة ! .

ولم يرو احد من هؤلاء شيئا عن الرجل « الملثم » ! الذى يلقن الاخ الجديد قسم البيعة ٠٠ ثم يتضح له اخيرا انه صالح عشماوى وكيل جماعة الاخوان المسلمين ! ٠

واخيرا ٠

نختم حديثنا هذه المرة لنقول للدكتور رمضان انه اذا بدا له ان يفصح لنا عن نظرته لاحداث التاريخ التى احاطت بالاخوان المسلمين ، فاننا نصارحه ايضا ، بأننا لن نكف عن ملاحقة سرده لهذه الاحداث بالفضـــح والكشف والابانة !

ـــ يمكن للقارىء قراءة ردنا على هذا المقال فى الملحـــق رقم (٤) من هذا الدراسة (المقال الثاني والمقال الخامس ٠) ٠

المقال الثالث لصــلاح شادى

« لماذا يتجنى البعض فى تصوير جماعة الاخــوان المسلمين »

(الوطن فى ١٩ نوفمبر سنة ١٩٨٠)

بدا لى بعد قراءة المقال الثالث للدكتور رمضان المنشور فى جــريدة الهدف يوم الخميس الماضى أنى قد أسرفت فى الاهتمام بمناقشة الاراء التى ساقها فى مقاليه السابقين حول حسن البنا والنظام الخاص وحملت اعصابى فى الرد اكثر مما يحتاجه الموقف ، حين ظننت أن الامانة تقتضينى كشف النقاب عن الظلالة السوداء التى ظلت وسائل الإعلام المصرية وغــيرها تغلف بها ماضي هذه الجماعة منذ سنة ١٩٤٧ حتى نهاية حكم عبد الناصر سنة ١٩٧٠ .. وان ظل الكتاب المؤرخون والحكام بعد ذلك يتناولونه فى « المناسبات » !! بما يؤكد هذه الظلال السوداء التى طرحتها وســـائل الاعلام « الموجهة » بالصورة التى ترهب الحكام والمحكومين ، أو تجعلهم — على الاقل — فى حيرة من أمر هذه الجماعة !! ..

ولكن ...

حين قرأت المقال الاخير للدكتور رمضان المنشور فى جريدة الهدف وجدته تكرارا لما ساقه فى مقاليه السابقين ! .

وخشيت أن أشارك — رغما عنى — فى بضاعة كلامية مزجاة لا تحمل جديدا الى ذهن القارىء بقدر ما تحمل من لجاجة المجادلة ..

ولكن ما قرأته في مقال الدكتور رمضان في جريدة الوطن يوم الإثنين الماضي تعليقا على أول ردودي على « تصويره التاريخي لجماعة الاخــوان المسلمين» شجعني الى المضي فيما كنت عازفا عنه ! ، فقد ساق لنا «مثلا» رفضه التشكيك في « رسالة حسن البنا ونواياه » التيوصفها بأنها « كانت أشرف النوايا والمقاصد .. » وهذا يكفيني اليوم للوفاء بما وعدت به القراء في مقالي السابق من المضي في الرد ، لعلنا ننتفع « بالجديد » من أقـــوال الدكتور .. وسأجعل ردي اليوم عن مقاله الاسبق ، وأدخر الاسبوع القادم — ان شاء الله — للحديث عن « نواياه الطيبة » التى أبداها فى هذا الاسبوع !.

يسوق لنا الدكتور رمضان في مقاله الاخير — المنشور فى جــريدة الهدف — هذه المعلومات في محاولة تضخيم اكتشافاته العلمية للنظام الخاص ليبدو بالصورة المخيفة التيأرادها له فيقول :

(١) افراد النظام كانوا يدربون على الكهرباء واللاسلكي والتصوير والاختزال والتمثيل وعمل المكياج وتغيير الزى وادوات التراسل والإذاعة وقيادة وسائل المواصلات ابتداء من الدراجة وانتهاء الي الطيارة ! ..

وكل هذا أمر مشروع حين يجري في اطار التدريب الفدائي لتحـــرير وادى النيل والبلاد الاسـلامية كما قال التفـاء .. ولكن .. الا يرى القارىء معى أن قيادة الطائرات كانت جنوحا من الدكتور فى خيال لا يسانده واقع والا فليكشف لنا عمن دربهم النظام لقيادة الطائرات وأنواعها ! .. اذ المعلوم ان التدريب على الطائرات التجارية غير التدريب علي الطائرات المقاتلة او طائرات الركاب ! ..

وسؤال ثان فى هذا الصدد ..

— هل ما ساقه الدكتور حول التدريب على قنابل مولوتوف وتخريب المواصلات والسكك الحديدية واستخدام المفرقعات والالغام والاسلحة النارية وأساليب « الخنق وغيرها التي أوردها في مقاله كلها أمور الفها الاخوان المسلمون في كتبهم ام انها موجودة في كتب حرب العصابات والتدريبـــات الشاقة للجيوش التي يعثر عليها أى قارىء فى المكتبات !؟ .

— وسؤال اخير عن نوعية أفراد التنظيم هل كانوا حقا من الطبقات الدنيا من الشعب كما استدل الدكتور بأقوال جمال سالم رئيس محكمة الشعب « من طبقة الخردواتية والسمكرية وموظفى الدرجات الصغيرة وليس منهم مهندس ولا مدير ادارة !! » أم ان الامر كان خلاف ذلك ؟ .

ويسوق الدكتور هذا الحشد من المعلومات تحت عنوان « التنظيمات داخل الجيش والبوليس !! .. » فيقول « ان تنظيمات الاخوان تغلغلت في الجيش والبوليس وكانت تعد تنظيمات سرية بحكم طبيعة عمل الضباط .. »

فهل كان جميع الضباط من الطبقات الدنيا من السمكرية والخردواتية وموظفى الدرجات الصغيرة !؟

وأين كان عبد الناصر من كل هؤلاء ! .. وبقية ضباط الحركة كمال حسين وعبد الحكيم عامر وصـــلاح سالم والشـــــافعي وحسين ابراهيم والبغدادى ؟ ..

وانى لاتساءل — والحيرة تملكنى — عما دعا الدكتور ليستشهد بأقوال جمال سالم عن نوعية أفراد هذا التنظيم وقد سبق أن قال — هو نفسه — عنه فى عدد روز اليوسف رقم ٢٧٣٤ الصادر فى ٢ نوفمبر سنة ١٩٨٠ ما يأتي :

« وقد كان اختيار جمال سالم لرئاسة محكمة الشعب من اسوأ الاخطاء التى ارتكبها عبد الناصر فى حياته السياسية ، فلا يوجد في تاريخ القضاء

العسكرى فى مصر رئيس محكمة هبط بمستوى المحاكمات الى مثل هذا الدرك الاسفل ، ولم تسمع قاعات المحاكم فى مصر ما سمعته من العبارات النابية والتهجم على المتهمين والسخرية منهم وارهابهم والدخول فى « قافيـــات » معهم ، كما سمعت من جمال سالم ٠٠ »

ثم يستطرد فيقول :

« ولقد اتهم الاخوان المســلمون جمال ســالم بانه كان الخصم والحكم واطلقوا عبــارة « خصومنا قضــاتنا » ولكن الدراسة المتأنية لنصــوص المحاكمات وما صــدر عن جمــال ســالم تثبت انه لم يلعب ســوى دور « الخصم » وهذا أمر محزن حقا وما أتعس الحكام الذين ينسون أن للتاريخ محكمة تفوق محاكمهم قوة وان الاحكام التى تصــدرها محكمة التاريخ هى الباقية وأحكامهم فانية !! » ٠

واذن ٠٠ فلماذا يستدل بأقواله فى المحاكمة الساخرة التى وصــلت بمستوى المحاكمات الى الدرك الاسفل !! .

بينما تراه يلفظ فى نفس الوقت الوقائع الثابتة عن نوعية هؤلاء الرجال الذين كانوا ينتمون الى النظام الخاص ؟! ٠٠

ثم ٠٠ ماذا يضير افراد النظام الخاص أن يكون منهم الســـمكرى والنجار والفـــلاح والموظف الصـــغير وهم جمـــيعا قطاعات الامة التى تمثل ـ عند النظرة الماركسية ـ « الطبقة الكادحـــــة » التى قامت الثورة الشيوعية لإنصافها !! .

ومع ذلك فقد شمل النظام الخاص جميع طبقات الاخوان أو على الاصح جميع طبقات الامة بما فيهم المهندس والقاضى والمحامى ووكيل النيابة والضابط بالاضافة الى العامل والسمكري والفلاح ٠٠ والفقير وصاحب الثراء ! ٠٠

وسؤال ثالث حول ما ساقه الدكتور عن بدء تكوين التنظيم وعن أمواله والاعداد الروحى لفكرة الجهاد لدى افراده ٠٠

وأقول تصحيحا لمعلومات الدكتور أن بدء تكوين التنظيم كان سنة ١٩٤٠ وليس فى اكتوبر سنة ١٩٤١ كما قال الدكتور اثر القبض على الامام البنا وأحمد السكري وعبد الحكيم عابدين فى اكتوبر سنة ١٩٤١ فى وزارة حسين سري ، فقد كان النظام الخاص فى هذا الوقت موجودا وينهض بتبعاته الفعلية الاخ محمود عبد الحليم الذى استدعاه حسن البنا فى سنة ١٩٤٠ مع صالح عشماوي وحسين كمال الدين وحامد شريت وعبد العزيز أحمد ، وعرض عليهم الدواعي التى كانت تقتضى انشـــاء النظام الخاص لتواجه الدعوة مسئولياتها نحو الانكليز فى مصر واليهود فى فلسطين ! . .

وكان الطلبة هم العنصر الاساسى فى هذا التنظيم بالاضافة الى أفراد من شباب الموظفين ومجموعة من العمال الفنيين ذوى الثقافة الاسلامية وكان هذا هو الرعيل الاول للنظام الذى اكد سبب نشأته وهدفه ، اشــتراك افراده فى حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ واستشهاد كثير منهم على ارضها ..

ولا أسوق للدكتور هذه المعلومات من فراغ ، ولا من هواتف الظنون والتخمينات أو الاستنتاج ، ولا لانى عليم ببواطن الامور ..

ولكن ..

لو أن الدكتور حرص على استيفاء معلوماته التاريخية ، من الرجال الذين عاشوا هذه الاحداث لوجدها ــ على الاقل ــ فى كتبهم ! ولما عز عليه سماعها من السنتهم اذا شاء .. وفى كتاب الاستاذ محمود عبد الحليم ــ احد خمسة رجال انشأوا النظام الخاص ــ « الاخوان المسلمون احــداث صنعت التاريخ » ــ رؤية من الداخل ــ الجــــزء الاول ص ٢٥٨ ، ص ٢٥٩ ، ص ٢٦٠ غناء لما يبحث عنه الدكتور حــول حقيقة برنامج النظام الخاص وتقسيم افراده الى اسر ومعنى التسلسل القيــــادى لديهم وسر اشتراك افراد النظام فى أوجه النشاط العام للدعوة .

ولا اطالب الدكتور بالاخذ بما جاء فى هذا الكتاب من معلومات .. لكنى اطالبه فقط بقراءته ، ولو فعل ، لبدا ذلك واضحا فى كتاباته اما بالنقد أو التأييد ..

ونحن نخالف الدكتور فيما ذكره حول تمويل النظام الخاص ، سـواء ما تعلق بالوقت الذى بدأ فيه جمع اشتراكات افراده او بالمساعدات التى كانت ترد اليه من الصندوق العام للجماعة الذى كان يتراوح فى الاربعينيات بين خمسة آلاف جنيه شهريا الى سبعة آلاف وخمسمائة جنيه !! .. كما يدعى الدكتور ..

نحن نقول ان تمويل التنظيم بدأ منذ سنة ١٩٤٠ وكان دخله من جيوب أصحابه فقط !! وليس كما ذكر الدكتور انه بدأ يجمع اشتراكات أفراده سنة ١٩٤٤ ، سنة ١٩٤٥ ، وكان الاستاذ البنا يرى ان علامة الجدية فيمن يتقدم للتضحية بروحه أن يضحى بماله ! ، وظل هذا التوجيه هو الاصل فى بناء الصندوق المالى للتنظيم ! .

أما المبالغة التى يدعيها الدكتور من ان الاشتراكات الشهرية العامة التى وصلت الى سبعة آلاف وخمسمائة جنيه ، كانت هى التى تسد عجز النظام

الخاص فقـول لا نرده ، ولا ندفعه لانه تهمة تلحق بالنظام او الجمـاعة ، وانما ندفعه فقط لانه غير صحيح !! ..

وتذكرنا هذه المبالغة التى اراد الدكتور من ورائها ايهام القـارىء بالمستوى الخطير والمخيف الذى وصل اليه التنظيم ، بمراجعة « مملومة » بسيطة ساقها الدكتور فى أول مقالاته فى مجال عرضه لوطنية « البنا » الذى اخذ معونة من الانجليز لاقامة دور جديدة للاخوان بلغت ثلاثمائة شعبة فى عشر سنوات فتراه يوحى — من خلال حيرة الباحث — بهذا المضمون فى شك ابلغ من التأكيد !! ..

ولكن لا يلبث الدكتور فى مقاله الاخير أن يجد « لنا » المال هذه المرة — من خاصة جيوبنا — لا لشىء الا لايقاف القارىء على المستوى الخطير والمخيف الذى وصل اليه عدد أفراد التنظيم ليثير دهشته ويستجيش مخاوفه · ولذلك كان من المناسب أن يقدم للقارىء عملية حسابية بسيطة تهوله ! . خمسين الف جوال × عشرة قروش يعنى خمسة آلاف جنيه فى الشهر على أدنى تقدير ! ، ٧٥٠٠٠ جوال × ١٠ قروش تعنى ٧٥٠٠ جنيه فى الشهر على اقصى تقدير !! مبلغ كبير طبعا يكفى أن تدفع منه اعانة للنظام الوليد لشراء عجلات وسيارات واجهزة لاسلكى .. وربما طيارات ايضا !! ..

قلنا ان واقع الامر كان غير هذا لان الامام البنا كان يربى أتباعه على ان يبذلوا اموالهم عن رضا وطواعية بما يحققون به أهدافهم التى يقتنعون بها ليصدقوا أمام انفسهم حين يتطلبهم الامر بذل أرواحهم فى سبيل الله ··

وهكذا كان يربى الرجل اتباعه ··

أما الاعداد الروحى لفكرة الجهاد لدى افراد النظام الخاص فقال فيها الدكتور انها كانت منصرفة فى البداية الى الانكليز ·· ثم جرى تحـويل افكارهم الى الداخل تدريجيا !! ··

··· وهنا « تغيم » الحقائق فى ذهن القارىء حين يقرأ اليوم هـذا القول ، ويستعيد ما سبق أن قرأه فى مقاله السابق عن أسباب تسليح النظام الخاص ، هل كان يتعلق باخراج الانكليز أم بمداهمة الحكومات والحـكام الوطنيين ؟! ..

وكانت اجابته الواضحة ، أن هذا السلاح كان يجمع للداخل لضرب الحكام وقلب الحكومات !! ··

وفى مقال اليوم يعكس القضية !! . ولكنه يستدرك فيقول بأن افكار النظام تحولت من مداهمة الانكليز الى مداهمة الحكام !! لا العكس ..

فاذا مضينا مع الدكتور فى محاولته الجديدة لاثبات أن أفكار النظام تحولت من مداهمة الانكليز الى مواجهة الحكام ، لوجدناه يحاول متعسفا اثبات ذلك بحادث مقتل أحمد ماهر سنة ١٩٤٥ م وحادث مقتل النقراشى سنة ١٩٤٨ م .

والدكتور رمضان فى محاولته « لى » الحقائق لاثبات نظريته هذه من تحول افكار النظام الى مواجهة حكام مصر ، يمضى بها شوطا يثير الرثاء !.
فبينما نراه « يقبل » شهادة جمال سالم — عن نوعية افراد النظام — بعد أن قدح فى عدالته بما سبق أن اوضحناه اذ اننا لنشهده فى التحقيقات التى جرت لمعرفة حقيقة انتماء العيسوى لجماعة الاخوان أم للحزب الوطنى — يكذب — محمود العيسوى ويقدح فى شهادته بل وفى كل القرائن التى تشير الى لون انتمائه الى الحزب الوطنى !! ..

— فاذا قال العيسوى أمام النيابة — بغير تردد — انه من الحزب الوطنى وليس من الاخوان المسلمين قال الدكتور هذه شهادة كاذبة لان فلان .. نقل عن فلان .. الذى نقل عن سيد سابق الذى افتى بقتل النقراشى قوله « أن محمود العيسوى من صميم الاخوان !! .. » .

ولم يذكر الدكتور « طبعا » ان سيد سابق قد برىء من تهمة الافتاء هذه ولم تثبت ادانته فيها .. ولم يذكر لنا الدكتور الدلائل التى اقنعت سيد سابق بأن محمود العيسوى من صميم الاخوان اذا صحت رواية الدكتور التى رواها عن فلان عن فلان عن سيد سابق !!
— واذا ثبت من واقع الحال أن محمود العيسوى كان يمضى مدة تمرينه كمحام فى مكتب عبد الرحمن الرافعى — أحد كبار أعضاء الحزب الوطنى — كان هذا عند الدكتور دليلا صوريا لغاية يخطط لها الاخوان !! . حتى ليبدو وكأنه يحاول اقناع القارىء بأن الاخوان المسلمين كانوا يعلمون مسبقا بنية الدكتور احمد ماهر فى اعلان الحرب على المحور فقرروا قتله ودفعوا بمحمود العيسوى الى مكتب عبد الرحمن الرافعى لازالة الشبهات عنهم !! .

فاذا سئل عبد الرحمن الرافعى عن محمود العيسوى فقال انه شاب رقيق الحال غير ناجح فى المحاماة ولا ملتفت لعمله ، ويحمل رغم ذلك دبلوم القانون الخاص ودبلوم القانون العام ويعد رسالة لنيل الدكتوراه فى الحقوق

قال الدكتور رمضان مباشرة .. « وهذا هو الدليل على انتمـــاء محمود العيسوى الحقيقى لجماعة الاخوان المسلمين !! » كما يرويه مقاله الاخير !.

ويتساءل القارىء فى حيرة عن الرباط بين نبوغ القاتل وبين انتمـــائه للنظام الخاص فى جماعة الاخوان المسلمين !! .. وهل تعتبر هذه النوعية من افراد النظام الخاص مؤكدة لما رواه سابقا عن نوعية الافراد حين ادعى انهم من طبقة السمكرية والخردواتية وما شابه ذلك ؟!! .

واذا جرى فى ظن القارىء أن الحزب الوطنى كان يرفض مبدأ اعــلان الحرب على المحور تماما كما كان يرى العيسوى بدليل استقالة حافظ رمضان من وزارة احمد ماهر عندما تقرر اعلان الحرب .. « لوى » الدكتور — ايضا — هذه الحقائق وقال لقد استرد استقالته بعد مقتل احمد ماهر ! .. وقال فى تحقيقات النيابة ان استقالته هذه لم تكن لمخافة حصول ضرر على مصر من جراء اعلان الحرب وانما كانت لاسباب شخصية !! ..

فما حقيقة هذه الاسباب الشخصية فى قضية عامة كهذه ؟ ! .

ولاشك أن القارىء الفطن يدرك أن استرداده لاستقالته فعلا لم يكن الا لكى يدفع عن نفسه تهمة الاشتراك مع محمود العيسوى فى مقتل أحمـــد ماهر !! ..

واذا كانت الحقائق العلمية تهم الدكتور رمضان حقا فى بحثه عـــن هوية محمود عيسوى ليدلل بها على انتمائه أو عدم انتمائه للاخوان فلماذا لم يناقش اراء العلماء والمؤرخين الذين نسبوا الى محمود العيسوى انتماءه ايضا الى حزب مصر الفتاة امثال « كيرك » فى الشرق الاوسط ص ٢٦٦ ، « وميتشيل » فى كتاب الاخوان المسلمين المترجم بمعرفة الدكتور محمـــود أبو السعود فى ص ١١٢ هامش ٧٢ الذى يقول ان الحكومة بذلت جهدا كبيرا لادانة الاخوان المسلمين فلم تفلح ! ..

فهل كان أغفال كل ذلك من دواعى البحث العلمى المنصف !

— فاذا انتقلنا الى الوجه الاخر من استدلاله على أن الجهاز الخــاص كان يهدف الى قتل الحكام بما عرضه من رواية عبد المجيد أحمد حسن قاتل النقراشى لرأينا عجبا ! . فكل ما يرويه عبد المجيد أحمد حسن عن الاخوان المسلمين — عند الدكتور — قضية مسلم بها ، مهما بدا فيها من تناقض !!

فقد أنكر عبد المجيد أحمد حسن عند القبض عليه أن أحدا دفعــــه الى قتل النقراشى وقرر صراحة أنه قتله بمحض رأيه الشخصى بعد حـــل الجماعة لما رآه من خيانة للقضية الفلسطينية ولسعيه المتواصل لاقــرار الهدنة ! ..

... وبعد أيام طويلة من بدء التحقيقات الباطلة التى اشتهر بها حكام هذا العهد الذى أدانته الهيئة القضائية فى قضية الجيب وحكمت ببطـــلان تحقيقاته رأينا أعترافا آخر لعبد المجيد أحمد حسن فى شكل خطاب موجه الى النائب العام يقول فيه « انه عجب لبيان الاستاذ حسن البنا الذى نفى فيـــه علمه بالجريمة وانه يبرأ منها ومن مرتكبها مستندا فى ذلك الى أحاديث وآيات كما أنه علم أن هيئة كبار العلماء قد أصدرت بيانا عن هذا الحادث وانه اطلع عليه وعقب ذلك اراد ان يعلن لجميع افراد النظام الخاص أنه قد غرر بهم جميعا وليس هو وحده ! . » .

•• وحتى هذا الاعتراف لا يصلح دليلا يناقض ما قرره حسن البنا فى اعترافه بانه هو الذى دفعه الى قتل النقراشي وان ثبت « قطعا » أنه قامت أحداث مثل قتل الخازندار وحادث نسف أوراق التحقيق بمحكمة باب الخلق لم تكن بأمر البنا ولا بعلمه ! .. وقول عبد المجيد احمد حسن بانه قد غرر بهم — مبنيا للمجهول — لا يعنى أن المرشد كان وراء هذا المجهول !! ، فى وقت تقطعت فيه أواصر الرباط بين البنا والجهاز الخاص اثر حـــل جماعة الاخـــوان .

— واذا استعرضنا رأى الدكتور رمضان فى دعواه ان المرشد والجهاز الخاص قد أترا قتل النقراشي لوجدنا ان ذلك يخالف اراء المنصفين من مؤرخى هذا العصر ، ودليل ذلك ما ترويه لنا رسالة الدكتور زكريا سليمان بيومى التى نال بها مرتبة الشرف الاولى من كلية اداب جامعة عين شمس سنة ١٩٧٨ وموضوعها « الاخوان المسلمون والجماعات الاسلامية » حيث قال فى ص ١٣٠ ص ١٣١ « ان استمرار سيطرة البنا على الجهاز الخاص قد حفظه من زلات كان من الممكن ان تحدث فى صراع الجماعة مع الوفد والشيوعيين فى اعقاب الحرب الثانية فضلا عن ان البنا — العارف بأحكام الشريعة الاسلامية — قـــد حافظ على استخدامه ضد المسلمين أو غيرهم من أجل مصر وانه قد انتهز فرصة الحرب فى فلسطين ليرسـل بكتائبه وسلاحه الى هناك ، واذا اخـــذ البعض على اعضاء الجهاز قتل كل من القاضى الخازندار ومحمود فهمى النقراشي ولم يثبت قانونا قتل اعضاء الاخوان لغيرهما ، فان القتل كان فى الحادثين حالة فردية لا ينبغى معها الصاق تهمة امتهان القتل بالجهاز أو الجماعة » .. وهكذا ينهى الدكتور زكريا استدلالاته فاذا لم يقنع هذا الراى العلمى الدكتور رمضان فانه يقنع كثيرا من العلماء ، فضلا عن المنصفين ! اذا لم يدأبوا على « لى » الحقائق للوصول الى رأى قد تكون له دوافعه من حقد او كراهة تخبم على صدورهم ولكن يظل مثل هـــذا الرأى الشـــاذ لا يمثل شيئا ذا بال عند العلماء المتجردين ..

واعرض فى هذه العجالة لما تناوله الدكتور رمضان خاصا بمهادنة الوفد لجماعة الاخوان لاتساءل هل غيرت شيئا من موقفهم وعلاقتهم بالاحزاب ؟ ٠٠

فقد أورد الدكتور رمضان طرفا من اخبار مهادنة الوفد للاخوان المسلمين فقال انه (فى يناير سنة ١٩٤٣) توجه الى دار الاخوان مجموعة من الوزراء لزيارة دار الاخوان وفى مقدمتهم فؤاد سراج الدين وعبد الحميد عبد الحق ومحمود سليمان غنام وأحمد حمزة ودكتور محمد صلاح الدين وتكلموا بكلام طيب اعلنوا فيه تاييدهم لفكرة الاخوان !! ٠٠

واضيف الى هذه « المعلومة » معلومة أخرى عما أعلنه الاستاذ البنا فى هذا الجمع ضمن خطبته فى هذه الزيارة فقال :

أولا — ان هذه الدعوة لم تكن يوما من الايام اداة فى يد اى هيئـــة أو حزب ! ٠

ثانيا — من خصائص هذه الدعوة انها منذ نشات وقد مضى عليهـــا الان خمسة عشر عاما عاصرت فيها مختلف الهيئات والحكومات لم تنحـــدر يوما من الايام الى المزالق السياسية ولم تتلون بالالوان الحزبية ولم تتورط فى المنافع الشخصية ولم تخضع لهيمنة عظيم من العظماء أو سلطان وجيه من الوجهاء ، ولم تعمل ساعة من نهار لحساب شخص أو هيئة أو حزب أو دولة ٠٠ الخ ٠٠٠

وهكذا كان رد الاخوان على مهادنة الوفد التى اشار اليهـــا الدكتور رمضان فى مقاله الاخير !! ، والتى بنى عليها دعواه أن مواقف الاخـــوان السياسية كانت عبارة عـــن ردود افعال لموقف القصر والســـعديين اللذين لم يغفرا للاخوان مهادنتهما للوفد فأسقط احمد ماهر البنا ومعه خمسة من زملائه فى الانتخابات التى أجراها عند توليه الوزارة فكان هذا أول تحـــد للجماعة ! ٠٠ ، وأن الجماعة تابلت هذا التحدى باعلان معارضتها لاحمد ماهر فى قراره اعلان الحرب على المحور وكتبوا له ينصحونه بالعدول عـــن ذلك ٠٠ وأحسب أن تصوير الدكتور لمواقف الاخوان السياسية بانها ليست سوى ردود فعل لمواجهات الاحزاب لها بالتحدى ٠٠ قول يعوزه الانصاف !.

لقد شجب الوفد والحزب الوطنى والاخوان موقف أحمد ماهر من اعلانه الحرب على المحور ولم يقل احد ان ذلك كان رد فعل لتحدى الحزب السعدى لهم فلماذا يصور الدكتور موقف الاخوان بانه كان ردا لتحدى أحمد ماهر بسبب اسقاطه البنا ومن معه من المرشحين !! ٠٠

وكتب الدكتور فى نهاية مقاله تحت عنوان « نحو بحر هائج » يصـــف ما يدعيه من سيطرة المد الفاشى الذى كانت جماعة الاخوان احد روافده فى الثلاثينات ٠٠٠ !! فقال :

« انه يعزو هذا المد الى اقفار ساحة العمل الشيوعى تحت عوامل الخيانة وتتبع البوليس لنشاطهم ..

ثم يستطرد قائلا : « ولكن ظروف الحرب هيأت الفرصة لحركة شيوعية عارمة تمتاز بغلبة العنصر الوطنى بعد ان استبعدت ظروف الحرب العناصر الاجنبية فمثلت هذه الحركة الشيوعية لدى الاخوان ما كان يمثله معسكر الالحاد والاباحية عند نشاة الجماعة !! » .

ولا أملك حيال حديثه عن هذا المد الفاشى الذى كان الاخوان احد روافده ـ كما يقول ـ الا ان اؤكد وصفى السابق لانتماءات الدكتور الفكرية فى جنوحها الى الماركسية فى ثوب الوفد الفضفاض ٠

فهو يرى أن تصور المد الشيوعى فى الثلاثينات انما يرجع الى خيانة المنتمين من الشيوعيين فضلا عن تعقب البوليس للحركة الشيوعية وتعبير « الخيانة » الوارد هنا ينبئك بتصورات الدكتور حيال الحركة الشيوعية التى زرعها وثبت توائمها العميل هنرى كوريل المليونير الشيوعى فى مصر ! وبدت ثمارها فى الاربعينات ، فراى الدكتور أن معوقات هذه الحركة لا ترجع الى طبيعة الرفض النفسى والفكرى فى الشعب المصرى ولكن ترجع الى خيانة الوطنيين للعملاء أمثال هنرى كوريل وغيره !! ، **وان مقاومة الاخوان للشيوعية فى مصر لا تستحق أن توصف عنده الا بانها « مقاومة فاشية »!..**

ولا يفتأ الدكتور رمضان يطمئن خاطر القارىء ان هذه الحركة الشيوعية « النامية » فى الاربعينات قد اصبحت حركة وطنية خالصة امتازت بغلبة العنصر الوطنى بعد أن استبعدت ظروف الحرب العناصر «الاجنبية» !..»

ونتساءل بدورنا عما يعنيه الدكتور رمضان من استبعاد « العناصر الاجنبية » بسبب ظروف الحرب هل يعنى ذلك ان هذه الحركة أصبحت لا تمت بصلة الانتساب الى المضمون الماركسى !؟ ويحسن فى هذا المجال أن أجيب الدكتور بفقرات من خطاب حسن البنا الذى أرسله الى النحاس باشا يوضح له هذا الامر : ـــ

« ان الوفد فى ايامه الاخيرة قد تخللت صفوفه طوائف وافواج من ذوى الاراء الخطيرة والمبادىء الهدامة الذين لا يدينون بغير الشيوعية مذهبا ولا يؤمنون بغير موسكو قيادة وتوجيها ، وقد رأوا فى الوفد الذى يعوزه الدم الجديد والمنهاج الجديد خير ستار يعملون خلفه ويمثلون ما يريدون من مهازل على مسرحه .. ونظرة دقيقة واحدة من رفعتك الى حضرات المحررين فى « صوت الامة » وفى « رابطة الشباب » أو « الطليعة الوفدية » وفى

هيئة تحرير « الحوادث » و « الجماهير » وفى ممثلى الطلاب الوفديين فى المدارس والمعاهد يكشف لك عن ان هؤلاء جميعا ليس فيهم من الوفدية الا اسمها .. وانى لاستكثر أن تسمح وطنية رجال الوفد بأن يكونوا حماة هذا الشر المستطير والوسطاء الاقربين فى نقل هـذه الجرائم المهلكة الى عقول شباب هذه الامة الابرياء وتسميم نفوسهم بهذه الاراء حتى لتد تعالى الهتاف فى بعض المدارس « الشيوعية فوق الاسلام » !! فهل يعتبر الدكتور « المسلم » منصفا اذا لام الاخوان المسلمين لمواجهتهم هذه الحركة «النامية» (كما سماها) لانها مثلت لديهم «فعلا» معسكر الالحـاد والاباحية !! . حتى لا يتورع عن وصفهم بانهم « أحد روافد المد الفاشى » فى هذه الحقبة من التـاريخ !! .

واخيرا ..

اختتم حديثى هـذا بالقول بأنه فى المناسبات المتعـددة ، بل وفى كـل الاوقات التى ظن الناس فيها أن علاقات الاخوان « بالبعض » تمثل فى وقت ما أصفى ساعات القرب ، وفى وقت آخر اقسى مرارات الفرقة ، فان التاريخ قد سجل فى خطابات المرشد للتصر ولجمـيع الاحزاب السياسية ما يؤكد دواما هذه الحقيقة الجديرة بالاعتبار ، وهى أن الاخوان المسـلمين ظلوا يستقبلون مودة الطامعين وعـداء الشانئين بفطنة المؤمن وكياسة اللبيب متجنبة فى مسيرتها اشواك القرب والبعد على السواء ، حتى حققت لهذه المسيرة ــ فى كل الظروف ــ خلوص القبلة وصدق الوجهة وشرف الانتساب الى الله ، مدركة ان كل ما ينالها من تشهير بها أو بقادتها امر صغير فى جنب الله !!! .

المقال الرابع لصلاح شادى

« صلاح شادى يرّد على د . عبد العظيم رمضان »

(الوطن فى ٢٤ نوفمبـــر ١٩٨٠)

لا احسبنى فى حاجة الى رد مفصل على ما جاء فى حديث الدكتور رمضان المنشور يوم الاثنين ١٧ نوفمبر الماضى فى جريدة الوطن ... ولكنى سأحاول ايقاف القارىء على بعض الحقائق المشـــوهة ، ومناقضة البعض الاخر للقضايا المنطقية التى يلزم الا يتردى فيها « الكاتب » فضلا عن هؤلاء الذين يدونون تاريخ أمتهم ! ..

ولكن ... لا يفوتنى شكره على « نواياه » ــ ككاتب ســـياسى ــ فى دفاعه عن جماعة الاخوان المسلمين الذى أورده فى الصحف ــ كما يقول ــ حيث يروى فى هذا العدد « انه لا يوجد قلم من خارج الاخوان دافع عـــن حقهم فى ممارســة حياتهم السياسية كما دافع هذا القلم الضـعيف ، ومقالاتى فى هذا الشأن فى جريدة الجمهورية وغيرها « شـاهد حى » يمكن الرجـــوع اليـــه » ...

فى الواقع لم يكن لى حظ الاطلاع عـــلى هـــذه المقالات لادرك مـــــدى موضوعيتها فضلا عن « نواياه » فيها ..

ولـــكن ...

ما قراته يوم الاثنين الماضى حول دفاعه عن « نوايا » حسن البنا التى رآها أشرف المقاصـــد والنوايا واعتبرها « حقيقة تاريخية لا يجادل فيـــها الا مكابر » .. وبين ما انتهت اليه مناقشته لهذه « النوايا » ... يجعلنى أتوخى الحـــذر فيما قاله « دفاعا عن حق الاخـــوان فى ممارسة حيـــاتهم السياسية » ... كما يقول !! ...

يقول الدكتور رمضان فى معرض حديثه عن « الديمقراطية » لدى الاخوان المســـلمين » ان الدراسة التاريخية ــ هكذا ! .. ، وبهـــذه الصــــــورة المعماه !! ــ اثبتت ان الاخوان المســـلمين لم يقفوا الى جانب الديمقراطية وان عليهم ان يستفيدوا من أخطائهم فى اشاعة الديمقراطية فى صفوفهم .. ومساندة الديمقراطية فى كل مكان ، بدلا من ان يشرعوا أقلامهم ويشهروا أسلحة الهجوم والاتهامات » ..

وائن ..

فعلى الاخوان المسلمين أن يطأطئوا هاماتهم لصوت التاريخ الذى يمثله لنا الدكتور رمضان وحده !! .

وليس لهم ان يروا رايا « فى انفسهم » يخالف راى الدكتور حتى اذا ناقضت الحقائق رأيه الذى يعتبر لديه حكم « التاريخ » والذى « له وحده » حق ابرامه حتى اذا خالف غيره من المؤرخين ! ..

... وهو اذ يقدم هذا الراى يستدل عليه بالقول بانه « بعد أن فقد « البنا » ايمانه بالوسائل الدستورية والحكومات البرلمانية انتقل الى وسيلة العنف وتمثل ذلك فى هجومه على النظام البرلمانى وتطويره لفرقه العسكرية ! .. » ..

ولا يسعنى فى الرد على قوله هذا ، الا ان أضعه أمام الحقائق الآتية :

— لقد نشأت جماعة « الاخوان المسلمون » سنة ١٩٢٧ م وتقدم البنا لترشيح نفسه الى عضوية مجلس النواب فى سنة ١٩٤٢ ، ورفض النحاس باشا ترشيحه على النحو الذى ستناه فى أول ردنا على المقال الاول للدكتور ... حين قلت ان النحاس باشا صارح البنا بأنه أمام تبليغ من الانجليز اما بالتنازل عن الترشيح واما اعلان الحرب على الاخوان بكل وسيلة ، ورجاه ان يتنازل ...

ومع ذلك فقد حرص الاستاذ أن يكون تنازله لقاء الغاء الدعارة ومنع الخمور وترك الحرية للجماعة لممارسة نشاطها العام .. فهل يعتبر معنى ذلك — عند الدكتور رمضان — أن حسن البنا فقد ايمانه بالوسائل الدستورية !؟ .. أم يقول ان رئيس حزب الوفد هو الذى فقدها .. ؟!

— وفى سنة ١٩٤٥ رشح الامام البنا نفسه مرة ثانية فى وزارة أحمد ماهر التى أجرى فيها الانتخابات البرلمانية بعد حل المجلس وعمد بوسائله « المزورة » الى اسقاط البنا والخمسة الذين رشحوا أنفسهم معه ! ..

ولهذا نقول انه منذ نشأت الدعوة سنة ١٩٢٧ حتى سنة ١٩٤٥ ى قبل استشهاد الامام البنا باربع سنوات فقد ظلت تصرفاته تؤكد التزامه بمفهوم الشورى مدة ثمانية عشر عاما من عمره وعمر دعوة الاخوان المسلمين !! .. وحتى بعد سقوطه فى هذه الانتخابات المزورة ، الامر الذى كان من الممكن ان يدعوه الى نبذها كوسيلة تحقق هدفه ، نراه يحادث الاخوان المسلمين فيقول : —

« ان الدستور المصرى بروحه واحكامه العامة من حيث الشورى وتقرير سلطة الامة وكفالة الحريات لا يتناقض مع القرآن ولا يصطدم بقواعده

وتعاليمه وبخاصة وقد نص فيه على أن دين الدولة الرسمى هو الاسلام ، واذا كان فيه من المواد ما يحتاج الى تعديل أو نضوج ، فقد نص الدستور نفسه على أن ذلك التعديل والنضـــوج مـــن حق النواب بطريقة قانونية مرسومة ، فتكون النيابة البرلمانية حينئذ هى الوسيلة المثلى لتحقيق هدف الاخوان من قولهم « القرآن دستورنا » ! ..

فمتى بدا — للدكتور — من حسن البنا ، قول وفعل .. فقد فيه ايمانه بالوسائل الدستورية !؟ .

وهل مهاجمة حزب الوفد او الاحزاب الاخرى يعتبر هجوما عـــلى جوهر النظام البرلمانى ؟! .

اما دعواه المكرورة بأن تطوير النظام الخاص يعتبر دليلا على عدم ايمان البنا بالمبادىء الدستورية فقد أوردنا فى مقالنا السابق ما قرره احد خمسة اشخاص انشأوا النظام الخاص بأن اهداف هذا النظام ، كما **لقنها لهـم حسن البنا رحمه الله ، كانت حرب اليهود فى فلسطين واخراج الانجليز من مصر** ... وان استدلاله بقتل النقراشى سهم طائش رد عليه مؤرخ مثله ، فى رسالة الدكتوراه التى حازها بمرتبه الشرف بامتياز وهو الدكتور زكريا سليمان بيومى كما ناقضه حكم القضاء الذى « ادهش » الدكتور انى الزمه به كمؤرخ !! .

فاذا استعلى الدكتور رمضان على القضاء بدون مناقشة جوهر حكمه متصورا ان مهنة المؤرخ اعلى شأوا من ان يستوقفها حكم القضاء ، وان اصدره ثلاثة مستشارين ! .

واستعلى كذلك فى حكمه على ان يستوقفه راى مؤرخ مثله ... فمن تراه يكون بعد ذلك ! .

من حسن الحظ ان الدكتور لم ينكر بعد — مشكورا — علمه بأن الوحى قد انقطع من السماء !

وكنت احسب ان حكم الحقائق اذا غاب عن الدكتور فلا يجب ان يغيب عنه حكم المنطق ! .

فهو فى غمزة « الحاجه » عـــلى التدليل بأن النظام الخاص انما نشـــأ لاسقاط الحكومات يقدم لنا هذه القضية بصورة مذهلة حين يقول : —

« ان علينا ان نختـــار بين طريقين فأما ان ننكر انكارا باتا بأنه كان للاخوان تنظيم سرى باسم النظام الخاص وفى هذه الحالة نكون قد نفينـــا تماما فكرة العنف عن الاخوان ، واما ان نعترف بوجود هذا التنظيم السرى وفى هذه الحالة نعترف ضمنا بوجود فكرة العنف ! .

اليس هذا — فى منطق الجدل — هو المصادرة على المطلوب ؟!

ومن جهة اخرى .. اليس هذا هو الارهاب الفكرى بعينه الذى يتهمنا به الدكتور !؟ .

لقد قرانا للدكتور فى مقاله الثانى اتهامه للاخوان انهم لم يتورطوا فى معاركهم ضد الانجليز بل وامتنعوا عن القيام بأى نشاط ضدهم !!

فما هو الاسلوب الذى كان يراه لتحقيق هذا النشاط واظهاره الى الوجود ... فى وقت تتواطأ فيه الحكومات جميعا بما فيها الوفد وحكومة الائتلافات ، مع المستعمر !!

ما هى الصورة التى كان من الممكن ان يتحقق بها امله فى مواجهة الوجود الانجليزى غير نهوض الشباب بهذا التدريب الخاص على استعمال السلاح وكل وسائل القتال الحديثة ... وكيف يتم ذلك فى علانية بينما انف الانجليز فى كل مرفق من مرافق الدولة !؟ .

ولقد واجهنا تهمته هذه فى مقالنا الثانى بالقول بان الاخوان واجهوا الانجليز فى كثير من الحوادث بعضها عرف وبعضها لم يعرف ! وذكرت له امثله فى هذا الشأن .

فكيف كان يتسنى لهم ذلك الا من خلال جهاز خاص يخفى على الحكومة وجوده فضلا عن معرفة اشخاصه واسلحتهم وتدريباتهم الا ما تكشفه الاحداث رغما عنهم .

ومن جهة اخرى تقرأ للدكتور رمضان فى مقاله المنشور فى جريدة الهدف ، تحت عنوان « قضية فلسطين » قوله :

« وقضية فلسطين هى شعار حقيقى بالنسبة للاخوان ولكنها ستار مزيف بالنسبة لحكومة صدقى باشا والنقراشى باشا التى خلفتها بمعنى ان هذه القضية كانت تقدم بالنسبة لشباب الاخوان محورا اسلاميا مثاليا يستقطب اهتمامهم ومجالا حقيقيا للجهاد تفرغ فيه شحنة حماستهم ولا يستطيع احد ان ينكر اخلاص شباب الاخوان المسلمين لقضية فلسطين وضغطهم على قيادتهم للسماح لهم بالجهاد فى فلسطين !! » وهذا كلام الدكتور وليس كلامى ! .

ثم .. يستدرك آخر الامر فيقول :

« ان التدريب على السلاح واعداد شباب النظام الخاص كان سابقا على ظهور مشكلة فلسطين ! »

واذا سلم الدكتور رمضان ان قضية فلسطين كانت شعارا حقيقيا بالنسبة للاخوان وستارا مزيفا بالنسبة للحكومة ، فكيف يتسنى للاخوان

تحقيق شعارهم هذا الا بمعزل عن الحكومة ! فى ستر وخصوصية تمنع من البطش بهم اذا اراد الانجليز ذلك .

اما قول الدكتور ان التدريب على السلاح واعداد شباب النظام الخاص كان سابقا على ظهور مشكلة فلسطين فقول يثير الدهشة عما يعنيه الدكتور فعلا بهذا الاستدراك ! فمن الثابت ان دكتورنا المؤرخ لا شك يعلم ان قضية فلسطين وجدت قبل قيام جماعة الاخوان المسلمين نفسها ! واذا كان النظام الخاص انشىء سنة ١٩٤٠ فان معارك المسلمين فى فلسطين كانت سنة ١٩٢٣ واحداث سنة ١٩٣٢ التى قتل فيها الكثير من المسلمين فى فلسطين والتى اعتقل فيها جمال الحسينى كانت عنوانا على عمق المشاعر الاسلامية ضد اقرار سياسة الوطن القومى اليهودى .

فهلا كان هذا الاعداد المستور للنظام الخاص فى مدافعة كلا الجانبين الانجليز فى مصر واليهود فى فلسطين سببا فى عدم العلانية التى جعلها الدكتور اساسا فى حكمه على النظام الخاص بأن سريته كانت لاسقاط الحكومات بالعنف ؟! .

واخيرا ...

اختتم ردى على مقاله الاسبق بما رواه من انه يتوخى عرض صورة الاخوان المسلمين بالطريقة التى تخيفهم من انفسهم من اخطائهم ليستفيدوا من هذه الاخطاء فى تصويب خطواتهم ثم يستطرد فيقول :

« لقد دفع الاستاذ صلاح شادى ثمنا فادحا لهذه الاخطاء يتمثل فى عشرين عاما من عمره قضاها فى السجن ! » .

وانى لاشكر الدكتور المؤرخ على حسن قصده فيما توخاه من اخافة الاخوان المسلمين من انفسهم ! .. ولكنى لا انسى فى غمرة هذا الشعور « بالجميل » ان اذكره ان رسالة المؤرخ تفقد موضوعيتها اذا توخى شيئا اخر غير استنباط الحقائق من وراء الاحداث ! .

واشكره ثانيا على عواطفه نحوى حين يقرر اسفه لانى دفعت من عمرى عشرين عاما ثمنا لهذه الاخطاء ! .

لقد دفعت حقا من عمرى عشرين عاما .. ولكنها كانت بسبب خطئك — انت — يا سيدى ! وخطأ كل فرد فى الشعب عجز ان يقول كلمة « لا » لعبد الناصر .. حتى من شاركه فى الحكم عجز ان يقول هذه الكلمة ، حتى استحال الشعب الى « مساخيط » يمشون الى جوار الحائط ، يتسولون حقهم

فى الحياة .. فى الرزق .. فى الشعور بالامن والكرامة الذى افقدهم اياه « زوار الليل » من خدام عبد الناصر وسدنته ! .. الامر الذى افصح عنه السادات فى كتابه « البحث عن الذات ص ٢٨٩ » بهذا الوصف المرير !! .

وبعد وفاة عبد الناصر فقط !! اقيمت المآتم وعقدت حفلات التابين والبكاء على الحرية الضائعة وشرف الامة المثلوم وكرامتها المهدرة ! .

ولقد ادخل الاخوان السجون والمعتقلات لانهم قالوا « لا » لمعاهدة عبد الناصر مع الانجليز ، لا بسبب رصاصات «المنشية» المزيفة التى مازالت سطورك — يا سيدى الدكتور — المنشورة فى روزاليوسف فى العدد ٢٧٣٤ تشير فى « نبض حى » الى انها حادثة مختلقة مزورة !!

وانك لا شك — ترى معى — ان معاهدة عبد الناصر لم تكن افضل من معاهدة ٣٦ التى ابرمها النحاس والغاها بعد ذلك فى وزارته التى اقالها الملك بعد حريق القاهرة فى يناير ١٩٥٢ .

ولا شك ان الشيوعيين كانوا يشاركونك ايضا هذا الراى ولكن لم نسمع لك ولا لهم صوتا فى هذه السقطة من عبد الناصر ، وان سمعنا بدلا منهـا دوى التصفيق والهتاف لبطل الحياد وعدم الانحياز !

واخيرا .

اكتفى بهذا القدر ، لاعود فى القريب ، ان شاء الله ، لاناقش ما ساقه الدكتور رمضان فى مقال الخميس الماضى فى جريدة الهدف عن علاقة حسن البنا بالقصر ... والله ولى التوفيق .

— يمكن للقارىء قراءة ردنا على هذا المقال فى الملحق رقم (٤) من ن هذه الدراسة (المقال الثالث) .

المقال الخامس لصلاح شادى

« الثورة ليست وسيلة الاخوان فى التغير »

(الوطن فى ٣ ديسمبر ١٩٨٠)

قرأت مقال الدكتور عبد العظيم رمضان الاخير ـ فى رده على مقالى الثانى ـ ولمست قلبى وعقلى منه امور من الانصاف آن ابسطها للقارىء ، فقد احزنه منى بعض عبارات ادرك فيها انى نلت من شخصه بأكثر مما نلت من فكره وربما حملت عباراتى شيئا كهذا لم اقصده فى الوقت الذى اعتبر نفسى مسئولا بين يدى الله عن الكلمة تصدر منى ، تجمع ولا تفرق ، تصوب ولا تصيب ، تشرح ولا تقدح .. وللدكتور الحق ، ان ينتصف منى كما شاء فى الامور التى اعتبرها تمس شخصه .. فهو عندى ما زال كما كان من قبل فى موضعه من التقدير .

ولا انكر ان كتابات الدكتور قد ساءتنى وما زالت ، لا لحق فيها احاول انكاره .. ولكن ما تعلق فيها بأهداف جماعة الاخوان المسلمين فى طرد الانجليز وسلوكهم الجهادى فى هذا الصدد الذى أنكره الدكتور رمضان بعبارات لم اسمعها الا من سلطات التحقيق والاتهام فى المحاكم التى كانت تملى على قضاتها الاحكام قبل ان تعقد اولى جلساتها لتنتهى اخيرا بصدور حكم الاعدام ! .

وما كان يضيرنا ـ من قبل ـ ان نحاكم أمام محاكم عادلة بل كانت هذه مطالبنا .. كما لا يضيرنا اليوم ايضا أن نحاكم أمام للتاريخ محاكمة عادلة فهذه ايضا مطالبنا .

اما ان يدعى البعض ان « الاحداث المتعلقة بجماعة الاخوان المسلمين قد نضجت فى « رحم » التاريخ وخرجت الى عالم الفكر « حكما » سويا ! . » بعد هذه الفترة من التعتيم والاظلام الاعلامى التى اظلت حكم فاروق وحكم عبد الناصر .. فامر يثير الرثاء حقا ! .

ولقد كتب اغلب المؤرخين المعاصرين تاريخ جماعة « الاخوان المسلمين » فى « غيبتهم » واحبوا لانفسهم ان ياكلوا لحما « ميتا » ... ولم يكرهوا ان يقدموا للناس غذاء عفنا كريه الطعم واللون والرائحة ! .. بدعوى ان هذه هى جماعة الاخوان المسلمين !

لعل وقفة منصفة بيننا وبين الدكتور رمضان ينطلق فيها فكره بعيدا عما دونه كتاب الشرق والغرب ، يرى فيها واقع الإخوان المسلمين الحقيقى

ويبصر دوافع تحركهم ، انطلاقا من الخصائص الصحيحة للاسلام ليحاكمهم عليها هو أو غيره ان شاء ومن واقع امالهم التى تحدو مسارهم عبر احكام الشرع التى تربط علاقاتهم بالناس ٠٠ كل هذا يمكن ان يعطى للدكتور بعدا جديدا فى تكوين تصوره لهذه الجماعة ورجالها بالاضافة الى الكثير من المعلومات التى لدى الاحياء من افرادها والتى ربما شكل علمها لدى الدكتور فهما جديدا ، لا ادعوه الى الاقتناع به ، وانما ادعوه فقط الى رصده وتقييمه ! ٠

ومن جهة اخرى ادعو نفسى ومن يقرأ حديثى الى مقام التجرد الذى ندبنا اليه الدكتور رمضان ، وانزل نفسه عليه بعيدا عن اى منطلق فكرى او حزبى جرى فى خاطرنا أنه يحمله ٠٠ فذلك ادعى الى نقد ارائه بالصورة التى يحبها والوضع الذى نأمله .. وحسن الظن الذى يدعونا اليه الاسلام .

وليعذرنى الدكتور رمضان ، فيما ساءه من مقالى بما عذرنى به الحق تبارك وتعالى فى قوله « لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم ، وكان الله سميعا عليما » ٠٠٠

ولقد ظلمت جماعة الاخوان المسلمين فى ماضيها وحاضرها وظلم افرادها ، وأطلقوا عليها وعلى رجالها النعوت والصفات !! واغلقت الصحف أبوابها دونهم لتحول بينهم وبين الدفاع عن أنفسهم ! ، وبهر الظالمون بقدرتهم عليها ! كما بهروا — بعد ذلك — بما رأوا من سنة الله فى صحوها بعد ظنهم التعس انهم وأدوها واهالوا عليها التراب !! ٠٠٠ ولكن ٠٠٠ ما زالت آيات الله تترى « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

ولعل جريدة « الوطن » الغراء هى اول صحيفة فى الشرق تنشر للاخوان المسلمين — بدون تحريف — دفاعهم عن انفسهم وعن فهمهم لدينهم ٠٠ ورسالتهم التى يدينون الله عليها ، فى حرية جديرة بالشكر والاكبار ٠

واعود الى الرد على مقال الدكتور عبد العظيم رمضان ٠

الذى اثار دهشتى من مقاله ، علامات الاستفهام التى مازالت تواكب تصوره لاهداف النظام الخاص !! ، وان زادت احتمالاته الساخرة هذه المرة حين تساءل « وهل انشىء النظام للزينة ، ام لمجرد التأثير السياسى ، ام لمجرد حماية الاخوان انفسهم من السلطة ام لاقامة حكومة اسلامية ؟ واحتمالات كثيرة اخرى ، ليس من بينها — طبعا — اخراج الانكليز ! .

وهو فى هذه المحاولة يرد كل دليل مما قدمته فى هذا الصدد ، ليدحض انطلاقه من خط الجماعة واعنى بذلك الاحداث التى سقتها على سبيل المثال لا الحصر ، واضاف اليها الدكتور حوادث اخرى فى الاسكندرية — من حيث لا يدرى — فيما رواه فى جريدة الهدف يوم الخميس بارتكاب الاخوان اربعة

حوادث اخرى ضد الجنود البريطانيين فى اسبوع واحد واسفرت عن اصابة ١٢٨ شخصا وقبض على احد عشر متهما اتضح بعد ذلك انهم من جمـــاعة الاخوان المسلمين ! وادعى انها كلها حوادث فردية بعيدة عن سياسة الجماعة وتخطيطها !! ، حتى الحادث الذى ساقه هو اخيرا تحول ـ تحت قلم الدكتور ـ الى حادث ضغط فيه على البنا من جانب شباب النظام الخاص ليسمح لهم بالقيام به ! .

لماذا ؟! لست ادرى ، خاصة وقد ابتعدنا اليوم عن اتهـــام النوايا ! اما حادث قتل النقراشى فهو عند الدكتور من صلب سياسة الجماعة مهمانفى ذلك حسن البنا ! ولا تأخذه فى هذا الاعتقاد لومة لائم ! ٠

ان حكم التاريخ الذى يتحدث الدكتور رمضان باسمه ، لا يكون منصفا اذا وزنت فيه الاحداث بوزنين ، واخضعها المؤرخ لفكر يعتقده او تصور يملك لبه ، وانما يتحقق السمت الصحيح للمؤرخ اذا جعل الاحداث وحدها هى التى تكون رأيه وتبلوره ، اما ان يبدأ قضيته برأى او بفهم معين يحاول ـ متعسفا ـ فرضه او اغفال حقيقة تعارض ظنه ، فهذا هو الحكم البعيد عن الحـــق والنصفة ! ٠

ولذلك كنت امل ان ارى للدكتور رمضان « وقفة منصفة » حيال الاحداث التى سقتها اليه على سبيل المثال ، ولا يطالبنى باثبات انطلاقها مـــن خط الجماعة وانما يطالب نفسه ببحثها ، فهو أولى بها منى ما دام يكتب للتاريخ وما دام قد وضع نفسه بعيدا عن موطن الخصومة وفى برج التاريخ السامق الذى يحكم ولا يحكم ! ٠

وليس هذا فحسب هو ما اطالب به الدكتور رمضان ، وانما اطـــالبه ايضا بمحاولة فهم رسالة الاسلام التى دعا اليها حسن البنا ، ليطابق بين سلوكه وسلوك اتباعه وبين ما يدعون اليه ٠٠ ثم يحكم بعـــد ذلك لهم أو عليهم ! ٠

ان الخلاف بيننا يا دكتور رمضان ، ليس ناشئا من اختلاف موقعينا من القضية المعروضة ... وانما هو كامن فى الاساس الذى نتحاكم اليــه ، ونرد اليه الامور ! ٠

فمثلا .. بينما نراه يقدح فكره لتبين اهداف النظام هل كان لقـــلب الحكم ام لاقامة حكومة اسلامية ام لاخافة الحكام ، ام للدفاع عن انفسنا ام للزينة كما يدعى ، اراه لم يشغل باله بحقيقة اصيلة فى ايات الله جعلهـــا الاخوان المسلمون شعارهم ووضعوها على صدورهم فى « شارة » مصور

عليها مصحف وسيفان ومدون على هذه « الشارة » كلمة « واعدوا » .. تذكيرا بالآية الكريمة « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم واخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » .

ان القوة فى النظام الاسلامى مطلب مقصود لذاته ، مهما تحقق للامة استقلالها وحتى لو اظلها حكم الاسلام ، لظل التدريب على الاسلحة والتجمع لبذل المعروف وانكار المنكر بشرائطه الشرعية واجبــا تنهض به وله همم المسلمين ويسعى كل مسلم صادق لتحقيقه فى نفسه ودعوة الناس اليه وحضهم عليه ، والمؤمن القوى خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف ... ولا يزال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرح للناس معنى القوة الوارد فى الآية « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة » فيقول الا وان القوة « الرمى » ويكررها ثلاث مرات ثم لا يلبث ان يجعل الرمى عبادة فيقول « من تعلم الرمى ثم تركه فقد عصانى » .

وهكذا يصبح التدريب على السلاح وتنشئة النفس على مشاق الحياة بالرحلات ونحوها ، هدفا يطلب لذاته ويظل الفرد عاكفــا عليه لحفظ معنى الرجولة فيه وعدم عصيان الله بنسيانه .

واذن فدعوة البنا للقوة فى مظاهر تنظيماته المختلفة لا تعنى بالضرورة التخريب وقلب انظمة الحكم ، ولقد نجح الاحتلال البريطانى واعوانه مـن الحكام المصريين فى تركيز مفهوم خاطىءفى عقل الشعب ووجدانه مضى بهالى الاعتقاد بأن استكمال عدة القوة جريمة . لانها تمثل لدى الاحتلال البريطانى واذنابه مواجهة تسقط معها حيله والاعيبه التى بدات منذ ان سمى وجوده فى البلاد التى يحتلها « استعمار » بينما هو فى الحقيقة تخريب لطاقات الامــة ورجولة شبابها واضاعة لثرواتها وكرامتها وحريتها . فاذا جاء حسن البنا ليقدم لهذا الشعب المقهور معنى جديدا من كتاب الله يغسل به ما تراكم من ذل الاستعباد فى النفوس ، فاقام الفرد على عقيدة التوحيد ليستكمل بهــا عدته من مدد السماء .. ودعاهم الى تكوين امة تستظل بشريعة القــرآن لتحفظ لنفسها القوة والمنعة ودعا الحكومات بعد ذلك الى توحيد قوتها تحت راية الخلافة الاسلامية فلا يتصور ان يكون منزعه فى هذا الصدد مظهرا من مظاهر العنف او صورة من صور الاستعلاء بالقوة على الحــق او ابراز العضلات لوأد معنى الحرية فى الناس ، او حملهم بالاكراه على التبعية للجماعة واذا جرى فى مخيلة احد هذا الظن فقد جانب به الحق والصواب .

وقد ســبق ان اوضحت للقراء فى مقالى الاول كيــف يفهــم الاخــوان المســلمون القــوة وكيف يستخدمونها وينبذون الثورة بكل صــورها ولا يســتخدمونها لاقامة الحكومة الاســلامية كمــا

تساءل الدكتور وانما تنطلق قوتهم لدفع المنكر الذى أمر الله بدفعه بكل الصور الشرعية لهذا الدفع ، باليد او باللسان او بالقلب حسب قدرة الدافع ٠٠٠وكذلك الامر بالمعروف بكل صورة مهما لحق الآمر .. فأعظم الجهاد عند الله كلمة حق عند سلطان جائر ٠٠ ولقد قالها الاخوان المسلمون لعبد الناصر واعدم منهم من اعدم ولبث البعض جل أعمارهم في السجون يتجرعون غصة الظلم والعذاب « وما بدلوا تبديلا » ٠٠ وهذه ايضا احدى صور القوة التى علمهم اياها حسن البنا ونبذها الدكتور رمضان وجعلها احدى خطاياهم

ولهذا دعوت الدكتور رمضان ان يبعد عن نفسه هذه الغلالات السوداء التى احاطتنا بها وسائل الاعلام فى الماضى والحاضر ، ثم يقيم سلوكنا بعد ذلك على ضوء الاسلام ٠

فاذا عدنا بعد ذلك الى الطواف حول مناقشة الدكتور فى ردى على دعواه بمهادنة الاخوان المسلمين للانكليز رأيناه يدفع الاحداث التى سقتها — على سبيل المثال — بدعوى أن ثلاث حوادث فقط لا تشكل منهاجا لجماعة الاخوان المسلمين لاخراج الانكليز ، فى الوقت الذى ما زال يرى ان مظاهرة « الى الامام يا روميل » تشكل عنده منهاجــا لاخراجهم !! حتى بدا له ان اعترافى بعدم مشاركة الاخوان فيها دليل على القعود ! فنراه يقول فى رده الاخير ما نصه « كذلك لم ينكر الاستاذ صلاح شادى ما قلناه من ان الاخوان المسلمين لم يشتركوا فى مظاهرات الى الامام يا روميل !! ضد الانكليز ! » ٠

واذن ٠٠٠

فهو ما زال يعتقد حتى الان ادانة الاخوان المسلمين لعدم اشتراكهم فى هذه المظاهرة ! والا لما استدل بها فى هذا السياق ! ٠

ثم ٠٠ تزداد الامور تعقيدا هذه المرة ٠٠ وتتطاول الدهشة حتى تصل الى الاستنكار حين تراه يردف هذا السياق بالقول بانى (اى صلاح شادى) اعرف من قراءتى لكتبه ، وخاصة كتاب تطور الحركة الوطنية ، انه ادان هذه المظاهرة ونسبها الى العناصر الموالية للالمان فى القصر الملكى ، ومجموعة على ماهر بالذات !! ٠

ولا املك الا ان اتساءل للمرة الثانية لماذا يستدل بها اذن فى هذا المجال ويتهم الاخوان بالقعود عن مواجهة الانكليز ! ٠

والاعجب من كل هذا ان تقرأ فى كتابه ، تطور الحركة الوطنية ، ما رواه عن النحاس باشا بانه يدين الانكليز بانهم هم الذين صنعوا هذه المظاهرة ! ٠

ولا تزال براهين الدكتور تتناقض ويضرب بعضها بعضا ، حتى يقول ان احمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة دعا الاستاذ البنا الى تفجير ثورة شعبية ضد الانكليز فرفض قائلا « اننا لا نبحث عن مغامرة قد تخيب وتفشل» ويعلق الدكتور رمضان على ذلك بقوله « وانا لا ادين موقف الشيخ البنا ، فقد كان احرص على الدعوة وعلى هدفه الاستراتيجى من ان يجهض فى مغامرة كانت كل الدلائل تشير الى فشلها نظرا لاحكام قبضة الانكليز على مصر فى هذا الحين ! » .

فاذا كان رأى الدكتور ان تفجير ثورة شعبية امر لا جدوى منه فى هذه الظروف ، فماذا بقي للمجاهد ان يفعله الا العمليات الفدائية التى قام بها الاخوان في هذا الوقت ؟! .. بل وبعد هذا الوقت ! حتى شهدت معارك السويس بعد استشهاد الامام البنا ما يعتبر امتدادا طبيعيا لسياسته فى هذا الصدد بعد ان حمل امانة الجهاد خلفه ، المرشد حسن الهضيبي فجرى على هديه وسطرت بطولات الاخوان فى هذه المعارك ما أعجز الانكليز انكاره .

ومع ذلك .. يظل الدكتور رمضان حائرا فى تصوراته ومغاليا فى اصراره حتى يقول :

« لقد خاض الاخوان المسلمون حقا معركة فلسطين سنة ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ ولكن احدا لايستطيع الادعاء بأن هذا الغرض كان من وراء انشائهم لجيشهم العلني والسرى ، والا لاخبرنا بذلك الاستاذ صلاح شادى ، ولأخبرنا من قبل المرحوم الشيخ حسن البنا » .

ولست ادرى ما يعنيه الدكتور بهذا الاستدلال ؟! .

هل كان يفيد الدكتور في هذا الصدد ان يعلن البنا فى صفحات الجرائد والمجلات أو فى كتابه « الدعوة والداعية » انه انشا نظاما خاصا غرضه قتل الانكليز واخراج الصهاينة من فلسطين !

بماذا تفيد الدكتور رمضان هذه العبارة اذا أعجزه ان يرد الفضل لاهله حين اشاد ببسالة الاخوان فى مرابطتهم فى « صور باهر » وفى بيت لحم وعلى مشارف القدس وحين اقتحموا (رامات راحيل) ونسفوا مستعمرة (ديروم) واشتركوا فى معارك (عسلوج) وحاصروا (المسنة) و (بيرون اسحاق) واستشهد منهم قرابة المائة واسر بعضهم وكانوا مثل البسالة والاستشهاد ! .

وانا انقل ذلك من مقال الدكتور فى جريدة الهدف ! .

اما بالنسبة للحجة التى اقامها على فاتول انى اوردت فى المقال الثالث اغراض انشاء النظام الخاص بشهادة احد خمسة رجال انشأوا هذا النظام

بتكليف الامام حسن البنا ، واعلمهم بهدفه من هذا التكوين وهو عين ما ذكرته، وعاتبت الدكتور لانه لم يحفل وهو يكتب تاريخ جماعة الاخوان - بقراءة ما كتبه رجالها المسئولون عنها واعيده اليوم الى ما ندبناه اليه بالامس فى صفحة ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ من كتاب الاستاذ محمود عبد الحليم « الاخوان المسلمون احداث صنعت التاريخ » ويمكنه ان يقرأ فى هذه الصفحات كيف دعا حسن البنا الى انشاء هذا النظام ! وما هى اهدافه واسلوب التربية فيه ٠

ولكن الدكتور رمضان لا يأخذ هنا تصوره لجماعة الاخوان الا بما يوكد ظنونه ثم يأخذ بعد ذلك اغلب تصوراته من ميتشيل وكيرك وغيرهما من مؤرخى الشرق والغرب ٠

واخيرا ٠٠

بقى طرف من رده الاخير اعجز فيه عن رؤية المؤرخ الدكتور رمضان بعيدا عن غمار الكتاب السياسيين !

ويبدو ان اندفاع الدكتور فى مناصرة موقف الوفد فى تولى الحكم سنة ١٩٤٢ على رماح الانجليز ، اسلمه الى قول متناقض بين دعواه ان النحاس باشا كان يعمل لخلع فاروق عن العرش منذ سنة ١٩٣٧ ٠٠ وبين قوله « والحقيقة التاريخية ان النحاس باشا رفض تكليف الملك له بتشكيل الوزارة مستندا على قرار الزعماء السابق برفض تأليف الوزارة ، ولكن الملك الخائف على عرشه الح على النحاس باشا لينقذ عرشه » .. فقبل بعد الالحاح الذى وصفه « بالمرة بعد المرة والكرة بعد الكرة » .. وهنا يبرز لنا هذا السؤال :

لماذا يحاول النحاس باشا انقاذ عرش فاروق ؟! وهو الذى كان يحاول خلعه منذ سنة ١٩٣٧ ؟ واى الخبرين اولى بالتصديق ؟!

واذا قيل ان محاولاته قد باءت بالفشل سنة ١٩٣٧ بسبب الانكليز فها هم الانكليز انفسهم يتخلون عن الملك .. فلماذا يورط نفسه فى مهانة قبول حكم يعرضه وحزبه للأوحال ؟ .

واذا خيف من بطش الانكليز بالشعب فصمام الامن فى يده هو فى ثقة الشعب والانجليز فيه ، والمخاطر فى هذا الصدد اسهل من احتمال مخاطر بقاء فاروق على العرش وتثبيته عليه استنادا على سلطان الشعب الذى يمثله الوفد ٠

ولعل الكثيرين يعجزون مثلى عن رؤية المبرر لهذا السلوك الذى استقر فى فهم الدكتور على قطبين متناقضين احدهما رغبة النحاس فى خلع الملك والاخر التضحية بسمعته وكرامة حزبه ليحفظ للعرش بقاءه .

وربما حدثنا الدكتور عن ذلك فى عدد قادم •

اما مقال الدكتور رمضان فى جريدة الهدف فى ٢٧ نوفمبر الماضى فى محاولة كشفه السر وراء حل جماعة الاخوان سـنة ١٩٤٨ فلى عليه بعض التعليق ارجو ان اسوقه ان شاء الله فى عدد قادم •

ـ يمكن للقارىء قراءة ردنا على هذا المقال فى الملحـق رقم (٤) من هذه الدراسة (المقال الرابع) •

المقال السابع لصلاح شادى

« لماذا يتجنى البعض فى تصوير جماعة الاخـوان المسلمين »

(الوطن فى ١٠ ديسمبر ١٩٨٠)

لا يحتاج القارىء الى كبير عناء عندما يحاول البحث عن المصادر التى استقى منها الدكتور رمضان معلوماته « التاريخية » التى أقام عليها احكامه على جماعة الاخوان المسلمين ! ٠

فهو اما ناقل عن محاضر جلسات جمال سالم سنة ١٩٥٥ فى محكمة الشعب ٠ واما ناقل عن كتابات ريتشارد ميتشيل صاحب كتاب « الاخـــوان المسلمون » بشىء من التصرف ٠ ولقد قدمت رأى الدكتور عبد العظيم رمضان فى محاكمات جمال سالم حين قال : لقد اتهم الاخوان المسلمون جمال سالم بانه كان الخصم والحكم واطلقوا عبارة « قضاتنا خصومنا » ولكن الدراسة المتأنية لنصوص المحاكمات وما صدر من جمال سالم يثبت انه لم يلعب سوى دور الخصم ولم يلعب ابدا دور الحكم وهذا امر محزن حقا ، فما اتعس الحكا م الذين ينسون ان للتاريخ محكمة تفوق محاكمهم قوة وان الاحكام التى تصدرها محكمة التاريخ هى الباقية وأحكامهم فانية ٠ ثم يستطرد « ولم تسمع قاعات المحاكم فى مصر ما سمعته من العبـــارات النابية والتهجم على المتهمين والسخرية منهم وارهابهم كما سمعت من جمال سالم ! » ٠

اما رأى الدكتور ريتشارد ميتشل نفسه فى كتابه الذى اشرت اليه ، فقد سمعته منه شخصيا عندما حضر الى القـاهرة قبـل اربع سـنوات أو يزيد ورغب فى لقائى جملة مرات ليستوضح معلوماته فى المصادر التى عجز عن الالتقاء بها حين دون كتابه هذا ! ، وسالنى عن الكثير من الوقائع التى اوضحتها له فى اكثر من لقاء ٠ حضر بعضها الدكتور محمود ابو السعود والاستاذ صالح ابو رقيق ٠٠٠ وأبان لنا فى صراحة انه لم يكن أمامه الامصدر واحد يستقى منه معلوماته وهو الصحف والكتب التى صدرت حينذاك تحت اشراف السلطة الحاكمة فضلا عن المحاكمات التى اقيمت لرجال الجماعة وانه يود لو يعدل كتابه ويكتب امورا وضحت له وادركها بعد اصداره للكتاب . ثم استقر اخيرا على ان يترجم الدكتور محمود ابو السعود الكتاب المذكور ويكتب فى هامشه كل من الاستاذ صالح أبو رقيق والدكتور محمود ابو السعود ما يريانه من وقائع لا تتفق مع رأيه الذى ابداه ! ٠

الا يرى معى الدكتور رمضان ان سلوك الدكتور ميتشـــل الاميركي الجنسية المسيحى العقيدة كان أقرب الى الانصاف من سلوكه هو معنا ! ٠٠

وخرج الى الوجود كتاب الدكتور ميتشل « الاخوان المسلمون » يحمل هذه التوضيحات للوقائع المختلف عليها ٠٠ وهى عين الوقائع التى ساقها الدكتور رمضان فى مقاله الاخير تحمل نفس الاخطاء للأسف ! ٠٠ وانتجنب ذكر كل ما نسبه ميتشل الى الوفد من اتهامات كاشتراك شباب الوفد مثلا فى « رابطة الشباب » ـ التى تكونت اساسا من الوفديين ـ فى تدمير مسرحى سينما مترو وسينما ميامى واقتصرت الخسارة فى الارواح على المصريين !!٠

فى الواقع اجد نفسى عاجزا عن مناقشة كل ما ورد من اخطاء فى مقال الدكتور رمضان الأخير فى جريدة الهدف،ولكنى آثرت ان أكشف للقارىء عن بعض الوقائع المحرفة وأنسبها « نيابة عنه » الى مصادرها التى كان يجب ان ينسبها هو اليها ٠

والظروف التى يتحدث عنها الدكتور كانت بعد وزارة حســين سرى الائتلافية التى جاءت فى ٢٦ يوليو ١٩٤٩ وساهم فيهــا الوفد حتى نوفمبر وجرى حل البرلمان وبدأ سرى يعد البلاد لاجراء انتخابات جديدة خرج بعدها الوفد ظافرا فى ٣ يناير ١٩٥٠ والف حكومته فى ١٢ يناير سنة ١٩٥٠ ٠

ويقول الدكتور رمضان ان الاخوان المسلمين رفضوا المصالحة مـــع الوفد بعد نجاحه فى تلك الانتخابات بحجة انتمائهم التقليدى للقصر فى الصراع الدائم بين الوفد والعرش (!) ويدعم هذا الرأى بقوله بانه جرت مفاوضات بين الحزب والجماعة حول اعادة الاخوان الى الحياة الشرعية وكان ممثل الوفد هو فؤاد سراج الدين وممثل الاخوان هو مصطفى مؤمن وانه جـــرت صيغة توفيقية بين الطرفين وهى ان يسمح للجماعة باستئناف نشاطها تحت اسم جديد اقترحه مصطفى مؤمن وهو اسم « النهضة الاسلامية » بدلا من « الاخوان المسلمون » ! وان هذه الصيغة لم تلق تأييدا من الجماعة ٠

ولقد ساق نفس الواقعة عن الاستاذ مصطفى مؤمن ٠٠٠ وكان على الدكتور ان يضيف ان مصطفى مؤمن ٠٠٠ فى هذا الوقت لم يكن مفوضا من الاخوان المسلمين بتقديم اى اقتراح ! فمن البديهى ان مركزه كطـــالب فى الجامعة لا يسمح له بالتحدث باسم الجماعة بينما الكثير من رجالها كانوا خارج المعتقلات ـــ أمثال منير دله والباقورى وخميس حميدة وابراهيم نجم ـ واولى منه بهذه المفاوضة ! ٠

وكان على الدكتور أن يكون منصفا فى تصوير هذا الخلاف فلا يرده الى ركون الاخوان للحليف التقليدى « القصر » كما يقول ، وانما كان عليه ان يعترف ان الوفد قد خان الاخوان المسلمين بعد ان أيدوه فى الانتخابات تحقيقا لوعده بالغاء قرار الحل واعادة ممتلكات الجماعة .. وبدلا من ذلك يشتط فؤاد سراج الدين ويحاول تسليم مبنى الجماعة لوزارة الداخلية لجعله مقرا لقسم البوليس ! .

وكان عليه ايضا ان يذكر ان وزير الداخلية فؤاد سراج الدين صرح بأن الحكومة ستستبدل قانون الجمعيات الجديد بقانون حل الاخوان حتى يظل الحل ساريا بعد سقوط الاحكام العرفية » ، ويقول ميتشل فى هذا الصدد فى صفحة ١٧٩ من كتابه المترجم بمعرفة الدكتور محمود ابو السعود « ونظرا لان الاخوان المسلمين كانوا المجموعة الوحيدة التى يشملها هـــذا القانون الجديد فقد رأوا ان القانون سن خصيصا لهم ! كما رأوا انه ضيق عليهم دون اقتضاء ، علاوة على انه كان قانونا ظالما حل محل قانون عرفى ظالم اعطى البرلمان الصفة الشرعية لاثاره التى اورثها القانون العسكرى غير الشرعى للحل » .

وهكذا اضطرت جماعة الاخوان الى رفع دعوى أمام مجلس الدولة بابطال هذه القرارات واعادة اسم الجماعة وممتلكاتها اليها .. وفعلا صدر هـــذا الحكم بتاريخ ١٥ اغسطس سنة ١٩٥١ بابطال قرار وزير الداخلية ! وتوصى فيه المحكمة بوجوب اعادة اموال الجماعة واملاكها اليها ويقول « ميتشل » فى هذا الصدد ان من اثار هذا الحكم انه أعطى الجماعة صـــفتها الشرعية وهى اقوى صفة فى مصر !! واضطرت حكومة الوفد الى رفع يدها عن الاملاك المصادرة بما فى ذلك الصحيفة وجميع المبانى .

وما دام الدكتور رمضان قد اورد كلام صالح عشماوى عن حزب الوفد بما يؤكد انتماء اعضاء حزب الوفد والاخوان المسلمن لطبقة واحدة هى الطبقة الشعبية ولهذا فليست هناك منافسة بين الاخوان والوفد ... واعتبر هذا لونا من الوفاق قبل الانتخابات ، فكان عليه ايضا ان يذكر مقـــالة (صالح عشماوى) فى صحيفة مجلة المباحث فى شجبه حكومة الوفد لنكثها عهودها مع جماعة الاخوان قبل الانتخابات باعادة نشاطها اليها والاعتراف بشرعية وجودها ! واسوق فى هذا الصدد ما رواه الاستاذ صالح ابو رقيق فى تعليقه على نجاح الوفد فى انتخابات سنة ١٩٥١ فى صفحة ١٧٥ مـــن كتاب ميتشل عن « الاخوان المسلمين » .. « كانت النتيجة الباهرة التىحصل

عليها الوفد فى انتخابات يناير سنة ١٩٥٠ تعتبر بحق تعبيرا صادقا حقيقيا وشاملا عن الثورة التى كانت تجيش فى قلوب المصريين ضد فاروق واعوانه السعديين ، وخاصة بسبب اضطهادهم للاخوان ، واغتيال البنا حيث ارغمت هذه النتيجة الملك فاروق يوم ان كان فى البلد نوع من الديموقراطية — ان يقابل المرحوم النحاس باشا ، الذى اقاله من قبل بصورة مؤسفة للغاية وما حصل الوفد على هذه النتيجة الا بسواعد الاخوان المسلمين ، الذين نزلوا المعركة الانتخابية بثقلهم لمساعدة مرشحى الوفد ٠٠ حتى ان سكرتير الوفد السيد فؤاد سراج الدين صرح لاعوانه اثناء المعركة الانتخابية بانه لا داعى لارتباط الوفد بوعود مع الاخوان لانهم سيقفون مع مرشحى الوفد انتقاما من السعديين !! وعلمت قيادة الاخوان بهذا التصريح فاصدرت تعليمات للاخوان بالوقوف فى المعركة على الحياد ٠٠٠ مما اثار مرشحى الوفد فطلب مقابلة احد المسئولين فى الاخوان فقابله المرحومان الدكتور خميس حميده وابراهيم نجم ، فوعدهما بانه مجرد تولى الوفد الحكم تعود للاخوان شرعيتهم وترد لهم اموالهم بل ويعوضون عن خسائرهم ولكنه للاسف لم يف بماوعد » !

حاول الدكتور ان يلقى ظلالا من الشك حول ترشيح الاستاذ حسن الهضيبى مرشدا لجماعة الاخوان المسلمين ٠٠ فقال ان ذلك جرى بموافقة الملك ، بل انه يقال ان الملك قد فرض هذا التعيين او ان الاخوان كانوا يرغبون فى ارضاء الملك الذى عرض عليهم الامر فايد هذا التعيين !! وان هذا التنازل من جانب الاخوان كان راجعا الى رغبتهم فى العودة الى الشرعية وعودة اموالهم المصادرة !! ٠

ويابى الدكتور المؤرخ ان يترك القصة هكذا بدون احكام فيقول ان رفض المصالحة مع الوفد وفصل مصطفى مؤمن كان يحمل معنى تلميح للقصر بالاستعداد للتعاون !

ثم يطلق سهمه الاخير على الاخوان المسلمين ليجهز على ما أبقاه من شك فى نفس القارىء فيقول فى عبارة مشبوهة مزج فيها « نواياه الطيبة » بالسم الذى يريد ان يجرعه للقارىء فيقول :

ومن سوء حظ الاخوان ان علاقات الهضيبى بالقصر بعد تعيينه مرشدا عاما لا تدع للباحث مجالا لنفى هذه الروايات على اساس سليم فقد رأينا فى رواية كيف سعى الشيخ البنا سعيا شاقا لمقابلة فاروق وكيف فشل فى ذلك ٠٠ ولكن الامر اختلف بالنسبة للهضيبى فلم يكد يمضى

شهر واحد على تعيينه حتى كان يركب عربة ملكية فى يوم ١٤ نوفمبر سنة ١٩٥١ فى طريقه الى القصر الملكي للقاء فاروق ، وقد روى بنفسه فى مقابلة صحفية بعد الثورة ان هذا اللقاء تم باستدعاء من فاروق !! » ٠

وكان يكفينى للرد على هذه السموم التى يقدمها الدكتور رمضان ان اقول له ان دعواه هذه كلها ملفقة وانه يعرف الاساس الذى كان من الممكن ان يرد على قائله ـ ان شاء ـ لان صدور الحكم لصالح الاخوان المسلمين فى اعادة كيانهم وتسليم ممتلكاتهم كان سابقا لهذه الزيارة التى استدعى فيها الملك حسن الهضيبى !! ٠٠٠ فقد صدر حكم مجلس الدولة لصالح الاخوان فى ١٥ اغسطس ١٩٥١ اى قبل تعيين حسن الهضيبى مرشدا عاما للاخـــوان المسلمين فى اكتوبر سنة ١٩٥١ !! وقبل تاريخ هذه المقابلة بفترة طويلة ٠

وامضى معه لتصحيح الوقائع فاقول ان الاخوان لم تكن بهم حاجة الى التودد الى القصر لاعادة شرعيتهم فقد استعادوها بحكم قضائى شريف ٠٠ على الرغم من الجميع،ولكن كان الملك بحاجة الى أن يسترضى الاخوان وحتى قبل ذلك عندما اشتط ابراهيم عبد الهادى فى سياسة العنف التى اختطهـــا ضد الاخوان فقدمت وزارته استقالتها بعد تصريحه فى الصحف ان وزارته قوية وستحكم خمس سنين أخرى !! واعتبرت الصحف وقتها هذه الاقالة او الاستقالة هدية الملك الى الشعب فى يوم العيد !! ٠

وكان الملك ايضا فى حاجة ان يدفع الزيف الذى الحقه به فؤادسراج الدين من انه هو الذى يقف وراء ممانعة الحكومة لعودة الاخوان المسلمين كما صرح بذلك فؤاد سراج الدين فى مقابلة جرت بينه وبين الدكتور خميس حميدة والاخ ابراهيم نجم اثناء توليه وزارة الداخلية وأوضح فيها معارضة الملك لعودة الاخوان وان الامر يحتاج منه لوقت لمعالجة هذا الموضوع مـــع الملك !! وألمح فى هذه الزيارة برغبته فى ان يغير الاخوان المسلمون اسمهم وان ذلك موحى به من الملك فرد عليه الدكتور خميس بقوله « ان هذا الاسم يا باشا سجلته دماء الاخوان المسلمين ولا يمكن لاحد تغييره ! » ٠

اذن فقد كان الوفد هو الذى يمانع فى عودة الاخوان المسلمين الى حقهم القانونى وليس القصر كما يدعى فؤاد سراج الدين ! ٠

ومن هنا جاء طلب القصر لحسن الهضيبى لزيارته !؟ ٠

وهكذا تبدو ديموقراطية الوفد التى زيفها المؤرخون !! ٠

واعود فاتساءل لماذا لم يذكر الدكتور رمضان شيئا عن حكم مجلس

الدولة هذا الذى اشرت اليه حتى تتضح للقارىء معالم القضية التى ناقشها الدكتور ، وحتى يجد القارىء سبيله من خلال هذا الحكم الى معركة حقيقة الاحداث ! ٠

واذا كان الدكتور قد عجز ـ لسوء الحظ ـ كما يقول عن نفى الروايات عن علاقة الهضيبى بالقصر بعد تعيينه ، فهلا كان الاولى به الا يندب حظـــه وحظ الاخوان ، ويسوق للناس هذه الحقيقة التى تغنيه عن ندب سوء الحظ ! وترده الى ما يأمله الناس فيه من انصاف ! ٠

اما الواقعة الثالثة من الافتراءات فكانت منصبة ايضا هذه المرة على الاستاذ الهضيبى حين وصفه بأنه كان عدوا للتنظيم الجهادى لاخراج الانجليز وانه بذلك قد عزل نفسه عن القاعدة الجماهيرية المكونة من شباب الاخوان المتدين والمتحمس للجهاد فى سبيل قضية بلده ٠٠٠ وان مجلة الدعوة التى كان يراسها صالح عشماوى كانت على عكس سياسته حتى انه عندما عين الملك حافظ عفيفى رئيسا للديوان كانت تهاجم هذا التعيين وتسببت هذه السياسة فى تبرؤ الهضيبى علانية من المجلة ! ٠

والدكتور رمضان فى سوقه للوقائع الخاصة بعداوة الاستاذ الهضيبى المزعومة للتنظيم الخاص يذكر ما قرره الشهود فى محاكماتهم امام جمال سالم ويستدل بذلك على ان الاستاذ الهضيبى كان عدوا لفكرة الجهاد ضد الانكليز!!

ونسى فى غمرة حماسته هذه ما قاله جمال سالم ومحاكماته فى نفس الوقت الذى ما زلنا نذكر له استهانته بحكم ثلاثة مستشارين فى قضية الجيب الذى رد لجماعة الاخوان المسلمين اعتبارها فضلا عن جهاز النظام الخاص فى حين أعلن لنا الدكتور على الملا ان هذا الحكم لا يقنع محكمة التاريخ !! وليس عجيبا ان يناقض الدكتور رمضان نفسه ، ولكن العجيب ان يظن ان كتاباته هذه ستصبح سطورا خالدة تحكى احداث التاريخ ! ٠

اما ما ساقه عن خروج جريدة الدعوة عن سياسة الاخوان المسلمين فلم يكن بسبب مهاجمتها لتعيين الملك لحافظ عفيفى ٠٠٠ وانما كان لاسباب اخرى يذكرها الاستاذ صالح ابو رقيق فى صفحة ١٩١ من كتب « الاخوان المسلمون » لميتشل فيقول « ان مجلة الدعوة كانت قد دأبت ـ قبـــل ان يأتى الاستاذ الهضيبى فى منصب الارشاد ـ على الكتابة بما يعارض سياســـة الجماعة ، وكان السبب المباشر لصدور قرار عدم تمثيل المجلة رأى الاخوان المسلمين هو ان الاستاذ صالح عشماوى نشر فى مجلته اتهام احد التونسيين

للسيد الحبيب بورقيبة بالخيانة ، بينما الكل يعلم صدق الرجل فى هذا الوقت فى جهاده وفى نفس الوقت الذى يعلم فيه الاستاذ صالح عشماوى ما يقدمه له الاخوان من عون فكان بهذا النشر لا يمثل فعلا رأى الاخوان الذى كان يتمثل فى تقديم العون والمساعدة له • » •

اما الزعم بعداء الاستاذ الهضيبى لفكرة التنظيم الخاص فكان احد اخطاء ميتشل الظاهرة التى نقلها عنه الدكتور رمضان بدون تصرف حتى لتراه يقول :

ولما كانت القيادة السياسية للاخوان قد وقعت فى يد المعتدلين وعلى راسهم حسن الهضيبى فان هذا يفسر هذه الظاهرة التى لم تحدث فى عهد الشيخ حسن البنا « وهى ظهور شخصيات شابة الى جانب الهضيبى تعوض « الضعف الكامن فيه » وتملك القدرة على التكييف بين الاعتدال والتطرف داخل الجماعة ، وفى يد هذه العناصر الشابة وقعت كل الاتصالات بين الجماعة والقوى السياسية الخارجية العلنية والسرية •• ثم يستطرد فيقول •• وقد كان من خلال هذين العضوين ـ صالح ابو رقيق وحسن عشماوى ـ ان اقيمت جسور العلاقة بين الاخوان وحركة الضباط الاحرار ! » •

واقول دفعا لهذا الخلط الشديد ان الدكتور رمضان وهو يستقى معلوماته المبتورة من تحقيقات جمال سالم فى المحكمة ومن اقوال ميتشل فى كتابه لم يحاول ان يصفى هذه المعلومات ليردها الى أصولها من الصواب •• ولم يحاول ان يسال الاحياء كما فعل ميتشل حين دفعته رغبته فى كتابة التاريخ الصادق ان يسالنى عن علاقتى بعبد الناصر التى كان قد سجلها فى كتابه فى اجمال حين قال ان علاقة عبد الناصر بصلاح شادى كانت اقوى العلاقات فى الاخوان ويليه حسن عشماوى ثم عبد الرحمن السندى •

وقد اوضحت له طبيعة هذه العلاقة الامر الذى دعاه الى ان يسمح ـ كما سبق ان ذكرنا ـ للدكتور محمود ابوالسعود والاستاذ صالح أبورقيق بتصحيح الوقائع التى رأوا انها تستدعى التصويب فى هذا الشان وغيره من الشئون •

وكنت قد ابديت له ان اول لقاءاتى بعبد الناصر كانت فى منتصف عام ١٩٥٠ باعتبارى المسئول عن قسم الوحدات العسكرية وليس « قسم البوليس» كما ادعى الدكتور عبد العظيم •• فان اقتصار اشرافى على قسم البوليس جاء متاخرا فى اعقاب فتنة السندى فى احتلاله دار المركز العام وتولى يوسف طلعت قيادة النظام الخاص فى نهاية عام ١٩٥٣ •

وبدأ اشرافى على قسم وحدات الجيش منذ سنة ١٩٤٤ حين كلفنى به الامام البنا ، وكان يساعدنى فى العمل الاستاذ صالح ابو رقيق والاستاذحسن عشماوى والاستاذ عبد القادر حلمى ·· وأذكر ان الاستاذ صـــالح ابو رقيق دفع مهر عروسه للقسم اشراء سيارة كنا نحتاجها فى الاعمال الفدائية ضد الانجليز فى القنال فى هذا الوقت !! ·

وكنا الى جوار الامام البنا بجهدنا وعرقنا ودموعنا نستمد منه العون والسداد ونستلهم من الله الرشد والصواب ·

وكان الامام البنا يدرك اخطاء عبد الرحمن السندى قائد النظام الخاص بنفس المستوى الذى ادركها بعده حسن الهضيبى ! ، ويرغب فعلا فى تغيير قيادة هذا النظام بعد الاحداث التى جرت بغير اذنه والتى تحدثت عنها فى ردوى السابقة على الدكتور رمضان .. وهما حادث القاضى الخــازندار وحادث محكمة الاستئناف ولذلك فقد عين الاخ المرحوم سيد فايز ليرأس هذا النظام فى الوقت الذى كان فيه عبد الرحمن السندى فى الســـجن وكلفنى المرشد بالاشراف على النظام بعد ان عين سيد فايز قائدا له ، ولعل الدكتور رمضان يعلم ان المرحوم سيد فايز قد قتل ، واتهم السندى بقتله ·

لم يعترف عبد الرحمن السندى بالتغيير الذى احدثه الامام البنا ، بل أراد أن يستعرض سلطانه موليا ظهره لقيادة الامام البنا ومطيحا بقيادة سيد فايز الذى عجز عن امساك خيوط النظام بيده ـ بعد ان امتنع عبد الرحمن السندى عن تسليمه قيادات النظام وعجز بالتالى عن ممارسة اية سلطة بالرغم مـن اخطار السندى بتعيين الامام البنا لسيد فايز لقيادة النظام ! ·

وعاجلت البنا منيته فلم يستطع وضع الرجل الصالح فى المكـــــان المناسب ! ·

وهكذا نستطيع ان نقول ان المشكلة التى عانى منها الامام البنا والتى كانت ماثلة فى قيادات النظام فحسب هى نفس المشكلة التى عانى منهـــا الاستاذ الهضيبى من السندى قائد النظام الخاص ·

وكان رأى سيد فايز الذى نقله الى الاستاذ الهضيبى بعد ذلك هـــو ان قيادة النظام فقدت معنى الخصوصية بعد معرفة أجهزة الحكومة لها مـن الاوراق التى ضبطت فى السيارة الجيب ، الامر الذى لايسمح بأن تظل هذه القيادات فى مواضعها ، وانه لا بد من تغيير جذرى فى الاشخاص ، واقتنع حسن الهضيبى بذلك وبدأ يعلن عن رغبته فى تغيير قيادات النظام الخاص ، ولم يلبث السندى ان ناصبه العداء بعد ان رأى البساط يسحب من تحـت قدميه فادعى ان المرشد لا يؤمن بقاعدة الجهاد !! فى الوقت الذى كان المرشد

يكلف من يثق فيه فى خوض هذه المعارك ، فكلفنى بالقيام بعملية اللغم البحري لسد القنال ، وكلف الاخ محمود عبده والاخ احمد حسنين بالاشراف على العمليات الفدائية والفدائيين فى الاسماعيلية والقنطرة شرق وبور سعيد ٠

ومضى ركب المجاهدين والشهداء الى غايته . . وأبى المرشد ان ينسب فخار هذا الجهاد للاخوان المسلمين وحدهم ، وانما أعلن للناس كافة وللانجليز خاصة ان الامة كلها قامت لتجاهد الاحتلال حتي لقد رفض ان يكون تشييع جنازة الشهيد عمر شاهين من المركز العام للاخوان المسلمين وانما اصر أن تخرج من ساحة جامعة فؤاد فى الجيزة لتكون رمزا لجهاد الشعب كله لا الاخوان المسلمين خاصة ! ٠

فهل مضى هؤلاء الشهداء من الاخوان المسلمين في جهادهم بغير اذن قائدهم ؟! ٠

أما هذه الاستدلالات الشاذة التى رواها الدكتور رمضان ليثبت بها ان الهضيبى قد جمع الى جواره عناصر شابة ليستر بها ضعفه ! فأمر يثير الاسي والرثاء حقا !! ٠

لقد كان حسن الهضيبى فى عزمته فى كفاح الانجليز أقوى عزما واشد صلابة وأمضى مراسا من كل من حوله من الشباب ٠٠٠ ولا استطيع ان انسي دمعة الاسى والحزن التى ذرفتها عيناه وأنا ابلغه بنبأ عدم توفيقنا فى تفجير اللغم البحرى الذى كلفنى بتفجيره لسد قناة السويس ولارغام الانجليز على احترام عزمة الامة فى طردهم ! ٠

وكذلك كانت عزمته فى تغيير قادة النظام الخاص ٠٠ فلم تلن له قناة ٠٠ بل فتح « الخراج » بمبضع الجراح ٠٠٠ وكانت هذه شجاعة نادرة من حسن الهضيبى تذكر له بالحمد والفخار في تاريخ جماعة الاخوان المسلمين ٠

وتحت عنوان صفحة جديدة يدعي الدكتور رمضان أن حسن عشماوي وصالح ابو رقيق قد أقاما جسور العلاقة بين حركة الضباط الاحرار والاخوان ! ليعوضا — كما يدعى — جانب الضعف الكامن فى مرشد الاخوان الهضيبى !

ولكى اصحح معلومات الدكتور رمضان أقول ان جمال عبد الناصر وكمال حسين وحسين الشافعى وعبد المنعم عبد الرءوف وخالد محيي الدين وحسن ابراهيم وعبد اللطيف بغدادى وعبد الحكيم عامر وصلاح سالم

كانوا من ضباط الاخوان المسلمين فى الجيش وبايعوا حسن البنا ومحمود لبيب وعبد الرحمن السندى ! وقد ذكرت ذلك فى أحد ردوى السابقة واستشهدت على ذلك بما اعترفوا به في كتاب ثورة يوليو ١٩٥٢ لاحمد حمروش وكتاب « الصامتون يتكلمون » ؛ واضيف الى ذلك ان محمود لبيب رحمه الله هو الذى سمى حركة ضباط الاخوان فى الجيش حركة الضباط الاحرار ! .

وكانت ثقة محمود لبيب فى جمال عبد الناصر وثقتها — للاسف — لا حد لها ! .. وفى سنة ١٩٥٠ وبعد وفاة محمود لبيب اتصل بى جمال عبد الناصر ليعيد ارتباطه بالجماعة الذى قطعته اعتقالات وزارة ابراهيم عبد الهادي سنة ١٩٤٨ .. وكان بدء لقائى بعبد الناصر فى هذه السنة ، وان كانت علاقتي بضباط الجيش بدأت منذ سنة ١٩٤٤ فى دائرة قسم الوحدات الذي كان يضم فى صعيده الضباط والصف ضباط والفنيين من كل الرتب ، ويضم ايضا ضباط البوليس والصولات والكونستبلات وضباط الصف والعساكر .

ولا داعي للافاضة فى شرح هذه القصة التى لا يعرفها طبعا الدكتور رمضان لان محاكمات جمال سالم لم تشملها فضلا عن ان محاكمتى كانت سرية !

وبقليل من الفطنة يستطيع الدكتور ان يدرك لم كانت محاكمتى سرية ؟! ومحاكمة بقية افراد النظام الخاص علنية !؟ .

وكما قلت سابقا كان يعيننى فى العمل بقسم الوحدات الاخوة صالح أبو رقيق وعبد القادر حلمي وحسن عشماوي .. وكان المرحوم حسن عشماوي يتصل بجمال عبد الناصر فيما يوكل اليه من أمور ، وكانت لقاءاتنا مع عبد الناصر تجرى تحت مظلة الجماعة وعلى هدى من اعرافها التى بايعنا الله عليها .

وقصة التعاون الذى ادعى الدكتور قيامه بين صالح أبو رقيق وحسن عشماوي وبين عبد الناصر فى حريق القاهرة جرت فى غيبة هذين الاخوين الكريمين ! فقد اتصل بي عبد الناصر وطلب مني معونته فى نقل هذه الاسلحة التى كانت لدي مجدي حسنين فى مدرسة الأسلحة الصغيرة .. وقمت بنقلها مع الاخوين الكريمين عبد القادر حلمى ومنير دله !

والذي أريد تأكيده ان صلة عبد الناصر بى بل وبهذه المجموعة لم تنشأ من فراغ ولم تجمعني به او تجمعه باى فرد من هذه المجموعة صداقة سابقة وانما الذى سعى الى الالتقاء بي هو جمال عبد الناصر نفسه لعقد صلته

بالجماعة عن طريقى قبل اسناد منصب الارشاد للاستاذ الهضيبى ، ولذلك كانت كل خطواتى بعد ذلك مع عبد الناصر تبلغ اولا بأول الى الاستاذ الهضيبى بعد ولايته منصب الارشاد ولو شاء ان يوقفها أو يمنعها لفعل فلم تكن صلة هذه المجموعة أو أى فرد منها بعبد الناصر لتغطية ضعف الاستاذ الهضيبى كما يدعى الدكتور رمضان .. فقد كان الاستاذ الهضيبى يعلم تفاصيل كل تحركاتنا مع عبد الناصر أولا بأول .

وكذلك لم يكن الاستاذ صالح أبو رقيق هو أول من علم بميعاد الثورة قبل وقوعها .. ولكن كل هذه المجموعة التى اشرت اليها كانت تعلم هذا التوقيت فضلا عن الاستاذ الهضيبى . واقول أيضا انصافا للحقيقة ان اللقاء السابق للحركة لم يكن فى منزل الاستاذ صالح أبو رقيق وانما جرى فى منزل الاستاذ عبد القادر حلمى !

واخيرا ..

ليس هناك ما اقوله لاختتم به مقالى الا ان اناصح الدكتور رمضان بأن يعيد قراءة التاريخ ويعيد بحثه على ضوء جديد بعيدا عما يمكن أن تساويه قيمة الاخبار المثيرة فى سوق الصحافة مهتديا فقط بقيمة الحق عند الله وعند الناس .

المقال السابع

« لماذا يتجنى البعض فى تصوير جماعة الاخــوان المسلمين »

(الوطن فى ١٧ ديســمبر ١٩٨٠)

فى عرض الدكتور عبد العظيم رمضان « السابع » لتــاريخ الاخوان المسلمين استوقفنى ما أورده بشأن موقف الاخوان من قانون تنظيم الاحزاب السياسية رقم ١٧٩ الصادر فى سبتمبر سنة ١٩٥٢ والذى يقضى بضرورةتقديم كل حزب لبرنامجه السياسى ورجاله العاملين فيه وما اورده عن موقــف الاخوان المسلمين من قرار حل الأحزاب فى يناير سنة ١٩٥٣ واللقاء الذى دار بينى والمرحوم لاستاذ منير دله كطرف وبين عبد الناصر كطرف ثان واخيرا ما يتعلق برأى لاخوان المسلمين فى اتفاقية عبد الناصر مع الانجليز ..

كان الدكتور رمضان منصفا حين وصف هذا القانون بأنه اصــــاب الاخوان اصابة مباشرة ! .. ولم يصب حزب الوفد فقط ! فقد كان علــى الاخوان المسلمين أن يختاروا فيما لا خيرة لهم فيه ! .. ولذا كان هـــــذا القانون فى الواقع مقدمة لحلهم . أما ما ادعاه الدكتور رمضان بعد ذلك من ان عبد الناصر قد أنقذ الجماعة من الخضوع لقرار حل الاحزاب ارضاء للجناح المؤيد للثورة فهو رأى يجانب الحقيقة ويحتاج الى تصحيح ..

فعندما صدر هذا القانون كان عبد الناصر يعنى من ورائه أمرين :
ـ اما ان تخطر جماعة الاخوان وزارة الداخلية بأن اهدافها الاشتغال بالسياسة ، فتعلن بالتالى أنها حزب كباقى الاحزاب ، ويكون مصيرها الحل المحتوم بعد حين ، كما كان يجرى فى تقدير عبد الناصر وبهذا يكون قد تعجل الصراع مع الاخــوان ! .

وذلك ما لم يكن قد أعد له عدته بعد .. لان حل جماعة الاخــوان المسلمين كان يقتضيه اولا ، محاولة التأثير على اعضاء الجمــاعة وضرب بعضهم ببعض والعمل على زيادة الشقاق بينهم وزعزعة ثقة عامة الاخوان فى اشخاص قادتهم ، كما ان حل جماعتهم وقتها سيزيد من العطف عليهم !، ويمنع من الانشقاق المأمول ، الامر الذى سيدعوهم الى ضمصــــفوفهم لدرء هذا الخطر ! وذلك كله يرويه عضو مجلس الثورة عبد اللطيف بغدادى فى صفحة ٨٨ وصفحة ٩٩ من مذكراته (الجزء الاول) توضيحا لقرار مجلس الثورة فى جلسة ١٨ ديسمبر سنة ١٩٥٣ .

واذن .. فحل جماعة الاخوان المسلمين بناء على تقديمهم اخطارا باعتبارهم حزبا سياسيا لم يكن واردا حقا فى ذهن عبد الناصر ولا مجلس قيادة الثورة ، ليس حفاظا منهم على كيان الجماعة وانما لرغبتهم للتمهيد لهدمها باشاعة الفرقة بين افرادها أولا ثم القيام بحلها بعد ذلك بحيث يكون الحل تقريرا للهدم الحادث فعلا وليس انشاء له ! •

اذن •• فان ما أورده الدكتـــور عبد العظيم رمضان فى مقاله الاخير وسبق أن أورده ريتشارد ميتشل فى كتابه « الاخوان المسلمون » مــن أن عبد الناصر قد انقذ جماعة الاخوان المسلمين من الخضوع لقانون حـــل الاحزاب استنادا لما قاله المرحوم حسن العشماوى فى اعترافه « بجميـل عبد الناصر على الاخوان بالرغم مما وجده من متاعب من زمــــلائه ومن الاخوان » .. نقول ان ذلك ليس صحيحا فى تصوير الواقع !

وكان الاختيار الثانى الوارد فى موقف الاخوان المسلمين ازاء هــذا القانون هو سحب الاخطار الذى قدمته الهيئة التأسيسية الىوزارة الداخلية بعد اجتماعها الذى عقدته فى غيبة المرشد أثناء مرضه متضمنا اعتبـــــار الجماعة حزبا سياسيا ! وعند ذلك يصبح نشاطها السياسى محظورا أيضا وخاصة بعد صدور قانون حل الاحزاب وهو الذى استند عليه عبد الناصر بالفعل فى حل الاخوان المسلمين بعد سنة من ذلك التاريخ ! الامر الذى كان ينشده عبد الناصر ويسعى لتحقيقه من وراء القانون الذى يقضى بالاخطار عن هوية الاحزاب وبرامجها !

فعبد الناصر هو الذى سيكسب الجولة فى كل الاحوال !

وكان فى اصرار المرشد على عدم تغيير هوية جماعةالاخوان المسلمين، تفويت للافساد الذى اراده عبد الناصر وسط صفوف الهيئة التأسيســـية وعامة الاخوان حين ردهم الى الاصل الذى يجب أن يثوبوا اليه فيما دونه الامام الشهيد من قبل واعتبره المرشد الهضيبى أمانة يلزمه الحفاظ عليها لانه المضمون الذى واكب نشأة الدعوة ولقنه البنا لاتباعه « أنتم لســـتم جمعية خيرية ولا حزبا سياسيا ولا هيئة موضعية الاغراض محـــدودة المقاصد ، ولكنكم روح جديد يسرى فى قلب هذه الامة فيحييه بالقرآن .. ثم يستطرد فيقول : اذا قيل لكم الام تدعون فقولوا ندعو للاسلام الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، والحكومة جزء منه ، والحرية فريضـــة من فرائضه ، فان قيل لكم هذه سياسة ، فقولوا .. هذا هو الاسلام ، ونحـــن لا نعـــرف هـــذه الاقســـام ! . »

وحينئذ سكنت الزوبعة وقرت القلوب واستقام شتات الجماعة على هذه الحقيقة السوية التى قدمها امامهم الجديد فى اول تجربة خطيرة عصفت

فيها ريح السياسة لتغير من لصل ومضمون هذه الحركة،ماثبت بذلك رسوخ تدمه فى الايمان وكمال نقهه وعمق ادراكه لدقائق السياسة !

يرى الدكتور عبد العظيم رمضان ان الاخوان المسلمين اعتقدوا بعد قرار حل الاحزاب فى يناير ١٩٥٣ ان الساحة قد خلت لهم لفرض شروطهم على الثورة مقابل تاييدهم لها ارتكازا على اتفاق سابق مع عبد الناصر على حل الاحزاب !

وادعى — نقلا عن قرار حل جماعة الاخوان المسلمين الذى نشره مجلس الثورة فى يناير ١٩٥٤ — انى ذهبت والمرحوم منير دله الى كتب جمال عبد الناصر نطلب اليه تكوين لجنة من هيئة الاخوان تعرض عليها القوانين قبل صدورها !

واغفل الدكتور حقيقتين فى هذا المجال :

الاولى : ان زيارتنا هذه لعبد الناصر كانت غداة حل الاحزاب ! بعد ان ناجاتنا الثورة باصداره .. بدليل ما قاله عبد الناصر مستنكرا « هل يلزم ان اعرض عليكم قرارات مجلس الثورة قبل صدورها ؟ !

والثانية : ان ما اورده خاصا بطلبنا لهذه اللجنة انما ورد ذكره فقط فى قرار حل جماعة الاخوان المسلمين اثر اعتقالنا فى يناير ١٩٥٤ وان هذا الطلب لم يصدر منا ، وان اقتراحا قدمه عبد الناصر بهذه الصورة لم نوافق عليه ووعدنا بعرضه على المرشد ومكتب الارشاد .

وقصة هذا اللقاء تمت على الوجه الآتى :

فى صبيحة يوم صدور قرار حل الاحزاب فى ينـاير ١٩٥٣ ذهبت الى عبد الناصر (فى مقر مجلس الثورة بكوبرى القبة) مع المرحوم منير دلة اثر مفاجاتنا بهذا القانون الذى يمس وجودنا الشرعى كجماعة اذا زاولت اى عمل سياسى ، وطلبنا مقابلة عبد الناصر فلبى على الفور .. وجلسنا نتحدث عن قانون حل الاحزاب .. وتناولنا الموضوع من زاويتين الاولى ان مفاجاتنا به منعتنا من عرض وجهة نظرنا فيه ما دام يرغب فى الحفاظ على تايدنا لخطواته السياسية ، والا فلا يغضبه منا مواقفنا السلبية ازاءه والتى كان يعتبرها مقدمة قطيعة .

والثانية هى السؤال عن هدفه من هذا القانون اذا اعتبرنا حزبا يجرى عليه ما يجرى على الاحزاب ازاء نشاط سياسى يبدو منا ، كنا نقوم به قبل صدور هذا القانون ؟!

وأغضبه حديثى حين ادرك اننى الومه على مفاجأتنا بهذا القانون ٠٠ وتساءل هل يلزم أن أعرض عليكم قرارات مجلس الثورة قبل صدورها ؟ والا منعتم عنى تأييدكم ؟ ٠٠ فأجبته بأن المفروض فى قراراتك أن تنبع من اقتناع الشعب ، ولن تعرف اقتناعه الا بمحاورته .. وقد سبق لك ان أخذت راى الاخوان كقطاع من الشعب — ولا أقول فقط باعتبارك واحدا منهم — قبل ان تنهض بالحركة ، مع خصوصية هذا الامر واهمية الاحتفاظ بالسرية فيه وعرفت رأيهم وناقشتهم فى كثير من التفاصيل ! . فماذا جرى الان بعد أن أصبحت حكما ؟ ٠

ان الجواد لا يستطيع ان يجر العربة اذا تخلف عنها ووقف وراءها فاذا اردت أن تقود الامة وراءك فلا يكفى ان تقف امامها وانما عليك أن تحكم الرباط بينك وبينها كذلك ، فقال فى مكر ظاهر ٠٠ وما هى الطريقة العملية لاحكام هذا الرباط ؟ هل ترون تعيين لجنة منا ومنكم مهمتها تيسير هذه الصلة واخطاركم بكل جديد ؟ ولم ينتظر الرد ، وانما استطرد « هل تتقبلون الشيخ الغزالى أو سيد سابق فى هذه اللجنة .. »

فأجابه الاستاذ منير دلة رحمه الله اننا لم نأت لذلك وانما جئنا لنسأل عما تنتويه بشأن هذا القانون بالنسبة لنا وبالنسبة لباقى الاحزاب ولننصح لك بأن علاقتنا يلزمها أن تكون اكثر توثقا اذا أردت منا عدم السلبية أو عدم المعارضة فيما تصدره من قوانين لانعلم شيئا عنها ولانستطيع أن نجيبك فيما تعنى بخصوص اللجنة لانه لا وكالة لنا فى ذلك والرأى فيه للمرشد ومكتب الارشاد .

واستدعاه وحيد رمضان الى اجتماع المجلس فأستأذن بعض الوقت ليعود بعدها الينا لاكمال الحديث .. وكنت اعرف وحيد رمضان من قبل فقد كانت له صلة سابقة بى وبالجماعة فلما رآنى وقت دخوله بدا كأنه لايعرفنى حتى اذا مضت حوالى ربع الساعة استدعانى هامسا لالحق به عند باب الغرفة ليحدثنى على انفراد وقال لى « هل حقا هددتم جمال عبد الناصر بمواجهته بسحب البساط من تحت قدميه بعد ان تأكدتم أن قانون حل الاحزاب لا يسرى عليكم فأصبحتم بمفردكم فى الساحة فجئتم تفرضون عليه الوصاية ! انه يتحدث بذلك الان فى المجلس حتى أن اراء الاعضاء كلها اصبحت ضدكم !

فأجبته اننا لا ندرى حتى الأن ان كنا مقصودين بهذا القانون أم لا ! ، ولعل ذلك ينفى القول بمحاولتنا سحب البساط من تحت قدميه !

ولكنني تساءلت في نفسي ، ماذا تراه يعني بذلك ؟ كيف تعكس الامـــور هكذا ؟ بهذا القول المغلوط !

ثم أوضحت لوحيد رمضان حقيقةما دار بينناورجوته أن يبلغه رغبتنافي الانصراف ، وانصرفت مع المرحوم منير دله الذي علق على هذا اللقاء بقوله٠٠ كنت أشهد انسأنا يمتلىء اخلاصا في نصح أخيه والاخر يقطر خبثا !

ولكن ..

لدى محاكمة المرحوم منير دلة أمام محكمة جمال سالم ذكر حقيقـة الحديث المشار اليه .. ويبدو ان جمال سالم اكتشف هو الاخر للمرة الاولى هذه الخدعة التي أوقعهم فيها جمال عبد الناصر .. حتى انه قال للمرحوم منير دلة .. « كلامك ده فيه نوع من الاتهام لجمال عبد الناصر انـه مش عارف ينقل الكلام صح !! »

والحقيقة كانت أبعد من هذا .. فقد كان عبد الناصر يعرف كيف ينقل الكلام الصحيح ..ولكن كان له مأرب أبعد من ذلك .. فقد بدأ حينذاك يخطط للصدام مع الاخوان ، وهذا يستلزم منه أن يثير حفيظة زملائه على الجماعة ليظل ممسكا بزمام الموقف حتى تأتي اللحظة المناسبة فلا تجد الجماعة من يقف بجوارها منهم .. وكانت مصلحته تقتضيه في هذا الوقت أيضا ــ والصراع قائم بينه وبين محمد نجيب ــ عدم المجاهرة بالعداء للاخوان ، حتى لنــراه يرفض في جلسة أخرى بعد ذلك اعتراضات محمد نجيب على استثناء الاخوان من قانون حل الاحزاب ٠٠ ويقف مدافعا عن حقهم في عدم الحل ! ٠

فكان حريصا في هذا الوقت على ايهام الاخوان ــ لحاجتــه اليهم ــ انه يسعى للدفاع عنهم امام المجلس ، وفي نفس الوقت يوهم أعضاء المجلس في هذه المناسبة انه غيور على سلطانهم ان ينال منه الاخـــوان ــ بفرض الوصاية المدعاة ــ ولو ادى به الحال الى الاطاحة بهم ؛

واكتشافنا لهذا الخداع لم يكن الا بمحض الصدفة !

وعندما أمسك الخيوط كلها بيده وادرك بعد نحو من عام أنه يستطيع ضرب الاخوان لم يجد من اعضاء مجلس الثورة من يقول له لماذا كنت قـد حرصت على الموافقة على سحب اخطارهم كحزب .. ولماذا تحلهم وتضربهم الان ؟!

بل لم يجد منهم من يقول له بعد ثلاثة اشهر من حل الجماعة وايداع افرادها في السجون .. لماذا افرجت عن الاخوان وعن الهضيبي وذهبت تزوره في منزله وترد الى الجماعة شرعيتها بعد أن أتهمته بالتفاوض مـــع الانجليز من ورائك ! .

وهكذا تطيش دعوى الدكتور رمضان التى نسبها الى الاخوان مدعيا « أنه لم يكن هناك ما يدفع الاخوان لمعارضة هذه القوانين التى تسير وفق مصلحتهم فى التخلص من اعدائهم القدامى الوفد والشيوعيين » لتعارض تلك الدعوى مع حقيقتين :

الاولى : أن الهيئة التاسيسية قدمت اخطارا باعتبار الاخوان حزبا سياسيا ، الا أن امانة المرشد واصراره على أن تظل هيئة الاخوان كما تركها له حسن البنا رحمه الله بدون ادنى مساس فى اهدافها وشكلها واسلوب نشاطها ، ولا صحة للهمسات أو التكهنات التى ابداها جمال عبد الناصر للمرحوم حسن عشماوى لتكون سببا يدل على حسن نية عبد الناصر فى سحب الاخطار السابق الاشارة اليه ! .

الثانية : لقائى والاستاذ منير دله بجمال عبد الناصر غداة صدور هذا القانون معلنين مفاجأتنا به ، وليس كما روج مجلس الثورة وقتها باننا حضرنا لفرض الوصاية عليه .. أو كما يشير البعض بأننا ذهبنا للتهنئة بصدور قانون حل الاحزاب ! .

وكان الاولى بالدكتور رمضان (ومن قبله الدكتور ميتشل) ان يقولا أننا ذهبنا نعزى مجلس الثورة فى اضاعة الحرية التى وعدنا بها لا مهنئين بصدور قانون الحل ! ..

ولعل من المفارقات .. أن يكون هذا اللقاء وما دار فيه من حديث هو أحد الاتهامات التى وجهت الى امام محكمة الشعب « الرشيدة » التى أصدرت على حكما بالاعدام !

ويعرض الدكتور رمضان فى سرده التاريخى للاتفاقية الخاصة بجلاء الانجليز ، صورة من الاضطراب الفكرى لديه ، عندما يتعرض لموقف الاخوان .. حتى يبدو وكأنه مشدود برباط سحرى يدعوه الى ضرورة دمغهم بممالأة الانجليز (!) لاضعاف موقف المفاوض المصرى ! حتى اذا اضطره السياق الى ضرورة الاعلان عن بيانات الاخوان التى صدرت لتشجب هذه الاتفاقية سعى لحجب الحقيقة عن القارىء زاعما ان « قيادة الاخوان رفضت معاهدة الجلاء التى أبرمها عبد الناصر رغم موافقتهم على اسسها لانها تمت لحساب ديكتاتورية عبد الناصر ! وليست لحساب الحكومة الاسلامية التى كانت الهدف الاسمى للاخوان المسلمين وكانوا على استعداد لتقديم كثير من التضحيات فى سبيل الوصول اليه .. »

ولن تستوقفنى هنا مفاهيم الدكتور رمضان الغريبة التى توحى بهـــا عباراته حول معنى التضحية الذى ساقه هنا تعبيرا عن الخيانة ! ولا ما عناه من مفهوم الحكومة الاسلامية التى جردها بهذه الصورة من الجوهـــر والمضمون ·· حتى انه اعتبر الوصول اليها يمكن ان يجرى بممالاة الانجليز ·· وسمى ذلك تضحية !

ولكن ساسوق الاحداث كما شهدتها بنفسى ، وكما شهدها غيرى من الاحياء الذين أعرض اسماءهم من خلال هذا السرد ثم ادعوه بعد ذلك الى ما جاء فى كتاب الله الكريم « تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ! »

فى فبراير ١٩٥٣ اتصل الدكتور محمد سالم (١) بالاخ صالح أبو رقيق مبلغا رغبة السفارة البريطانية فى لقاء بعض المسئولين من جماعة الاخوان المسلمين بمستر ايفانز المستشار الشرقى بالسفارة البريطانية لاســتطلاع رايهم فيما يرتضونه لنجاح مفاوضات الجلاء التى ستبدأ مع الحكـــومة المصرية (٢) ·

ولما عرض الامر على الاستاذ المرشد كلف الاخوين منير دلة وصالح ابو رقيق بلقاء مستشار اسفارة ايفانز واوصاهما بالاستماع اليه دون ابداء اراء حول ما يعرضه عليهما ··

---

١ ـ كان الدكتور محمد سالم مستشارا قانونيا فى أحدى الوزارات وعلى علاقة زمالة بالاخ منير دلة وكان ايضا على صلة ببعض الاحزاب بينما كان يتقرب من الاخوان المسلمين ويدعى أنه ينتمى اليهم وكان فى نفس الوقت على صلة بالسفارة البريطانية وبالشخصيات السياسية التى تصل الى مصر · وكان الاخوان على علم كامل بنشاطه وقد حاول الانجليز عن طريقه استطلاع نوايا الاخوان بشأن القيام بانقلاب ضد الملك فاروق أثناء سفره الى أوروبا بعد زواجه الثانى وكشف الاخوان هذا الامر ·

٢ ـ شكل الوفد المصرى للمباحثات برئاسة محمد نجيب وعضوية جمال عبد الناصر وصلاح سالم والدكتور محمود فوزى والدكتور حامـــد سلطان والدكتور على حسن زين العابدين وكـــانت اول جلســة انعقدت للمباحثات فى ٢٧ / ٤ / ١٩٥٣· اى بعد لقاء ايفانز مع الاخـــوان بقرابة الشهرين

وفى نفس الوقت كلف الاخ حسن عشماوى بتبليغ عبد الناصر أمر هذا اللقاء ليكون على بينة بما يجرى ، وأوضح ايفانز اقتناع الانجليز بمبـــدأ الجلاء وتسليمهم به خلال سنتين على أن تقوم علاقة ما بينهم وبين مصر بعد هذا الجلاء .. وطلب رأى الاخوان فى هذا الصدد فوعداه بدراسة الموضوع وكلف المرشد الاخ صالح أبو رقيق بتدوين تقرير بذلك وأمر بارســـال صورة منه الى عبد الناصر .. ثم طلب الانجليز بعد ذلك لقاء المرشد الذى تم فى منزله فى ٢٢ فبراير ١٩٥٣ واحيط عبد الناصر علما بهذا اللقاء قبـــل حدوثه ثم بما دار فيه من أحاديث بعد انتهائه ..

وفى ٢٠فبراير ١٩٥٣ حضرعبد الناصرالى منزلالمرشد فابلغهبموعدلقائه مع ايفانز وسأله عما اذا كان هناك شىء يمكن أن يضيفه الى رأى الاخوان المعروف للجميع بضرورة الجلاء غير المشروط .. فأجاب عبد الناصر انـــه يريد فقط أن يدخل المفاوضات وهم متفقون مع الاخوان على كل التفاصيل .

وعرض ايفانز فى لقائه مع المرشد نفس العرض الذى عرضه للاخوين منير دلة وصالح أبو رقيق ، وسأل المرشد عن رأيهم فى الحيـــــاد .. بأن ينسحب الانجليز من جميع الدول الاسلامية على أن تقف هذه البلاد كتلـــة واحدة على الحياد بين الغرب والشرق . واجاب ايفانز أن فكرة الحيــــاد مستحيلة لان روسيا ستهاجم الدول الاسلامية .. فقال المرشد هذا فـــرض يجوز أن يتحقق ويجوز الا يتحقق .. واما وجود الانجليز فى بلادنا فحقيقة. وقد تسبب احتلالهم لنا فى وقوع حربين لم يكن لمصر مصلحة فيهما .. فضلا عن أن حياد قناة السويس لا يتحقق حال وجودهم بها .. واســـتمر ايفـــانز فى القول بأن روسيا لها مطامع فأجابه المرشد فى حسم قائلا « اننا لن نسلم انفسنا لاحد ، ولكن يمكن بعد خروجكم من مصر أن نعقد معكم اتفاقا سريا على مساعدتنا اذا هاجمتنا روسيا ويكون دخولكم مصر بعد ذلك بناء على طلبنا وتخرجون حالما تنتهى مهمتكم .. » .

وانتهت المناقشة بين ايفانز والمرشد على ذلك ..

وفى يوم السبت ٢٥ فبراير ١٩٥٣ عقد اجتماع بمنزل منير دلة بالعجوزة حضره المرشد وحسن عشماوى وعبد القادر حلمى وصالح أبو رقيق وصلاح شادى ومن جانب الحكومة عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وكمال حســـين وصلاح سالم .. واوضح عبد الناصر وجهة نظر مناقضة تماما لفكـــرة الحياد السلبى أو الايجابى ، كما نادى بعد ذلك ، بل قال أن علاقـــات مصر مع المعسكر الغربى أمر طبيعى يتفق مع ظروفها وتاريخها السياسى الامر الذى يحتم الابقاء على التعاون معه واستبعاد الانحياز الى المعسكر الشيوعى الذى لايمكن تصوره بحال من الاحوال ! . وانه يوافق مبدئيا على

ابقاء القاعدة الانجليزية فى القناة ، غير أنه يفاوضهم فى أسلوب الاشراف عليها وعدد الخبراء الذين يحتاجهم هذا الاشراف حيث أن الانجليز كانوا يطالبون بابقاء عشرة الاف جندى فى القاعدة ، وكان الجانب المصرى يرى ان يكونوا خمسة الاف فقط !

ومن ناحية اخرى فانه يوافق على مبدأ عودة الانجليز الى القاعدة فى حالة قيام حرب فعلية تصل الى بلاد تقع فى خط الدفاع الاول عن مصر مثل تركيا .. وليس كما يعرض الانجليز فى حالة وجود خطر قيام الحرب .

وبعد ان انتهى عبد الناصر من عرض وجهة نظره تلك .. طلب رأى المرشد وطلب ان يسمع حديثه عن مقابلته لايفانز .

وكانت وجهة نظر المرشد مخالفة تماما لعبد الناصر حين قال « ان الانجليز يجب أن يخرجوا نهائيا من مصر خروجا غير مشروط ، فلا حق لهم فى الابقاء على تلك القاعدة مع احتفاظهم بحق ملكيتها ، وأى قاعدة عسكرية فى البلاد لا يكون الاشراف عليها الا من الجيش المصرى وحده .. لان التسليم بغير ذلك معناه انتقاص حقوق البلد وتسليمها او جزء منها للعدو مما يهدد استقلالها ، ولكن اذا لم يرغب الانجليز فى ترك الاسلحة أو المعدات الموجودة فى القاعدة فلياخذوها معهم !

أما حق الانجليز فى العودة الى القناة اذا قام تهديد بحرب ضد مصر فأمر مرفوض تماما سواء قامت حرب فى امريكا أو تركيا أو حتى فى مصر نفسها فليس من حق أى دولة أن تأتى بجيوشها الى مصر الا اذا كان ذلك بناء على طلب مصر نفسها التى لها وحدها تقرير مصلحتها .. ولو سلمنا بحق عودتهم فلا فائدة اذن من خروجهم اليوم ليعودوا الينا غدا متذرعين بأى سبب .

واستطرد المرشد فى شرح موقف مصر من الغرب والشرق فقال ان مصلحة مصر لا يجوز ربطها بالشرق أو الغرب وانما مصلحتها أن تصادق من تشاء من الدول شرقية كانت أم غربية حسبما تحقق تلك المصلحة ..

وكأنما القى المرشد على الضباط درسا فى الوطنية النابعة من عزة المسلم والبعيدة عن مفاسد الساسة وضعفهم .

ولم يملك عبد الحكيم عامر نفسه لدى سماعه لهذا الشرح من المرشد أن قفز من كرسيه مهللا كأنما وجد ضالته قائلا « هى دى .. هى دى ! »

وخيم صمت على الجميع ، فى حين حاول عبد الناصر اخفاء انفعاله وراء قسمات وجهه الجامدة .. وأبدى تعليقا فاترا على فكرة الحياد حين

اظهر تسكه بي تساؤل حائر « ما مدى امكان اتخاذ هذا الموقف في الظروف الدولية المتطورة ؟! »

وادركت من وراء هذا التساؤل المريض انه يبيت امرا ! وجرى نقاش طويل مع الموجودين تبين من خلاله ان موقف الضباط من المباحثات قـد اصبح مشدودا الى حدود لا ينبغي لهم تجاوزها ! وقد سرى عنهم موقف الاخوان الذى اعتبروه موقفا متشددا يعينهم علي الوصول الي اتفاق ! ..

واخيرا ..

هذه هى قصة لقاء قادة الاخوان المسلمين مع الانجليز .. ومع رجال الثورة .. لا اسوقها دفاعا عن قادة الجماعة .. ولا عرضا لمستوى حرصهم على شرفهم وكرامة دينهم ، وانما انطلق بها اعذارا الى الله ورعاية لحرمة فكر القارىء !

المقال الثامن لصلاح شادى

« لماذا يتجنى البعض فى تصوير جماعة الاخــوان المسلمين »

(الوطن فى ٣١ ديسمبر ١٩٨٠)

قرأت مقال الدكتور رمضان « الثامن » عن الصراعات الداخلية بين الاخوان المسلمين !

وانى اصارح القارىء أن مقالات الدكتور المتعلقة بالنظام الخـــاص اورثتنى كثيرا من مرارة الاسف ، منذ بدء الاطلاع والرد عليها !

فلا استطيع اغفال مجانبة بعضها للحقائق ، واستفاضة بعضها الاخر فى الظنون ، وجانب ثالث منها قام على الاستنتاج المخيب للامال .. حين جرى بها قلم الدكتور فى تصوير يوافق رؤيته القائمة لجماعـــة الاخـــوان المسلمين ؟ ! كما الف نظام حكم عبد الناصر ان يعرضها !

وما زالت معلوماته التاريخية يسوقها من معين التحقيقات التى أجراها جمال سالم ، والتى سبق أن اوردنا رأيه منها ، ولذلك رأيت ، احترامـــا لذهن القارىء ، بل وذهن الكاتب نفسه ان اروى وقائع الاحداث فى فتنة السندى ضد جماعة الاخوان المسلمين ، بالصورة التى جرت فى الواقع ، كما يرويها أحد أعضاء النظام الخاص الذين شاركوا فى اخماد هذه الفتنة وكان لهم دور فيها ، بعيدا عن مهاترات الكاتب ، غير ملق بالا الى كل مـــا عداها من خيالات وتناقضات ، فالصور الخاطئة للاحـــداث والشروح التى استند عليها الدكتور رمضان اكثر من ان يجرى الرد عليها ، وان اضطررت الى الاشارة ، الى الوقائع المختلقة ـ وليست المحرفة فحسب ـ فى نهـــاية المقال على سبيل المثال !

والاخ سيد عيد يوسف الذى أروى شهادته هنا كان مســـئولا عن اخوان النظام فى منطقة شبرا الخيمة انذاك ، وحين يروى وقائع مقتـــل المرحوم سيد فايز ، ومحاولة استكتاب المرشد استقالته ، واحتلال المركز العام ، فانما يرويها من واقع دوره الكبير فى تلك الاحداث لصلته الوثيقـــة باحمد عادل كمال . الذى اتهم بقتل سيد فايز .

يقول الاخ سيد عيد يوسف : —

خلال شهرى سبتمبر واكتوبر ســـنة ١٩٥٣ كان الجـــو الحكومى

مشحونا ضد جماعة الاخوان المسلمين ، وكانت خطة عبد الناصر وقتها هى الاتصال باعضاء من الجماعة ، من خلف ظهر المرشد — ساعيا لتجميعهم ضده بعد أن تبين له ان المرحوم الهضيبى يشكل عقبة خطيرة فى طريق تنفيذ مخططاته ضد الجماعة .

وفى المقابل كانت هناك محاولات من جانب المرشد لتصحيح أوضاع النظام الخاص الذى كانت قيادته تتصرف بعيدا عن قيادة الجماعة وخاصة بعد فصل الاربعة المسئولين فاصبحوا يجاهرون بعدم ارتباطهم بالمرشد بل ويغذون روح العداء تجاهه فى افراد النظام الخاص فكلف المرشد الاخ حلمى عبد المجيد واحمد حسنين الاتصال بالاعضاء دون جدوى اذ كان لابد أن يتم ذلك عن طريق أحمد عادل كمال رئيس منطقة القاهرة فهو الـذى يحتفظ بأسماء تشكيل النظام الخاص به سرا ، وعندها بدأ الاخ سيد فايز وهـو من قادة النظام الخاص الاتصال بافراده ليبين لهم خروج السندى عن طاعة المرشد ويدعوهم للارتباط به . واعتبر السندى واحمد عادل كمال هـذا التصرف فيه اذكاء للفتنة بين اعضاء النظام الخاص وبين المرشد !! .

كنت فى السنبلاوين عندما علمت باستشهاد سيد فايز حين طالعت الخبر فى الصحف صباح يوم الجمعة ٢١ نوفمبر ١٩٥٣ قعدت الى القاهرة وعلمت ان الحادث تم الساعة الثالثة بعد ظهر الخميس عندما حمل احد الاشخاص الى منزل المهندس سيد فايز « هدية المولد » عبارة عن علبة حلوى بداخلها شحنة ناسفة من مادة « الجلجنايت » .

وفوجئت بوالدتى تبلغنى ان احمد عادل كمال قد حضر الى منزلنا فى الساعة الثانية عشرة ظهر يوم الخميس واحضر معه حقيبة فلما فتحتها وجدت فيها اشياء يحرص أحمد عادل كمال كل الحرص على سريتها تتضمن جوازات سفر مصرية بدون اسماء وتقارير لمخابرات الاخوان عن حركـة الجيش وتحركات السفارات البريطانية والامريكية فى مصر وتقارير عن تحركـات الشيوعيين وهى امور سرية للغاية واشياء اخرى تخصه .

وقد ادركت أنه اتى الى بهذه الاشياء لانـه يخشى من تفتيش بيته ، خشية حالة راجحة أرتبطت فى ذهنى بحادث الشهيد سيد فايز فتوجهت الى المركز العام وابلغت فضيلة المرشـد والاخ الدكتـور خميس حميدة — نائب المرشـد حينذاك — بهذا الامر وسلمته محتويات الشنطة .

بعد هذه المسألة بثلاثة أيام السبت ٢٢ نوفمبر اليوم التالى لتشـييع جنازة سيد فايز صدر قرار من مكتب الارشاد بفصل اربعة من قادة النظام

الخاص هم عبد الرحمن السندى واحمد عادل كمال ومحمود الصباغ واحمد زكى فعدت مرة ثانية الى المركز العام لابلاغ الدكتور خميس حميدة بأن هناك ارتباطا خاصا لى مع احمد عادل كمال احد هؤلاء القادة فقد كان هناك مخزن للسلاح ويقع تحت بيت احمد عادل كمال ولكنى كنت أنا المسئول عنـــه ، فابلغنى الدكتور خميس بأن صلتى التنظيمية بهم قد انتهت ، ولكن تبقى صلة الجوار والمودة !

وحين كنت بالمركز العام رايت احمد عادل كمال الذى حضر ليسأل عن أسباب فصله فاجابه الدكتور خميس بأن عليه أن يتدم شكوى لمكتب الارشاد لينظر فى أمرها فكتب الشكوى وتحدثت معه عن الفتنة التى تســـببت فى فصلهم وان موقفهم الان بالغ الدقة وأن عليهم تجنيب الجماعة أية منزلقـــات فاجاب انه لن يقوم بأى عمل يذكى للفتنة ، وأنه سيمكث فى منزله ولن يكلم أحدا حتى تظهر براءته •

وبعد عدة أيام صدرت توجيهات لبعض شباب النظام الخاص لاحراج المرشد بالاسئلة حول اسباب فصل قادة النظام الخاص ، ولكن المرشد — خاصة بعد مقتل سيد فايز — لم يكن يذكر اسبابا دعت لهذا الفصل وان كان المركز العام قد نفى وجود صلة بين قرار الفصل وحادث سيد فايز لان اهم الاسباب الجوهرية كانت صلة المفصولين بقادة الثورة من خلف ظهر قيادة الجماعة وليس من الحكمة الجهر بهذا السبب بينما تتربص الحكومـــــــة بالجماعة فاستغل المفصولون هذا الامر وبداوا يشيعون فى صفوف الاخوان ان الجماعة تخلت عن الجهاد واصبحت مجرد جمعية خيرية بعد حل الاحزاب ولهذا يسعى المرشد لحل النظام الخاص !

وسمعت من احمد عادل كمال بأن على صديق جاء اليه بالمنزل واقترح عليه ان يذهب جمع من شباب الاخوان الى منزل المرشد لسؤاله عـــن اسباب الفصل فاذا لم يجب اجابة واضحة طالبوه بالاســـتقالة وفى نفس الوقت تتواجد فى المركز العام مجموعة من المتعاطفين مع القادة المفصولين من اعضاء مكتب الارشاد والهيئة التاسيسية منهم صالح عشماوى ومحمـد الغزالى وعبد العزيز جلال وسيد سابق .. لكى يختاروا مرشدا عامـــا للاخوان بدلا منه وكان التدبير أن يختاروا صالح عشماوى حيث كان قـــد اتهم قيادة الجماعة فى احدى الخطب بالتخلى عن الجهاد .

فصارحت احمد عادل كمال بأن هذه علامات فتنة وانى لن أسكت اذا حدثت .. ومن وقتها بدأ يحجب ويخفى عنى الاخبار بعـــد أن أيقن انى لن اقف مكتوف الايدى أمام أى خروج على الجماعة ومرشدها .

وكانت تساورنى الشكوك فى أن يكون أحمد عادل كمال ضـــالعا فى مقتل سيد فايز وقد عرض فى التحقيق على الفتاة التى تسلمت الطرد فلـم تتعرف عليه مما يقطع بأنه لم يكن هو الذى نفذ العملية ، ولقــد علمت ان هناك طالبا فى كلية الطب فى السنة النهائية وقتها كان مشتركا فى رحلة مـع الكلية صادف موعدها يوم الحادث فمنعه احمد عادل من اللحاق باخوانـه واستدعاه من الرحلة وهو يشبه كثيرا احمد عادل فى قصر القامة وصلع الراس واسمه محمد ابو سريع وصلته مباشرة بأحمد عادل كمال ومن الاسر المرتبطة به ارتباطاخاصا وعندما عرض أحمد كمال على الفتاة التى تسلمت الطرد لم تتعرف عليه انما قالت ان الجانى يشبهه .

والغريب فى الامر انه رغم حرص الحكومة فى اعتقــالات ١٩٦٥ ان لا تترك شيئا من قضايا السلاح القديمة التى تم التحقيق فيها عام ١٩٥٤ دون اعادتها للتحقيق الا انها لم تحاول أن تثير موضوع مقتل سيد فايز اطلاقا ولو حاولت لحصلت على ما تريد من معلومات لان احمد عادل كمال وقتها كان مستعدا — من شدة التعذيب — ان يقول كل شيء !

وفى يوم الجمعة ١١ ديسمبر ١٩٥٣ اى بعد أسبوعين من قرار الفصل ذهبت قبل العصر الى مسجد شريف — القريب من منزل المرشد — وكنت على موعد مع الاخ حسن عبد الغنى وفوجئت بوجود عدد كبير من شباب النظام الخاص على راسهم فتحى البوز وعلى صديق مما لفت نظرى ، وعندما التقيت بحسن عبد الغنى — كان عنده الاخ اسماعيل الهضيبى — اخبرته بكل ما اعلمه فلمتعتره الدهشة ، وطلب منى متابعة الامر ، امــا الاخ اسماعيل فقد قال : هذا مرشدكم وأنتم احرار معه ومن ناحيتى لن اتدخل فى هذا الامر ، ورأيت محمد أحمد سكرتير السندى وعلى صديق وفتحى البوز وعلى المنوفى مع آخرين لا اذكر اسماءهم يتشاورون فيمن يكلم المرشـد واختاروا على المنوفى لانه هادىء الطبع .

وصعدت مجموعة عددها حوالى العشرين الى منزل المرشد امتلأت بهم غرفة الاستقبال وبقى الاخرون فى المسجد ، حضر اليهم المرشد قائــلا السلام عليكم فوقف الجميع وردوا السـلام فقــال زيـارة والا مظاهرة ؟ قالوا زيـارة وبدأ على المنـوفى بالكلام بهـــدوء .. وقـــال اننا حضرنا لسؤال فضيلتك عن سبب فصل قادة النظام الخاص ، وهنا تدخـل الاخ محمد حلمى فرغل ليقول « لا ... نحن لم نحضر للسؤال بل قدمنا لاننا تعبنا منك لانك لا تعرف كيف تقود الجماعة ونحن لم نر منك خيرا .. ونحن حضرنا لنطالبك بالاستقالة » ... فساله المرشد : الاخ اسمه ايه ؟ فرد عليه

الاخ احمد نصير فقال « فضيلتك بتسال عن اسمه ليه ؟ » فاجاب المرشــد واحد بيطالبنى بالاستقالة .. الا أسأله عن اسمه ! فعقب أحمد نصير قائلا « ام انك تريد ان تتخذ ضده اجراءات ؟ » فاجاب المرشد يا بنى ماذا نملك نحن من اجراءات حتى ننفذها فيكم ؟ فقال الاخ اسمى محمد حلمى فرغل من اخوان تحت الارض !! وهنا هم المرشد بمغادرة الحجرة الى داخل المنزل فقالوا له حضرتك رايح فين ؟ .. فقال : « انتم طالبين استقالتى وانا رايح اكتبها » وقد بدأ الانفعال واضحا على وجهه . وهنا تصدى له محمد أحمد وفتحى البوز ومنعاه من الدخول وخلعا سماعة الهاتف لمنع الاتصال بالخارج فغادر المرشد الحجرة من الباب المطل على السلم فلحق به عـلى صـديق ومحمود زينهم الذى قال للمرشد « ما يصحش برضه فضيلتك تنزل كـده بالروب » فقال له « يابنى انتو خليتو حاجة تصح أو ماتصحش ! » وهنا حمله محمود زينهم وعـــاد به الى الغرفة وعندها نزلت الى الشارع لاجــد الاخ سيد الريس غاضبا للغاية قائلا هل هذا اسلام .. خدعونا ! ظلمونا لقد كادوا للرجل .. فقلت له ما دمت من هذا الراى فابق مع الرجل ولا تتركه وجريت لحسن عبد الغنى الذى حضر ولم يفعل شـيئا ... ووجـــدت عبد الرحمن البنان فى صالة شقة المرشد واقفا مع على نعمان وســمعت الاخير يقول للاخ البنان « الا تذهب الى المركز العام حيث اعضـاء الهيئة التاسيسية ينتظرون هناك ! .. فاجاب الاخير ... لا .. كفاية لغاية كده ».

لقد كان الشق الثانى مما دبر هو الاعتصام بالمركز العـام حتى تصـل أستقالة المرشد حسن الهضيبى .

غادرت المكان وذهبت للاستاذ محمود عبده ، وعند خروجى التقيت بالاخ عبد العزيز احمد حسن سكرتير الامام الشهيد ، فاخبرته بما جرى فدخل بيت الاخ محمد فاضل صهر الاستاذ سعيد رمضان وبدأ بالاتصال بأعضاء مكتب الارشاد والهيئة التأسيسية لابلاغهم بما حدث فتركته وعدت لبيت المرشد لاجد الاخوة اسماعيل عارف وفوزى فارس وحسن عبد الغنى وسيد الريس مـــن اخوان النظام وغيرهم يحاولون اقناعه بان الذين حضروا الى منزله لم يكونوا متفقين على ماتم ، وان قلة فيهم فقط هم الذين دبروا ذلك وان الاخرين خدعوا ونحن مثل على ذلك .. فقال لهم لماذا اذن لم تتكلموا . فقالوا : كرهنا ان تحدث مجزرة فى منزلك فطالما لم يتعد الامر مســألة الكلام فنحن نسكت .. لكن لو تطور الامر فنحن جاهزون للتصرف . وبعد ان كان ينوى الاستقالة امتنع عن ذلك كمـا بــدا لــى وقتئـذ .

وذهبت الى نجيب جويفل بالروضة لسابق علمى انه على خلاف مـــع السندى وابلغته بما حدث فى بيت المرشد وما يجرى بالمركز العام ، ثم توجهت

الى حدائق القبة لاصطحب الاخ ابراهيم صلاح الى منزل محمد أبوسريع — لصلته الوثيقة به — حيث كانت لديه كراسة فيها اسماء افراد النظام الخاص وكنت حريصا على الحصول عليها فذهبنا لمنزله فلم نجده وحاولنا اخـــذ «الكراسة» من مكتبه الا اننا عجزنا عن فتح ادراج المكتب . . فتوجهنا للمركز العام للالتقاء به ، واستحضارها منه ، ولدى دخولى المركز العام وجدت افرادا فى النظام اغلبهم من رؤساء المناطق قدموا من القاهرة والمنوفية ، وبعد قليل اتصل بى تليفونيا الاخ صلاح العطار — مسئول النظام عـــن شبرا — ومن المقربين للسندى وكان معه فى الشقة التى تدار منها الاحداث فى باب اللوق قرب مبنى جريدة الاهرام فقال لى ماذا تعمل فى المركز العام قلت له اؤدى مهمة . قال من كلفك بها ؟ قلت الله كلفنى بها . فاعطانى عنوان المكان الذى ينتظرنى فيه بالقرب من مبنى صحيفة الاهرام وقال تعـــال الى . . فذهبت والتقيت به تحت البناية التى بها الشقة وكنت فى اشد حالات الانفعال فقصصت عليه ما عندى ثم انخرطت فى البكاء ، فهدانى قائلا هناك ما هو اخطر من هذا ان « سيد سابق قادم الان من عند عبد الناصر ليبلغ السندى بموافقته على الانقلاب داخل الاخوان وانه لن يتدخل الى ان يتم الامر — لان تدخله سوف يقلب الامور — وان التعاون مع عبد الناصر سيتم بعـــد نجاح الانقلاب !! » أحسست عندها بتعاطف صلاح العطار معى ! .

واتفقنا على التصرف بحكمة لمواجهة الفتنة . . فصـــعد صـــلاح الى السندى وعادل كمال وابلغهما بانه استطاع اقناع سيد عيد مسئول اخوان شبرا الخيمة بالاشتراك معهم وبالتالى يمكن الأستعانة باخوان شـــبرا ، وطلب السيارة التى معهما لاحضار أخوان شبرا للمشاركة فى الاحداث ، وكان الاستاذ سعيد رمضان مكلفا من جانب المرشد بالاتصال بصلاح سالم وزير الارشاد ، بشأن عدم نشر هذه الانباء فى الصحف ووافق صلاح سالم على ذلك الا ان عبد الناصر قال وقتها ان الصحف حرة فيما تكتبه ولا يريد ان يؤثـــر (١) عليهـــــا !

---

(١) ص ١٩٧ كتاب « جمال عبد الناصر » لاحمد ابو الفتح ، يقول أن عبد الناصر دعاه الى منزله فى هذه الليلة حوالى التاسعة مســـاء ، فوجـــد انور السادات عنده ، واثار عبد الناصر فجأة الكلام عن الاخوان المسلمين ، ثم دق جرس التليفون ، فلاحظ أحمد ابو الفتح أن المحادثة نقلت اليه أخبـــار سارة اشاعت البهجة والفرح فى نفسه ، وانهى عبد الناصر المحادثة قائلا أن الفريق المعارض للهضيبى قد احتل المركز العام للاخوان .

ـــ وحدث اثناء انتظارنا ترب منزل المرشد ، ان التقينا بالاستاذ سيد تطب الذى كان غاضبا يردد : يا فرحة الصهيونية والصليبية العالمية !!

وعندما اتيحت لى الفرصة بعد ذلك ـــ وانا فى السجن ـــ للالتقاء بـــه حدثته بانى تساءلت وقتها ـــ فى نفسى بدهشة ما دخل الصهيونية والصليبية العالمية بخلاف داخلى بين الاخـــوان !!

فقال لى : لقد اتصل بى الاستاذ على امين الساعة الثانية ظهر يـــوم الحادث وسألنى قائلا : « اين حاسة الصحفى عندك .. ! الاخوان قائمون على بعض بالسلاح وانت قاعد فى البيت ؟ » ! فقمت عندها واخذت سيارة تاكسى وذهبت الى بيت المرشد فلم اجد شيئا غير عادى .. وذهبت الى المركز العام فلم اجد شيئا ملفتا للنظر كذلك ... ثم تحدث بعدها كل الامور التى حدثت ! و هذا ما جعل الشهيد سيد قطب يقطع بأن الامر مدبر من اكثر من جهة .

ـــ وتوجهنا الى المركز العام بعد الواحدة صباحا وعند وصولنا وجدنا أن السندى قد اتصل بالمعتصمين هناك ليقول لهم اسمعوا واطيعوا لصلاح العطار ووجدت ان اكثر الموجودين نشاطا فى محاولة دفـــع الفتنة وانهـــاء الاعتصام هو عبد العزيز كامل ، فجاء اليه صلاح العطار وقال له عليـــــك بفتحى البوز وعلى صديق ، فتوصـــل معهما الى اتفاق وجلس معهم حسن عبد الغنى وإتفقوا جميعا على الذهاب الى الســـــندى ليخبروه بأن الامر لا يمكن ان يســـتمر ! .

وركب الجميع مع صلاح العطار وذهبوا للسندى فى الشقة فاسقط فى يده وقال لهم تصرفوا كما تريدون وانهوا الموضوع ... وعادوا الى المركز العام ... وغضب صالح عشماوى عندما علم ان هناك نية لانهاء الموضوع وحاول الاتصال بالسندى ولكن صلاح العطار اوقفه وجمع الاخوان داخل صالة المركز العام وبدأ يتكلم عن الســـمع والطاعة وان مطالبهم اجيبت ، ولكن لكى يتم الامر بالطريق الصحيح لا بد من الالتزام بالسمع والطاعة ، وطلب منهم عدم التواجد فى المركز العام والانتشار باسرع ما يمكن ، عـــلى ان يبقى سامى البنا وسيد عيد فقط للمشاركة فى حراسة المركز العام .

وبعد ان انفض الجمع ذهبت مـــع صالح عشماوى وسألته ان كانت هناك صلة بين هذه الحركة وحركة الجيش .. فارتبك وكان يعلم مـــدى حساسية الاخوان تجاه السلطة القائمة .

وفى نحو الساعة الثالثة بعد منتصف الليل سمعت هتافات خارج المركز العام فخرجت مع سامى البنا لنرى سيارات تاكسى تحمل عددا من الاخوة من قسم الوحدات لم ينتظروا حتى نفتح لهم باب المركز العام فتسلقوا السور ودخلوا المبنى ومعهم صلاح شادى ونجيب جويفل وحاول بعضهم الاعتداء

على باعتبارى من حراس الفتنة !! ، ولكن منعهم نجيب جويفل الذى كان يعرف موقفى منهم قبل ذلك .

وتوجهت الى صالح عشماوى فى غرفة المرشدفوجدته يصلى ! ولما انتهى من صلاته افهمته بانه لا بدمن الخروج من غرفة المرشد لمواجهة الموقف فمنعنى قائلا « انت مجنون ... يموتونا اذا خرجنا » ... ولكنى خرجت والتقيت بصلاح شادى فامهلنى ربع ساعة للخروج مع صالح عشماوى وعبد العزيز جلال بدون ان يتعرض لنا احد بسوء فدخلت الغرفة ثانية وأبلغت صالح عشماوى وعبد العزيز جلال بذلك وقلت لهما انى مسئول عن حياتهما هذه الفترة فقط ، فخرجا وانا معهما الى حيث كانت سيارة صالح عشماوى بعيدة قليلا عن دار الاخوان فاستقلاها وانتهت بذلك قصة احتلال الدار وان لم تنته اثارها .

اخيرا ..

هكذا قص علينا الاخ سيد يوسف احداث دار المرشد والمركز العام للاخوان المسلمين وقبلها حادث الشهيد سيد فايز ، وتوافق اقواله ماوصلنى من انباء ليلة حادث احتلال المركز العام عندما عدت من عملى الى منزلى متأخرا فاتصلت تليفونيا بمنزل المرشد فاجابنى عبد الحكيم عابدين مصدقا ما حدث فتوجهت ومعى نحوا من ثلاثين اخا من اخوان قسم الوحدات ويصحبنى نجيب جويفل وابراهيم بركات ومحمد الشنلوى وعدد اخر ممن استطعنا اصطحابه وقتئذ من قسم الوحدات ودخلنا المركز العام بعد تسلق السور حيث كان الباب مغلقا بالسلاسل وواجهنا الذين كانوا فى الحراسة دون الاضطرار الى استخدام الاسلحة او التلويح بها .

ووجدت داخل الدار .. فى مكتب المرشد الاستاذ صالح عشماوى والاخ محمد عبد العزيز جلال فطلبنا منهما مغادرة الدار .. اذ لم تكن هناك مشكلة فى داخل الدار سواهما وكانت مباحث عبد الناصر وقوة من البوليس تقف خارج الدار انتظارا لاوامر لم اكن ادرى كنهها فى ذلك الوقت .. وقد علمت بعد ذلك انهم كانوا ينتظرون اعلان استقالة المرشد بداية لتوقيت تنصيب صالح عشماوى بدلا منه ومنع اى شخص من دخول الدار الا باذن المرشد الجديد بدعوى منع الاعتداءات ودفع المشاحنات ! لكن عدم النجاح الذى لازم الخطوة الاولى حال دون استمرار المهزلة ، واتصلت بالاستاذ الهضيبى من الدار وافهمته ما تم ، ثم ما لبث الامر ان ذاع فى القطر وبدات تترى على الدار المكالمات الهاتفية من شتى الانحاء تستعلم عن صحة الخبر .. فأشار المرشد باخطار كافة المناطق والشعب بالحضور فى اليوم التالى لسماع حديثه فى هذا الشأن .

وفى عصر اليوم التالى اكتظت الدار بالحشـــود وامتلأت الشـــوارع الموصلة اليها بجموع غفيرة من الاخوان ، وشاهدت منظرا لا انساه لقد كان الاخوان يفدون من شتى المناطق والشعب ، وما ان تطا اقدامهم ارض المركز العام حتى تخر الجباه لتصلى لله تعالى صلاة شكر !

وبلغ المشهد مداه من التاثر حين صعد المرحوم الشهيد عبد القادر عودة يعلو المنصة ويعلن للجميع ولاءه لقائده ومرشده ، وان المؤامرات مهما بلغت فلن ترتفع الى مواطن أقدام المؤمنين !! .

وانتهى المشهد بقبول اعتذار الاخوة على صديق وفتحى البوز وغيرهم ممن أدرك خطاه بالانقياد للسندى .

واضطلع يوسف طلعت بمهامه كقائد للنظام الخاص ليسير به كما اوصاه المرشد « نحو وجهته الصحيحة بعيدا عن الروح التى املاها السندى على اتبـــاعه ».

وفى التاسع من ديسمبر قرر مكتب الارشاد فصل صالح عشـــماوى وعبد العزيز جلال ومحمد الغزالى .. وفى اليوم التــــالى اجتمعت الهيئة التاسيسية واقرت ذلك .

وجرت تعديلات اخرى تناولت رئاسة قسم الوحدات الذى كلف بمهام النهوض به الاخ الضابط أبو المكارم عبد الحى وبقى قسم ضباط البوليس ورجاله تحت اشرافى .

ثم كون المرشد قبيل سفره الى الاقطار العربية فى أوائل يوليو سنة١٩٥٤ لجنة قيادية برئاسة الشيخ مرغلى وعضوية يوسف طلعت ومحمود عبـده وصلاح شادى مهمتها مواجهة موقف الحكومة من الاخوان بما يلزم وما تهيئه تدراتهم على ضوء الاحداث ، وبالفعل تمت عدة اجتماعات لهذه اللجنة اثناء سفر المرشد خارج القطر لزيارة الاخوان المسلمين فى الاقطار العربية .

ولا يمكن ان نمضى فى وقفتنا مـــع النظام الخاص — فى غضـــون هـــذه الاحداث — بغير أن نتعرض لمدى اصالة الرجال الذين تربوا فى أحضان هذه الجماعة وخاضوا غمار احداثها — كيف واجهوا هذه الفتنة ، لنكشف الستار عما تأصل فى وجدانهم من حق وصدق واخلاص يتمايز به — عادة — اصحاب الدعوات ، لنستطيع بذلك أن نقيم حكما صحيحا صادقا على جماعة الاخوان المسلمين على هدى ما جابهوا به هذه الفتنة ، لان الحكم عـــلى الرجال فى هذا الموقف هو الحكم الصحيح على فهم هذه الجماعة ... فقد نرى شواهد صحة الانقياد وسلامته فى كثير من رجال الجماعة الذين لم يخوضوا اصلا محنة الاستجابة لفتنة السندى اما لبعدهم التنظيمى عنه أو لموقفهم اصـــلا

من عبد الرحمن السندى بالشك وعدم الثقة فيه ... وهذا وحده لا يعطينا المؤشر الصحيح للحكم على صلاحية هؤلاء الرجال وبالتالى على جماعة الاخوان المسلمين فى اخص اتسامها الذى تربى رجالها فيه على الجهاد فى سبيل الله بمعناه الاصيل الذى جاء به شرع الله .

ولكنا حين نرى شاهدا عاما بالأوبة السريعة فى سلوك المخطئين والذين انحرفوا عن الحق ندرك ما اعنيه من عدالة الحكم على هذه الجماعة من خلال موقف عامة الاخوان ، وخاصة من ترددوا فى هذه الفتنة .

فأصالة اى جماعة انما تنهض على خصيصتين الاولى ان يتبادل رجالها مواقف الخطأ والصواب فى الازمات ما دام كل ابن ادم خطاء والثانية ان تكون من وفرة الحيوية بحيث تستطيع ان تلفظ خبثها .

فما من جماعة خاضت تجربتها مع الاحداث ، فى سيرها لتحقيق غايتها ، الا وتبادل بعض رجالها مواقف الحق والباطل والخطأ والصواب فتارة يصيب البعض وتارة يخطىء الهدف ، فيتصدى غيره للذود عن الحق ، والوقوف الى جانبه .

وقد جرى تبادل المواقف هذا مع السلف الصالح ... بل الافذاذ من الصحابة كعمر وابى بكر رضى الله عنهما .. وغيرهما .. حتى ليكاد عمر ابن الخطاب ينأى عن متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صلح الحديبية فيقول قولته المشهورة « اتهموا الراى فى الدين ... فلقد رأيتنى وانى لأرد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم برايى ! فأجتهد ولا الو ، وذلك يوم ابى جندل والكتاب يكتب حين قال « أكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم » فقال (اى سهيل) تكتب « باسمك اللهم » فرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابيت فقال « يا عمر ترانى قد رضيت وتأبى ؟ » فى الوقت الذى كان فيه موقف ابى بكر فى هذا الشأن تسليما مطلقا براى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ونرى عمر بن الخطاب فى موقف آخر – يوم بدر – يشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم الا يبقى على اسير ، ويشير ابو بكر بالابقاء عليهم واخذ الفدية ! ويتنزل الوحى من السماء مؤكدا صحة رأى عمر بن الخطاب!

ويتبادلان المواقف كذلك فى حرب الردة فيجنح عمر رضى الله عنه الى اللين والسياسة وعدم الحرب ! فى حين يصر ابو بكر رضى الله عنه على ان يقاتل المرتدين اذا منعوه عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقول له معاتبا « اجبار فى الجاهلية خوار فى الاسلام !! » .

وهكذا يظل الحق حيا نابضا فى الرجال الذين ينهضون بتبعة العمل فى الامم والجماعات كل يستر اخاه ويكمله وينهض بعبء الحق اذا تاخر غيره عن داعيه •

وهذا فى رأيى عنوان ايمان الامة او الجماعة التى يتكامل اعضاؤها فى اداء واجباتهم للحق وصيانة اماناتهم لله فيه ، وليست علامة مرض او انتكاس ... اذ ليس من المعقول ان يكون مقياس سلامة جماعة من الجماعات عدم خطأ افرادها اطلاقا او عدم انحراف بعضهم عن جادة الحق ، ولكن الصحيح — الذى لا يصح الحق الا به — هو ان يوجد من افراد هذه الجماعة او الامة من يصوب الاتجاه ويصحح القبلة ويقوم الاعوجاج فيتبعه ركب المخطئين •

فليس بعجيب اذن ان نرى تبادل المواقف فى جماعة الاخوان المسلمين فى عامة مسارها وخاصة فى هذا الموقف العصيب حين حاول بعض الاخوان استكتاب المرشد استقالته والبعض الاخر الاعتصام بالمركز العام أو حتى هؤلاء الذين دبروا مصرع الشهيد فايز ... فلم نر احدا يحبذه او يشيد بقتله .. بينما رأينا صلاح العطار ذراع السندى الايمن بعد ان ادرك الصواب من الاخ سيد عيد يوسف يقف فى صفه مؤازرا مساندا له بكل ما وسعته الطاقة .. ويلفظ ولايته للسندى ... ويعمل جادا لاحباط الفتنة !! .

وعبد العزيز كامل الذى لم يصمد لجحيم عبد الناصر بعد اعتقالات اكتوبر سنة ١٩٥٤ هو نفسه الذى ساهم بجهد رائع فى اقناع قطبين من اقطاب الفتنة باللحاق بركب الحق بعيدا عن السندى وعبد الناصر !

حتى على صديق وفتحى البوز دفعتهما اشراقة التوبة الى الذهاب الى السندى واعلانه بفض الاعتصام فى الدار واخماد الفتنة ، وقبلها كادت سواعدهم أن ترفع على الملأ الوية الخيانة •

وهناك كثيرون ادركوا الحق وابتعدوا عن الانزلاق فى الباطل قبل المضى فيه ، ذكر بعضهم الاخ سيد عيد فى سياق حديثه .

والخصيصة الثانية .. من خصائص صلاحية الجماعات للبقاء هى أن تلفظ خبثها ولا تقيم عليه بعد ان عرفته .. وهذا ما فعلته الجماعة مع السندى وصالح عشماوى وغيرهم ممن استكبروا عن رؤية الحق واتباعه ، لعلة يعلمها الله .

وهكذا نقول فى صدق ويقين ان ما اصاب جماعة الاخوان من محنة استشهاد سيد فايز ومحنة الاعتصام فى دار المركز العام ومحاولة استكتاب المرشد استقالته كانت كلها عند المنصف — شهادة كشفت عن اصالة هذه الجماعة وصلابة قاعدتها فيما جرت به الاحداث بعد ذلك .

واخيرا ..

وبعد نقل هذه الصورة عن رجال النظام الخاص ... لا استطيع المضى الى نهاية المقال قبل ان اعرض لما ساقه لنا الدكتور رمضان من دلائل الديكتاتورية فى طرد المرحوم السندى ، واختيار المرحوم يوسف طلعت بدلا منه ! *

ويقدم لنا من ادلته فى هذا الصدد ، قرار اللجنة العليا للتنظيم المكونة من عبد الرحمن السندى ، واحمد زكى واحمد عادل كمال ومحمود الصباغ والدكتور خميس حميدة والشيخ سيد سابق والشيخ محمد فرغلى ، التى استقر رأيها على هذا الاختيار الجديد برئاسة يوسف طلعت للنظام الخاص فهل يعنى هذا فرض ديكتاتورية الهضيبى بعد كل هذه الاحداث ؟! .

ثم ..

يظل الدكتور ملحا فى اتهامه قيادة الاخوان بالديكتاتورية حتى يقول انه بعد فصل صالح عشماوى ومحمد الغزالى ، واحمد عبد العزيز جلال بناء على قرار مكتب الارشاد سارع الثلاثة الى جلسة الهيئة التأسيسية لعرض قضيتهم ! .

فهل قبول الهيئة التأسيسية لدفاع الذين قرر المكتب فصلهم يفيد معنى الديكتاتورية ؟! اذا تحاكمنا الى امانة العقل والمنطق ؟!

ثم ..

يسوق الدكتور ايضا وقائع لا اعرف مصدرها ، استقاها على ما يبدو مما كان يقوله المتهمون ، وكانوا فى هذا الوقت يقولون اى شىء ! واى كلام يدفعون به عن انفسهم غوائل التعذيب !! ولذلك قيلت اشياء مهوشة ، لم يذكر لنا الدكتور المصادر التى استقاها منها ، ولكنه يتحدث عن جهاز اشراف على التنظيم مكون من ابراهيم الطيب واحمد حسنين وصلاح شادى وابو المكارم عبد الحى .. وهذا غير صحيح ايضا !

ويستطرد الدكتور فى تشكيل اللجان حتى ينتهى الى اللجنة العليا للدعاة !! وتتكون من الشيخ فرغلى والاستاذ محمود عبده وصلاح شادى

وابو المكارم عبد الحى والدكتور خميس حميدة ، ويوسف طلعت ، وعبدالمنعم عبد الرءوف ، وصالح ابو رقيق ، ومنير دلة والدكتور حسين كمال الدين !.

وتساءلت فى حيرة ، ولماذا اخفت سلطات الاتهام ـ فى محاكمتى ـ هذه الحقيقة ؟ .. ولماذا لم تقدم ضدى هذه الادلة ليطوقوا بها عنقى قبل الحكم بالاعدام ؟! .

وكذلك ما أورده الدكتور خاصا باجتماعى وحسين حمودة وابو المكارم عبد الحى وخليل نور الدين ويوسف طلعت فى بيت ابوالمكارم،بناء على تكليف المرشد لنا بالنظر فى رســـــالة محمد نجيب التى تضمنت طلبه تغيير الحكم الديكتاتورى الجاثم على صدر البلد بحكم نيابى دستورى حسب رغبة الهيئات الشعبية ومنها الاخوان ! » وقد اسفر الاجتمــاع عن تعــذر قيام الاخوان بهذا الانقلاب ... بالرغم من أنه جرت فى هذا الصدد مقترحات رفضها محمد نجيب منها تشكيل لجنة سرية استشارية يشترك فيها بعض العســكريين الموالين لمحمد نجيب ، وعدد مساو من الاخوان المسلمين . وتعرض عــلى هذه اللجنة القوانين بعد اقرارها ، كما تعرض عليها السياسة العامة للدولة .. ثم تنتهى قصة هذه اللجنة بأن محمد نجيب لم يوافق على مقترحاتها !!

والواقع انه لم يجر اى اجتماع بين هؤلاء الاخـــوة المذكورين وبين محمد نجيب ، ولم يوصل اى من الاخوان مثل هذا الكلام الى محمد نجيب !

ومهما نحى الدكتور فى منحى رده على انه وجد أن مـــا يقوله الناس متمشيا مع سياسة الاخوان حسبما يراها ، فانى لا اعتبر هذا دليلا يحتاج الى الرد ، بالاضافة الى عبارته التقليدية المتكررة ، بأننا اخطأنا فى تأييـــد ديكتاتورية عبد الناصر كما اخطأنا سابقا فى تجربة القصر ! . وبذلك يتضح للدكتور أننا لم نتعلم شيئا !

والحقيقة أننا لم نتعلم من تجربة القصر امتهان الدكتاتورية ولفظها ، ولكن تعلمناها من كتاب الله ، وما طبقته نظم الجماعة فى اجهزتها المختلفة ، الامر الذى تأباه الماركسية وتأباه ايضا مناهج الاحـزاب .

تعليق صحيفة الوطن الكويتية على مقالات صلاح شادى

« الوطن .. وعبد الناصر .. ودراسة الاخــوان المسلمين »

(الوطن فى ١٤ يناير ١٩٨١)

تعتقد جريدة « الوطن » ان عبد الناصر قد لعب دورا تاريخيا بارزا فى حياة مصر ، و حياة الامة العربية ، بل وفى مسار حركة عدم الانحياز والعالم الثــــالث .

وتعتقد جريدة « الوطن » أن هذا الدور لا يمكن انكاره فى اى دراسة موضوعية .. واى اخطاء قد تكون قد تمت خلال عصر عبد الناصر لا يمكن ان تغير وجه الحقيقة او تخفى المعالم البارزة للتجربة .

لقد كانت تجربة عبد الناصر انقاذا لمصر مــن الفقر والتخلف .. وفى عصره انتقلت مصر ذات الكثافة السكانية العالية من حالة الى حالة . كان الاقتصاد متخلفا تابعا ، يعتمد على محصول واحد ــ هو القطن ــ وسوق واحد هو بريطانيا .. وكانت الاوضاع الاجتماعية متردية بين ثراء فاحش وفقر مدقع ومازالت صحف الاربعينيات حافلة بأبناء هذا الزمان الذى سجل حملة لمكافحة الحفاء .. كما سجل صورا صارخة حملت عنوان « رعاياك يامـــولاى » وتسبب فى مصادرة صحيفة ..

فى عصر عبد الناصر تحول هيكل الاقتصاد ، واصبحت مصر « صناعية زراعية » .. وقفزت معدلات التنمية حتى باتت التجربة المصرية نموذجا للعالم الثالث كله ايضا ، وفى هذا العصر تحقق الكثير من العدل ، كما تمت اجتهادات ــ اصابت واخطأت ــ على طريق الديمقراطية .

عربيا ودوليا كان الامر اكثر وضوحا ، على نطاق بعث الحركة القومية العربية أو على نطاق التحرر والاستقلال .. ويكفى ان نحصى عدد الدول التى استقلت ، والدول التى قاومت التبعية .. بعد « يوليو عبد الناصر » .. ويكفى أن نرصد بصمات مصر فى تلك الفترة على ثورات التحرير فى الوطن العربى وافريقيا وأمريكا اللاتينية ..

لقد كان عبدالناصر احدى سمات عصر حمل أسماء عدد من العمالقة مثل نهرو وتيتو وماوتسى تونج .. و .. كان عبد الناصر واحدا من هؤلاء .

هذا هو اعتقادنا بالنسبة لعبد الناصر ، نقوله بمناسبة ما يكتبه الاستاذ صلاح شادى ردا على د. عبد العظيم رمضـــان .. ونقـــوله ونحن ننشر ما يخالفه ، لاننا نعتقد ان هناك فرقا بين الاجلال والتقديس .. ونحن نجل عبد الناصر ، ولا نقدسه .. ونعتقد ان حرية ابداء الرأى لا تقل اهمية عن احترام التاريخ والنظر اليه بانصاف .

المقال التاسع لصلاح شادى

لماذا يتجنى البعض على جماعة الاخوان المسلمين

(الوطن فى ١٤ يناير ١٩٨١)

لن اقف هذه المرة مع الحروف والالفاظ التى اراد الدكتور ان يوقفنا عندها فى احد ردوده السابقة ، ولكنى سأعرض الى المعانى التى ركز فيها حملته على الشهيد عوده من واقع عباراته التى لا تقبل الشك فيما يرغب ان يوحيه للقارىء وان كنت حفيا ان اسمع واقرأ له غير ذلك !

والدكتور رمضان يترر لنا فى وضوح هذه الامور التى انقلها بنصها من واقع مقاله الاخير : — « على ان الجماهير التى خاب املها فى الثورة ، وثار سخطها ومرارتها لحكمها الديكتاتورى ، تحركت فى هذه اللحظات الحرجة لتقلب الموقف مرة اخرى فى اتجاه الديموقراطية ، ففى الوقت الذى كان فيه مجلس الثورة يناقش مصير اللواء محمد نجيب وخالد محى الدين ، كانت جموع هائلة تتحرك من قواعد الاخوان المسلمين والوفد والحزب الاشتراكى تطالب بعودة محمد نجيب وسقوط الديكتاتورية ، وانطلقت الى ميدان عابدين تهتف « محمد نجيب او الثورة »،«الى السجن ياجمال»،الى السجن ياصلاح سالم . . »ثم يستطرد «وعندئذ قام صلاح سالم بوصفه وزيرا للارشاد القومى ، باذاعة بيان فى السادسة من مساء يوم ٢٧ فبراير سنة ١٩٥٤ يعلن فيه عودة محمد نجيب ، وفى اليوم التالى ٢٨ فبراير خرجت مظاهرات الابتهاج الى عابدين تطالب محمد نجيب بالافراج عن المعتقلين،ولكنها اصطدمت اصداما دمويا بالبوليس عند كوبرى قصر النيل واضطر محمد نجيب الى الاستعانة بعبد القادر عودة لتهدئة الجو وصرف المتظاهرين بعد ان وعد باجابة مطالب الجماهير ! ... وكانت تلك اول مظاهرة موالية للديمقراطية يشترك فيها الاخوان المسلمون فى تاريخ حياتهم السياسية ! » .

.. والدكتور — على هذا النحو — لا يحب ان يترك لقيادة الاخوان المسلمين ، حتى هذا الانطباع التافه الذى يدل على موالاتهم للحرية فنراه يقول فى شرح ذلك « انه بفضل الروح الثورية التى انتقلت من الجماهير الى عبد القادر عودة ، انتقل فجاة من موقع التأييد لعبد الناصر الى موقع التاييد لمحمد نجيب !! » .

حنانيك يا دكتور رمضان ! ..

لقد رتب الشهيد عبد القادر عودة هذه المظاهرة ... ووهبها دمه لا حماسه فقط ! .. كما رتب مظاهرة ٢٧ مارس السابقة وكل ذلك جرى

بعلم المرشد وتأييده ! ٠٠وساشرح ذلك فيما بعد بمشيئة الله ، ولكن ما استوقفنى هنا هو قول الدكتور ان هذه هى المظاهرة الشعبية الاولى فى تاريخ الاخوان المسلمين التى نادوا فيها بالحرية للشعب ، وبشجب الديكتاتورية !!

ولا شك ان الدكتور قرأ فى تاريخ الاخوان السياسى مظاهراتهم ضد الملك حين هتفوا بسقوطه فى حرم الجامعة ومنعوه من زيارتها باغراق الملاعب بالمياه ، وما سبقها من مظاهرات ضد وزارة النقراشى التى اغرق فيها المتظاهرين فى النيل !! ٠٠ ومظاهراتهم فى عهد صدقى بمناسبة معاهدة — صدقى بيفن — فلسنا الان فى مجال تعداد المظاهرات ولكنى فقط اشير الى ان الدكتور رمضان ابى ان يترك الشهيد عودة هادئا فى رمسه بدون ان تناله كلماته ! ، حتى لنراه هنا يفسر دوره بعد حل الجماعة مباشرة وايداع المرشد والاخوان فى السجن ، بما يوحى بأن بقاءه ومن معه كالاستاذ عمر التلمسانى وغيره فى الخارج ، انما كان انطلاقا من مناخ يوحى بحاجة الاخوان المسلمين لديكتاتورية الثورة . لعدائهم التقليدى للديموقراطية ! وحاجة الثورة للمساندة الشعبية للاخوان لبقاء ديكتاتوريتها فى الحكم ، بدليل ابقاء الثورة لمجلة الدعوة (التى كان يرأسها الاستاذ صالح عشماوى) وعدم منعها من الصدور على شريطة استبعاد مرشد الاخوان ، وهو شرط قبله الشهيد عودة على ان « يترك له ومن معه تحقيقه فيما بعد » ! ٠

ويقرر الدكتور رمضان ان هذا هو آخر ما وصل اليه الاتفاق بين محمد نجيب والشهيد عودة بعد الحل ! ٠٠ واثناء وجود المرشد ومن معه من الاخوان فى السجن ، لولا الانفجار بين قيادة الثورة ومحمد نجيب الذى دفع الجماهير الى الشوارع فى ٢٧ فبراير غاضبة ومطالبة بسقوط الديكتاتورية !!

واسوق الاتى لتصحيح هذه المعلومات :

— محاولات عبد الناصر استقطاب الاخوان الى صفه كانت مستمرة حتى قبل معاهدته مع الانكليز منذ بدء محاولة انشائه لهيئة التحرير بعد اشهر قلائل من نجاح الحركة ، وبلغت ذروتها عندما ظن انه نجح فى تأليب الاخوان على مرشدهم فى حوادث محاولة استكتاب المرشد لاستقالته ، واحتلال المركز العام فى ديسمبر سنة ١٩٥٣ ، فلما باءت بالفشل اورثته هما وحزنا شديدين شرحته وشرحت وقائعه فى المقال السابق ٠٠ وكان على رأس هذه المحاولة عبد الرحمن السندى الذى سبق فصله من قبل والاستاذ صالح عشماوى الذى فصل على اثرهما مباشرة ، وان بقيت مجلة الدعوة تصدر فى الوقت الذى اعلن فيه مكتب الارشاد منذ فترة سابقة انها لا تمثل الجماعة !! ٠

فكيف يستقيم فى العقل آن يستدل الدكتور على عدم رغبة عبد الناصر

فى تصفية الاخوان بالابقاء على مجلة الدعوة فى الظهور ، وقد كانت فى هذا الوقت صوت المفصولين من الجماعة ! ٠

ـ وكان الاولى به ان يرى فى الابقاء على صدور المجلة دليلا على رغبة عبد الناصر فى التصفية لا العكس !! ٠

ولم يجهل احد من الاخوان وعلى راسهم الشهيد عودة بأن عبد الناصر قد فضح نفسه بعد حادث احتلال الدار ، الذى شرحته قبلا ، واظهر العـــداء للجماعة كما سبق ان اوضحت ٠٠ ولو كان الشهيد عبد القادر عودة ضالعا فى الاتفاق مع عبدالناصر لما ظل فىولائه للمرشد ـــ قبل مظاهرة عابدين ـــ ولما ظل حريصا على اقناع المعتقلين ان قيادة الاخوان فى الخارج انما تستـــمد شرعيتها من بقاء المرشد فى منصبه ! ٠٠ وان محاولات التشكيك التى يقوم بها عبد الناصر لا ظل لها فى نفوس الاخوان فى الخارج ! الامر الذى ازعـــج عبد الناصر ومنعه من اتمام زياراته لبقية المعتقلين !

وان الشروط الثلاثة التى فرضها عبد الناصر على عبد القادر عـــودة وادعى الدكتور انه قبلها كلها ما عدا الابتعاد عن النشاط السياسى وقبوله الشرطين الاخرين ، وهما حل التنظيم السرى ، وايقاف نشاط الاخوان داخـــل صفوف الجيش والبوليس فهو امر لا يمثل الحقيقة وينقصه مطالبته بعـــودة الجماعة الى شرعيتها حتى صارحه محمد نجيب فى نهاية المطاف ان شرط عودة الجماعة الىشرعيتها مرهون بعزل المرشدفاجابه الشهيد عودة ان الجماعة التى انتخبت المرشد هى وحدها التى تقرر عزله او بقاءه ولا يفرض عليها رأى من خارجها ٠٠ اماالجزء الثانى الذى ضمنه وعده بتحقيق خلع المرشد فيما بعد فليس صحيحا !! وما كان يملكه الشهيد عودة ولا غيره حتى يقدمه ٠

والقول بأن عبد الناصر كان يدير مفاوضاته مع الشهيد عودة باعتباره الشخص الذىاختارته الجماعة رئيسا لها بعد اعتقال المرشد فايضا قولغير صحيح ٠٠ فلم يجر اى اختيار للشهيد عودة بعد سجن المرشد وانمـــا تحدث اليه عبد الناصر وغيره باعتباره وكيلا للمرشد العام ! وليس الرئيس الذى اختارته الجماعة ! ٠

واصارح الدكتور رمضان بانه لا مجال لقوله بأن عبد القـــادر عودة لم تكن له صلة بالتنظيم ، وان النظام الخاص قد دبر مظاهرات يوم ٢٧ فبراير مع القاعدة الشعبية للاخوان او بدونها وان مظاهرات ٢٨ فبراير قد قامت بمعرفة الشهيد عودة ٠ فهذا التقسيم غير صحيح بالنسبة لعمل اجهزة الاخوان المسلمين ! ، اذ ان كل هذه المظاهرات جرت بتدبير واشراف الشهيد عـــودة واقرار المرشد ، وان التنظيم الخاص فى وضعه الجديد بعد رئاسة يوســـف طلعت والذى باشر تبعاته قبل ذلك باشهر ، كان يتلقى كل التعليمات الخاصة

بهذه المظاهرات من الشهيد عودة شخصيا !.. وازيد الامر وضوحافاقول ان الشهيد عودة كان يبلغ المرشد فى السجن بمجريات الامور كلها وكان الرجل على ثقة بوكيله فى كل حركة نبضت بها أجهزة الاخوان فى خارج السجن ! .

وربما وجد الدكتور رمضان فى الخطاب الذى اخرجه المرشد من داخل السجن الى جريدة المصرى فى ١٦ مارس سنة ١٩٥٤ يشجب فيه عدوان الثورة على الحريات ، ويرفض كل اتفاق يبرم فى غيبة الاخوان فى المعتقلات (ويعنى به الاتفاق مع الانكليز) ما يدل على وجود هذه الصلة ، بل ويدل ايضا على وحدة الجماعة وتماسكها واعلانها مخاصمة هذا العهد لفساده واكاذيبه،فى الوقت الذى كنا نرسف فى اغلال قهره ونتجرع غصصه ! .. فكان اعلان هذا الخطاب للناس ، لطمة لديكتاتورية عبد الناصر .

وهـــذا هو نص خطاب المرشد ــ وهو فى السجن ــ الى محمد نجيب والذى نشرته جريدة المصرى فى ذلك الحين « ان مجلس الثورة قد اصدر قرارا فى ١٢ يناير سنة ١٩٥٤ بانه يجرى على جماعة الاخوان المسلمين قانون حـل الاحزاب السياسية ومع ما فى هذا القرار من مخالفة لمنطوق القانون ومفهومه، فقد صدر بيان نسبت الينا فيه افحش الوقائع ، واكثرها اجتراء على الحـق واعتقلنا ولم نخبر بأمر الاعتقال ، ولا باسبابه وقيل يومئذ ان التحقيـــق فى الوقائع التى ذكرت به سيجرى علنا فاستبشرنا بهذا القول لاننا انتظرنا ان تتاح لنا فرصة الرد عليه لنبين ان ما اشتمل عليه كله والصورة التى جاءت به لا حقيقة له ، فيعرف كل انسان قدره ويقف عند حده ! .. ولكن ذلك لم يحدث، ثم يستطرد فيقول « وقد استمرت حركة الاعتقالات طوال شهرين كاملين ، حتى امتلأت المعتقلات والسجون بطائفة من اطهر رجالات البلد وشبابها ، بلغوا عدة الاف ، لكثير منهم مواقف فى الدفاع عن البلاد وعن حرياتها شـــهدها الاعداء قبل الاصدقاء وجاهدوا بأموالهم وانفسهم ولم يكتفوا بالكلام كمـــا يفعل كثير من الناس ، أما كيفية الاعتقال ومعاملة المعتقلين فلن نعرض لها هنا .

وقد بدت فى مصر بوادر حركة ــ ان صحت ــ فقد تغير من شئونهـــا وانظمتها ، وان حل الاخوان ــ وان انزل اللافتات عن دورهم ــ فانه لن يغير الحقيقة الواقعة ، وهى ان الاخوان المسلمين لا يمكن حلهم ، لان الرابطة التى تربط بينهم هى الاعتصام بحبل الله المتين ، وهى اقوى من كل قوة ، ولا زالت هذه الرابطة قائمة ، ولن نزال كذلك باذن الله ، ومصر ليست ملكا لفئة معينة، ولا حق لاحد ان يفرض وصايته عليها ، ولا ان يتصرف فى شئونهـــا دون الرجوع اليها او النزول على ارادتها ، لذلك كان من اوجب الواجبات على الاخوان المسلمين ان يذكروكم بانه لا يمكن ان يبت فى شئون البلاد فى غيبتهم،

وكل مايحصل من هذا التبيل لن يكون له اثر فى استقرار الاحوال ولن يفيد البلاد بشىء ٠ وان ما دعوتم اليه من الاتحاد وجمع الصفوف لا يتفق وهذه الاحوال ، فان البلاد لا يمكن ان تتحد وتجمع صفوفها وهذه المظالم وامثالها قائمة » ٠

كان هذا هو موقف الاخوان المسلمين بين ازمتى فبراير ومارس من كان منهم خارج السجون ٠٠٠ ومن كان داخلها ! وتتلخص كلها فى حقيقة مشرفة بالتضحية ٠٠٠ صلبة بالحق ٠٠ شفافة بالنور مغدقة بالوفاء ٠٠ لله والوطن ٠٠ وللقائد المسيرة ! ٠

يقدم لنا الدكتور رمضان فهمه لسياسة الاخوان المسلمين خلال احداث مارس بأصلين :

الاول : ان عدم مؤازرة الاخوان لمحمد نجيب ـ بعد مظاهرات فبراير التى قدمت له كل السلطان الشعبى لمواجهة ديكتاتورية عبد الناصر ـ يعتبر تخليا من الاخوان عن مبادىء الحرية التى ينشدها الشعب ! ٠

والثانى : ان شجب الاخوان للاحزاب القائمة حينذاك يعتبر شجبا للنظام النيابى ذاته !! ٠

ويستدل على موقف الاخوان من مؤازرة الديكتاتورية ، بالحديث الذى رواه الاستاذ صالح ابو رقيق عن الوفد الذى ارسله عبد الناصر الى الاخوان فى السجن ، فكانت شروط الاخوان قبل خروجهم (فى زعمه) لا تعدو المطالبة بالحرية لهم فقط ورد اعتبارهم دون اية شرائط اخـــرى تتصل بعـودة الديموقراطية لبلدهم !! ويستدل ايضا على ذلك بما قاله المرشد فى المؤتمر الذى عقدته الجماعة فى ٣٠ مارس اثر خروجهم باربعة ايام :

« افهم ان شخصا ينادى بعودة الحياة النيابية ، ولكن لا ينادى بعـودة الاحزاب القديمة كى تباشر مهامها ، فنحن اذ نطالب بالحياة النيابية انما نطالب بحياة نيابية نظيفة سليمة مكفولة فى ظلها حرية الصحافة وحـــرية الاجتماع وحرية القول » ٠

ويعلق الدكتور على ذلك فيقول : « ولم يتمكن احد فى ذلك الحين من ان يسأل الهضيبى هذا السؤال : « كيف يمكن بناء حياة نيابية نظيفة سليمة اذا كان الحكم على الاحزاب القديمة ينزع من يد الشعب ويوضع فى يد هيئة مخاصمة لها مثل جماعة الاخوان ؟!

وأرد على ما اورده الدكتور فى هذا الشأن فقرة فقرة ، واقول عن موقف الاخوان من محمد نجيب ـ الرجل الذى وضعته الظروف على راس هذه الحركة

ـ انه لم يكن بهم حاجة الى ادراك عدم فاعليته بل ربما عدم صدقه فى المطالبة بحرية الشعب فضلا عن الايمان بالمبادىء التى يدعيها ! .

فقد كان اصراره على عزل المرشد ـ كشرط لاعادة الشرعية لجماعة الاخوان المسلمين ـ لايمكن ان يجعله من دعاة الحرية !

وكان موقفه من مظاهرة عابدين وحاجته للشهيد عودة لفض هذه المظاهرة بعد ان اكتفى منها بالعودة الى رئاسة الجمهورية بدون مواجهة فعالة للديكتاتورية التى افقدت شعبه الحرية ، يستحيل معه تقييم هذا الموقف الا بأن ايمانه بالحرية للشعب لايعدو ان يكون ستارا يغطى به حرصه على العودة الى منصبه السليب ! .. وحتى اذا صحت اضافة شىء من حسن النية الى رغبته فى عودة الحرية الى الشعب فيلزم ان نضيف الى جوارها تسيب عزمه وعجزه عن ان يؤدى دورا ايجابيا فى تحويل هذا الموقف لخير امته بعد ان ملك زمامه، واوقف اعداءه واعداء الحرية امامه فى موقف الهوان والصغار والتسليم بكل شىء !! .

وهذا الموقف من عداء الشعب لعبد الناصر فى مظاهرات عابدين التى قادها الشهيد عودة ، شكل وحده حيثيات الحكم باعدامه بعد ذلك ! .. لان ما أدركه عبد الناصر من قدرة الشهيد على تحريك الجموع الهادرة التى لبت دعوته بالانصراف مباشرة من ميدان عابدين بمجرد اشارته لها بذلك كان يحمل فى مضمونه قدرته على اعادتهم ثانية الى التظاهر ! وكان هذا يعنى ان الشعب قد اسلم قياده الى رجل كان من الممكن ان يحكم على مصير رجال الثورة !!

ولكن اخطأ الشهيد عودة حين اسلم هذا المقود الى محمد نجيب حين دعاه الى صرف المتظاهرين فاستجاب !! فكان جزاؤه جزاء سنمار .

وبدت اول المؤشرات التى توضح عجز نجيب عن الوقوف امام طغيان عبد الناصر ، حينما اصدر الاخير أمره بالقبض على الشهيد عودة ، وايداعه السجن فى نفس الليلة بعد ان استتب له الأمر وصرفت المظاهرات !

وهكذا لم يكن محمد نجيب بالقائد الذى يؤتمن على حرية من آزره واعانه، فضلا عن حرية شعب بأسره ! .

فلماذا يأخذ الدكتور على الاخوان حرصهم على الا يلدغوا من جحر محمد نجيب مرتين ، ويتهمهم لذلك بنبذ دعوى الحرية لانهم لم يكرروا مأساة الدفاع عنه من جديد فى المظاهرات التى تلت خروجهم بعد ذلك ؟! ويتهمهم لذلك بانهم راهنوا على جوادهم المفضل وهو ديكتاتورية عبد الناصر ! .

ولقد كفر الاخوان المسـلمون بديكتاتورية عبد الناصر ، بل وبكل الديكتاتوريات من قبل ، وبذلوا من دماء شهدائهم ما عرف الناس ، وما جهلوا من امر شهيدنا عبد القادر عودة وغيره ، وكفروا ايضا « بعجز » محمد نجيب الذيءاقه ان يعيد الحرية لامته ! ٠٠ فخاض عبد الناصر فى دمائهم وخـاض نجيب في اعراضهم حين اتهمهم بنبذ الحريات لانهم لم يؤازروه وما كنت احب الدكتور ان يخوض خوضهم ! ولكن يطالعنا ـ للاسف ـ بما ظنه الدليل على حرص الاخوان على الديكتاتورية ، من طريقة عرضه لمضمون الاتفاق الذى جرى ـ فى السجن ـ بين الاخوان وبين فؤاد جلال وغيره مدعيا انه لم يتضمن الاتفاق على منح البلد حريتها ! ٠

والدكتور لاشك يعلم ان منح البلد حريتها كان امرا مفروغا منه ومن تحقيقه حينذاك بصدور قرارات ٢٥ مارس التى خرجنا على اثرها ، فما كانت هناك حاجة الى ذكرها فى اقوال الاستاذ صالح ابو رقيق التى شرح بها هذه الواقعة للدكتور ٠٠ لان الاصل الذى بنى عليه فؤاد جلال محادثاته مـع الاخوان كان قائما على رد الحرية للشعب كما ورد فى قرارات ٢٥ مارس ٠
اما المظاهرات التى افتعلها عبد الناصر بعد ذلك فى ٢٨ مارس لتنادى بسقوط قرارات مارس وسقوط الحريات فقد جـرت بعد زيارة عبد الناصر للمرشد فى منزله اثر خروجه من السجن الحربى ، ولم يكن للاخوان يد فيها كما توهم محمد نجيب ، فالبس الحق بالباطل !

ففى صباح يوم ٢٨ مارس اثناء انعقـاد مجلس الثورة ، دخل (المتظاهرون !!؟) الى المجلس ينادون ببقاء مجلس الثورة وسقوط الانتخابات! ٠٠ وحاول الحراس اغلاق ابواب المجلس وهم خائفون لاعتقادهم ان «المتظاهرين» سيعتدون على محمد نجيب ٠

ويأتى محمد نجيب الى مكان الاجتماع فى المجلس وهو يظن ان هـذه المظاهرات من تدبير الاخوان المسلمين ! وانها تهتف ضده بناء على اتفـاق جرى مع مرشد الاخوان فى الزيارة التى قام بها عبد الناصر لـه فى اليوم السابق مهنئا بخروجه من المعتقل !

• ويسأل محمد نجيب ـ فى ذعر ـ جمال سالم ومن معه عن سبب زيارة جمال عبد الناصر للمرشد ، ويستطرد «هل كانت للاتفاق على شىء فللأسف ظن رئيس الجمهورية ان الاخوان المسلمين هم الذين قاموا بهذه المظـاهرة التى تنادى بسقوط قرارات مارس التى كان من المفروض ان تعيد للشعب حريته ! وظل هذا الظن يلاحقه حتى افترى على الاخوان كذبا ، فادعى انهم اصدروا

بيانا قالوا فيه « انهم لا يطالبون بتاليف احزاب سياسية لانهم يطـــالبون المصريين بأن يسيروا وراءهم » ! وروى ذلك فى صفحة ٤٤٢ من كتاب احمد حمروش شهود ثورة يوليو (الجزء الرابع) •

والبيان الوحيد الذى صدر فى ٢٩ مارس كان خلاف ذلك ، اذ صـــور البيان هذا الصراع المرير فى هذه الايام القلقة والمظاهرات المفتعلة والتحركات المريبة وموقف الاخوان من صراعهم بين نجيب وعبد الناصر بعد اطـــلاق سراحهم ، وطالب البيان اخيرا بحرية الشعب وحقوقه فى ظل حياة نيـــابية نظيفة ، فخرجت الصحف فى هذا اليوم بالاتى :

« لا ريب ان مصر تمر بفترة بالغة الدقة والخطورة فى تاريخها ، بعيدة الاثر فى كيانها ومستقبلها ، وهى فترة تقتضى من كل مواطن ان يهب البلاد نفسه ويبذل لها وجوده ويؤثرها من رايه ومشورته حتى ياذن الله بانجــلاء هذه الغمة ويبدل الوطن بها حياة امن واستقرار ووحدة •

ولقد فوجىء الاخوان المسلمون غداة خروجهم من السجون والمعتقلات بتوالى الاحداث الخطيرة التى تتعرض لها البلاد فى حدة وسرعة لم يتيسر معها معرفة اسبابها والعوامل التى تؤثر فيها ثم تحديد وسائل العلاج التى تلائمها •• من اجل ذلك بادر الاخوان المسلمون الى العمل على اداء واجبهم فى التماس المخرج من هذه الازمة ، فبدا لهم أن من العسير أن ترسم الخطط الصالحة ويوضع العلاج لهذه المشاكل وتسمع المشورة الصادقة المستقلة فى جو الغضب والانفعال ، وقد كان رسول الله عليه الصلاة والسلام يسأل الله الا يستجيب له وهو غضبان •

لهذا لم يكن هناك بد من اسراع بلقاء المسئولين والاتصــــال بطرفى الخلاف للدعوة الى اتخاذ مهلة تجتنب فيها المضاعفات وتنهى فيها حالة التوتر القائمة حتى يتيسر لاولى الرأى والاخلاص أن يتقدموا للمسئولين عـــن الامة بخطة كاملة ومدروسة تكشف عن البلاد هذه الشدة وتضع الحلول الكفيلة لوقاية البلاد من أن تتعرض لمثلها فى اية مناسبة ••

وعلى هذا الاساس قام وفد الاخوان المسلمين برياسة المرشد العام بلقاء البكباشى جمال عبد الناصر فى الليلة الماضية ، ثم بزيارة اللواء محمد نجيب لانشغاله فى هذه الليلة بالاجتماع بجلالة الملك سعود ضـــيف مصر الكبير ، الذى آثرها مشكورا بكريم وساطته فى علاج هذا الموقف العصيب ••

وما زال الاخوان المسلمون يواصلون خطواتهم فى اقناع المســئولين باتخاذ مهلة مع قيامهم فى الوقت نفسه بدراسة خطة العلاج الشاملة املين ان يستجيب المسئولون الى ندائهم فتتغلب الحكمة والوطنية على بواعث الخلاف والفرقة ويلتقى الجميع باذن الله على كلمة سواء •• واذا كانت الجهود تتوالى

فى العمل على جمع الكلمة وحل الازمة ، فاننا نناشد شعب مصر الكريم ان يعتصم بالهدوء والسكينة ورباطة الجاش وان ينصرف ابناؤه جميعــــا الى اعمالهم فى انتظام وطمانينة ، مع التوجه الى الله العلى الكبير ان يحفظ البلاد من كل سوء وان يعين الساعين ويجمع المسئولين على الحل الكامل الســليم الذى يخرج بالبلاد من المأزق الحاضر ويحفظ وحدة الامة ويصون حقوق الشعب وحرياته ويحقق الاستقرار المنشود فى ظل حياة نيابيــة نظيفــة محوطة بالضمانات التى تجنبها مساوىء الماضى وتركز الجهود لتخليص الوطن من الغاصب المستعمر ولمتابعة حركة الاصلاح الايجابية لتستكمل البلاد نهضتها والله ولى التوفيق » ..

كان هذا هو البيان الذى أرسله المرشد العام ونشرته الصحف فى هذه المناسبة ..

ويبقى أن نتساءل ..

هل ما قاله المرشد فى بيانه للامة او فى تصريحه فى المؤتمر الذى عقد فى ٣٠ مارس ــ واشار اليه الدكتور فى مقاله السابق ــ ما يعنى « شـجب النظام النيابى برمته » « وامتهان الحريات » والمراهنة على جواد الديكتاتورية المفضل. .فى الوقت الذى قرر مرشد الجماعة اسلوب الحياة النيابية المأمول « بتحقيق حرية الصحافة وحرية الاجتماع وحرية القول !! » .

ان محاولة الباس الاخوان ثوب موالاة الديكتاتورية والتدليل عليه بهذا السؤال المذهل « كيف يمكن بناء حياة نيابية سليمة اذا كان الحكم على الاحزاب ينزع من يد الشعب ويودع فى يد هيئة مخاصمة لها مثل جماعة الاخـــوان المسلمين » ؟! .. لامر عجيب حقا ! ..

اجل ... يمكن يا عزيزى الدكتور ، اذا تحققت حرية الصحافة وحرية الاجتماع وحرية الكلمة .. بقيت شرعية حزب الوفد ام ذهبت ، أو ظلت جماعة الاخوان المسلمين قائمة أم حلت !! .. من هذا المنطلق نادى الاخوان المسلمون بحياة نيابية نظيفة مكفولة بحرية الصحافة وحرية الاجتماع وحرية الكلمة ..

فلم يعن ذلك قط انهم يطلبون السلطان لانفسهم ! ، ورغم ذلك فقد اقتضى هذا الظن عند الدكتور تصوير الاخوان ، بالسعى الى نزع سلطة الشعب .!!؟

فكيف يدور المنطق على هذا النحو ؟ ..

ان الوفد كان يشجب بقية الاحزاب ، وكانت الاخيرة تشجب الوفد فهل كان ذلك يعنى كفر الجميع بالحيـــــاة النيابية ؟! .. وهل كانت المطالبة بالاستقامة من كلا الطرفين للاخر تعنى الكفر بحق الشعب فى اختيار ممثليه؟!

اذا قالت اليهود ليست النصارى على شىء ! ..

وقالت النصارى ليست اليهود على شىء ! ..

وقال المسلمون ان كليهما حرف دينه ..

فهل يعنى هذا أن المسلمين يكفرون بالتوراة والانجيل ، بينما عقيدة الاسلام تلزم معتقديها بتصديق الديانتين والا خرج صاحبها من الملة ••

واخيرا ••

بقى ان اشير الى كلمة الدكتور رمضان التى نشرت فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٨٠ التى عرض فيها لرأيه فى حركة الاخوان المسلمين ، وعرض كذلك لاكبر الاسباب التى ادت الى الخلاف بينى وبينه ، وهو عنوان المقالات التى يكتبها، فبينما كانت دراسته التى قدمها للصحف هى فقط عن « التنظيم السرى للاخوان وحادث المنشية » الا ان الصحف خرجت بها ـ لاسباب ذكرها ـ عن هـذا المضمون لتصبح دراسة عن حركة الاخوان المسلمين التى يراها على حد تعبير حركة متجددة ما بقى شباب واسلام •• وان هذه الحركة التى أرسى أسسها المرحوم الشيخ حسن البنا سوف تستمر (ان شاء الله) الى نهاية التاريخ فى بلادنا العربية ولن يوقفها سقوط الضحايا على جانبى الطريق •• بل ربما يغذى مسيرتها ويدفع بها الى الامام ••

ولكن قد يخفف كثيرا من سقوط الضحايا ، ويحقن كثيرا من الدمـاء دراسة الاخطاء وتداركها فى المراحل التالية ••

وهذا اللون من التعبير البناء ربما كان أهدى للقصد وأقرب للغاية التى يتوخاها الدكتور من كتابة مقالاته •

ولست فى حاجة الى القول بأن رجال الاخوان المسلمين عامتهم وقادتهم لم يدعوا يوما انهم اكبر من الخطأ •• ولا ظنوا لحظة أنهم من الهوان بحيث لا يؤوبوا الى الرشد والصواب حين يتبينوه ، وقد اكدت هذا الفهم فى المقال السابق فيما عنيته من أن تبادل الرجال للخطأ والصواب فى هذه الجماعة دليل على صحة بنيتها واستقامة عودها على الحق فالجماعة التى لا تعدم أن ترى فيها مخطىء الامس أحد سدنتها فى الغد ، وأفذاذها اليوم أحد معارضيها بالامس لهى جماعة رشيدة ، ما دام ذلك يجرى انطلاقا من سنة الاسلام البناءة « كل ابن ادم خطاء وخير الخطائين التوابون » •• والحمد لله أن شهدنا ذلك فى مسار جماعة الاخوان المسلمين بصورة اجلت اصحابها عن الوقـوف باصرار عند اخطائهم ! ••

لقد كرم الدكتور رمضان نفسه بنفسه ، ولم يحتج الى احد يكرمه حين اوضح لنا رؤيته للجماعة من خلال رده الاخير ، وان كنا فى حاجة منه لاعادة توضيح موقف الاخوان المسلمين من القصر ، وموقفهم من الانجليز ، وموقفهم من الدكتاتورية من خلال الحقائق الثابتة والوثائق التى ضرجت بدمائهم فى مواجهة كل هذه القوى •• بعيدا عن الالوان الفاقعة « للمانشـتات » ! •• والعناوين الجاذبة لانظار القراء عن مضمون الصراع الذى توحيه لشـد الانتباه قبل تحقيق الفائدة ! •

المقال العاشر لصلاح شادى

« لماذا يتجنى البعض فى تصوير جماعة الاخـــوان المسلمين »

(الوطن فى ٢١ يناير ١٩٨١)

قرأت فى العدد الماضى مقدمة لجريدة الوطن الغراء تناولت « امجاد » عبد الناصر فى التجربة المصرية التى اعتبرتها الجريدة نموذجا للعالم الثالث كله بما تمت فيها من اجتهادات اصابت أو اخطأت على طريق الديمقراطية وفرقت بين التقديس والاجلال وقالت ان المنصفين لا يقدسون عبد الناصر وان انزلوه فى نفوسهم منزلة الاجلال .

وموضوع التجربة المصرية لا يرد عليه بهذه البساطة ، ولكن اهدافى من مناقشة الدكتور عبد العظيم رمضان لم تتناول عبد الناصر وتجربته وان تناولت مواقفه فى احداث بذاتها ارتبطت بكيان جماعة الاخوان المســـلمين صورتها من واقع مشاركتى ورؤيتى لهذه الاحداث ٠٠ وحاولت أن اصـــحح ما عرضه الدكتور عبد العظيم رمضان لمواقف الجماعة بما لم يتسع للحديث حتى عن رجالها ٠ الذين اخطأوا وأصابوا ٠٠ وانما ناقشت فقط حقائق التاريخ التى انكرها الشانئون واغفلها المؤرخون فى مسار الجماعة وجوهر حركتها ٠٠ ولم يكن موضوعى تناول أقدار الرجـــال !

واخشى ان يظن بعض الاخوة الذين سفيتهم فى الاحداث التى اثارهـــا الدكتور رمضان حول الاعتصام بالدار ومحاولة استكتاب المرشد استقالته فى الفتنة التى اثارها السندى وعبد الناصر انى عنيت من وراء سرد اســـمائهم اغفال مواقفهم التى قدموها قبل وبعد هذه الاحداث وجهادهم لخير هـــذه الجماعة ، وانما عنيت فقط ان ابرز تبادل الرجال مواقف الخطأ والصواب فى هذه الجماعة ، وان ذلك دليل على صحة بنيتها واستقامة عودها على الحق ، بل ولا استطيع ان انكر على المرحوم السندى نفسه جهده فى انشاء النظام الخاص الذى اعتبره من امجاد هذه الجماعة ٠٠٠ كما لا استطيع ان انكر جهد الاستاذ صالح عشماوى فى هذا السبيل ، ولا جهده الان وهو يقدم عصارة فكرة لخدمة الاسلام فى مجلة الدعوة التى كانت فيما مضى من حياة الاستاذ الهضيبى سوطا يلهب ظهور الاخوان المسلمين ، والهضيبى خاصة، كما لا أنكر جهاد الشيخ الغزالى المبرور بعد عودته الى احضان هذه الدعوة

اثناء سجننا ··· ولا الاخ على صديق والاخ فتحى البوز اللذين ذكرت موقفهما فى منزل المرشد فلم يلبثا اثر ذلك ان برزا لحراسة المرشد فى تحركاته التى كان يرصدها عبد الناصر ··· وهو وفاء سبقه جهاد مرير الملقات فى فلسطين يقدم لصاحبيه كريم التقدير ·

وغير هؤلاء وهؤلاء ··· فما كنت بصدد الحديث عن مفاخر الرجال او اخطائهم وانما اردت الحديث عن مفاخر هذه الجماعة التى من ابرز خصائصها انها تمتص فضائل الرجال لخيرها وتلفظ السوء عنها وعنهم ·

فاذا غفلنا عن تقييم رجال هذه الجماعة فى خطئهم وصوابهم ، فليس بدعا ان يكون قصدنا مناقشة ما اورده الدكتور رمضان ـ وعلقت عليه جريدة الوطن ـ لا ارتباط له بتقييم شخص جمال عبد الناصر فى المحيط الداخلى او القومى العربى ·

ولقد اشدت وما زلت اشيد بموقف جريدة الوطن الغراء من حرية الرأى الذى اراه الوسيلة الوحيدة لاحترام التاريخ والنظر اليه بانصاف !

ونعرض بعد هذا لمناقشة مقال الدكتور رمضان العاشر عن عــودة الصراع بين الأخوان وعبد الناصر فى حملته التى تصب جام غضبها على ما اسماه ديكتاتورية الاخوان المسلمين !!

ويبدو للقارىء من مقاله كأن الاخوان قد شـــاركوا عبد الناصر الحكم ! ونسى أن استقالة الباقورى من جماعة الاخوان المسلمين كانت بسبب اشتراكه فى « الوزارة العسكرية » برئاسة محمد نجيب التى اعقبت استقالة على ماهر بعد شهرين من قيام الحركة ! ··· وان تولى العسكريين الحكم كان مناقضا تماما لما جرى الاتفاق عليه فى لقاءات الاخوان مع عبد الناصر قبل الحركة ، لما يحمله من مخاوف تطبيع الحكم باللون الديكتاتورى الذى يأباه الاخـــوان المسلمون ، ولا يسعنى الا ان اعرض للقارىء ما اغفله الدكتور رمضان مــن هذه اللقاءات او غفل عنه ، ثم اعرض بعد ذلك لمناقشة قانون جماعة الاخــوان المسلمين فى هيئاتها المختلفة ، مكتب الارشاد والهيئة التأسيسية والجمعيــة العمومية ··· وانتهى بالرد على ما نثره الدكتور من غبار عن التفاف افراد جماعة الاخوان حول مرشدهم بتقسيماته الخيالية عن انشقاقات وهمية رأس رهطا منها البهى الخولى ومريدوه ورهط آخر راسه خميس حميدة واتباعه، والثالث كان حسن الهضيبى وجماعته ! وجوانب اخرى من المتناثرات بــدت للاسف فى مقاله تنال من جلال الحق ·· وتوقف القارىء على مطلة حزينة

شوهاء لموكب تاريخنا المعاصر ! •

وحول ردى على مفهوم « الديكتاتورية عند جماعة الاخوان المسلمين » انقل ما رواه الاستاذ عبد القادر حلمى عن اللقـــاء الذى دار بيننا وبين عبد الناصر بعد حريق القاهرة وفى غمار التخطيط لحركة يوليه سنة ١٩٥٢ حين التقينا معه فى منزل الاستاذ عبد القادر حلمى فى حضور المرحوم حسن العشماوى والاستاذ صالح ابو رقيق ، يروى الاستاذ عبد القادر حلمى هذه الوقائع :

« فى اواخر يناير واوائل فبراير كثرت لقاءات عبد الناصر بنا وجاءنا يوما بعد حريق القاهرة يقول ان من رأيه التعجيل بالقيام بالانقلاب لان الظروف مناسبة ، لقيام حال منع التجول من منتصف الليل الى الصباح الباكر ، وهى مدة يسيطر فيها الجيش على الأمور فى القاهرة ويمكنهم القيام بالانقلاب فى خلالها •

وبدأت مناقشاتنا اثناء لقاءات متفرقة فى منزلى بحضور الأخوة صالح ابو رقيق والمرحوم حسن العشماوى وصلاح شادى فى اهداف الانقلاب او ما يترتب على حدوثه ، وقدم عبد الناصر رأيه فى هذا الامر بان غايته من الانقلاب امور ثلاثة :

(١) اصلاح نظام الحكم السياسى بارساء قواعده على اساس حكم نيابى سليم •

(٢) تطهير الجيش واجهزة الدولة من عملاء الملك وعناصر الفساد •

(٣) اصلاح اجتماعى واقتصادى شامل •

وكانت وجهة نظرنا تتلخص فى ان مبادىء الاسلام هى الاســـاس الوحيد الصالح لحكم مصر ولعلاج الجانب السياسى والاجتماعى والاقتصادى منها ، واقر عبد الناصر ذلك وأكد تمسكه بالاسلام أساسا للتغيير المنشود واوضح ان هدفه الاسلام .. الا انه قال :

ان من المصلحة عدم المجاهرة بذلك فى بادىء الامر ، ولكن تؤخذ الامور تدريجيا حتى لا يحارب اعداء الاسلام الحركة فى اول عهدها ••• ثم بـــدأ الجميع فى مناقشة الامور المترتبة على قيام الانقلاب ، مثل موضوع الحكم ومن الذى سيتولاه وقد عرض عبد الناصر دراسته فى هذا الامر ، وتتلخص فى أن الاحزاب القائمة فى ذلك الوقت قد استشرى فيها الفساد ، كما ان القائمين عليها غير صالحين لتولى الامور بعد الانقلاب لتحقيق اهدافه ، وقد اتضح من ثنايا المناقشة ان الضباط الاحرار لهم اعضاء مندسون فى كثير مـــن الاحزاب ليتعرفوا اخبارها وخطوط سيرها • وان دراستهم لهذه الاحـــزاب اكدت لهم ان ليس هناك احد جدير بالثقة والاحترام سوى الحزب الوطنى

الذى تمسك بمبادئه واحترامها حيث رفض قبل ذلك الاشتراك فى الحكم او مفاوضة الانجليز بعد جلائهم ومع ذلك فان هذا الحزب لايستطيع ان يتولى الحكم لضعف تكوينه وافتقاره الى القاعدة الشعبية ٠

وقد أوضح عبد الناصر ان الدراسة بينت ان اسناد الحكم بعد الانقلاب لا يخرج عن ثلاثة احتمالات ٠ اما ان يتولى الاخوان الحكم او يتولاه الجيش، أو تتولاه شخصية مستقلة عن الاحزاب يعتنى باختيارها ٠ وقد اظهر تبادل الاراء بين عبد الناصر من جهة ومجموعة الاخوان من جهة اخرى ان ليس من المصلحة من بادىء الامر ان يتولى الاخوان الحكم حتى لا ينكشف الاتجـاه الاسلامى للحركة مما قد يكون له رد فعل دولى ضدها من أعدائه اما عـن العسكريين فلا يجب ان يتولوا الحكم اطلاقا ، لان التجارب على مدى التاريخ اثبتت ان تدخل العسكريين فى السياسة وتوليهم الحكم يؤدى الى انحرافهم الى الطغيان الشديد مما لايمكن لاحد ان يحده او يقف فى مواجهته كما انهم يتعرضون للانحراف عن المبادىء والاهداف التى قاموا من اجلها اكثر من غيرهم لتجمع السلطة فى أيديهم . وقد لاحظ احد الاخوان الحاضرين تأثير هذه المناقشات على وجه عبد الناصر فقد ظهر عليه الارتياح والاطمئنان لفكرة استبعاد تولى الاخوان كما ظهر عليه الوجوم الشديد عندما تولى الاخ حسن عشماوى مهاجمة الحكم بالشرح والتفصيل مؤيدا الفكرة بحجج منطقية ووقائع تاريخية ، وعند الانتقال الى مناقشة الاحتمال الثالث وهو اسناد الحكم الى شخصية مستقلة اقترح احد الاخوان « على ماهر » كشخص ذى كفاءة احترم نفسه فى فترة قيامه بالعمل كرئيس للديوان او كرئيس للحكومة فلم تشب ماضية اية شائبة مما اصاب الاحزاب من فساد ، وانه حاز الاعجاب والاحترام سـواء من المصريين او الاجانب وقد لقيت هذه الفكرة الاستحسان ، ومن الامور التى شملتها المناقشات والدراسات مع عبد الناصر وبعض زملائه الاحرار ومـع مجموعة الاخوان السابق ذكرها ـ مصير الملك ـ وقد رؤى ان يترك هذا الامر للظروف فى الوقت المناسب ٠

وقد نوقش فى البداية مدى قدرة الضباط الاحرار على القيام بالانقلاب من الناحية العسكرية وكذلك دور الاخوان المتصور فى هذا الانقلاب ٠٠ وبصفة خاصة من الناحية الشعبية وقد اوضح عبد الناصر أن لدى « الضـباط الاحرار » القدرة فى الوقت الحالى على القيام بالانقلاب لان الامن والنظام فى القاهرة ـ وخصوصا وقت منع التجول ـ منوط بالجيش وان المسئولين عن القوات الموجودة بالقاهرة من هؤلاء الضباط كما ان لهم رجالا فى جميع وحدات القوات المسلحة والجميع ينتظر هذا اليوم ـ فيما عدا البحرية ـ التى

لا يخشى منها اذا تم الاستيلاء على القاهرة والسيطرةعلى زمام الامور فيها والقبض على الملك » .

وهكذا يتضح للقارىء وربما ايضا للدكتور عبد العظيم رمضان موقف الاخوان قبل الحركة من الديكتاتورية .. وانهم فى كل يوم من تاريخهم الحافل بالاحداث لم يراهنوا ابدا على « جواد الديكتاتورية الخاسر » كما شاءت له هوايته اللغوية ان تصورهم بها فى حين انه اعرف الناس بأن الاخـــوان المسلمين يغامرون بحياتهم لتحقيق اهدافهم ولا يقامرون على اهدافهم للحفاظ على حياتهم الدنيا !! .. وشهادة ان لا اله الا الله محمد رسول اللـــه التى ينادون بها فى محافلهم بأنه « عليها نحيـــا ، وفى ســبيلها نجـــاهد وعليها نلقى الله » ليست شهادة باقـــرار ديكتاتـــورية احد ، بالشـــورى وتلزم الرعية بطاعة الله اذا انفذها وحكم بها ومن هذا المنطلق جـــرت محادثات الاخوان مع عبد الناصر قبل الحركة وجرت وقائعهم كلها معـــه بسببها بعد الانقلاب .. !

وانى لاعجب كيف وجد الدكتور رمضان المادة التى وهبته الجراة على ان يصف نظام جماعة الاخوان المسلمين بأنه نظام ديكتاتورى !! .

هل قرأ نظام الجماعة ؟! .. وقانونها التاسيسى الذى اقسم كل فرد من الاخوان المسلمين على احترامه ؟! ..

انى ادعو الدكتور رمضان الى قراءة القانون الاساسى للاخـــــوان المسلمين الذى أقرته الجمعية العمومية المنعقدة فى الثانى من شوال سنة ١٣٦٤ هـ ــ الثامن من سبتمبر سنة ١٩٤٥ والذى تعتبر المادة الرابعة منـــه ان عضو الهيئة هو كل مسلم عرف مقاصد الدعـــوة ووسائلها وتعهـــد بأن يناصرها ويحترم نظامها وينهض بواجبات عضويته فيهـــا ويعمل على تحقيق اغراضهـــــا ثم وافقت ادارة الشعبة التى ينتمى اليها على قبوله وبايع على ذلك واقســـم عليـــــه .

والمادة ٣٤ تقرر مهمة الهيئة التاسيسية كالاتى :

الاشراف العام على سير الدعوة واختيار اعضاء مكتب التأسيسية (١) هى مجلس الشورى العامللاخوان المسلمين والجمعيةالعمومية لمكتب الارشاد وتجتمع اجتماعا دوريا خلال اول شهر من كل عام هجرى لسماع ومناقشة تقرير مكتب الارشاد عن نشاط الدعوة فى العام الجديد .. وتجتمع فى غير هذا الموعد اجتماعا فوق العادة اذا حدث ما يدعو الى ذلك بدعوة من المرشد

---

(١) هكذا فى الاصل . والكلمـــات المبتـــورة بين كلمتى « مكتب » و « التأسيسية » ينبغى ــ وفقا للسياق ــ ان تكون : « الارشاد العـــام . والهيئـــة » (المؤلـــف) .

العام او بقرار من مكتب الارشاد او بطلب يقدم من عشرين عضوا والمرشد العام هو الذى يرأس الاجتماع ..

وتحدد المادة ٤٢ أن من اختصاصات الجمعية العمومية للشعبة انتخاب اعضاء مجلس الادارة .. الخ وكانت الهيئة التاسيسية للجماعة فى مبدأ امرها تتكون من الاخوان الذين سبقوا بالعمل لهذه الدعوة (مادة ٣٤) وهذا امر طبيعى . وبعد ان نضجت الجماعة وانتشرت شعبها ، اصبحت الهيئة التاسيسية تتكون من اعضاء مجالس ادارة الشعب ، المنتخبين اصلا من الجمعية العمومية لعضوية مجلس الادارة ..

والمادة ١٠ تقرر ان المرشد العام للاخوان المسلمين هو الرئيس الاعلى للهيئة ورئيس مكتب الارشاد العام والهيئة التاسيسية .

ويشترط فيمن يختار مرشداً عاما ان تتوفر فيه الشروط الاتية :

اولا — ان يكون من اعضاء الهيئة التاسيسية ومضى على اتصاله بها خمس سنوات .

ثانياً — الا تقل سنه عن ثلاثين سنة هلالية .

ثالثا — ان تتوفر فيه الصفات العلمية والخلقية والعملية التى تؤهله لذلك .

المادة ١١ ينتخب المرشد العام من بين اعضاء الهيئة التاسيسية فى اجتماع يحضره على الاقل اربعة اخماس اعضاء هذه الهيئة ويجب ان يكون حائزا على ثلاثة ارباع اصوات الحاضرين .. الخ .

ولا اطيل على القراء فى شرح النظام الاساسى للجماعة ولكننى فقط اردت ان اشير الى بعض النصوص التى لايمكن بوجودها تصور ديكتاتورية نظام هذه الجماعة التى يقسم مرشدها اذا تم انتخابه القسم التالى :

اقسم بالله العظيم ان اكون حريصا امينا لمبادىء الاخوان المسلمين ونظامهم الاساسى والا اجعل مهمتى سبيلا الى منفعة شخصية وان اتحرى فى عملى وارشادى مصلحة الجماعة وفق الكتاب والسنة وان اتقبل كل اقتراح او رأى او نصيحة من اى شخص بقبول حسن وان اعمل على تنفيذه متى كان حقا واشهد الله على ذلك .

واذا اخل المرشد العام بواجبات منصبه او فقد الاهلية اللازمة لهذا المنصب فعليه ان يتخلى عنه كما نصت بذلك المادة ١٦ من القانون الاساسى كما ان للهيئة التاسيسية ان تقرر اعفاءه فى اجتماع يحضره اربعة اخماس الاعضاء ويجب ان يكون هذا الاعفاء بموافقة ثلاثة ارباع الحاضرين واذا لم يحضر الاجتماع العدد القانونى أجل الى موعد آخر لا يقل عن اسبوعين

ولا يزيد عن شهر من تاريخ الاجتماع الاول ويجب ان تتوفر فى هذا الاجتمـاع النسبة المقررة فى الاجتماع الاول من عدد الحاضرين والموافقين فاذا لم يتوفر العدد القانونى فى هذا الاجتماع اجل مرة ثانية • وعلى الهيئة تحديد موعد اجتماع آخر فى مدة كالسابق بيانها مع الاعلان عنه والمهمة التى سيعقد من اجلها وعن ان الاجتماع التالى سيكون صحيحا مهما كان عدد الحاضرين ويكون القرار صحيحا باغلبية ثلاثة أرباع الحاضرين .

وبعد كل هذا نسمع لمغالطة عبد الناصر التى يرددها الدكتور رمضان بانهم لو كانوا مخلصين فى دعوتهم الى الحكم الديمقراطى لكان عليهم اولا حل جهازهم الخاص الذى يتنافى وجوده مع النظم الديمقراطية !!

ولا اظننى فى حاجة الى وصف هذه الحجة بالمغالطة المكشـوفة لان النظام الخاص الذى نشأ عبد الناصر فى احضانه ليدفع طغيان فاروق هو نفسـه الذى ابتاه قادة هذه الجماعة ليدفعوا به طغيان عبد الناصر ! ...

وان دعوى عبد الناصر التى يستتر وراءها الدكتور رمضان فيقول بان مطالبة الاخوان بالديمقراطية كانت محل سخرية واستنكار لان نظامهم الداخلى كان يقوم على التعيين وليس الانتخاب وان جزءا من مكتب الارشاد المنبثق من الهيئة التأسيسية كان بالتعيين ولم يكن رأيه ملزما للمرشد • فلا اجد فى الرد على هذا الا ان احيل الدكتور الى المادة ٢٧ من الفصل الرابع من القـانون الاساسى الخاص بنظام مكتب الارشاد التى تنص على « ان قرارات المجلس صحيحة اذا صدرت من الاغلبية المطلقة للمجتمعين فى اجتماع له الصـفة القانونية » فضلا عن ان اعضاء الهيئة التأسيسية كانوا يخضعون للتمثيل الاقليمى فى كل شعبة من شعب الاخوان فى جميع مناطق القطر وكان عددهم مائة وخمسين عضوا فلا مجال للقول اذا بانهم كانوا صنائع حسن البنا ! .. كما لا مجال للقول بأن حق مكتب الارشاد فى ضم ثلاثة اشخاص من أعضاء الهيئة التأسيسية من ذوى الكفاءة والمؤهلات والسبق فى الدعوة كما نصت المادة ٣٦ من القانون الاساسى تعتبر دليلا على ديكتاتورية المرشد •• وجميع النظم النيابية فى العالم تعطى الحق لرئيس الدولة فى ان يضم الى مجالس الشورى فيها اشخاصا بذاتهم اذا توافرت فيهم كفاءات معينة لم يحقق وجودها نظام الانتخاب العام ! ••

ومع ذلك فمكتب الارشاد هو الذى يعين هؤلاء وليس مرشد الاخوان !! •

ان السخرية التى رمى بها الدكتور رمضان وعبد الناصر القول بـان نظام الاخوان المسلمين قائم على مبادىء الشورى وبعيد عن ديكتاتورية النظم الفاسدة لا نردها اليه بعد كل هذا الوضوح وانما ننديه الى قول الله تعالى « لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم !! » •• وفى الادب الذى

ندبنا اليه الله تعالى فى كتابه العزيز ما يلجم السنتنا عن المضى شوطا آخر ابعد من هذا !! ..

اعتبر الدكتور رمضان ان الخلافات ما لبثت أن دبت داخل الاخوان بالنسبة للموقف من الثورة حتى لقد تقسم الاخوان الى ثلاثة اقسام احدها على راسه البهى الخولى يرى تأييد الثورة والثانى على راسه خميس حميده يحاول التوفيق بين الاتجاهات المختلفة والثالث على راسه المرشد يرفض التعاون مع الثورة .. ويصور ان حدة الخلاف قد بلغت مداها الى درجة اضطرت الاستاذ الهضيبى القيام برحلة الى البلاد العربية يفسح فيها السبيل لانصار التفاهم للقيام بدورهم المأمول!.

ثم يمضى الدكتور بعد ذلك فى سرده « التاريخى » ليقول « وازاء هذه المصيبة التى المت بالجماعة (قرار الحل فى ١٤ يناير سنة ١٩٥٤) اخذت صفوفها تلتئم من جديد فيلاحظ انه عندما خرج الهضيبى وعبد القادر عودة وعبد الحكيم عابدين وغيرهم من المعتقلين بالسجن الحربى يوم ٢٥ مارس سنة ١٩٥٤ ، كان من بين الذين زاروا المرشد لتهنئته ، خصومه الذين طردهم من الجماعة وهم صالح عشماوى ومحمد الغزالى وعبد الرحمن السندى واحمد زكى واحمد عادل كمال ومحمود الصباغ وذكرت الصحف انهم زاروه مهنئين بالعودة ومجددين البيعة ! ومع استئناف الجماعة نشاطها استأنفت ايضا اعادة تنظيم جهازها السرى ... ولكن فى ظروف ملائمة هذه المرة لان عبد الرحمن السندى وجماعته كانوا قد دخلوا فى مصالحة مع الهضيبى.

ان كبوة القلم عند الكاتب اشد خطرا من كبوة الجواد ! وكبوتها عند المؤرخ اشد وقعا من طعنة الحسام .. فقد اختلطت الامور عندالدكتور فما عاد يعرف ان المرشد زار البلاد العربية فى اوائل يوليو سنة ١٩٥٤ بعد خروجه من السجن الحربى بثلاثة اشهر من المصالحة التى جرت بينه وبين السندى وصالح عشماوى والغزالى واحمد زكى واحمد عادلكمال وبقية المفصولين ـ كما يدعى .. والتى قرر على اثرها ان صفوف الجماعة آخذت تلتئم من جديد وان الجماعة استأنفت نشاطها فى ظروف ملائمة هذه المرة .. ثم بعد ثلاثة اشهر ـ لا اكثر ـ بلغت حدة الخلاف مداها بين البهى الخولى والمرشد وخميس حميدة حتى اضطر الى الخروج الى البلاد العربية ليفسح الطريق الى الراغبين فى التفاهم مع الحكومة !! ..

ان الدكتور لم يفصح لنا عن سبب هذا التفسخ المزعوم فى صفوف الجماعة بعد ثلاثة اشهر فقط من زيارة الخارجين عليها للمرشد ومصالحتهم له ! لماذا جرى هذا التفسخ المزعوم الذى ادعاه الدكتور رمضان ؟!

كان الاولى به — وهومن يعيش بنبضاتتقلبه فى احداث التاريخ — كما يقول وتؤرقه المظالم حتى تبكيه ان يعيش ايضا بنبضات قلبه مع عزة الرجال وجلال المواقف التى كان يفترض فيها ان تسعده وتشجيه ! ..

ان عبد الناصر نفســه اعترف بفشله فى تقطيع اوصال الجماعة التى وقفت صامدة لكيده وخرجت بعد الحل والاعتقال اصلب عودا واثبت قــدما على الحق الذى رآه رائدهــا ومضى بها اليــه حتى لقــد زاره فى بيتــه معتذرا منيبا كما زاره جميع المفصولين من الاخوان — كما تقول — والعجيب فى أمر الدكتور ان رؤيته للحقيقة لم تقربه من رؤية الحق ..

كان الاولى به ان يرى زيارة المرشد للاقطار العربية انما جرت من موقع القوة لا من موطن الضعف .. ! بعد هذه التجربة التى خاضتها الجماعة بعد الاعتقال ! وخرجت منها شامخة الراس نقية الثوب من الاكاذيب التى اتهمتها بالعمالة ..

وكان يمكنه من هذا المنطلق ان يفسر سفر المرشد وبعــده عن مسرح الاحداث فى مصر بما يؤكد طمأنينته الى موقف الجماعة منه ، الامر الذى يعتبر صفعة للمرجفين بدعاوى عبد الناصر من ان المرشد هو سبب الخلاف بين الاخوان والحكومة ويجب تنحيته ليتم التفاهم بين الاخوان والحكومة !

وكان يمكنه ايضا أن يفهم قول المرشد بأنه لا يرى سببا يدعو الى الخلاف بينه وبين عبد الناصر من منطلق هذا الفهم ايضا فان وجوده على راس جماعة الاخوان لا يمكن ان يكون سببا لدى الحكام الشرفاء يدعو الى الخلاف !

بل ان معارضته للاتفاقية الناصرية الانجليزية لا يصح أن تكون سببا — لدى المخلصين من الحكام — يدعو الى الفرقة أو المنابذة ! ..

ولو خلع الدكتور رمضان نظارته السوداء التى يرى بها سلوك الاخوان المسلمين لادرك ان خميس حميده الذى ادعى انه كان على رأس فريق يناهض الهضيبى هو نفسه الذى سلم المذكرة التى قدمها الاخوان المسلمون فى ٢٢ اغسطس سنة ١٩٥٤ عن رأيهم فى الاتفاقية والتى تضمنت نفس تصريحــات المرشد فى جريدة بيروتية اثارت عبد الناصر وجرعته الغصص لفضيحته فى شروط اتفاقيته مع الانجليز ..

وانه ليؤسفنى حقا ضياع معالم الحق عنــــد الدكتور رمضان حين لا يستطيع دفع تزاحم الصور السوداء عن ناظريه فى تعليقه عن معارضـــة

الاخوان للاتفاقية فيقول ان الهضيبى قد استعار تكتيك الوفد النضالى الذى استخدمه عام ١٩٣٠ لايقاف مشروع محمد محمود ـ هندرسون حين رفض النحاس ابداء رايه فى المشروع الا تحت قبة البرلمان المنتخب انتخابا صحيحا .. ثم يستطرد فيقول : « على ان الاخوان فى الحقيقة كانوا آخر من يدينون مثل هذه الاتفاقية بين عبد الناصر وانجلترا لانهم سبق لهم ان قبلوا الاسس التى قامت عليها اثناء مفاوضاتهم مع ايفانز » !! .

وانى لاسأل الدكتور بعيدا عن المزايدات الكلامية والمهاترات الحزبية .

من كان اول المعارضين لهذه الاتفاقية اذا جرى ترتيب الاخوان عنده فى آخر القائمة !! ومن الذى اكتوى بنار هذه المعارضة خلافهم ! ..

ومن كان اول المطالبين بالحرية والنظام النيابى اذا كان الاخوان آخر المطالبين به !؟ .. ومن الذى بذل فى هذا السبيل ما بذلوه من دماء شهدائهم ..

وهل سمع للوفد ورجال الوفد صوت فى هذا الصدد ؟ .. ولماذا لم يكرر النحاس باشا مع عبد الناصر ما سبق ان كرره مع محمد محمود ـ هندرسون !؟ ..

ومن من رجال الوفد الكبار او الصغار بذل دمه فى عهد عبد الناصر ليروى به شجرة الحرية ؟ كما رواها عبد القادر عودة ورفاقه ..

انا انكر على عبد الناصر قوله بعد حل الاخوان المسلمين ـ والذى ورد فى كتاب احمد ابو الفتح منه من ان هذه الامة ليس فيها رجل واحد. بل اقول انها امة شجاعة ابية انبتت غرس الاخوان المسلمين فشرفتها وشرفت بها ..

ولكن ..

انكر على هذه الاقلام الحيرى فى تيه الظلام ان تنال غراس هذه الامة بالتجريح .. وتقدم التاريخ للشباب على مائدة الحزبية الشوهاء !! ..

ايتها الاقلام !!

كفى عن العبث بقيم الرجال فما رويت شجرة الحرية بالمهاترات وما نقص من قدر جماعة الاخوان ما ادعاه عبد الناصر وسدنته بالامس واليوم ان الجماعة وافقت على اتفاقيته مع الانكليز فالحقيقة التى سقناها فى هذا الصدد بالامس القريب فى ردنا على الدكتور رمضان ابلج من صبح ينال من اشراقه سهم غارب من سهام الدكتور !.

— يمكن للقارىء ان يقرا ردنا على هذا المقال وما سبقه فى الملحق الرابع من هذه الدراسة بعنوان : ردودى على صلاح شادى (المقال السادس) .

المقال الحادى عشر لصلاح شادى

« لماذا يتجنى البعض فى تصوير جماعة الاخــوان المسلمين »

(الوطن فى ٣٠ ينـــاير ١٩٨١)

فى مقال الدكتور رمضان بتاريخ ١٢ يناير سنة ١٩٨١ م تحت عنوان « بينى وبين صلاح شادى » قرأت قوله بالخط العريض « ذكر ما لم يحدث .. ورد على ما لم أقل » .. وأورد فى مقاله هذا ان هدفى من ذلك تشكيك القراء فى الدراسة والنهج العلمى الذى قامت عليه ! ..

وقرأت قبلها فى جريدة الوطن بتاريخ ٧ يناير سنة ١٩٨١ م ردود القراء على الدكتور عبد العظيم رمضان ! ضمنوها رأيهم فيما كتب تحت عناوين مختلفة أحدها « التجنى على الاخوان بين العلمانية والاهواء الشخصية ! .

وبدا من المقالين رأى القراء فى « النهج العلمى » الــذى قامت عليه دراسة الدكتور رمضان ! .. التى قامت فى معظمها على تحقيقات جمال سالم فى المحكمة ! ..

ولم أتبين اثر الشكوك التى ادعى الدكتور رمضان انى أوحيت بها الى القراء! . وانما كانت كل الردود تنطبق من موطن الثقةواليقين لا من موضع الشك والتخمين ، ولا شك أن القراء ادركوا من منطوق حديثه ما أدركت ! ..

وربما كان من المفيد ان أوضح للقارىء كيف تلتبس الحقائق فى نفس الدكتور رمضان لا فى عقل القارىء الامر الذى دعا أحد القراء أن يجعل عنوان مقاله فى الرد على الدكتور « اين عقولنا يا معشر المثقفين ؟! » ..

ان أسلوب الدكتور رمضان فى الكتابة عن التاريخ لا يمكن ان يوصلك الى حقيقة ثابتة الابعاد ، وانما يمضى بك فى دروب ومفاوز تقذنك بعيدا عن مطلبك فى ادراك الحقيقة ! ، وحين تستوحش من هذه الدروب وتتوه فى هذه المفاوز يكون قد نجح تماما فيما يقصده من وراء كتابته وهو اثارة الرعب أو التقزز أو النفور من الرجال أو الجماعة أو السلوك الذى يعرضه فى ثوب التاريخ ! . فاذا حاولت الوقوف مع حقائق هذه الصورة التى يحاول ايهامك بها ومناقشته بالحجة المنطقية عما دعاه الى اثارة هذه الاشباح ، فر هاربا من اشباحه التى اوهمك بها ! وادعى براءته من خلق الاشباح ومن صناعة الصور واختفى وراء كلمات يتجهز بها للدفاع عن مثل هذه المواقف الكاشفة

.. ولكن لا تجديه كلماته نفعا ، لا له ولا للحقيقة ، لان الصورة التى حققها فى وجدان القارىء تزلزلها هذه الكلمات ، والاشباح التى صورها لا تصمد امام التناقضات ولذلك توخيت فيما أكتب الا تحجبنى عبـــاراته الدافئة عن الواقع الذى يريد أن يصوره للناس فأوقفت القارىء على هذه الانطباعات وتركت له عرضرايه الذى يدين به ، اذا شاء ، فهذا أزكى لمعرفة الحقيقة التاريخية غير ملبسة بالاشباح والاوهام ! ..

وفيما ترويه اليوم ان شاء الله فى الرد على الدكتور توضيح لما نقول ..

يقول الدكتور رمضان فى الحلقة الثانية من مقالاته فى معرض حديثه عن وزارة حسين سرى التى اعتقلت المرشد حسن البنا والاستاذ أحمد السكرى والاستاذ عبد الحكيم عابدين :ــ

« على ان الاقدار فى ذلك الحين كانت تعد لاول صدام بين الســـلطة والاخوان المسلمين فى ظروف لم تكن قد نضجت لها قوة الاخوان ففى عهــد حسين سرى باشا ــ وبطلب من السلطات البريطانية ــ تمت مصادرة مجلتى التعارف والشعاع الاسبوعيتين والغى ترخيص مجلة المنار الشهرية التى اعاد الاخوان اصدارها بالتعاون مع ورثة الشيخ رشيد رضا ومنع طبع اى رسالة من رسائلهم او اعادة طبعها واغلقت مطبعتهم ، ومنعت اجتماعاتهم وحظر على الصحف نشر اخبارهم ، وفى ١٩ اكتوبر سنة ١٩٤١ اعتقلت الحكومة حسن البنا واحمد السكرى وعبد الحكيم عابدين واودعوا معتقل الزيتون وبذلك تعرضت الدعوة لاول خطر حقيقى تشهده منذ ظهورها ٠

على ان القصر لم يلبث ان تحرك لانقاذ الاخوان ، واضطر حسين سرى الى الافراج عن حسن البنا واحمد السكرى فى ١٣ نوفمبر اى قبل مضى شهر واحد على الاعتقال كما افرج عن عبد الحكيم عابدين الخ .. ثم يمضى فيقول :ــ

على هذا النحو انتهت المحنة الاولى سريعا ، ولكن بعد ان خلف اثرين فى خطـــة البنـــــا :

أولا : تحاشى الاصطدام مع البريطانيين بأى ثمن تفـــاديا لاجهـــاض دعوته ٠

ثانيا : بناء التنظيم السرى ٠

وهكذا اعترف الدكتور رمضان بأن التنظيم الخاص قد نشأ نتيجــة لعدوان الحكومات على حرية الافراد ونشاط الجماعة العام !بتسليط مـــن الانكليز ! ..

وهذا يدعونا الى وقفة هادئة مع الدكتور نساله فيها لماذا انكر ــ بعد هذه المعلومة التى اوردها فى دراسته ــ ان بناء التنظيم الخاص انما قـــام

لقهر الانكليز واخراجهم من البلاد حتى ليتساءل مستنكرا فى جريدة الوطن فى (٢٦ — ١١ — ١٩٨٠ م) « ولماذا يغضب الاستاذصلاح شادى من تحليل تاريخى يثبت أن التسليح من جانب البنا لم يكن لاسباب تتعلق باخـــــراج الانكليز ، وانما لاسباب تتعلق باقامة حكومة اسلامية !؟ » .

كيف نفسر قوله هذا « بأن التسليح من جانب البنا لم يكن لاسبابتتعلق باخراج الانكليز بينما رأيناه فى الحلقة الثانية من مقالاته يقر بأن انشاء النظام الخاص كان نتيجة للعنف الذى وقع على البنا وعلى حرية نشاط الجماعة بايعاز من ألانكليز ؟! .

فاذا افزعك هذا التناقض وبدا شبح النظام الخاص « الذى لم ينشــأ لمواجهة الانكليز » (!!) كريها يثير أمام القارىء اسئلة تشكك فى حقيقة هذا الانطباع الذى يعنى فى نهاية المطاف تربع الخيانة على خط سير الجمـــاعة واهدافها عاجلكبلمسة رقيقة يصارع بها هذا الشبحفى نفسك فيقول«وانما لاسباب تتعلق باقامة حكومة اسلامية ؟! » .

وهى حقيقة لا شك فيها ، سيقبلها وجدانك على ان الدكتور المؤرخ يتوخى الانصاف ! .. ولا يعنيه بعد ذلك ان يتساءل القارىء وكيفتقـــوم حكومة اسلامية فى وجود المستعمر الانكليزى ؟! .

فقد كفاه ان يعطيك هذه اللمسة التى تبدو كأنها منصفة حتى لا توليه ظهرك فى متاهة دهاليزه الفكرية .. لكى يعيدك من ورائها الى « محـــرابه المقدس » الذى يروى عنه تاريخ هذه الجماعة !؟ .

ثـم ...

يضيف الى ذلك تأكيده بأن « اقامة الحكومة الاسلامية هو الدافـــــع الاساسى ، بل المحرك الوحيد لكل سياسات البنا العلنية والتحتية ،وليس القفز على الحكم والوصول اليه على جثث وهامات المواطنين » (الوطن فى ١٣ يناير سنة ١٩٨١ م) .

ومع ذلك فاذا استعرضت مقالاته وجدتها تروى الاتى عن حسن البنا :ـ

ـ حسن البنا « يتحالف مع القصر الذى يقف موقفا معتدلا من الانكليز ولا يقول « يصانع » القصر فحسب كما ورد فى مقاله فى جريدة الوطن فى ١٣ يناير سنة ١٩٨١ م ، ولكنه يؤكد تحالفه مع القصر ! (كما فى مقاله فى جريدة الهدف فى ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٨٠ م) !

ـ وحسن البنا يحصل على ثمن هذا التحالف المزعوم « مجموعة من التسهيلات الرسمية التى منها اصدار جريدة رسمية للجماعة باسم الاخوان »! (الهدف فى ٢٠ توفمبر سنة ١٩٨٠ م) ـ ويتحاشى الاصطدام بالانكليز بأى ثمن تفاديا لاجهاض دعوته !! كما ورد فى الحلقة الثانية من مقالاته فى جريدة الهدف ! .

ـ وتختلف المصادر حول قبول او عدم قبول نوع من الدعم المالى (من الانكليز) كما ورد كذلك فى الحلقة الثانية من مقالاته حيث يستطرد فيقول :ـ

وسواء قبل الاخوان دعما من بريطانيا ام لم يقبلوا فمن الثابت انهم امتنعوا عن القيام بأى نشاط ضد البريطانيين !! •

فماذا يعنى كل هذا فى ذهن القارىء اذا تصور ان الحكومة الاسلامية يمكن ان تنهض على اشلاء الفضائل والقيم والمثل والاخلاق ؟! •

هل هذا طعن فقط فى حسن البنا ومساره التاريخى ام فى مفهـــوم الحكومة الاسلامية ذاته اذا جرى تأسيسها على هذه الصورة ؟ •

وكيف تبرأ نية حسن البنا اذا جرى سلوكه على هذه الصوره المهلهلة البعيدة عن الخلق والفضائل التى رسمها له الدكتور رمضان ؟!

ومثل آخر اضربه فى هذا الشأن من واقع مقالات الدكتور ••

فقد أراد ان يصور الاخوان المسلمين فى قسم البيعة الذى يجرى بين الاخ الجديد فى النظام الخاص وبين المسئول عن النظام ، فساق فى مقاله فى جريدة الهدف فى ٦ نوفمبر سنة ١٩٨٠ م اعترافات المرحوم عبد المجيد احمد حسن فى تحقيقات النيابة فى تهمة مقتل النقراشى ـ بعد شهر ـ انكر خلاله ارتباطه بأى شخص دفعه او دعاه الى ارتكاب هذا الحادث فقال :ـ

وعند نجاح العضو ، كان يؤخذ لحلف اليمين على الطاعة والكتمان وقد رسم عبد المجيد حسن صورة تحفها الرهبة لحلف اليمين فذكر انه توجه الى احد المنازل بالصليبة «وهناك عند الباب قابلنا شخص اسمه عبدالرحمن السندى ، وصعدنا الى الطابق الثانى ، ودخلنا غرفة اخرى فردا فردا وكان فى الغرفة شخص « ملثم » هو الذى تلقينا عنه البيعة ، وكان امامه مصحف ومسدس قال عنهما انهما الوسيلة الوحيدة لنصرة الاسلام وانه يجب على الطاعة والقسم على ذلك وان الذى يفشى سرا من اسرار هذا النظام الخاص فجزاؤه الموت فى اى مكان يحتمى به » •

وروابط افراد العصابات « كالمافيا» ونحوها لا تزيد كثيرا عن هـــذه الصورة التى أراد الدكتور رمضان ان يعطيها للقارىء وخاصة ما يتعلق بهذا الشخص « الملثم » الذى يأخذ البيعة من العضو الجديد ! •

فاذا تناولت فى مقالى هذه الصورة بأنها صورة مهولة « مهوشة » لما يجرى عليه قسم البيعة الذى لا يمكن ان تصح اركانه الا فى جو من المعرفة بين الذى يأخذ البيعة لنفسه او لغيره ، وبين العضو الجديد فما اظننى اكون قد عدوت الحقيقة بحال من الاحوال ! ولقد وصفت هذه الصورة « بالتهويش» ووضعت اشارات التنصيص على الكلمة لانها لفظ عربى استعمل اســـتعمالا دارجا ولم أعن قط ان هذا اللفظ بذاته قد صدر من الدكتور ولكن لا شك ان مضمون هذا اللفظ قد صدر فعلا من الدكتور حيث ان ما رواه فى هذا الشأن

لا يوصف فى حقيقته الا بأنه « تهويش » ٠٠ فواقع الصورة التى جعل الدكتور رمضان مصدره الوحيد فيها اقوال المرحوم عبد المجيد احمد حسن وحده بعد شهر من الانكار ، لا تحمل فى جوهرها الا هذا الوصف ! ٠

ومع ذلك رايته فى مقال الثلاثاء ١٣ يناير سنة ١٩٨١ فى جريدة الوطن يدفع عن نفسه كلمة « التهويش » انه لم يقلها ٠٠٠ وان لم يدفع مضمونها ! ٠٠ وهذه الكلمة لا تفهم فقط على انى اعنى من ورائها تخصيص لفظى لما قاله الدكتور رمضان .. وانما تعنى تخصيص هذا المضمون الذى لا يختلف أحد فى فهمه ٠

وينكر الدكتور رمضان مضمون دعوانا عليه انه قال عن حسن البنا انه كان « يبغى القفز على الحكم والوصول اليه على جثث وهامات المواطنين » ويقول فى الرد على ذلك « فهل ادعينا على الشيخ حسن البنا هذا الادعاء واين ؟.. ان الدراسة بين يدى القارىء فهل وجد فيها هذا الادعاء ويمضى فى دفاعه فيقول : « وكيف يتفق هذا الادعاء مع ما أوردناه من رغبة البنا فى ترشيح نفسه لعضوية البرلمان ؟ ٠

ولكى أجيب القارىء على تساؤلات الدكتور رمضان اعيده الى مقاله الوارد فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩٨٠ م فى جريدة الهدف حيث يقول :

« ولما كان الاخوان قد أقروا موقف السلامة منذ المحنة الاولى وطوال مدة الحرب فان دخولهم الى المعترك الوطنى كان يحمل معه خطر الاضرار بمسيرة الدعوة وتعريضها للهزات السياسية قبل ان تتهيأ تماما للقفز على الحكم !! »٠

ــ فاذا اضفت الى هذه « التهيئة للقفز على الحكم » التى تنتظم سياسة الجماعة تصويره المخيف لاسلوب التسليح لها « وطريق العنف » الذى لا يكاد يخلو مقال من مقالاته من الاطناب فيه على انه اسلوب وطريق الاخــــوان المسلمين ٠

ــ واذا اضفت الى كل ذلك ايضا قوله ان البنا قد انتقل من وسيلة الحب والتعارف « الى وسيلة القوة والاستعداد لاقامة الحكومة الاسلامية عن طريق العنف » ! لما امكنك ان تفهم صورة « القفز على الحكم انها هواية رياضية تفضلها الجماعة ، وانما معناه ثورة مسلحة تأكل الاخضر واليابس وتطيح بالهامات والرؤوس الامر الذى نفاه الاخوان المسلمون فى رســـــائلهم وفى سلوكهم كما سبق ان اوضحت فى مقالات سابقة وفى رسائل الامام الشهيد حسن البنا ٠

ــ فالامر بعد ذلك لا يحتاج الى وضوح لتأكيد انطباع القتل والتخريب والتدمير فيما يقوله الدكتور عن الاخوان المسلمين حين تقرا له مقـــــاله فى جريدة الهدف فى ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٨٠ م حين يقول :

« فبفضل التخطيط الاخرق لحوادث العنف التى ارتكبها التنظيم السرى لجماعة الاخوان ضد اليهود والانجليز ··· كانت الاغلبية الساحقة من الضحايا من المصريين وليس من اليهود او الانكليز ·· ثم يستطرد « ولو ان هذه العمليات كانت ضمن عملية كبرى للاستيلاء على السلطة واقامة الحكومة الاسلامية لكان لها معنى ، ولكنها قامت بغير غرض ثورى حقيقى فقدت قيمتها النضالية .. الخ .

وفقرة اخرى يقول فيها « وهكذا يختلف العنف الثورى والعنف غير الثورى ، فالعنف الثورى فيه نفحة بناء ولكن العنف غير الثورى ليس فيه سوى الهدم والتخريب » ! .

وانا لا ادين هذا الفهم المتزن فى تفريقه بين دفع المنكر لاقامة المعروف وبين دفعه ليخلفه منكر اشد منه ولكن اضيف الى هذا القول الحقائق التالية:

١ ـ أن الاخوان المسلمين لم يشاركوا فى احداث اصابت جمهور المصريين سواء قصد بها اليهود ام الانكليز · وليت الدكتور رمضان يثبت لنا حادثا واحدا ادين بهأحد الاخوان فىنفس الوقت الذى قتل فيه احد المصريين!

٢ ـ ان ما يتعلق بالانكليز كحادث القطار الانكليزى الذى القيت بداخله قنابل فأصابت الجنود الانجليز فى الشرابية لم يكن هواية ولم يصب فيه احد من المصريين بسوء وانما جرى ضمن مخطط عام انتهى الى جلاء الانكليز عن قلعة محمد على فى ٤ يوليو سنة ١٩٤٦ م وخرج اخر الجنود البريطانيين من ثكنات قصر النيل فى ٢٩ مارس سنة ١٩٤٧ وانتهى الامر بهذه المعارك الجزئية الصغيرة الى معارك القنال التى خاضها الاخوان واجهضها حريق القاهرة الذى قال عنه عبد الناصر فى حفل افتتاح مجلس الامة سنة ١٩٦٠م « انه كان اول بادرة للثورة الاجتماعية على الاوضاع الفاسدة وحريق القاهرة هو تعبير شعبى عن سخط الشعب المصرى على ما كانت ترزح فيه مصر من اقطاع واحتكار واستبداد رأس المال » (١١) ·

٣ ـ ان ما اصاب اليهود فى ٢٠ يونيو سنة ١٩٤٨ بنسف بعض مساكنهم فى حى اليهود كان بمثابة رد فعل لمذابح دير ياسين ! ·· كما ان ما القته الطائرة الاسرائيلية التى حلقت فى سماء القاهرة والقت قنابلها على حى « البرامونى » فقتلت كثيرا من المصريين بجوار حى عابدين كان رد الوطنيين عليه الانفجار الثانى فى ٢٢ سبتمبر الذى دمر جزءا آخر من حى اليهود أما انفجار متجرى شيكوريل واريكو فقد عزتها التحقيقات الحكومية الى قنابل الطائرات الاسرائيلية التى القتها فى فترةالانذار فى ١٧ يوليو سنة ١٩٤٨ ·· ولم تثبت ادانة الاخوان فى اى من هذه الاحداث الا ما جرى فى

روح النقراشى وعبد الرحمن عمار صاحب مذكرة حل الجماعة !! وجـــرت الصحف بعد ذلك على منواله فى حملتها العاتية ضد الجماعة ! ٠

ـ مع ذلك فالاخوان المسلمون فى نظر الدكتور لا يؤمنون بالعنف الثورى البناء ٠٠ ولكنهم يؤمنون بالعنف غير الثورى الذى لا يحمل الا الهدم والتخريب الذى جعلوه وسيلتهم لاقامة الحكومة الاسلامية عن طريق العنف ! ٠

ـ ولكن ٠٠٠

ـ فى نفس الوقت يدفع عنهم تهمة التفز على الحكم على جثث وهامات المواطنين !! ٠

ـ فكيف تستقيم صورة هذه الجماعة فى ذهن القارىء ، كـمـا اراد الدكتور ان يصورها !! ٠

وقبل الانتهاء من مقالى هذا اشرح ما انكره على الدكتور رمضان فى مقاله فى جريدة الوطن الصادر فى ١٢ يناير سنة ١٩٨١ م من اصرارى على ان البنا لم يتفق مع النحاس باشا على عدم الاشتغال بالسياسة وان الامــر الذى كان معروضا للمناقشة فقط هو تنازله عن ترشيح نفسه لعضوية مجلس النواب ٠٠ وليس عدم الاشتغال بالسياسة على اطلاقه والتنازل عن الترشيح ـ كما يعلم عامة الناس ليس معناه التنازل عن الاشتغال بالسياسة !! ٠

ولكن الدكتور يصر مع ذلك على دعواه ويقدم عليها الـدليل الآتى فى مقاله سالف الذكر :

اولا : كان البنا ملزما بقبول هذا المطلب دستوريا لان جماعته لم تتالف بوصفها حزبا سياسيا وانما كجماعة دينية ٠

ثانيا : كان بوسعه (حسن البنا) ان يتحدى النحاس ويشـــتغل بالسياسة رغم انفه باجراء بسيط يعلن به جماعته حزبا سياسيا » ٠

ثالثا : الاشتغال بالسياسة معناه العمل على تحقيق الاهداف عـــن طريق الحكم واسبابه المؤدية اليه كالانتخابات وغيرها ، وما فعله الشـــيخ حسن البنا بتنازله عن ترشيح نفسه لعضوية البرلمان هو تسليم منه بعـــدم الاشتغال بالسياسة ٠

وانى لاعجب كيف ينتهى بى الحوار مع الدكتور الى الدوران فى هـذه الحلقة المفرغة ؟! ٠

ـ فما الذى يمنع من ترشيح نفسه مستقلا عن الاحـزاب وبدون تحويل جماعة الاخوان المسلمين الى حزب سياسى كما فعل أيام وزارة النحاس ووزارة احمد ماهر فعلا وتنازل فى الاولى عن ترشيح نفسه وفى الثانية اسقطه احمد ماهر بعد اتمام الانتخابات !! ٠

ـ وما الذى يدعو البنا الى ضرورة اعلان الجماعة حزبا سياســـيا

ليتناقض بهذا الاعلان للفهم العام للاهداف الشاملة للجماعة ؟! وخاصة وهو يرشح نفسه ونفر بسيط ممن معه لدخول البرلمان ؟ باعتباره مستقلا عن الاحزاب ٠

والدستور يعطى المواطن حق الترشيح وحق الانتخاب ٠٠ فهل اذا تنازل المواطن عن حقه فى ترشيح نفسه يعنى بالضرورة تنازله عن حق الانتخاب ؟! وهما شطرا الاشتغال بالسياسة كما يفهمها الدكتور !

لماذا يضطرنى الدكتور الى الخوض معه فى هذه البديهيات ؟! ٠

ان الواقع قد انكر على الدكتور رؤيته فى أنه كان من اللازم ان يتنازل البنا عن « الاشتغال بالسياسة » والا فلماذا أجهد النحاس باشا نفسه معه لمطالبته بالتنازل عن ترشيح نفسه ؟ ٠٠ ولماذا اضطر احمد ماهر الى تزييف الانتخابات فى دائرة الاسماعيلية عندما رشح البنا نفسه فيها وكان يكفى فقط رفض اوراق ترشيحه لمخالفتها للاصول الدستورية التى يدعيها الدكتور ؟! ٠

ويتهمنى الدكتور فى هذا الصدد بالتجنى على النحاس باشا لانحرافه عن الخط الدستورى الديمقراطى اثناء وزارته باغلاق الشعب ومصادر نشاطها ومراقبة تحركات الافراد قبل ان تشارف سنة ١٩٤٢ على الانتهاء مناقضا بذلك اتفاقه معه .

ورد على سهمى الذى اطلقته على سياسة النحاس باشا ببيان جماعة الاخوان المسلمين عام ١٩٤٨ الذى صدر بعد حل الجماعة على يد النقراشى ، فقد اتهم البيان انكلترا وفرنسا وامريكا بأنها كانت وراء قرار الحل .. وعقد البيان مقارنة بين موقف الاستجابة لهذا التدخل من جانب النقراشى وبين موقف النحاس باشا عام ١٩٤٢ ، وادعى الدكتور أن البيان أشاد بموقف النحاس باشا حيث قال لقد طلبت السفارة من رفعة النحاس باشا فى سنة ١٩٤٢ — والحرب العالمية على اشدها والالمان على الابواب حل الاخوان المسلمين وتعطيل نشاطهم فلم يجبها الى ذلك واكتفى باغلاق الشعب كلها مع بقاء المركز العام الى حين » .

واعتبر الدكتور ان هذا البيان قد انصف النحاس باشا ليس فقط من شانئيه وانما انصفه منى ايضا ! ..

لقد فرح أولادى حين استبدل عبد الناصر حكم الاعدام بالاشغال الشاقة المؤبدة ؟! بل وهنأ الكثير اسرتى بهذا القدر من احتفاظ عائلهم بحق الحياة . فهل اعتبر اولادى ان الاشغال الشاقة المؤبدة انصافا من عبد الناصر لابيهم ؟! ٠٠

ــ لقد « اعدم » النقراشى جماعة الاخوان المسلمين بحلها ٠٠ بناء على تدخل الدول الكبرى الذى استجاب له فناله وزر كبير ٠

وطلب الانجليز من النحاس سنة ١٩٤٢ « اعدام » جماعة الاخوان

فخفف الحكم الى سجنها وتعطيل حياتها الى أجل غير مسمى باغلاق الشعب، منافذ النور الى الناس واستبقى المركز العام الى حين فكان وزره أثقل ! .

وشتان بين الاعدام الكامل وايقـــاف مسيرة الحياة الى حين ولكن كليهما ضد الحرية وضد كرامة الوطن والمواطنين ! .

ومن الفكاهات المصرية الهادفة ان قرويا عاد من حقله الى قريته وسط زراعة قصب كانت فيها ـ من باب الصدفة ـ احدى العصابات التى امسكت بالرجل ونصبت له محكمة من اعضائها بتهمة الاعتداء على امنها بالمرور على المكان الذى تختبىء فيه وحكمت عليه بالاعدام ومصادرة المواشى وتجريده من ملابسه !! فلما استرحم رئيس العصابة نصحه باستئناف الحكم ! فاستجاب القروى لرجائه فأبدل الحكم بمصادرة المواشى واعاد اليه ما يستر عورته واطلقه فجرى الى بيته وهو يصرخ « يحيا العدل » ! ..

سأجعل كلمات الدكتور التى نشرها فى جريدة «الوطن» فى سجاله معى فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٨٠ م عن رؤيته لجماعة الاخوان المسلمين هى خاتمة حديثى اليه . فقد انطبع فيها صدقه حين يقول عن حركة هذه الجماعة انهـا حركة متجددة مابقى شباب واسلام وان هذه الحركة التى أرسى اسسها المرحوم الشيخ حسن البنا سوف تستمر (ان شاء الله) الى نهاية التاريخ فى بلادنا العربية .. ولن يوقفها سقوط الضحايا على جانبى الطريق .. ربما يغذى مسيرتها ويدفعها الى الامام ! .

وسأجعل هذه الحلقة نهاية المطاف بينى وبين الدكتور رمضان فأنا احب أن القى الناس بقلب سليم وجميع مقالات الدكتور التى كتبت فى جريدة الهدف الغراء قبل ذلك وبعد ذلك قد اشترتها الجريدة قبل أن يجرى هذا السجال بينى وبينه ! وقد ارى فيما كتبه الدكتور سابقا ما يدعو الى جرح ما حققته هذه المساجلة من وضوح فى رؤية هذه الحقيقة التى ابرزها الدكتور فىجريدة الوطن .

وبالرغم مما جددته هذه المناقشة فى قلبى وقلمى من رغبة فى تسجيل حقائق التاريخ التى عاصرتها من زاوية مشاركتى فيها فانى اظنها قد اتاحت ايضا للدكتور رمضان فرصة الرؤية للحقائق التاريخية من زاوية جديدة لم يتناولها قلمه من قبل وانى اعتبر هذا القدر من الزاد كافيا للمضى بى الى تسجيل ردى على وجهات النظر التى ابداها الدكتور ويبديها غيره فى غير مجال الدراسة الصحفية .

وانى اذ اشكر صحيفة « الوطن » الغراء ، لا انسى ان اكرر فى هــذا الموطن شكرى ايضا للدكتور رمضان الذى أتاح لى فرصة الحديث الى القراء فى المساجلة الشيقة التى جرت قرابة اشهر ثلاثة من عمر جريدة الوطن المديد ان شاء الله وعلى مدى نصف قرن من الزمن أو يزيـــد من احداث تاريخنا المعاصر

ملحق رقم «٤»

ردودى على صلاح شادى

بجريدة الوطن الكويتية

المقال الاول

الخلاف بينى وبين صلاح شادى مشؤه اختلاف مواقعنا

(الوطـــن فى ١٧ نوفمبـر ١٩٨١)

الاستاذ صلاح شادى مناضل قديم من مناضلى جمـاعة الاخوان المسلمين ، اكن له الاحترام والاكبار بقدر ما ناضل وضحى فى سبيل الجماعة التى انتمى اليها ، والفكرة التى آمن بها . وانا شديد الحزن لأنه اسـاء فهمى الى هذا الحد الذى تبدى فى مقاله . فلقد كان قصارى ما توقعته من تقديم مثل هذه الدراسة فى التاريخ المعاصر ، حيث كثير من الأبطال الذين لعبوا أدوارا فى التاريخ مازالوا احياء ، وبعضهم مازال يواصل نشاطه السياسى — ان يكون الخـلاف بينى وبينهـم متعلقـا بتصـحيح بعض الوقائع ، أو اضافة بعض التفصيلات ، أو حتى تفسير بعض الاحداث — اما ان يصل الأمر الى اساءة فهم الدوافع التى دفعتنى الى القيام بهـذا العمل العلمى ، واهالة الشبهات على هذه الدوافع — فهـذا مـا كنت استبعده لحد كبير .

والحقيقة ان كل الخلاف بينى وبين المناضل القديم الاستاذ صلاح شادى منشؤه اختلاف الموقع الذى ينظر منه كلانا الى الاحداث ، فهـو ينظر الى الأحداث من موقع المشارك فيها ، الذى يتحمل شطرا هاما من المسئولية عما تمخض عنها من نتائج ، ومن فشل أو نجاح ، أما أنا فانظر الى الاحداث من موقع المؤرخ الذى لا يعنيه شيء سوى استرداد الحدث التاريخى من الماضى واعادة تركيبه من جديد كما كان ، أو قريبا مما كان ، باتباع أساليب البحث العلمى ، ووفقا لاصول منهج البحث التـاريخى ، بغرض شحذ ذاكرة شعبنا العربى ، وتعميق وعيه القومى بتاريخـــه ونضاله ، ولكى يستفيد من دروس التجربة ، ويسـتخلص من الماضى عبرته .

وانا أزعم أن الموقع الذى انظر منه الى الاحداث ربمـا كـان اكثر موضوعية وتجردا من الموقع الذى ينظر الاستاذ صلاح شـادى . ومن ثم فان ما اعتبره سـيادته تجنيا منى فى تصوير جماعة الاخوان المسلمين ، منشؤه فى الحقيقة اختلاف الصورة التى رسمتها ، عن الصـــورة التى ارتسمت فى ذهنه على مر الزمن للجماعة ،والتى يود أن ترتسم فى اذهان كل الناس ، وان يكتب التاريخ وفق خطوطها الرئيسية ، وهو أمر مستحيل .

واذا كان فى وسعى ان اقول انه لا يوجد لدى — كمؤرخ — ما يدفعنى الى التجنى على جماعة الاخوان المسلمين ، فاعتقد أنه لدى — ككاتب سياسى — ما يجعلنى اقول انه لا يوجد قلم من خارج الاخوان دافع عن الاخوان المسلمين وعن حقهم فى ممارسة حياتهم السياسية ، كما دافع هذا القلم الضعيف ، ومقالاتى فى هذا الشأن فى جريدة « الجمهورية » وغيرها شاهد حى يمكن الرجوع اليه ، وذلك لايمانى الذى لا يتزعزع ، من واقع الدراسة التاريخية المعمقة ، بأن الديمقراطية هى طريق النجاة الوحيد لهذه الأمة العربية ، وهى مفتاح التقدم الحقيقى ، وأنه ليس من حق اى حاكم ان يمنع فريقا من الامة من ان يعبر عن رأيه وارادته الطليقة بالوسائل السياسية المشروعة . ومجموع الامة هو الذى يقرر مصيرها ومستقبلها .

ولكن من هذا المنطلق الفكرى نفسه ، كان لا بد أن تخضع حركة الاخوان المسلمين للدراسة التاريخية والتحليل . فاذا رأى الاخوان المسلمون فى الصورة التى تعرضها هذه الدراسة لهم ما لا يعجبهم ، فأستطيع أن أؤكد لهم ان هذه هى الصورة الحقيقية ، لا الصورة المرسومة فى مخيلتهم ! . فالتاريخ هو أصدق مرآة للأحداث والأشخاص . واذا قالت هذه الدراسة التاريخية ان الاخوان المسلمين لم يقفوا الى جانب الديمقراطية ، فعليهم ان يستفيدوا من اخطائهم فى اشاعة الديمقراطية فى صفوفهم ومساندة الديمقراطية فى كل مكان ، بدلا من أن يشرعوا اقلامهم ويشهروا اسلحة الهجوم والاتهامات ! .

لهذا السبب ظن الاستاذ صلاح شادى أننى أستهدف بالدراسة « التشكيك فى المقاصد والنوايا التى حملها الشهيد حسن البنا لأمة الاسلام جمعاء وحملته بعده جماعة الاخوان المسلمين .. ! » — وهذا اتهام شنيع، لانى لو اردت ذلك لما اسعفتنى الوثائق التاريخية والوقائع الحقيقية . فمقاصد البنا ونواياه كانت أشرف المقاصد والنوايا ، وهذه حقيقة تاريخية لا يجادل فيها الا مكابر . ولكن النوايا والمقاصد شىء ، واسلوب تحقيقها شىء آخر ! . والمؤرخ لا يرصد مقاصد ولا نوايا ، وانما يرصد احداثا وقعت بالفعل .

ومن ثم فاذا اراد الاستاذ صلاح شادى أن يتهمنى بالتجنى لأنى أعتبرت « فكرة العنف » عند الاخوان قضية مسلما بها لا تحتاج الى نقاش، فليسمح لى سيادته ان اقول ان هذا اتهام جرىء ، لانه صادر عن احد كبار قادة التنظيم السرى ! . وفيم اذن ، ولم نشأ التنظيم السرى ؟ ، هل نشأ للوصول الى الحكم عن طريق الانتخابات الحرة الديموقراطية كما يفعل حزب العمال البريطانى أو حزب الوفد قديما ؟ . فى الحقيقة يا سيدى انه

علينا ان نتفق على اساس فى مناقشة هذه القضية ، فاما ان تنكر انكـــارا باتا مدعما بالوثائق التاريخية انه كان لدى الاخوان المسلمين تنظيم سرى باسم « النظام الخاص » ، وفى هذه الحالة تكون قد نفيت تماما فكرة العنف عند الاخوان ، واما ان تعترف بوجود هذا التنظيم السرى ، وفى هذه الحـــالة تعترف ضمنا بوجود فكرة العنف .

وفى رايى الشخصى المستند الى الحقائق التاريخية الثابتـة انك لن تستطيع بحال انكار وجود هذا التنظيم السرى . كما انك لن تستطيع انكار أن هذا التنظيم السرى كان يكدس الســـلاح . وطالما انك استشهدت بالمنصفين وعلى راسهم الرئيس السادات ، فان الرئيس السادات قد روى كشاهد عيان كيف كان الاخوان يكدسون السلاح ! . كما ان المنصفين من الاخوان المسلمين لم ينكروا تكديس السلاح ! . واظنك تتفق معى فى الرأى فى انه اذا كدست اية جماعة فى بلد ما الســلاح بطريقة سرية ، فلن يكون الهدف منه أن يحمله أعضاؤها للزينة فى المناسبات القومية ، وانما ليخرج به أعضاؤها للانقضاض على النظام ! .

ومن الغريب أن الاستاذ صلاح شادى يريد ان يلزمنى كمؤرخ باحكام القضاء ! . . واذا كان الامر كذلك لماذا لا يكتب القضاة التاريخ ؟ .

فى الحقيقة انه اذا كان القضاة يصدرون الأحكام عـــلى الافراد والجماعات السياسية ، فان المؤرخين يصدرون الاحكام عـلى القضـاة انفسهم ! . وأحكام التاريخ على القضاة امر هام جـدا ، حتى يعرفوا أن للتاريخ محكمة عليا سوف يمثلون أمامها فى يوم من الايام ، فيلتحموا بقضايا أمتهم المصيرية ، ويرتبطوا بنضالها السياسى التحررى ، ولا ينعزلوا عنها ، أو ينقلبوا عليها . ولو ان التنظيم السرى للاخوان المسلمين ابقى على حياة القاضى الخازندار بك ، ولم يقتله علانية ، لتولى التاريخ أمره وادانه ! .

لا ضرورة اذن للاستشهاد بحكم القضاء فى قضية « الجيب » . فهــو حكم سياسى بالدرجة الأولى كان له ما يبرره وقت صـــدوره من الظروف السياسية . ولم ينكر هذا الحكم ابدا وجود تنظيم سرى للاخوان المسلمين ، بل اكد وجود هذا التنظيم ، وان اعتبره جهاز تحرير لا ارهاب ! . كما ان هذا الحـكم لم ينكر ابدا ان المؤامرة الاجرامية لاعمال القتـل والتخريب ، التى اكتشف أمرهـا فى ذلك الحين ، كانت مكونة من « بعض اعضــائه » ! وأنا انقل هذه العبارات السابقة من مقال الاستاذ صلاح شادى ، ثقة منى فى امانة نقله ! لان وجودى فى لندن منعنى من التحقق من صحة هذا النقل عن طريق الرجوع الى أصول حيثيات الحكم ! . واذا كان هذا الحكم قـد صف المؤامرة بانها « اجرامية لاعمال القتل والتخريب » ، ووصف مرتكبيها

بانهم من اعضاء التنظيم السرى ، فلا يتوقع منى الاستاذ صلاح شادى ان أعتمد على هذا الحكم فى انكار وجود تنظيم سرى للاخوان المسلمين ، أو انكار وجود فكرة العنف فى أيديولوجيتهم ! .

وقد حاول الاستاذ صلاح شادى أن ينكر صلة الشيخ حسن البنـــا بالقصر وتحالفه معه بطريقة غريبة حقا ، فلم يطعن فى صحة المصادر التى رجعنا اليها ، وهى مذكرات الشيخ حسن البنا نفسه ! ، وانما استدل بما وصفه باهداء رئيس الوزراء ابراهيم عبد الهادى راس البنا هدية له فى عيد جلوسه على العرش فى ١٢ فبراير سنة ١٩٤٩ .

وقد نسى السيد صلاح شادى اننا تلنا ان هذا التحالف انفض عـــام ١٩٤٨ . ومن حسن الحظ انه اورد بنفسه هذه الفترة مـــن دراســـتنا فى مقاله . ومن ثم فهذا الاستشهاد غير ذى موضوع . ولكنه قدم لنا سلاحا نهدم به محاولته انكار تهمة العنف عـــن الاخوان المســـلمين ، لان هـــذا الاهداء ، من جانب رئيس الوزراء المصرى ابراهيم عبد الهـــادى ، لراس البنا الى الملك فاروق ، كان من قبيل ما يمكن أن نسميه « **تبادل اهـــداء الرءوس** » ! . فقد سبق للتنظيم السرى ان قـــدم راس محمـــود فهمى النقراشى باشا ، رئيس الوزراء السابق ، الى الشيخ حسن البنا كهدية ، وقد رد ابراهيم عبد الهادى باشا صديق النقراشى باشا ، باهداء راس البنا الى الملك فاروق . وهذه هى دائرة العنف الخبيثة ! .

ولكن هل قرأ الاستاذ صلاح شادى لنا حرفا يشـــجع عنف ابراهيم عبد الهادى أو يتعاطف معه ، حتى يبدى ما ابدى من أسف فى مقاله ؟ . والم يكن من الأفضل ان ينتظر الى نهاية الدراسة لتتكون لديه فكرة شاملة ورأى متكامل ، بدلا مـــن اتهامنا « بلوى حقائق التـــاريخ » ، دون مبرر او دليـــل » .

على أن الاستاذ صلاح شادى ، الذى يتهمنا بالتجنى ، ينسب الينـــا ما لم يصدر بحال عنا . فقد نسب الينا اننا تحدثنا عن « انحراف » الشيخ حسن البنا عن « وسيلة الحب والاخاء والتعارف » ، واننا « تدمنا فـــكر حسن البنا « فى اطار من المهانة اهدرنا به اصول العقيدة ذاتها .. ! » ..

ولست ادرى هل قرأ الاستاذ صلاح شادى حقا ما كتبناه ، أم لخصه البعض له تليفونيا ؟ . فاذا رجع سيادته الى دراستنا سوف يجد اننا تلنا بالحرف الواحد « اخذ البنا يعمل على تحويل جماعته من جماعة مدنية الى جماعة شبه عسكرية ، وينتقل من وسيلة الحب والاخاء والتعارف .. الى

مرحلة الاستعداد لتنفيذ الأهداف بالقوة » . فهل يجد القارىء المنصف فى هذه العبارة كلمة « انحراف » التى اتهمنا بها الاستاذ صلاح شادى ؟ . أم ان كلمة « تحويل » ، « وانتقال » تعنيان فى قاموس سيادته معنى « الانحراف » ؟ .

ولقد قدمنا فكر الشيخ حسن البنا بأنه يقوم على : شمولية الاسلام . والرجوع بالاسلام الى تعاليمه الأولى ، والجامعة الاسلامية ، والتمسك بفكرة الخلافة ، والحكومة الاسلامية . فهل هذا الاطار الفكرى ينطبق عليه وصف الاستاذ صلاح شادى أنه « اطار من المهانة أهدر به الدكتور رمضان أصول العقيدة ذاتها » . وهل يمكن لقارىء منصف أن يتفق مع الاستاذ صلاح شادى فى هذا الراى ؟

بل ان الاستاذ صلاح شادى قد ذهب الى حد اتهامنا بالتشكيك فى مصادر المال التى استطاع بها حسن البنا انشاء ثلاثمائة شعبة فى عشر سنوات . ولست أدرى أين قرأ هذا التشكيك من جانبنا ، فدراستنا خلو منه تماما ، ويمكن له وللقارىء الرجوع اليها للتحقق من صحة قولنا ، وانما تحدثنا عن « ازدهار الحركة دائما وابدا فى العهود الرجعية » ، فهل يعنى هذا الكلام فى رأى الاستاذ صلاح شادى التمويل بالمال ، أم يعنى اطلاق الحرية للحركة للانتشار ؟ . فى الواقع أن الاتهام بالتمويل الخارجى للاخوان لم يصدر منا ، وانما صدر من داخل الجماعة ذاتها ؟ . فى ظروف انشقاق الاستاذ السكرى ، كما يعرف الاستاذ صلاح شادى جيدا ! . ومع ذلك فعندما يتابع سيادته هذه الدراسة سوف يجد أننا لم نتوقف عند هذا الاتهام ، لأنه ليس له قيمة فى الواقع ، ففى ذلك العهد كانت الحكومات الحليفة تساعد حلفاءها بطرق شتى ليست الشيكات بالحتم أحسد بنودها ، بل ربما كانت اقل بنودها ! .

مع ذلك فربما كان من اكبر اسباب الخلاف بينى وبين الاستاذ صلاح شادى أننى ملتزم بقواعد منهج علمى يتطلب منى الاعتماد على حقائق ثابتة أو وثائق أصلية ، ومن ثم فليس لى أن اخلق بفكرى ما اشاء من تصورات لا تعتمد على مثل هذه الأسس الضرورية ، بينما الاستاذ صلاح شادى متحرر تماما من هذا المنهج .

وعلى سبيل المثال ، فسيادته يرى ان الشهيد الشيخ حسن البنا كان منهاج الدعوة يبدو متكاملا فى فهمه منذ ظهرت دعوته « بدءا من مفهوم الخلافة الاسلامية ... ومرورا بنظام الدولة فى مجال السياسة والاقتصاد عبر الأمة التى تستظل بشريعة السماء فى دستورها » .

وهذا اجتهاد خاص لسيادته لا اظن انه سوف يستطيع التدليل عليه بغير الحدس والتخمين . اما اجتهادى فابنيه على كتابات البنا فى ذلك الحين ، وما نطقت به جريدته ، وما ورد فى مذكراته . وهذه الوثائق جميعها تثبت تدرج الفكرة ، وتطور الدعوة ، وانتقالها من مجرد « رد فعل » لتيار التغريب الى « فعل » لاقامة الحكومة الاسلامية !.

بل ان فكرة اقامة الحكومة الاسلامية خضعت بدورها للتدرج والتطــور فى ذهن الشيخ حسن البنا ــ فقد كان بعد نمو الدعوة يرى امكانية قيامهــا بالوسائل الشرعية الدستورية ، اى عن طريق وصول الجماعة الى الحــكم عن طريق الاغلبية البرلمانية . وهذا ما كتبه فى مجلة النذير تنديدا بأســلوب جماعة مصر الفتاة فى تحطيم الحانات ، ثم انتقل من ذلك الى وسيلة العنف بعد أن فقد ايمانه بالوسائل الدستورية والحكومات البرلمانية ، وتمثل ذلك فى هجومه على النظام البرلمانى ، وتطويره لفرقه العسكرية .

وهذا الكلام لا نقوله من باب التحليق فى الخيال ، وانما نستقيه من نصوص ثابتة منشورة . وما قلناه من أن الحركة بدأت بفكرة العمل السلمى المتمثل فى اصدار الجرائد الاسلامية والوعظ والارشاد وتأليف الجمعيات ، وأن فكرة الحكومة الاسلامية لم تكن واردة اصلا فى ذهن البنا قبل تأليف جمـــاعته ــ مستقى من مذكرات الشيخ حسن البنا ، ويمكن الرجوع اليها للتحقق . فحديثه مع الشيخ الدجوى ليس فيه مثل هذا التصور على الاطلاق، ولا يمثل اى منهاج متكامل كذلك الذى يتحدث عنه الاستاذ صلاح شادى !. ولا أظنه يريدنى أن اعتمد على رأيه ، واضرب بمذكرات الشيخ حسن البنا عــرض الحائط !. وقد كان فى وسع البنا حين اصدر مذكراته فى الاربعينيات أن يدعى انه كان يحمل هذا المنهاج المتكامل فى ذهنه منذ البداية ، ولكنه كان أمينا الى الحد الذى روى فيه ما له وما عليه ، وكان هو الذى روى صلته بعلى ماهر باشا وانقسام الاخوان بسبب الهتاف له !. ومن حسن الحظ أن منهج البحث التاريخى وقواعد الدراسة العلمية تلزم المؤرخ بالرجوع الى المصادر الاولى، والا اقمنا تاريخ حركة الاخوان على الاسس الواهية والجدر المتصــدعة ، والافتراضات التى يقيمها الشراح !.

واخيرا فان الاستاذ صلاح شادى اتهمنى بتهمتين ظالمتين أدعو الله ان يسامحه فى الاولى ، ولا يسامحه فى الثانية !.

الاولى ، اننى اسعى من وراء هذه الدراسة الى تصوير الاخوان بالصورة التى تخيف الحكام والمحكومين .

والثانية ، اننى خضت و « امثالى » كثيرا فى عرض الشيخ حســن البنا وسيرته !

وبالنسبة للتهمة الاولى ، فالحقيقة أننى أعرض الاخوان المسلمين فى الصورة التى تخيفهم انفسهم من اخطائهم ، ليستفيدوا من هذه الاخطاء فى تصويب خطواتهم وتصحيح مسارهم — هــذا اذا أرادوا الاســتفادة من التاريخ !. لقد دفع الاستاذ صلاح شادى ثمنا فادحا لهذه الاخطاء يتمثل فى عشرين عاما من عمره قضاها فى السجن ، وقد دفع الكثيرون مثل هذا الثمن او يزيد ، من رفاقه . فاذا لم يشأ الاخوان الاستفادة من دروس الماضى فهذا شأنهم . ولست على كل حال بواعظ ، وانما أنا مجرد مؤرخ ، لا يعنينى من هذا كله سوى الحقيقة التاريخية المجردة التى هى هدفى على الدوام .

اما بالنسبة للتهمة الثانية بالخوض فى «عرض» الشيخ حسن البنا ! فان قرائى فى العالم العربى يعرفون أن هذا القلم أعف من الخوض فى أعــراض أحد ، حتى اللئام ، فما بال الشهداء !. ولكن اذا كان هناك أحــــد يطلب القداسة او العصمة للشيخ حسن البنا من اعضاء جماعة الاخوان المسلمين الباقين على قيد الحياة ، فكلمتى اليهم أن الصلة انقطعت بين السماء والارض بموت خاتم الانبياء .

ومنذ ذلك التاريخ فصاعدا لم يعد ثمة سبب موضوعى يحول دون خضوع اى أحد من السياسيين أو الحكام أو الزعماء للفحص التــاريخى الدقيق ، وادانتهم امام محكمة التاريخ اذا كانوا يستحقون الادانة ، مهما كان لونهم السياسى أو انتماؤهم الفكرى . أما توجيه الاتهامات بلا ادلة ، ففضلا عن مخالفة ذلك لاحكام ديننا ، فانه ارهاب فكرى نرفضه وندينه ، ولن يميتنـــا بحال عن خدمة تاريخ أمتنا بقدر ما وهبنا الله من قوة وسدد خطانا لطريق الخير والحق .

المقـــال الثـــانى

« كتابة التاريخ بين المناهج العلمية والاهواء الحزبية »

(الوطن فى ٢٦ نوفمبر ١٩٨٠)

اشفقت على الشيخ الجليل صلاح شادى « لعنف » مقاله الثانى فى الرد على الدراسة التاريخية التى اقدمها عن الاخوان المسلمين على صـــفحات جريدة « الهدف » الغراء وبعض الصحف العربية الاخرى . وحاولت فى حدود امكاناتى كبشر ان اخفف من طعم المرارة التى حملتهـــا الى قلبى عبـــاراته الجارحة ، حتى لا تؤثر هذه العبارات على الصورة التى رسمتها فى خيالى للداعية الكبير وانا اقوم بدراسة هذه الحركة الخطيرة التى افرزتهـــا التربة المصرية التاريخية الخصبة ، واتابع نضاله وتضحياته فى سبيل ما يعتقد أنه حق وعدل . فقد درجنا — نحن المــؤرخين — على ان نرى ابطـــال الحقب والاحداث التاريخية التى ندرسها فى هالات اسطورية نحيطها بكل الاعجاب والتقدير مهما اختلفنا معهم فى الراى ، وان نتعايش معهم معايشـــة فكرية فريدة وطويلة الأمد قد تستغرق سنين !.

لذلك حزنت أن سمح الداعية الكبير صـــلاح شادى لقلمه ان يكتب فى مجادلتى عبارات مثل عبـــارة : « ان خيبة الامل التى تطالعك من هـــذا « الدكتور » لا تأتيك فقط من الباسه الباطل ثوب الحق « كمؤرخ » ، ولكنها تأتيك ايضا من فهمه الملتاث لمعنى الوطنية ذاته ! او عبارة اخـــرى تقول : « ومرة اخرى يعود الينا الوجه الماركسى القبيح للدكتور رمضان ».. الى آخر هذه العبارات التى حفل بها مقال الاستاذ صلاح شـــادى ، والتى استخدم فيها أبيات الشعر من امثال : « ان كنت لا تدرى فتلك مصيبة ، أو كنت تدرى فالمصيبة اعظم » !.

فكيف غاب عن الشيخ الجليل أن كثيرا من شباب الاخوان الجدد يتطلع الى سابق جهاده ونضاله ، ويرون فيه المثل الذى يحتذى فى السلوك والتفكير، ويتتلمذون على يديه فى اساليب الحوار والجدال والنضـــال . واذا كان رب العالمين قد أمر نبينا ورسولنا قائلا فى آية صريحة تحمل أمرا حاســـما : « وجادلهم بالتى هى أحســـن » . فكيف يتحـــدث عن « فهمى الملتاث » و « وجهى الماركسى القبيح » ، فى جدال علمى يدور حول دراسة علميـــة ، ولا يدور حول اسلام وكفر ؟ . واما كان أجدى أن يرتفع الحوار الى المستوى العلمى الذى ينفع شبابنا الاسلامى فيتعلمون منه اسلوب الحوار الاسلامى الراقى الذى امر به رب العالمين ؟

على انى اسامح الشيخ العزيز بنفس صافية حقا ، احتراما وتقديرا لسابق نضاله ، وانطلق من هذا الى مواصلة الحوار معه فيما يتضمنه مقاله الثانى .

وربما كانت اولى الملاحظات التى ابدا بها هى ان الاستاذ صلاح شادى قد تناقض مع نفسه فى تحديد هويتى الحزبية وانتمائى الفكرى . ففى العمود الثانى من مقاله اتهمنى بانى « وفدى صارخ الحزبية ، يمنعنى جمودى الحزبى من التحرر لابلغ مستوى الصدق والتجرد الضروريين لمن يناقش احداث التاريخ » . واننى من « الجناح اليسارى للوفد الذى قام لموازنة جناح فؤاد سراج الدين اليمينى » . وفى نفس الوقت يصفنى بـ « الوجه الماركسى » .

ولازالة هذا التناقض اؤكد لسيادته اننى لم انتم فى يوم من الايام لحزب الوفد ، لا لجناحه اليسارى ولا لجناحه اليمينى !. كما انى لم انتم الى اية جماعة ماركسية فى السابق او اللاحق ! . وعندما الف فؤاد سراج الدين حزب الوفد الجديد لم اكن من مؤسسيه او ممن انضموا اليه . ولست فى هذا القول اتبرأ من شىء . فلربما كان لسان حالى عبارة سعد زغلول المشهورة : « تهمة لا أنكرها ، وشرف لا ادعيه » !.

ولكن هذا لم يمنعنى فى مقالاتى السياسية من الدفاع عن حق « الوفد الجديد » فى العمل السياسى بأشرس مما دافع عنه أعضاؤه وقادته . كما لم يمنعنى من الدفاع عن « حزب التجمع » ضد الهجوم الضارى الذى انصب عليه من جريدة « مصر » وغيرها من الصحف القومية فى مصر . كما دافعت عن « حزب العمل » عندما تعرض لأزمة الانشقاق فى العام الماضى ، بما شهدت به جريدته « الشعب » . كما دافعت عن حقجماعة الاخوان المسلمين فى العمل السياسى واشدت بايجابياتهم عندما لم يكن هناك صوت يجرؤ على الدفاع عنهم . وكل هذا ثابت فى المنابر الصحفية التى تشرفت بالكتابة فيها ، وهى : مجلتا روز اليوسف وصباح الخير ، وجريدة الجمهورية اليومية فى مقالى الاسبوعى .

ولم يكن لى أن اقتطع من وقت القارىء للكلام عن نفسى ، ولكن حيرة الشيخ الفاضل صلاح شادى دفعتنى الى ذلك . فاذا كان يرى فىهذا المنطلق الليبرالى التقدمى وجها وفديا او ماركسيا ، فهو بعيد عن الحقيقة .

اما عن « حقدى » على الاخوان ، الذى يستشهدبه الاستاذ صلاح شادى ، فانه لا يقل بعدا عن الحقيقة من وجهى « الوفدى » أو « الماركسى » ! . ولو كنت احقد على الاخوان لسمحت بنشر هذه الدراسة فى احدى البلاد العربية التى يعانى فيها الاخوان عناء شديداً ، عندما عرض على احد المندوبين الصحفيين هذا العرض فى لندن ، وكان ردى أن نزول هذه الدراسة فى هذا البلد الشقيق ، سيكون نزولا سياسيا ضد الاخوان ،

وسيكون عملا انتهاريا وغير كريم ، لان الاخوان يضربون ويصـــفون ، فوق ان الغرض ان يستـفيد الاخوان مـن التجربة التاريخية فى معـرفة اخطائهم ليكونوا اكثر قوة ، لا ان تستفيد منها احدى السلطات فى القضاء المبرم عليهم . ومن حسن الحظ أن العرض كان أمام شهود على أعـلى مستوى ، وقد وافقونى على رايى . وبذلك يتغلب المبدا على كل الاعتبارات .

لا ضرورة اذن لأزمة الثقة بين الأستاذ صـلاح شادى وبينى . ويبقى الخلاف الموضوعى حول أمرين :

الأمر الاول ، المنهج العلمى التاريخى الذى اســتخدمته فى دراسة حركة الاخوان .

والامر الثانى ، الوقائع التاريخية التي استشهد بها الأستاذ صـلاح شـادي .

وبالنسبة للأمر الاول ، فالشيء الجدير بالملاحظة أن الأستاذ صـلاح شادى لم يستطع حتى الآن انكار حقيقة واحدة من الحقائق التاريخية التى توصلت اليها باستخدام ادوات البحث التاريخى ــ وانما كان يلجا دوما الى التبرير . ولن اتعرض هنا لقضية « العنف » التى يحارب لانكارهـا دون جدوى ، لان تاريخه فى التنظيم شاهد على ذلك . وقد ناقشت على كل حال هذه المسالة فى مقالى الاول فى الرد عليه ـ وانما اناقش ما ورد فى مقاله الثانى .

فالأستاذ صلاح شادى لم ينكر مظاهرة الاخوان على باب قصر عابدين لسبب بسيط هو انه لا يستطيع ذلك ، لان مصدرى فيها مذكرات المرحـوم الشيخ حسن البنا . وانما يلجأ الى التبرير ، وهذه رؤيته هو وليست رؤيتى كمؤرخ ! . فهو يكتب أن الملك فاروق ، الذى لم يكن قد بلغ فى ذلك الحين سن الرشد ، كان « موطن رجاء الامة جمعاء » ! فى مبدا توليه العرش ! وهذا هو نفس الكلام الذى كان يردده ويحاول أن يزرعه فى عقل الشعب المصرى حاشية الملك ، وانصار السراى من السياســيين الذين يفتقرون لثقة الشعب ، وعصابة الأمراء والنبلاء القدامى واقاربهم واتباعهم ، الذين وصفهم السكرتير الشرقى للسفارة البريطانية وصفا بليغا فى رسالة له يوم ٢٨ اكتوبر ١٩٣٧ قائلا : « هذه الأرستقراطية المزيفة تريد أن تسترضينا باحتقارها التبيح المعروف للاهالى المصريين ، ولكنها تفتقر كلية الى الاخلاق فهناك عرق انحلال موروث يسرى فى كل السلالة ، والبعض منهم ينحدر بالتأكيد من سلالة الجوارى من كلا الجنسين » ! . الخ ! .

أما الشعب الذى قاد نضاله مصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول

فلم يكن على وجه التحقيق يعلق رجاءه على شاب نصف متعلم مثل فاروق ليقود نضاله ضد الاحتلال ، او يخلصه من الظلم الاجتماعي والهوان !

واما عن « الطهر والعفة والتدين » التى ينسبها السيد صلاح شادى الى فاروق ، والتى « كانت تبدو سماتها على سلوكه » ! ، فلم تكن سوى قناع يتخفى وراءه ذلك الشاب الداعر · وحتى لو كان هـذا المظهر صادقا ، فلم يكن ليخفى على المرحوم الشيخ حسن البنا حينذاك الصراع على السلطة بين القصر والشعب ، وهو صراع يمتد وراء الى الثورة العرابية ويصل اماما الى عهد فؤاد . فمبايعة القصر ثم تأييده هو تأييد ومبايعة للأوتوقراطية ضد الديموقراطية . وهذا هو الاطار التاريخى للصراع ، وليس الاطار الذى يضعه الاخوان ! . ولو قرأ السيد صلاح شادى كتابنا الأخير « الصراع بين الوفد والعرش » ، لعرف بالوثائق التاريخية أن النحاس باشا كان يعمل لخلع الملك فاروق عن العرش فى نوفمبر — ديسمبر ١٩٣٧ ، قبل أن يستفحل خطره على الحياة الدستورية!

وقد حاول الاستاذ صلاح شادى انكار الحقيقة التاريخية التى ذكرناها من مهادنه الاخوان للسلطة البريطانية اثناء الحرب العالمية الثانية ، بادلة تعتبر فى حد ذاتها تأكيدا لما ذكرناه . فقد اورد ثلاثة حوادث فقط نسبها الى اعضاء النظام الخاص ، وشاءت امانته الا يطالبنى بأن انسب الحوادث الاخرى التى لم يضبط فاعلها الى الاخوان المسلمين ! · فهل يرى سيادته ان ثلاثة حوادث اعتداء على الجنود الانجليز ، فى خلال سنوات الحرب التى تبلغ الخمس ، تعتبر دليلا على نضال الاخوان ضد الانجليز اثناء الحرب ? . وهل يستطيع أن يؤكد لنا او يثبت ان هذه الحوادث كانت من تخطيط النظام الخاص ، وانها كانت تتم وفق خطة شاملة ، وانها لم تكن مبادرات فردية ? .

ليسمح لنا الاستاذ صلاح شادى ان نثبت له العكس . من واقعة شهادة معاصر ، هو احمد حسين زعيم مصر الفتاة ، فقد اتصل بالشيخ حسن البنا وعقد معه اجتماعا حضره مصطفى الوكيل واحمد السكرى ، للاستفادة من امكانيات الاخوان فى تنفيذ خطة لتفجير ثورة شعبية ضد الانجليز ، فكان رد البنا « اننا لا نبحث عن مغامرة قد تخيب وتفشل » ! وانا لا اروى هذه القصة فى معرض الادانة لموقف الشيخ حسن البنا ، فقد كان احرص على الدعوة وعلى هدفه الاستراتيجى من أن يجهض فى مغامرة كانت كل الدلائل تشير الى فشلها ، نظرا لاحكام الانجليز قبضتهم على مصر فى ذلك الحين ·

ولماذا يغضب الأستاذ صلاح شادى من تحليل تاريخى يثبت أن التسليح

من جانب البنا لم يكن لاسباب تتعلق باخراج الانجليز ، وانما لاسباب تتعلق باقامه الحكومة الاسلامية . . مع ان جهوده لاثبات العكس لم تتمخض الا عن ثلاثه حوادث فردية يمكن أن تقوم بها خلية بسيطة ، لا هيئة ضخمة كهيئة الاخوان المسلمين خرجت عند نهاية الحرب العالمية الثانية بـ ٦٠ الف جندى من جنود الجوالة ؟ .

بل اعترف انني لم استطع ان أفهم سبب الاصرار الغريب من جانب الاستاذ صلاح شادى على أنكار أن الاخوان كانوا يجمعون السلاح ويقيمون جيشهم العلنى وجيشهم السرى لاقامة الحكومة الاسلامية ! . اذن لماذا أقاموا هذا الجيش ؟ . هل لاخراج الانجليز من مصر ؟ . ولكن التاريخ يثبت ان الاخوان المسلمين لم يستخدموا هذا الجيش فى اخراج الانجليز من مصر ! ، ولم ينقضوا به على الاحتلال ! . وحتى فى أثناء الحرب العالمية الثانية حين كان مركز الانجليز مهددا ، وقفوا موقفا سلبيا ، حتى ليفاخر الاستاذ صلاح شادى بثلاثة حوادث اعتداء فردية وقعت عام ١٩٤٢ ؟

لقد كان كل حزب وكل هيئة سياسية فى مصر يطالب ويعمل لاخراج الانجليز من مصر ، حتى القصر الملكى ، ومع ذلك فلم ينشىء حزب لنفسه هذا الجيش العلنى والسرى لهذا الغرض ! . هل كان جيش الاخوان جيش تحرير كجيش التحرير الجزائرى مثلا ؟ واين كان مثل هذا الغرض ؟ ، ولماذا لم ينفذ ؟ .

واذا كان الاخوان لم ينشئوا جيشهم لاقامة الحكومة الاسلامية ، واذا كان التاريخ لم يثبت استخدامهم لهذا الجيش فى تحرير مصر من الاحتلال البريطانى . فهل اقاموا هذا الجيش للزينة ؟ ام لمجرد التاثير السياسى ؟ ام لمجرد حماية انفسهم من السلطة ؟ .

لقد خاض الاخوان المسلمون حقا معركة فلسطين عام ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ ، ولكن احدا لايستطيع الادعاء بان هذا الغرض كان وراء انشائهم لجيشهم العلنى والسرى . والا لاخبرنا بذلك الاستاذ صلاح شادى ، ولاخبرنا من قبل المرحوم الشيخ حسن البنا ! .

كذلك لم ينكر الاستاذ صلاح شادى ما قلناه من أن الاخوان المسلمين لم يشتركوا فى مظاهرات « الى الامام ياروميل » ضد الانجليز . ولكنه يبرر ذلك بأن الاخوان لم يكونوا ليشتركوا فى مظاهرة تستهدف « دفع مستعمر قديم بمستعمر جديد » ! وبنى على ذلك اتهامنا بان فهمنا ملتاث لمعنى الوطنية ! ، وأن معنى الكفاح عندى ينبع من محاولة استعداء مستعمر على مستعمر ؟

وهذا أسلوب فريد فى الجدال لم اشهده فى حياتى العلمية ! . ومع ذلك فاذا كان ما ذكره الاستاذ صلاح شادى فى مقاله الاول صحيحا من

قراءاته لكتبى وخصوصا تطور الحركة الوطنية ، فلعله يعرف اننى ادنت هذه المظاهرة ، ونسبتها الى العناصر الموالية للالمان فى القصر الملكى ، ومجموعة على ماهر باشا بالذات . وهذا الاتهام يتناقض مع اتهامه لى بأنى وفدى وماركسى • اذ ان سيادته بذلك قد أضاف لى وصفا جديدا هو أنى « فاشى » ! . فكأنى فى راى سيادته « ليبرالى » و « ماركسى » و «فاشى» . وهذه باقة ايديولوجية لا اعتقد ان احدا فى العالم يستطيع حملها ! • وانما اردت أن أقول إن الاخوان لم يتورطوا فى الحركات المعادية للانجليز اثناء الحرب ، حتى فى تلك المظاهرات المشهورة . وكلامى فى هذا الشأن واضح لا لبس فيه ، ويمكن للقارىء الرجوع اليه . ولم يحدث أن قلنا أن عدم اشتراك الاخوان « كان خيانة وطنية » ! • كما نسب الاستاذ صلاح شادى الينا ! •

كذلك لم ينكر الاستاذ صلاح شادى ما ذكرناه من عداء الاخوان المسلمين للحكم الدستورى والحياة النيابية الديمقراطية ،بكل مايترتب عليهما من عودة الوفد الى الحكم عن طريق الانتخابات الحرة • بل أكد ذلك بصورة صارخة بما أبدا من تجاهل لارادة الشعب التى كان يمكن ان تاتى بالوفد الى الحكم . ونسى أن الشعب هومصدر السلطات وليس الاخوان المسلمين ! . وعند ابداء رأيه فى هذا الصدد ، وقع فى اغلاط تاريخية فادحة ، كنت ارجو الا يورط نفسه فيها ، وان يتركها لمؤرخى الاخوان يعالجونها بالمنهج العلمى السليم ، وتتصل بحادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ، الذى يبدو أن سيادته قد استقى معلوماته عنه من مصادر القصر ، وليس من كتب التاريخ الموثوق بهـا •

فقد زعم ان قوات الجيش الانجليزى حشدت حول القصر فى ٤ فبراير « لتكون مرسوما انجليزيا بتعيين النحاس باشا رئيسا للحكومة » ! وهذا خطأ تاريخى ، لان القوات احتشدت لخلع فاروق تنفيذا للانذار البريطانى الذى رفضه السياسيون ومنهم النحاس باشا ! .

كما زعم أن الملك استدعى رؤساء الاحزاب والسياسيين القدامى لاستشارتهم فى هذه الكارثة ، وانتهى التفكير الى قبول الانذار البريطانى وتكليف النحاس باشا برئاسة الوزارة » ! . وهذا خطأ تاريخى . لان الملك وحده هو الذى قبل الانذار البريطانى بعد أن رفضه الزعماء • فقد عرض على السفير لامبسون استدعاء النحاس باشا ليعهد اليه بتشكيل الوزارة فقبل السفير هذا العرض بعد تردد

وقد زعم سيادته أن النحاس باشا اشترط لقبول الامر بتشكيل الوزارة « شرطاوحيداً » ، هو أن يأذن له الملك بتقبيل يده ! • وقد علق

على ذلك قائلا : « شرط اذل صاحبه ولم يرفع راس مصر » ! . وهـــذا الكلام ليس خطأ تاريخيا فحسب ، بل اقول عن يقين انه افتراء شـــديد ومؤسف من السيد صلاح شادى ، واتحداه ان يورد اسم مرجع تاريخي واحد ، أو حتى مجلة هابطة اوردت مثل هذا الافتراء ، بل ان مصادر القصر ذاتـــه لم تدع هذا الادعاء . وجميع وثائق حادث ٤ فبراير المصرية والانجليزية موجودة لا تحتوى شيئا من ذلك ! . فهل هذا هو منهج البحث التـــاريخي الذي يريدنا ان نتبعه في كتابة التاريخ ؟ والا فنحن نتجنى في تصوير جماعة الاخوان المسلمين ؟

والحقيقة التاريخية أن النحاس باشارفض تكليف الملك له بتشـــكيل الوزارة ، مستندا على قرار الزعماء السابق برفض تأليف الوزارة . ولكن الملك الخائف على عرشه الح على النحاس باشا لينقذ عرشه . وهذا مـــا اثبته النحاس باشا في وثيقة رسمية هي الكتاب الذى رفعه الى الملك في مساء اليوم التالى ، حيث اثبت ان الملك اعرب له « المرة بعد المرة ، والكرة بعد الكرة » ، عن « ثقته في وطنيته وانكاره لذاته » ، وان هذا يقضى بأن « يتقدم لانقاذ الموقف ويتحمل مسئولية تطورات علم الله انه لم يكن له يد فيها » . وهذه الوثيقة منشورة وليست سرية يمكن للاستاذ صلاح شادى الرجوع اليها ! .

وقد كان قبول فاروق الانذار البريطانى ، رغم نصيحة الزعماء هو دفاع الوفد التاريخي ضد افتراءات الخصوم الذين كانوا يتهمونه بأنه تولى الحكم على اسـنة رماح الانجليز !

لقد كتب عزيز فهمى في احدى المرات ساخرا ، ان صاحب الجلالة المصرية كان في استطاعته ، لو شاء ، أن يرفض الانذار البريطانى ، وأن يعفى رفعة النحاس باشـــا مـــن تشـــكيل الوزارة ، ولو فعل ذلـــك لالتف المصريون حول عرشه !

ماذا جاء الاستاذ صلاح شادى اليوم ليسوق هذه الافتراءات تحت اسم التاريخ ، فانه لا يؤيد فقط كل كلمة سقناها عن اتجاهات الاخوان المسلمين السياسية المعادية للديمقراطية ، ومعاداتهم لارادة الشعب في أن ياتى الى الحكم بمن يشاء ممن يثق فيه ـ وانما يتيح لنا أن نوجه اليه هـــذا السؤال : من الذى يتجنى يا سيد صلاح شادى : من يكتبون التاريخ وفق احدث المناهج العلمية ام الذين يكتبون التاريخ وفق اهوائهم الحزبية القديمة والحديثة ! .

المقـال الثالث

بينى وبين صلاح شادى : من المتجنى ؟

(الوطن فى ١٣ ديسمبر ١٩٨٠)

هناك لغز يحيرنى فى مقالات الاستاذ صلاح شادى التى كتبهـا ردا على فصول الدراسة التى تنشرها لى جريدة « الهدف » الغراء عن التنظيم السرى للاخوان المسلمين وحادث المنشية ، وهو انه ينسب الى من الاقوال ما لم يرد فى اى جزء من اجزاء الدراسة ، سواء ما نشربالفعل منها وما لم ينشر ! . وقد حاولت ان افسر هذا اللغز بان الاستاذ صلاح شادى ، وهو مناور كبير ، يريد ان يشككنى فى نفسى وفيمـا كتبت ! . ولـكن حسن ظنى بذكائه جعلنى استبعد هذا الاحتمال ، ولكنه فتح امامى باب الاحتمال الاخر الباقى ، وهو أن الاستاذ صلاح شادى يريد أن يشكك القراء !

والاستاذ صلاح شادى بذلك يجازف مجازفة كبيرة لسببين : الاول ، ان فصول دراستى موجودة بين يدى القراء ، الذين لاشك ان الـكثيرين منهم يحتفظون باجزائها التى صدرت ، كما جرت العادة فى أمثال هـذه الدراسـات.ومعنى ذلك انه يمكنهم الرجوع اليها لمعرفة ما اذا كانقد وردت بها هذه الاقوال التى نسبها الى أم لا ، فاذا وجدوا ان شيئا منها لم يرد ، ساء موقف الاستاذ صلاح شادى ، وانكشفت محاولاته .

اما السبب الثانى ، فهو انه لا ينبغى على اى كاتب أن يتحاور مـع مؤرخ ، مرن بطبيعة عمله العلمى على استخدام النصوص ، بهذا الاسلوب ، لأن هذا المؤرخ سوف يكشف ـ من واقع النصوص ـ هذه المحـاولة للتشكيك ، وهو ما انوى ان افعله فى هذا المقال ! . وسابدأ بمقاله الاخير القريب فى الوطن عدد ٢٤ نوفمبر ، الذى كتبه ردا على مقـالى الاول فى الوطن ١٧ نوفمبر .

ففى العمود الاول من مقاله ، ينسب الى اننى قلت هذا الكلام :

« ان الدراسة التاريخية اثبتت ان الاخوان المسلمين لم يقفـوا الى جانب الديمقراطية ، وان عليهم ان يستفيدوا من اخطائهم فى اشـاعة الديمقراطية فى صفوفهم ، ومساندة الديمقراطية فى كل مكان ، بدلا مـن ان يشرعوا اقلامهم ويشهروا اسلحة الهجوم والاتهامات » .

وقد علق على عبارة : « ان الدراسة التاريخية » ، بقوله ساخرا :
« هكذا وبهذه الصورة المغماة » !

فهل قلت هذا الكلام المغمى ؟ ان القارىء اذا رجع الى مقالنا المذكور (العمود الاول . الفترة الخامسة) سيجد أن نص عبارتنا كان على النحو الاتى :

« اذا قالت هذه الدراسة التاريخية .. الخ » . فأين «الصورة المغماة» التى يصفها الاستاذ صلاح شادى بعد أن حور عبارتنا على النحو الذى ذكره ؟ .

ولماذا حذف اسم الاشارة « هذه » الذى يحدد الدراسة التاريخية المقصودة ، ليطلق المعنى ، ثم يهاجمنا لهذا الاطلاق ؟ . ولماذا حذف « اذا » الشرطية واورد العبارة فى صورة التقرير والاثبات ؟ . ان الاستاذ صلاح شادى لا يستهدف بطبيعة الحال تشكيكى فيما كتبت ، لانه يعرف جيدا اننى ادرك ما كتبت ، ولكنه يستهدف تشكيك القراء عن طريق تحوير وتحريف عباراتى ، واتهامى بما لم اقله .

٢ — كذلك نسب الى الاستاذ صلاح شادى فى نفس المقال (العمود الرابع — الفترة الثالثة) اننى قلت فى مقالى المذكور اننى « **توخيت** » عرض صورة الاخوان المسلمين بالطريقة التى تخيفهم من انفسهم ومن اخطائهم ليستفيدوا منها فى تصويب خطواتهم .. وقد بنى على هذه الكلمة التى **اقحمها على النص ، وهى « توخيت » ، حكما اصدره بأن الدراسة على هذا** النحو تكون قد فقدت موضوعيتها ! ، وكان نص عبارته فى نفس العمود فى الفترة الاخيرة :

« وانى لاشكر الدكتور المؤرخ على حسن قصده فيما توخاه من اخافة الاخوان المسلمين من انفسهم ، ولكنى لا انسى فى غمرة هذا الشعور **« بالجميل » ان اذكره ان رسالة المؤرخ تفقد موضوعيتها اذا توخى شيئا** آخر غير استنباط الحقائق من وراء الاحداث » !

فهل قلت فى مقالى اننى « توخيت » هذا الفرض عند اعداد دراستى؟. للقارىء ان يرجع الى هذا المقال بنفسه ، وسيجد اننى لم استخدم على الاطلاق هذه الكلمة ، التى اكدها ثلاث مرات فى مقاله ونسبها الى ! ، والتى يدلل بها على أن الدراسة على هذا النحو قد فقدت موضوعيتها ! . وهو محق فى ذلك لو قلتها ، لانها تشير الى وجود غرض للدراسة غير غرض الوصول الى الحقيقة التاريخية ، وانما قلت ، ردا على اتهامه لى بأنى أعرض الاخوان المسلمين بالصورة التى تخيف الحكم والمحكومين — ويقصد بذلك بطبيعة الحال العرض الذى أقدمه فى الفصول المنشورة —

بأن هذا العرض من شأنه ان يخيف الاخوان من أخطائهم . وكانت عبارتى بالنص (فى العمود الاول من الصفحة التاسعة) كالآتى :

« وبالنسبة للتهمة الاولى « اننى اسعى من وراء هذه الدراسة الى تصوير الاخوان المسلمين بالصورة التى تخيف الحكام والمحـــكومين) ، فالحقيقة اننى أعرض الاخوان المسلمين فى الصورة التى تخيفهم انفسهم من اخطائهم ، ليستفيدوا من هذه الاخطاء فى تصويب خطواتهم »

فالكلام عن عرض قائم وليس عن توخيات لهذا العرض ! . ولكـــن الاستاذصلاح شادى،اختلق علينا كلمة « توخى » ، لينقل المعنى الى مايريد من تشكيك القراء فى الدراسة والمنهج العلمى. الذى جرت فى ضوئه . ونسى انه يتناقض بذلك مع نفسه فى هذا الاتهام ، فقد سبق أن اتهمنا «بالتشكيك فى المقاصد والنوايا التى حملها الشهيد حسن البنا لامة الاسلام جمعاء » ، ولكنه يعود فيتهمنا بأننا كتبنا متوخين استفادة الاخوان من أخطـــائهم . والغرض الثانى يتناقض مع الاول ، فالثانى غرض ودى ، والغرض الاول غرض عدائى ، ولكن الاستاذ صلاح شادى لايبالى بذلك،مادام حقق غرضه الاسمى ، وهو تشكيك القراء .

٣ ـــ وفى المقال الثالث للاستاذ صلاح شـــــادى ، الذى نشر فى « الوطن » يوم ١٩ نوفمبر ١٩٨٠ نسب الينا اننا قلنا فى دراستنا ان افراد التنظيم السرى « كانوا من الطبقات الدنيا من الشعب ؟ ! وبنى على ذلك هجوما طويلا على طول عمودين اختتمه بقوله : « ماذا يضير افراد النظام ان يكون منهم السمكرى والنجار والفلاح والموظف الصغير،وهم جميعاقطاع من قطاعات الامة التى تمثل ـــ عند النظرة الماركسية ـــ « الطبقة الكادحة » ، التى قامت الثورة الشيوعية لانصافها . ومع ذلك فقد شمل النظام الخاص جميع طبقات الاخوان ، أو على الاصح جميع طبقات الامة ، بما فيهم المهندس والقاضى والمحامى ووكيل النيابة والضابط .. بالاضافة الى العـــــامل والسمكرى والفلاح ، والفقير وصاحب الثراء » .

فهل قلنا فى دراستنا ان افراد التنظيم السرى كانوا من الطبقـــات الدنيا من الشعب » ؟ . ان القارىء يستطيع أن يرجع الى دراســـــتنا (المقال الثالث ـــ الهدف ١٣ نوفمبر) فسيجد اننا لم نقل هذا الكلام وانما قلنا بالنص الحرفى :

« وقد اعتمد البنا فى تكوين الجهاز السرى على عناصر عماليـــــة وبورجوازية صغيرة تتكون من موظفين وحرفيين وطلبة » ولو عرف الاستاذ صلاح شادى تركيب الطبقة البورجوازية الصغيرة ، لعرف أنها تتكون ممن ذكرهم تماما ، فهى تضم الفئات التى تقع فى موقع متوسط بين الطبقـــــة العمالية والفلاحية فى أسفل السلم الاجتماعى الطبقى . وبين الطبقــــة

البورجوازية الكبيرة فى اعلى هذا السلم الاجتماعى . ويدخل فيها ضباط الجيش والبوليس.وقد اورد بنفسه اننا اضفنا ان«تنظيمات»الاخوان تغلغلت فى الجيش والبوليس » فلماذا اذن ينسب الينا ما لم نقله ، وهو ان افراد هذه التنظيمات « كانوا من الطبقات الدنيا من الشعب » فقط ، ويبنى على ذلك هجومه الكبير؟.والا يتناقض مع نفسه فى اتهامنا بالماركسية اذا نسب الينا الازدراء بهذه الطبقات الدنيا ؟ .

اما ادعاء الاستاذ صلاح شادى ان الشيخ حسن البنا قد جند فى النظام الخاص اصحاب الثراء ، فهو قول يثير الابتسام ! . فأى اقطـــــاعى او رأسمالى كان على استعداد للاندراج فى سلك التنظيم السرى الذى الفــه الشيخ حسن البنا ، حتى ولو كان بغرض اخراج الانجليز او القتال من اجل فلسطين ! ـ يبدو ان الاستاذ صلاح شادى قد نسى التركيب الاجتماعى الطبقى فى مصر فى ذلك الحين ، وحدود ثورية كل طبقة من هذه الطبقات ! ومع ذلك فليقل لنا اسماء هؤلاء الاقطاعيين والراسماليين من اعضاء التنظيم السرى ! . ويبقى بعد ذلك انه قد نسب الينا ما لم نقله فى دراستنا عـــن « الطبقات الدنيا » ! لتشكيك القراء .

ومن الغريب ان الاستاذ صلاح شـــــادى لم يفطن الى الادانة التى حملتها عباراتنا لملاحظة الاستاذ مصطفى الهلباوى ، وملاحظة جمال سالم اللذين سخرا فيهما من التركيب الاجتماعى للتنظيم السرى ، مع انه أورد نص ادانتنا لجمال سالم وقولنا انه « لايوجد فى تاريخ القضاء العسكرى فى مصر رئيس محكمة هبط بمســـتوى المحاكمـــات الى مثـــل هـــذا الدرك الاسفل .. الخ » . ترى لو ان المرحوم جمال سالم كان مايزال على قيد الحياة ، هل كان يتهمنا ايضا باننا تجنينا عليه كما اتهمنا الاستاذ صـــلاح شادى بالتجنى على الاخوان .

٤ ـ وقد نسب الينا الاستاذ صلاح شادى اننا أدنا الاخوان فى حادث مقتل احمد ماهر باشا ! ، واننا « كذبنا » محمود العيسوى و « قدحنـــا فى شهادته بل وفى كل القرائن التى تشير الى لون انتمائه الى الحـــزب الوطنى » ، بل لقد استخدم علامات التنصيص لتقـــديم عبـــارات زعم اننا أوردناها فى دراستنا ! . ففى العمود الخامس من مقاله المذكور بجريدة الوطن يوم ١٩ نوفمبر ١٩٨٠ ، أورد نصا نسبه الينا يقول : « وهذا هو الدليل على انتماء محمود العيسوى الحقيقى لجماعة الاخوان المسلمين » ، ويقصد بــه وصف عبد الرحمن الرافعى للعيسوى بانه « شاب رقيق الحال غير ناجح فى المحاماة ولا ملتفت لعمله » . ثم بنى على ذلك اتهامنا بلوى الحقائق .. .. الخ .. »

ولا أملك الا أن أحيل القارىء الى الدراسة المنشورة ، ولن يجد فيها اطلاقا مثل هذا النص المدسوس ، واكثر من ذلك سيجد أننا لم ننته الى راى محدد فى تحديد انتساب محمود العيسوى الى جماعة الاخوان . فقد قلنا بالنص الحرفى : « ويعتبر دور الاخوان فى هذا الحادث مما يثير مناقشات كبيرة » وأن « بعض الآراء تؤكد أن محمود العيسوى كان من الاخوان المسلمين ومن غلاتهم » ثم أوردنا هذه الآراء ، وأبدينا ملاحظاتنا التى لم نختمها بتأكيد انتماء العيسوى للاخوان ، أو ارتكاب التنظيم السرى هذه الجريمة ! . وأكثر من ذلك اننا قلنا بعد ابداء هذه الملاحظات (العمود الثانى من ص ١٧من الوطن يوم ١٣ نوفمبر) هذه العبارة : « واذا صح أن اغتيال احمد ماهر باشا كان من تدبير الاخوان المسلمين فان هذه تكون المرة الاولى التى يستخدمون فيها العنف » . وهذه العبارة واضحة صريحة لمن يفهم اللغة العربية ، وتشير الى اننا عجزنا فى ضوء الدلائل التى تحت أيدينا عن اتخاذ راى محدد فى هذه القضية ، ولذلك اوردنا « اذا » الشرطية فى صدر العبارة . . !

ولكن الاستاذ صلاح شادى ، بدلا من أن يفند الآراء التى اتهمت الاخوان بتدبير الحادث ، ويساعدنا بذلك على جلاء الحقيقة التاريخية ، يتجاهل ذلك كله ، ويختلق علينا آراء واحكاما ونصوصا لم نقلها على الاطلاق . وكل ذلك لاثارة الشك فى المنهج العلمى الذى تمت به الدراسة ، لأن هذا المنهج يدين العنف الفردى ، ويدين التنظيمات السرية ، ولا يؤمن الا بالديموقراطية والوسائل الجماهيرية للنضال .

٥ — كذلك نسب الينا الاستاذ صلاح شادى اننا اتهمنا الشيخ حسن البنا باقرار قتل النقراشى ! وكانت عبارته كالآتى : « واذا استعرضنا راى الدكتور رمضان فى دعواه أن المرشد والجهاز الخاص قد اقرا قتل النقراشى لوجدنا أن ذلك يخالف آراء المنصفين » !

والسؤال الذى اوجهه اليه : هل قرأ لنا حقا فى الدراسة المنشورة فى « الهدف » اننا اتهمنا الشيخ حسن البنا باقرار قتل النقراشى ؟ . وأين ؟. لقد اتهمنا حقا التنظيم السرى بقتل النقراشى باشا ، ولكن لماذا يدس اسم الشيخ حسن البنا الى جانب اسم التنظيم السرى ، وهو يعلم تماما أننا لم نورد هذا الاتهام ؟ . وحتى نساعده على البحث فان ما أوردناه فى هذه النقطة مثبت فى العمود الثانى من الصفحة ١٦ من عدد « الهدف » ١٣نوفمبر وله أن يبحث فى كل انحاء الدراسة اذا شاء ! . ولكن الاستاذ صلاح شادى — كما قلت — يستهدف تشكيك القارىء فى الدراسة ، باختلاقات ينسبها الينا ثم يقوم بتفنيدها ، حتى تبدو الدراسة حافلة بالاخطاء ! .

٦ – كذلك ادعى الاستاذ صلاح شادى اننا وصفنا حركة الاخوان بأنها احد روافد المد الفاشى فى الثلاثينيات ، لانها تقاوم الشيوعية فى مصر! قائلا : « ان مقاومة الاخوان للشيوعية فى مصر لا تستحق أن توصف عنده الا بأنها « مقاومة فاشية » !

والاستاذ صلاح شادى بهذا الادعاء يريد ان يخفى الوجه الفاشى للحركة . فالفاشية تطلق على الحركات التى تستخدم القمصان الملونة للاعتداء بالقوة على الراى المعارض .. ومنعه من التعبير عن نفسه . وكان للاخوان قمصان صفراء ، وكان عندهم سلاح ، وكانوا يستخدمون القوة للاعتداء على الراى المعارض ، سواء أكان شيوعيا أم غير شيوعى . ومن هنا قلت ان الحركة احد روافد المد الفاشى ، لانها لا تستمد اصولها الفكرية من منابع فاشية ، وانما من منابع اسلامية ، ولكنها استخدمت الوسائل الفاشية التى كانت سائدة فى الثلاثينيات . ومن ثم فالوصف الفاشى مرتبط بطبيعة الممارسة السياسية للحركة ، وليس مرتبطا بمقاومة الشيوعيه وحدها . فالحكومة الامريكية تقاوم الشيوعية باكثر مما يقاومها الاخوان المسلمون ، لأنها تهدد النظام الاجتماعى الذى يقوم عليه الحكم ، ولكنها لا توصف بأنها حكومة فاشية . لانها تستخدم الاساليب الشرعية الدستورية ، ولا تستخدم الاساليب الذى كان يتبعها هتلر وموسولينى ، أو جماعة مصر الفتاة فى مصر ، أو جماعة الاخوان المسلمين ، اى ارسال القمصان للاعتداء على الخصوم السياسيين !

ومن الطريف ان الاستاذ صلاح شادى استدل بالكتاب الذى أرسله الشيخ حسن البنا الى مصطفى النحاس باشا ، يقول فيه « ان الوفد فى أيامه الاخيرة قد تخللت صفوفه طوائف وأفواج من ذوى الآراء الخطيرة والمبادىء الهدامة . الذين لا يدينون بغير الشيوعية مذهبا ، ولا يؤمنون بغير موسكو قيادة ولا توجيها .. ونظرة دقيقة واحدة من رفعتك الى حضرات المحررين فى « صوت الامة » وفى « رابطة الشباب » ، أو « الطليعة الوفدية » ، وفى هيئة تحرير « الحوادث » و « الجماهير » ... يكشف لك عن ان هؤلاء جميعا ليس فيهم من الوفدية الا اسمها ... الخ »

وانى اسأل الاستاذ صلاح شادى ان يجيبنى بصراحة وبلا تحرج : أليس هذا الراى الذى كتبه البنا ، هو بنفسه الراى الذى اتخذه اسماعيل صدقى باشا ، جلاد الشعب ، ذريعة للقيام بحملته الهتلرية على صحف المعارضة ليقفلها ، والقوى الوطنية ليدخلها فى السجون ، فى يوليو ١٩٤٦ ؟ بحجة أنهم شيوعيون ! . وهل يستطيع ان يجيبنى عن هذا السؤال : من

منهما اثر على الآخر ، وكانوا حلفاء : هل اثر الشيخ حسن البنا على اسماعيل صدقى باشا بهذا الراى ، أم اثر اسماعيل صدقى باشا على الشيخ ؟ . واذا كانت وطنية الاخوان المتقدة قد دفعتهم الى تكوين جيش وتنظيم سرى لمحاربة الانجليز كما يقول صلاح شادى ، وليس للاستيلاء على الحكم ، فلماذا تخلوا عن القوى الوطنية التى كانت تكافح الانجليز . وتحالفوا مع اسماعيل صدقى باشا الذى كان يفاوض الانجليز ، وكان يسعى لعقد الصفقة معهم ؟ . ولماذا تخلوا عن هذه القوى الوطنية فى عهد الوزارة السابقة ، وزارة النقراشى باشا ، وقرروا فى مؤتمر ٦ أكتوبر تحت قيادة البنا ، اعطاء الحكومة النقراشية الفرصة لمعالجة القضية الوطنية وتأييدها تأييدا تاما ؟ .. والا يتناقض ايمان الاخوان بالمفاوضات كوسيلة لحل القضية الوطنية الى هذا الحد ، مع دعوى الأستاذ صلاح شادى انهم كانوا يبنون الجيش العلنى والجيش السرى لقتال الانجليز ؟ . أم ان الاخوان تحالفوا مع اسماعيل صدقى باشا لأنه غير شيوعى ، بينما كانت كل القوى الوطنية والتقدمية مكونة من الشيوعيين — حسب كلام الشيخ حسن البنا فى خطابه السالف الذكر الى النحاس باشا ؟ .

ومن المذهل حقا ان الأستاذ صلاح شادى يقول انه دفع من عمره عشرين عاما فى السجن بسبب خطئى وخطأ كل فرد فى الشعب المصرى عجز عن أن يقول كلمة « لا » لعبد الناصر . وانا اقول له : انك تقلب القضية راسا على عقب بهذا الطرح . فلقد دخلتم السجون لأنكم قلتم «نعم» لعبد الناصر ، بينما كنا نقول « لا » ، وكانت كل القوى الوطنية والتقدمية تقول « لا للدكتاتورية » اثناء أزمة مارس ١٩٥٤ ! . وقد دخلت هذه القوى الوطنية والتقدمية السجون ، وخرجتم أنتم من السجن الحربى تعلنون معارضتكم لعودة الأحزاب ، بحجة أن عمل هذه الاحزاب — حسب تعبير الهضيبى — « لم يكن لوجه الله ، ولكن كان عملا لوجه الشيطان » ! .

فاذا انقلبتم على عبد الناصر بعد ذلك ، وقلتم « لا » لاسباب سوف تكشفها هذه الدراسة ، فلم يكن فى وسع القوى الوطنية والتقدمية ان تشارككم فى هذه الكلمة بصوت مسموع ، لأنها كانت مغيبة فى السجون !. ولكن حين ظهر الوجه التقدمى لعبد الناصر ، واخذ يعبر عن آمال امتنا العربية من الخليج الى المحيط ، ويوجه الضربات الى المستعمر فى مقتل . ويحرر جماهيرنا الفقيرة من العبودية والاستغلال . تغير موقفنا ، وقلنا « نعم » . ولكنكم أصررتم على قول « لا » . فكم اسأتم اختيار المواقف التى تقولون فيها « نعم » أو « لا » ، أيها الأصدقاء ! .

المقـال الرابـع

بينى وبين صلاح شادى : من المتجنى

(الوطن فى ٢٢ ديسمبر ١٩٨٠)

استمتعت بقراءة مقال الاستاذ صلاح شادى فى « الوطن » الغراء يوم ٣ ديسمبر ، وتأثرت لعباراته البليغة وشجاعته وتواضعه ، وتذكرت أننى بكيت مرتين لمحاكمته ، الأولى وقت وقوع هذه المحاكمة فى أواخر ديسمبر ١٩٥٤ حين قرأت نبأ الحكم باعدامه ، والثانية عندما قرأت هذا النبأ مرة اخرى عند اعداد هذه الدراسة ٠

وبالنسبة للمرة الاولى . فقد كنت فى ذلك الحين أقف فى صفوف القوى الوطنية التقدمية التى كانت تعارض معاهدة الجلاء التى ابرمها الرئيس الراحل عبد الناصر ، وكانت تعارض الاتجاه الدكتاتورى للثورة ، الذى يخالف ما قامت لاجله ، وهو الدستور ٠ ومع ادانتناللعنف الفردى وعدم ايماننا بجدواه ، الا اننا كنا نرتقب بجزع ما يحدث للاخوان بعد وقوع الحادث . من حملات مجنونة ، واضطهاد فظيع ، ومحاكمات صورية ، واحكام قاسية ونأسى لمصابهم الذى كان مصاب كل بيت فى مصر تقريبا ٠

اما بالنسبة للمرة الثانية ، فقد اعتدت أن أبكى اثناء اعداد دراساتى التاريخية كلما عشت فى فترة من فترات النكبات الكثيرة التى مرت بشعبنافى مصر ، سواء على يد المستعمرين أو الحكام ، وأن اتصور نفسى فى جموع الشعب المصرى التى تتساقط عليها قنابل الاسطول البريطانى اثناء الثورة العرابية وهى تجار الى الله صارخة ! يا عزيز يا عزيز ٪ كبه تهلك الانجليز ! أو جموع الشباب المصرى فى ثورة ١٩١٩ ، وهم يتصدون لرصاص الانجليز ويسقطون وهم يهتفون ! الاستقلال التام أو الموت الزؤام . او فى شباب الاخوان المسلمين بعد حادث المنشية ، وهم يلتمسون النجاة من حملات التفتيش والقبض والتنكيل التى يباشرها البوليس المصرى .

ولربما يرجع السبب فى ذلك الى ايمانى بأن المؤرخ كالفنان ، لكى ينقل الاحساس بنبض التاريخ الى القارىء ،لابد أن يمر هو نفسه بهذا الاحساس٠ ومن هنا فقد عشت مأساة محاكمة الاخوان فى أواخر عام ١٩٥٤ وأوائل عام ١٩٥٥ مرتين : الاولى وقت وقوعها ، والثانية عند اعداد هذه الدراسة، وبكيت لما أصابهم من ظلم واضطهاد ٠

ولربما يرجع جزء كبير من اسباب سوء الفهم لما اكتب من جانب كثير من الاخوان ، وتهمة التجنى التى يرمينى بها الاستاذ صلاح شادى ، الى سبب كثيرا ما حذرت طلبتى منه عند اعداد الدراسات التاريخية ، وهـو اساءة اختيار العنوان . فقد كنت انصح دائما بأن يوافقَ العنوان المضمون، فلا يخرج عنه ولا يحيد ! وهذه الدراسة التى اقدمها على صفحات جريدة « الهدف » القراء وبعض الصحف العربية الاخرى ، ليست دراسة عن حركة الاخوان المسلمين ، وانما هى دراسة عن التنظيم السرى للاخـوان المسلمين وحادث المنشية . والفرق بين التناولين كبير .

فدراسة عن حركة الاخوان المسلمين تقتضى التعرض لانجازاتهم فى كافة الميادين الإجتماعية والإقتصادية ، وهى انجازات كبيرة ، كما تقتضى التعرض لانجازاتهم فى الاصلاح الدينى ، وهى انجازات كبيرة ايضا ، كما تقتضى التعرض ايضا لانجازاتهم بالنسبة للقضية الفلسطينية ، وهى ايضا انجازات كبيرة ـ وبعبارة وجيزة تتعرض لحركة الاخوان المسـلمين من جميع زواياها المختلفة وعلاقاتها بالقوى المختلفة .

أما هذه الدراسة فهى تدرس زاوية واحدة هى : العنف . ومن سوء حظ الاخوان ان العنف هو سلبيتهم الكبرى ، وهو سبب كل ما حـاق بهم ، وحاق بمصر من آلام . لذلك سوف يرى القارىء أن كل ما تعرضت لـه الدراسة من احداث يتصل بهذه الزاوية ، سواء ما يتعلق بفكر الجماعـة او علاقاتها بالقوى السياسية المختلفة ، او خلافاتها وانقسـاماتها او صلتها بعبد الناصر وثورة ٢٣ يوليو . فضلا عن متابعة نشأة وتطـور جيش الجماعة العلنى وجيشها السرى ، ويبلغ كل ذلك ذروته فى تصاعد تاريخى محموم بحادث المنشية ، الذي يمثل النهاية المأساوية لمرحلـة من مراحل العنف .

وكل هذه الاغراض ، او هذا المضمون ، كان من الممكن ان يشـير اليه عنوان الدراسة وهو « التنظيم السرى للاخوان وحادث المنشية » . ولكن الدراسة صدرت تحت عناوين مختلفة ، لاسباب تتصل بالشـكل لابالمضمون . وهذا لعله في ظنى أهم اسباب سوء الفهم من جانب الاخوان المسلمين للدراسة ، حتي بلغ الأمر حد مهاجمتى فى مساجد بعض البـلاد العربية فى خطبة الجمعة ! ، اعتقادا بانى اعرض حركة الاخوان المسلمين بطريقة غير منصفة ! . وهم محقون فى ذلك لو كنت اعرض « حركة الاخوان المسلمين » ولا اعرض « التنظيم السرى للاخوان المسلمين » .

وفى اعتقادي الشخصي اننى خدمت حركة الاخوان المسلمين بالنتائج التى اسفرت عنها هذه الدراسة ، والتى عرضت فى الفصول السـابقة

والفصول القادمة — بأكثر مماكان يمكن ان تخدم هذه الحركة دراسة شاملة عن الاخوان المسلمين !

ذلك ان رؤيتى لحركة الاخوان المسلمين هى أنها حركة متجددة ما بقى شباب واسلام • وان هذه الحركة التى أرسى أسسها المرحوم الشيخ حسن البنا ، سوف تستمر الى نهاية التاريخ فى بلادنا العربية ، ولن يوقفها سقوط الضحايا على جانبى الطريق بل ربما يغذى مسيرتها ويدفع بها الى الامام •

ولكن قد يخفف كثيرا من سقوط الضحايا ويحقن كثيرا من الدماء دراسة الاخطاء وتداركها فى المراحل التالية . وهذا ما توفره الدراسات التاريخية وما تكشفه من سلبيات •

وللامانة ، فان كثيرا من زعامات الاخوان فى الحركة التي خضعت للبحث ، حاولوا التوقف قليلا والقاء نظرة الي الوراء التماسا لدروس التجربة • وقد حدثت بسبب ذلك خلافات وانقسامات • وعلي الاخوان الذين بقوا على قيد الحياة الان ان يجيبوا على هذا السؤال : هل كانوا على حق ، أم كان الذين اختلفوا معهم علي حق ؟ وفي ذلك عليهم أن يتجردوا من ذواتهم ، وان ينظروا الي مستقبل حركة الاخوان حتي نهاية التاريخ !

نعم فان كثيرا مما اتهمنا الاستاذ صلاح شادى بالتجنى فيه قد ردده كثير من قادة الاخوان فى ذلك الحين . ولو رجع القارىء العزيز الي الحلقة السادسة من دراستنا فى « الهدف » ، فسيري طرد مصطفي مؤمن من الاخوان ، لانه كان يطالب بالمصالحة مع حزب الاغلبية فى مصر ، وهو الوفد • ومعنى ذلك تأييد الديمقراطية — اذ كانت الجماعة تفضل التعاون مع القصر • أى مع الحكم الاوتوقراطي • وقد تمثل هذا وقتذاك في زيارات الهضيبى للقصر ! •

وسيرى القارىء على لسان محمد خميس حميدة قوله انه كان هناك فريق من الاخوان يرى انه لا داعى لوجود النظام السري ولا التشكيلات ، « لان مالهاش اصل فى دعوة الاخوان المسلمين ، ويكتفي بأن يأخذ الاخوان انفسهم بالتربية المتكاملة . ولما تيجى اى حاجة أو حركة عامة ، يندب لها من الجماعة ، واللى يتطوع يتطوع .. الخ » .

بل يرى القارىء تنديد الهضيبى بالنظام السرى تنديدا قويا الي حد انه يخاطب قادة الاخوان بعد توليه قيادتهم فى أكتوبر ١٩٥١ قائلا : « ايه الغرض من هذا النظام ؟ وايه مرماه ؟ وايه تعملوا بيه ؟ خصوصا بعد ما

ثبت أنه ارتكب جرائم قبل ذلك فى سنوات ١٩٤٦ و ١٩٤٧ و ١٩٤٨ ، وكل هذه الجرائم التى ارتكبت طبعا انحراف وخروج عن الغرض الاصلى من هذا النظام ، وهو اعداد الفرد المسلم اعدادا صالحا للدفاع عن الوطن الاسلامى » .

وحتى بالنسبة للغرض الذى يصر الاستاذ صلاح شادى على أنه وراء انشاء التنظيم السرى ، وهو طرد الانجليز،فان الهضيبى يجيب عليه اجابة بليغة اثناء اشتداد معركة القنال ، باجابته على مندوب مجلة « الجمهور المصرى » يوم ١٥ أكتوبر متسائلا ! « هل تظن ان أعمال العنف تخرج الانجليز من البلاد ؟ » . ومعنى هذا الكلام بوضوح أن المرشد الجديد للاخوان ، لا يؤمن بجدوى العنف فى اخراج الانجليز من البلاد ، سواء كان العنف فرديا او جماهيريا ! .

وهذا الكلام لا نقوله تجنيا من الخيال ، وانما ننقله عن اقوال علنية ومنشورة ، توضح الى اى حد اختلف الاخوان وانقسموا حول العنف والتنظيم السرى والعلاقات مع القصر . كما أننا لا نقوله أو نكتبه بغرض الاساءة للاخوان أو التشهير بحركتهم ، فلا يوجد لدينا دافع واحد يدفعنا الى ذلك ، فوق أننا لا نكتب مقالا سياسيا ، ، وانما نقدم دراسة تاريخية يلزمنا منهج البحث التاريخى باتباع كل الادوات العلمية اللازمة الكفيلة بتقديم الحقيقة التاريخية لشعبنا العربى ولاجيالنا القادمة بكل دقة وامانة ، فى حدود امكاناتنا البشرية والمادة الوثائقية المتاحة .

وهذا يقودني الى مناقشة لوم وجهه لى الاستاذ صلاح شادى ، فقد استدل بما كتبه زميل هو الدكتورزكريا سليمانبيومى فى رسالته للدكتوراه وموضوعها : « الاخوان المسلمون والجماعات الاسلامية » ، ولامنى لانى لم اقتنع بهذا الرأى العلمى . وكان الزميل قد كتب يقول : اذا اخذ البعض علي اعضاءالجهاز قتل كل من القاضى الخازندار ومحمود فهمى النقراشى ، ولم يثبت قانونا قتل اعضاء الاخوان لغيرهما ، فان القتل كان فى الحادثين حالة فردية لا ينبغى معها الصاق تهمة امتهان القتل بالجهاز او الجماعة » . مع أن الهضيبى كان رأيه مختلفا تماما كما رأينا !

وفضلا عن أن الزميل قد تحفظ بالقول بأنه لم يثبت « قانونا » قتل اعضاء الاخوان لغير القاضى الخازندار والنقراشى ، فان لوم الاستاذ صلاح شادي معناه انه لا يجب علينا مناقشة رسائل الماجستير والدكتوراه ، على اعتبار أن ما تحمله هو آراء علمية واجبة التصديق !

على اننا نناقش فى الجامعات رسائل الماجستير والدكتوراه ، كجزء من عملنا العلمى ، ونقدم عنها الملحوظات ، وننبه الطالب الى ما بها من اخطاء ، ونختلف معهم فى الاراء . ولكنا لانستطيع أن نلزمهم بآرائنا ، توفيرا لحرية البحث العلمى ، بل اننا حتى لانستطيع أن نلزمهم بتصويب ما بها من اخطاء قبل الطبع — وان كان هذا يحدث أحيانا — اعتمادا على حسن نية الطالب ، ولانه هو المسئول الأول عن عمله العلمى وعن سمعته العلمية ، ولان من مصلحته أن يستفيد من تجاربنا العلمية . ولكن البعض يتسرع اذا أتيحت له فرصة قريبة للنشر ! . ولقد ظللت أناقش فى جامعة عين شمس احدى رسائل الدكتوراه عن الجيش المصرى قبل سفرى الى لندن حتى الساعة الحادية عشرة والنصف مساء ، وأنا أعرف أنه فى امكان الطالب أن يطبع رسالته فى اليوم التالى اذا توفرت له الامكانيات . دون أن يستفيد من أى من هذه الملاحظات أو يعيرها أى اهتمام ! وقد أفاجأ بعد بضع سنوات بمن يلومنى لانى لم آخذ بأحد الآراء العلمية التى وردت بها ، والتى ربما كانت لى ملاحظة عليها !

وهذا الكلام لا يجب أن يؤخذ على انه تعريض برسالة الدكتوراه السالفة الذكر عن الاخوان المسلمين ، والتى ناقشها زملاء وأساتذة أعزاء — فما اسهل من نقدها فى مجال آخر ، وانما الذى اريد أن اقوله انه لا يوجد رأى علمى يعلو فوق النقد . وها هو الداعية الكبير الأستاذ صلاح شادى ينقد آرائى العلمية بشدة ، بل ويتابع كل حلقة من حلقات الدراسة بمقال ! ، ثم يتابع مقالى فى الرد عليه بمقال آخر ، ولم أر فى هذا ما يستحق عليه اللوم ، بل الشكر ، فكل منا ينقب عن الحقيقة التاريخية بأدواته الخاصة . ولو صوب لى سيادته خطأ تاريخيا ، فسيجدنى أول من يعترف بفضله ، فالحقيقة التاريخية ملك لشعبنا العربى ولوطننا العربى ، وانما نحن فقط ، كل فى موقعه ، خدام لهذا الشعب ولهذا الوطن . وسأتابع الحوار فى مقال آخر .

المقال الخامس

بينى وبين صلاح شادى : من المتجنى ؟

(الوطن فى ١٣ ينـــاير ١٩٨١)

فى مقالى الثالث فى الرد على مقالات الاستاذ صلاح شادى ، كنت قد اثرت ما نسبه الى من اقوال وكتابات قام بمناقشتها وتفنيدها فى حـــين انها لم ترد فى اى جزء من اجزاء الدراسة التى نشرت فى اعداد الهـدف الغراء ، وقراها القراء . وقلت ان هدف الاستاذ صلاح شادى من ذلك هو تشكيك القراء فى الدراسة والمنهج العلمى الذى قامت عليه . ولعل سيادته نسب الينا هذه الاقوال منطلقا من انطباعاته الشخصية عنها، وليس اقتباسا لنصوصها .

ومع ذلك فمن المحير استخدام علامات التنصيص فى تقديم هـــذه الاقوال ! . وعلى سبيل المثال ، ففى مقاله الثانى ، وفى العمود الاخير ، الفقرة الرابعة ، تحدث عن يمين البيعة الذى يقسمه عضو النظام الخاص، والذى كنا اوردنا طقوسه فى الحلقة الثانية مـــن دراســـتنا كما وردت فى « الهدف » ونسب الينا اننا عزونا القســـم الى طبيعة العنف والسرية فى الجماعة « لتهويش » العضو الجـــديد . واســتخدم سيادته عــلامات التنصيص حول كلمة « تهويش » ليشير الى انه نقلها بنصها عن دراستنا . وعلق على ذلك قائلا : « وليت الدكتور المؤرخ يسوق لنا طرفا من مضمون هذا « التهويش » الذى جرى مع عبد الناصر عندما عقد بيعته مع السندى سنة ١٩٤٤ «!» ثم تحدث عن مبايعة كمال الدين حسين وخالد محيى الدين والبغدادى وحسن ابراهيم وحسين الشافعى وعبد الحكيم عامر وصلاح سالم وقال : « ولم يقل أحد أن ذلك كان مدعاة « لتهويشهم » ، وانما قال الناس انهم خانوا الاخوان المسلمين .

ولكن هل وردت فى دراستنا كلمة « تهويش » التى نسبها اليـــنا الاستاذ صلاح شادى ، واقام عليها هذا البناء الضخم من التفنيد ؟ . لن نقول اكثر من أن الدراسة بين يدى القارىء ، ويستطيع أن يكتشف بنفسه انه لا يوجد اثر لهذه الكلمة ! ولكى نيسر عليه البحث ، نقول ان الموضع الذى ورد فيه القسم ، هو فى الصفحة الحادية عشرة من عدد الهـــدف ٦ نوفمبر ١٩٨٠ ، الفقرة الاخيرة .

وفى نفس المقال الذى نسب الينا فيه الاستاذ صلاح شادى كلمـــة « التهويش » نسب الينا أيضا اننا ادعينا على الشيخ حسن البنا أنه « كان يبغى القفز على الحكم والوصول اليه على جثث وهامات المواطنين » !

فهل ادعينا على الشيخ حسن البنا هذا الادعـــــاء ، وأين ؟ . ان الدراسة بين يدى القارىء ، فهل وجد فيها هذا الادعاء ؟ . وكيف يتفق هذا الادعاء مع ما أوردناه مـــن رغبة البنا فى ترشـــيح نفسه لعضـــوية البرلمان ؟ . وهل اذا قلنا ان الشيخ حسن البنا كان يريد ترشيح نفسه للنيابة عن الامة . يساوى عند الاستاذ صلاح شادى أنه «كان يبغى القفز على الحكم والوصول اليه على جثث وهامات المواطنين » ؟. أم ان الاستاذ صلاح شادى يرى فيما اوردناه عن مراحل دعوة البنا ، من أنه « انتقل الى وسيلة القوة والاستعداد للوصول الى الحكم واقامة الحكومـــــــة الاسلامية من طريق العنف » ـــ ما يساوى فى المعنى عبارته التى نسبها الينا ظلما ، وهى ان الشيخ حسن البنا « كان يبغى القفز على الحكـــم والوصول اليه على جثث وهامات المواطنين » ؟

ولكن الا يستطيع الاستاذ صلاح شادى أن يدرك الفـــارق الكبير بين المعنيين ؟ . فالوصول الى الحكم واقامة حكومة اسلامية ، هدف شريف ، ولكن القفز على الحكم والوصول اليه على جثث وهامـــــــات المواطنين هـــــدف خسيس . وقد قلنـــا المعنى الاول ، ولم نقل المعنى الثانى .. فلماذا يتجنى علينا بينما هو يشكو من التجنى ؟ !

لقد اتبع الشيخ حسن البنا ، فى سبيل الوصول الى هدف اقامـــة الحكومة الاسلامية ، طرقا شتى ، من بينها طريق القوة ، ممثلا فى التنظيم السرى والتنظيم العلنى ، ومن بينها طريق البرلمان عن طريق ترشيح نفسه وبعض رفاقه للنيابة عـــن الامة وفرض التشريع الاســـلامى ، ومن بينها مصانعة القوى السياسية ذات التأثير فى البلاد ! . على ان المشكلة الحقيقية التى اكتشفها الشيخ حسن البنا مبكرا ، أو العقبة الكأداء فى طريق وصول الاخوان الى الاغلبية البرلمانية ، كانت تتمثل وتتذاك فى حزب الوفد ، الذى كانت تلتف حوله صفوف الامة المصرية لاسباب تتعلق بالتحـــــرر من الاستعمار والحكم المطلق ، بينما كانت فكرة الحكومة الاسلامية التى يسعى اليها الاخوان تبدو للجماهير المصرية فى المرتبة الثانية من الاهمية ، ومن هنا وجه البنا والاخوان عداءهم للوفد من جهة ، وشددوا الاهتمام بوسيلة القوة والاستعداد من جهة أخرى ، بينما صانعوا القوى السياسية التى بيدها الحكم والسيطرة على مقاليد البلاد مـــن جهـــة ثالثة ، والتى كانت ممثلة فى القصر ومما لا شك فيه أن حرص الشـــيخ حسن البنا عـــلى الدعوة ، وعلى الوصول بها الى شاطىء الامان ، وسط زوابع السياسة المصرية العاتية ـــ كان الدافـــع الحقيقى وراء مصانعته القصر ، الـــذى

كانت فى يده السيطرة والنفوذ ، ولم يكن الدافع عمالة للقصر . وهذا ما أوضحناه فى الحلقة الاولى التى نشرت فى الهدف . فقد تساءلنا :« من كان يستخدم الآخر ، هل كان البنا يستخدم القصر ، أم كان القصر يستخدم البنا ! » واجبنا على هذا السؤال بقولنا: « من العسير الاجابة على هذا السؤال ، والارجح ان كلا منهما كان يستخدم الاخر » ! .

حرص البنا على الدعوة واقامة الحكومة الاسلامية ــ اذن ــ هو الدافع الاساسى ، بل المحرك الوحيد لكل سياسته العلنية والتحتية ، وليس « القفز على الحكم والوصول اليه على جثث وهامات المواطنين » ، كما نسب البنا الأستاذ صلاح شادى قوله بغير حق ولا دليل .

وهذه السياسة التى اتبعها الشيخ حسن البنا هى التى تخضع للنقد ، وليست نواياه ومقاصده . فلقد كان على البنا ان يدرك حقيقتين أساسيتين وضروريتين لنجاح مثل هذه النوايا والمقاصد الشريفة .

اولهما ، أنه لابد اولا من تربية الأمة تربية اسلامية كاملة قبل انشاء الحكومة الاسلامية .

والحقيقة الثانية ، انه لابد من الاستناد الى قاعدة جماهيرية صلبة وعريضة .

وقد كانت هذه القاعدة وقتذاك ممثلة فى جماهير الوفد . فلو تحالف البنا مع الوفد لتغير وجه التاريخ المصرى ، ولكنه تحالف مع القصر طمعا فى الوصول عن طريقه الى الحكومة الاسلامية ، لانه كان من الناحية الفعلية مصدر السلطات ، وهذا خطأ البنا الاكبر .

وبمعاداة البنا للوفد صاحب الاغلبية ، وقع فى نفس الخطأ الذى وقع فيه الشيوعيون ، حين اصروا على أن يعملوا منفردين ، بل وفى كثير من الاحيان معادين للوفد ! . فانعزلوا عن القاعدة الجماهيرية ، وانحصروا فى نطاقات محدودة .

انه لامفر أمام أية حركة عقائدية جديدة من العمل فى اطار جماهيرى ، ومن خلال الحزب الذى يحظى بالاغلبية فى وقت ظهورها ، وهذا هو درس التاريخ فى بلادنا . ان هذا العمل من داخل حزب الاغلبية لا يوفر فقط المناخ الديمقراطى والتفاعل الفكرى اللازم لتحقيق الاهداف السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وانما يحفظ طاقة القوى الوطنية من الفاقد الرهيب المترتب على الصراع الحزبى فيما بينها ، ويوحد جهودها ضد الاعداء الطبيعيين للبلاد وللجماهير .

ولقد استطاع البنا ان يجذب لدعوته أنصارا كثيرين على رقعــــة الوطن المصرى ، بل العربى . ولكن المشكلة بالنسبة لهؤلاء الانصار ، انهم تعاملوا مع حركة الاخوان المسلمين كحركة دينية لا سياسية ، ولذلك دخل فى الاخوان وفديون وسعديون ودستوريون وغيرهم ، دون أن يحس واحد منهم انه يتخلى بذلك عن الحزب السياسى الذى يدين له بالولاء ، والذى يعطيه صوته وقت الانتخابات ! .

وأنى لهذه الجماهير ان تعرف أن حركة الاخوان المسلمين حركـــــة سياسية ، ولم تفصح عن نفسها كحزب سياسى رغم ما كان متاحا لها من هذه الفرصة فى العهد الليبرالى السابق على ثورة ٢٣ يوليو ، حيث لم تكن ثمة قيود على تكوين الاحزاب ! .

ولكن الاستاذ صلاح شادى يصر ، مع ذلك ، على ان الشيخ حسن البنا لم يقبل مطلب مصطفى النحاس باشا بعدم الاشتغال بالسياسة ، مع انه كان ملزما بقبول هذا المطلب دستوريا ، لان جماعته لم تتألف بوصفها حزبا سياسيا ، وانما كجماعة دينية ، ولانه كان فى وسعه أن يتحـــــدى النحاس باشا ويشتغل بالسياسة رغم انفه ، باجراء بسيط يعلن به جماعته حزبا سياسيا ! .

ولكن الشيخ حسن البنا كان يعلم انه لو اعلن جماعته حزبا سياسيا فستنفض عنها الجماهير المؤيدة للوفد صاحب الاغلبية ، اذ سيكون عليها اما الاحتفاظ بولائها للوفد ، أو نقل هذا الولاء الى حزب الاخوان المسلمين الجديد . كما ستنفض عنها كثير من الجمـــاهير الاسلامية التى تكره الزج بنفســـها فى المعترك الســــياسى بكل اخطاره ، والتى دخلت الجمـــاعة بوصفها جماعة دينية .

ليس للاستاذ صلاح شادى أن يجادل فى قبول الشيخ حسن البنــا مطلب النحاس باشا بعدم الاشتغال بالسياسة ، لان هذا هو الذى حدث بالفعل ، ولانه لا يتصور حدوث غير ذلك بدون تعريض الوجود الشرعى لجماعة الاخوان كجماعة دينية للخطر ، لانها تكون قد تحولت الى حزب سياسى غير مشروع ، وغير معلن .

ولكن الاستاذ صـــلاح شـــادى يتفكه أحيــانا ، فيحاول اقناعنا بأن الشيخ حسن البنا ما كان ليقبل من النحاس هذا الطلب الذى يبطل دعواه التى ينادى بها فى الناس بأن السياسة جزء من دعوته ، ومعلم من معالم الطريق الى الحكم بكتاب الله ، بدليل انه اشترط فى مقابل تنازلـــــه عن الترشيح ثلاثة أمور : ترك نشاط الاخوان مفتوحا ، واغلاق بيوت الدعارة، وعدم السماح بوجود الخمر والخمارات » .

فهل هذه المطالب التى اشترطها البنا هى الدليل على انه أصر على الاشتغال بالسياسة ؟. أم هى دليل على انه قبل عدم الاشتغال بالسياسة؟

ان الاستاذ صلاح شادى يتواضع بهذا التفكه ، فيحاول اظهار انه لايعرف أن الاشتغال بالسياسة معناه العمل على تحقيق الاهداف عن طريق الحكم واسبابه المؤدية اليه كالانتخابات وغيرها . وما فعله الشيخ حسن البنا بتنازله عن ترشيح نفسه لعضوية البرلمان هو تسليم منه بعدم الاشتغال بالسياسة ، وهو ما فعله الاخوان تماما فى نوفمبر ١٩٥٢ للنجاة من الخضوع لقرار حل الاحزاب السياسية . وكان عبد الناصر هو الذى هيأ لهم هذا المخرج . فقد طلبت وزارة الداخلية من الجماعة تفسيرا عما اذا كانت ستعمل على تحقيق أهدافها عن طريق اسباب الحكم ، وكان رد الاخوان المتفق عليه هو النفى . وكانت الجماعة قد احتاطت لذلك فى قانونها الاساسى ، فلم تذكر شيئا عن عزمها على تحقيق برنامجها عن طريق الحكم ، واكتفت بعبارة : « وعلى كل وسيلة أخرى مشروعة .. ! وبذلك نجت من قرار حل الاحزاب السياسية ، ولكن الى حين !

مع ذلك فان الاستاذ صلاح شادى قد اثار بهذه المسألة نقطة خلاف بيننا لا وجود لها ، فقد ظن أننى أهاجم الشيخ حسن البنا بما ذكرته عن اتفاقه مع النحاس باشا ، مع أن هذا الاتفاق دليل على نضج البنا وحرصه على الدعوة ، وهو مالم ننكره عليه طوال دراستنا ، وقد أفاد هذا الاتفاق الدعوة فائدة كبرى وحفظها طوال السنوات الباقية من الحرب .

ولكن ما نلوم عليه الاستاذ صلاح شادى هو التجنى على النحاس باشا فى موقفه من الاخوان المسلمين اثناء وزارته التى استمرت الدعوة فيها قائمة طوال ايام الحرب ، فقد اتهم النحاس بالانحراف عن « الخط الدستورى الديمقراطى » اثناء وزارته ، قائلا أنه بعد أن وعد البنا بأن يترك له حرية مزاولة نشاطه بالكامل مقابل تنازله عن ترشيح نفسه ، عاد فأغلق الشعب وصادر نشاطها وراقب تحركات الأفراد وذلك قبل ان تشارف سنة ١٩٤٢ على الانتهاء .

ومن حسن الحظ أننا سنرد على الاستاذ صلاح شادى هذه المرة بكلام ليس من عندنا ، وانما من بيان جماعة الاخوان المسلمين نفسها عام ١٩٤٨ ، الذى صدر بعد حل الجماعة على يد النقراشى باشا . فقد اتهم البيان انجلترا وفرنسا وأمريكا بأنها كانت وراء قرار الحل ، ثم عقد مقارنة بين موقف الاستجابة لهذا التدخل من جانب النقراشى ، وبين موقف النحاس باشا عام ١٩٤٢ ، وأشاد بموقف النحاس قائلا : لقد طلبت السفارة من رفعة النحاس فى سنة ١٩٤٢ ، والحرب العالمية على أشدها ،

والالمان على الابواب ، حل الاخوان المسلمين ، وتعطيل نشاطهم . فابى أن يجيبها الى ذلك واكتفى باغلاق الشعب كلها ، مع بقاء المركز العام الى حين » .

فاذا كان بيان الجماعة قد أنصف مصطفى النحاس باشا على هـذا النحو . فهل يكون الاستاذ صـلاح شادى اقل انصافا ، ولا يتيح لنا بذلك الفرصة للقول بأنه يريد ان يلوى عنق التاريخ ليكتب حسبه آرائه الشخصية التى تتجاوز فى كثير من الاحيان ـ آراء الجماعة ؟ . ومع ذلك يتهمنـا الاستاذ صلاح شادى بالتجنى !.

المقال السادس
جـواد الدكتاتورية الخاسر !

(لم ينشر لقفل باب المناقشة وأرسلت صورة منه للاستاذ صلاح شادى)

ارقب فى اشفاق المحاولات البطولية التى يبذلها الداعية الكبير الاستاذ صلاح شادى للتخلص من شبكة الوثائق التى تحيط بجماعة الاخوان وتحدد اطار سياستهم ، كما أوردتها الدراسة التى اقدمها للقراء الكرام عـن التنظيم السرى للاخوان المسلمين وحادث المنشية . وفى بعض الاوقـات اسائل نفسى : لو أن ظروف نشر الدراسة فى الصحف اليومية تسمح بوضع الهوامش واثبات المصادر ، لوفر ذلك على الاستاذ صـلاح شادى كثيرا من العناء . ذلك أن كثيرا مما يتهمنا به الداعية الكبير من تحامل عـلى الاخـوان ، أو يحـاول نفيه وانكاره ، أو يجادل فيه بتحمسه الطبيعى للجماعة التى ناضل طوال حياته فى صفوفها ــ لم يكن من بنات أفكارنا ، وانما كان مصدرنا فيه الاخوان المسلمين انفسهم ، فى لحظة مـن لحظات الصدق مع النفس ، أو النقد الذاتى ، أو الصحوة المبكرة أو المتأخرة على الاخطاء !

وسوف أناقش هنا أكبر قضية تحيط بالاخوان يدافع فيها الداعيـة صلاح شادى بشراسة على مدى عشر حلقات كاملة من ردوده عـلى دراستى ــ وهى قضية الوقوف الى جانب الدكتاتورية وبناء تنظيمهم على أساس دكتاتورى ، التى يعتقد اننى اتهمتهم بها ، مع انى لا اتهم ، ولست مدعيا عاما أقيم الاتهام ، وانما سطور الدراسة المبنية على الوثائق وعلى منهج علم التاريخ هى التى تتهم ، وهى التى تطرح الحقـائق التاريخية ، وهى التى تبرز هذه الحقيقة المخيفة التى يابى الاستاذ صلاح شـادى مواجهتها بشجاعته التى نعرفها ــ وهى ان الاخوان المسلمين كانوا على الدوام ضحية من ضحايا الدكتاتورية التى وقفوا الى جانبها وساندوهـا طوال حياتهم ، فلقوا حلهم الاول على يد دكتاتورية القصر ، الذى طالما عززوا موقفه وايدوه فى صراعه ضد الديموقراطية ، ثم لقوا حلهم الثانى على يد دكتاتورية عبد الناصر ، حين ساندوا هذه الدكتاتورية ضد جميع القوى الوطنية والتقدمية فى ذلك الحين ، ثم لقوا محنتهم الكبرى حين نسوا درس الحل الثانى ــ بعد أن نسوا درس الحل الاول ! ــ وايدوا عبد النـاصر فى أزمة مارس ١٩٥٤ التى غربت فيها شمس الليبرالية فى مصر الى الآن ــ وربما الى الابد !

وهذا درس لجميع الاحزاب والهيئات السياسية فى عالمنا العـــربى يؤكد ان المحاربة بسلاح الدكتاتورية هى محـــاربة بمدفعية فاسدة لابد ان ترتد قذائفها الى صدور المقاتلين بها والملتفين حول لوائها . وأن الاخطاء التى ترتكب فى حق الديمقراطية تقتص من فاعليها بعنف ، وتلحق بهم من العذاب اكثر مما يلحقون بأمتهم ، وأنه لا يستطيع أحد النجاة بنفسه مــن نيران الدكتاتورية ، ويدع الاخرين يكتوون بنارها ، فهذا وهم كبير لا يلبث صاحبه ان يصحو عليه الصحوة الكبرى وهو يجد نفسه مقيداً فى السجن ، او معلقا من قدميه كالذبيحة مع زملائه فى المعتقلات البعيدة عن العمران ، أو يواجه فرقة الاعدام !

هذا هو درس التاريخ ، وعلى كــل ســياسى فى وطننا العربى ان يختار موقعه كما يشاء !

•

واعود الى القضية الخاسرة التى يدافع فيها الاستاذ صلاح شادى. فلقد استشهد الداعية الكبير بما رواه الاستاذ عبد القـــادر حلمى عن المباحثات التى دارت قبل نشوب الثورة بين الاخوان المسلمين وعبد الناصر كدليل على أنهم لم يكونوا يساندون الدكتاتورية ! . مع أن الـــرواية التى أوردها تؤكد كل حرف أوردناه عن ذلك ! . »

نعم ! بماذا طالب الاخــوان المسـلون فى اللقــاءات فيما يتعلــق بالديمقراطية بأكثر من دعوة ماهر باشا ، أكبر مسئول عن فساد الحياة النيابية فى مصر ، بل أكبر من ضرب بمعول الهدم فى هذه الحياة بعد ابرام معاهدة ١٩٣٦ — لتولى الحكم بعد قيام الثورة بحجة غريبة جدا هى — حسبما أورد صلاح شادى على لسان صاحب الاقتراح : انه « لم تشب ماضيه اية شائبة مما أصاب الاحزاب من فساد ! ، وانه حاز الاعجاب والاحترام سواء من المصريين أو الاجانب »

أى تزوير لتاريخ مصر اكبر من هذا التزوير من صاحب ذلك القول ! بل — ومادام الاستاذ صلاح شادى قد انتدبنا للادب الذى ندبنا اليه اللــه تعالى فى كتابه العزيز — اقول : أى جهل بتاريخ مصر اكبر من هذا الجهل؟. على ماهر ، رجل القصر المشهور هو فى نظر الاخوان الرجل الذى لــم تشب ماضيه اية شائبه مما اصاب الاحزاب من فساد ! »

دعنا اذن ياسيدى نتصارح : لقد اخترتم على ماهر ، لانه الرجــل الذى كانت له بالاخوان المسلمين علاقة صداقة تقليدية من قبل الحــرب العالمية الثانية ، وهو الرجل الذى تحمس الاخوان للهتاف له فى عهــد المرحوم الشيخ حسن البنا حتى كانت تنشق صفوفهم . وكان فى ذلك الحين رئيس الديوان الملكى . ويوجه اشد الضربات للقوى الشعبية الديمقراطية!

وللقارىء ان يرجع الى الحلقة الاولى من الدراسة ليقرأ الكثير عن ذلك ! .
فهل هذا هو دليل الاستاذ صلاح شادى على ديمقراطية الاخوان ؟ .
وهل هذا هو الدليل الذى يفند به ما قلته من أنهم كانوا يراهنون دائما على « جواد الدكتاتورية الخاسر » !

دعنى اذن يا سيدى أصـــحح لكم الصورة التاريخية المرســومة فى ذهنكم عن عودة الديمقراطية . ان الديمقراطية يا سيدى لـم تكن لتتحقق بتولى على ماهر باشا ــ عدو الديمقراطية اللدود ــ الحكم ، وانما بعودة آخر برلمان منتخب انتخابا حرا بارادة الشعب الى الانعقاد ، وهو الذى قام الملك فاروق بحله حلا تعسفيا قبل الثورة مزدريا بارادة شعبه . أو المبادرة بدعوة الشعب الى انتخاب مجلس جديد نيابى بارادته الحرة الطليقة ، دون وصاية من أحد : سواء اكان ثورة أو اخوان ! . ثم تدور عجلة الديمقراطية السليمة .

وهذا هو الذى كان مطروحا بالفعل للبحث فى أعقـــاب قيام الثورة ، ولكن القوى المعادية للوفد حالت دون دعوة البرلمان المنحل الى الانعقاد ، لان الاغلبية فيه كانت للوفد ! . وفى الوقت نفســه لعب كل من رئيس مجلس الدولة الدكتور عبد الرزاق السنهورى ، وسليمان حافظ وكيـــل المجلس دورا آخر فى تمييع مسألة دعوة الشعب لانتخابات عامة ، وتركا هذه المسألة لامكانيات الحكومة ! . فضاعت الفرصة لعودة الديمقراطية بسبب الاهواء الحزبية المعادية للوفد ، فقد كان كل من السنهورى وسليمان حافظ مــن رجال احزاب الاقلية قبل دخولهما مجلس الدولة . ولذلك كتب ســـليمان حافظ فى مذكراته يعلق على قرار مجلس الدولة الذى أطار فرصة عـــودة الديموقراطية قائلا : « باء الوفد بالخيبة ، وبؤت مع السنهورى بالفـــــوز بما كنا نبغيه من على ماهر » ! لقد نظر الرجلان التعسان الى القضية فى شكل قضية بينهما وبين الوفد ، وليست قضية ديمقراطية وحرية شعب !. وقد نال كلاهما الجزاء الذى يناله من يقف فى صف الدكتاتورية ، واقتصت الاخطاء التى ارتكباها فى حق الديمقراطية منهما انتقاما ذريعا . فقد ضرب الدكتور السنهورى فى قلب مجلس الدولة على يد مظاهرة مدبرة من انصار عبد الناصر يقودها حسين عرفة قريب أحمد أنور مدير البوليس الحربى . أما سليمان حافظ فاستغنت عنه الثورة بعد أن استنفدت اغراضها منه ، ثم دخل المعتقل بضع سنوات . ولو ساند كلاهما قضية الديمقراطية لما ضرب الاول فى قلب دار العدالة ، ولما دخل الثانى دار الاعتقال ! . فهل هناك من يتعلم من دروس التاريخ ؟

ولكن الاستاذ صلاح شادى يأبى الا أن يواصل دفاعه معتمدا على

قوة بلاغته ، ليغطى بها ضعف حجته ، فينتقل الى نقطة أخرى قائلا :

« انى لاعجب ! كيف وجد الدكتور رمضان المادة التى وهبته الجراة على أن يصف نظام جماعة الاخوان المسلمين بأنه نظام دكتاتورى ؟ . هل قرأ نظام الجماعة ؟ وقانونها الاساسى الذى أقسم كل فرد من الاخوان المسلمين على احترامه ؟ »

واقــول اننى لم اقل يا سـيدى ان نظـام جماعة الاخوان نظـام دكتاتورى . وانما الذى قال ذلك الوثائق ! . واية وثائق ؟ : انها وثائق الاخوان انفسهم ! نعم ، الاخوان الذين اعتصموا بالمركز العام للاخـوان المسلمين فى أواخر نوفمبر وديسمبر ١٩٥٣ مطالبين «بتصحيح الاوضاع » ! ثم الخطب والكلمات والمقالات التى سطرها كبار الاخوان نقدا لنظـام الجماعة الدكتاتورى وطلبا لتصحيحه باشاعة الديمقراطية فيـه ! . وهى ايضا ممارسة قيادة الاخوان اللاديمقراطية ، والتى وصفتها مجـلة « الدعوة » ذاتها بالاستبدادية ، وكتبت تقول : « ماكان الاسلام ابدا وهـو القائم على أساس الشورى ، دين استبداد » ! . أم أن هؤلاء جميعا لم يقرءوا نظام الجماعة وقانونها الاساسى ؟

وكيف يتفق مع العقل ان تقوم جماعة على نظام ديمقراطى ، بينما هى تنشىء لنفسها تنظيما سريا مدربا ومسلحا ويمارس الاغتيالات والاعتداءات فى خارج الجماعة وداخلها على السواء ؟ . ام ان اغتيال المهندس السيد فايز بطرد ناسف ، وهو من كبار قادة الاخوان المسلمين ، على يد التنظيم السرى كان عملا ديمقراطيا فى نظر الاستاذ صلاح شادى ؟

ولكن الاستاذ صلاح شـادى يأبى الا ان يدعونى الى قراءة القانون الاساسى لجماعة الاخوان المسلمين الذى قراته وحفظته ! دعنى اذن ياسيدى ادعوكم لقراءة دساتير الدول العربية التى تحكم حكما دكتاتوريا الان ، لتقرأ أعذب الالفاظ ، وقصائد المديح فى الديمقراطية ، والنصوص القوية التى تؤكد أن الشعب مصدر السلطات ، بينما مصدر السلطات فرد فى طول القطر العربى وعرضه ! . من قال ان الديمقراطية بالالفاظ ؟ ان الديمقراطية بالممارسـة والافعال !

بقيت نقطة أخيرة فى هذا المقال ، هى أن الاستاذ صلاح شادى قـد اتهمنى بأنى قسمت الاخوان الى ثلاثة اقسام : قسم على رأسـه البهى الخولى ، والثانى على رأسه محمد خميس حميدة ، والثالث على رأسـه المرشد . ثم ينكر ان الجماعة قد تعرضت لمثل هذا التقسيم ! ويصف هـذا التفسخ بأنه « تفسخ مزعوم » !

وفى الحقيقة يا سيدى اننى لست صاحب هذا التقسيم ، وان كنت اوافق عليه وارى صحته ، وانما صاحب هذا التقسيم هم الاخـــــوان المسلمون انفسهم ! ولو انتظر سيادته حتى تصدر الدراسة فى كتــــاب ، لعرف من الحواشى مصدر هذا الراى . ولكن لن اتركه ينتظر طويلا ، فقد يعـــدل رأيه فى أن « معالم الحق » قد « ضاعت ، عندى ، فقد كان هنداوى دوير ومحمد فرغلى ومحمد خميس حميدة هم مصدر هذا الراى ، فضلا عن ذلك فان اوضاع الجماعة ذاتها ، كما سيتضح فى الحلقات القادمة تغنى فى حد ذاتها عن الاستعانة بمصدر من الاخوان يتحدث عما هو تحصيل حاصل!

ومن المستحيل بناء على ذلك ، قبول الراى الذى طرحه الاســـتاذ صلاح شادى ، وهو ان سفر الاستاذ حسن الهضيبى الى البلاد العربية كان « من موقع القوة لامن موطن الضعف » ــ حسب تعبيره . ومن حسن الحظ ان الذى يؤيدنا فى هذا الراى هو الاستاذ الهضيبى نفسه ، وعبارته فى هذا الصدد تغنى عن بلاغة الاستاذ صلاح شادى ! ، فهو يقول « أنــا رحت (اى للاقطار العربية) علشان قيل ان الاخوان عايزين يتفقوا مــع الحكومة ، ويظن انى واقف عقبــة فى ســبيل التفــاهم . قلت لهــم : انا ماشى ، وانتمتعرفوا شغلكم » !

متى يرفع الاستاذ صلاح شادى راية الاستسلام أمام منطق الحوادث ، وقوة الوثائق التاريخية ؟!

ملحق رقم «٥»

مقال الدكتور فؤاد زكريا

تعقيب د . فؤاد زكريا على دراسة د . عبد العظيم رمضان
هل كان حادث المنشية كمينا ؟

(الوطن فى ٣ مارس ١٩٨١)

عاصرت حادث محاولة اغتيال الرئيس جمال عبد الناصر فى المنشية فى اكتوبر عام ١٩٥٤ ، وتابعت باهتمام شديد تلك المحاكمة التى اجراها العجيب والظالم فى تاريخ مصر الحديث ، المرحوم جمال سالم ، وعلى الرغم من اختلافى الفكرى الحاد مع الاخوان المسلمين ، فقد كان الانطباع الذى تولد لدى من المتابعة الدقيقة لوقائع تلك الحادث هو ان الاخوان قد وقعوا ضحية مكيدة من نوع ما ! ، وحين وصل الدكتور عبد العظيم رمضان الى الحلقتين الاخيرتين من دراسته القيمة عن العنف عند الاخوان المسلمين ، واعاد سرد تلك الوقائع التى كانت قد غابت عن الاذهان منذ سنوات طويلة ، تأكد الانطباع القديم لدى مرة اخرى ، بل انه بدا لى فى هذه المرة اكثر من مجرد انطباع ، وكاد ان يصل الى حد اليقين .

وهاكذا ادلى بشهادتى عن هذا الموضوع الهام ، مع تأكيدى للقارىء اننى لست مؤرخا ، ولن اقدم اليه الكثير من الوقائع التاريخية ، وكل ما فى الامر ان الدكتور عبد العظيم رمضان لم يفسر كثيرا من الوقـــائع ، التى جمعها بصبر ومقدرة ، تفسيرا صحيحا ، وانما كانت تتملكه منذ البدايــة فكرة مسبقة هى ادانة الاخوان عن الحادث ادانة كاملـــة .. واحسب ان الخصوم الفكريين للاخوان ، من امثالى فى حاجة الى قدر كبير من الموضوعية وتسيان الاعتبارات الشخصية لكى يدلوا بشهادة نزيهة ، وهذا ما سأحاول ان افعله ، وهو ايضا ما اراه مفتقدا ، الى حد ما ، فى الاجزاء الاخيرة من دراسة الدكتور رمضان .

اننى على خلاف الدكتور رمضان سأتقدم بفرض لتفسير الحـــادث هو : —

١ — كانت هناك بالفعل نية اللجوء الى العنف لدى الجهاز السرى للاخوان المسلمين بعد ان ادى القمع التام للديمقراطية الى سد جميـــع مسالك العمل السلمى امام كافة فئات المعارضة .

٢ — لم تكن هذه النية قد تبلورت تماما ، وذلك لان القيــادات الاخوانية كانت فى حالة انقسام وبلبلة فكرية .. وكان فيها اتجاه قـــوى يعارض العنف .

٣ ـ طرحت عدة افكار عن اساليب عنيفة يلجأ اليها الاخوان . منها اغتيال اهم اعضاء مجلس الثورة وعلى راسهم جمال عبد الناصر . ولكن هذه الافكار لم تتبلور بصورة نهائية . وانما تمت بعض الاستعدادات لهـا من خلال تسليم انواع معينة من الاسلحة لبعض مسئولى المناطق مـن الاخوان .

٤ ـ كان المحامى هنداوى دوير ، مسئول الجهاز السرى فى امبابة ، هو مفتاح السر كله فى هذه القضية ، وقد فوتح فى موضوع الاغتيال ولكن دون تكليف صريح له بالتنفيذ .

٥ ـ ولم يكن هنداوى دوير هذا مقتنعا تماما بالهدف وانهـارت اعصابه فافشى السر لاجهزة الدولة قبل تنفيذ محاولة الاغتيال بأيام قـلائل فكلفته هذه الاجهزة بمتابعة التنفيذ من خلال تعليماتها الخاصة . وهنـاك احتمالان فى هذا الموضوع : اما أن هنداوى كان من عملاء المباحث منـذ البداية واستطاع ان يصعد فى التنظيم السرى الى مرتبة مسئول منطقة واما انه شعر بالرعب قبل تنفيذ الخطة مباشرة فاتصل بأجهزة الامن ،وانا ارجح الفرض الاخير ، ومنذ هذه اللحظة اصبحت خطوات هنداوى تتم بالتنسيق مع اجهزة الامن ، وهى التى اعطته المسدس الذى سلمه لمحمود عبد اللطيف وحددت له موعد التنفيذ .

٦ ـ كان محمود عبد اللطيف نفسه منساقا فىتصرفاته بصورة تدعو الى الشك فى ان يكون قد حدث له نوع من انواع « غسيل المخ » وكانت المسافة التى حاول أن يغتال منها عبد الناصر بعيدة الى حد يدعو الى الشك فى سلامة تفكيره فى هذه اللحظة . وفضلا عن ذلك فلا بد انه كان مراقبـا طوال الوقت وكان المسدس الذى تسلمه من نوعية خاصة لا ضرر منها .

٧ ـ كان هنداوى دوير هو الوحيد الذى سلم نفسه للسلطات . بعد يوم واحد من الحادث . وهو الذى تعاون معها فى التحقيق تعاونا تامـا . وكانت اعترافاته هى بداية الخيط الذى اسقط الجهاز كله .

٨ ـ اما اعدام هنداوى . ضمن المحكوم عليهم فى النهاية فامر يسهل تفسيره : فعلى الرغم من الوعود التى لابد انها قدمت اليه لكى يشى بجماعته، كان من الضرورى التخلص منه لانه يعرف أكثر مما ينبغى ، ومثل هذه الامور تتكرر كثيرا عندما تنجح اجهزة الامن فى تجنيد احد خصومها . فتتخذه طعما لاصطياد الاخرين وعندما تنتهى مهمته يكون أول ما تفكر فيه الاجهزة هـو

التخلص منه . وعلى اية حال فان المرء لا يشعر بأى اسف ازاء غدر الاجهزة بانسان هو اصلا غادر .

هذا هو تسلسل الاحداث وفقا للفرض الذى انتقدم به . ويمتاز هـذا الفرض بأنه يجعل الاحداث اكثر اتساقا بكثير من العرض الذى تدمـه الدكتور عبد العظيم رمضان ، ويلقى ضوءا على امور كثيرة تبدو غـير مفهومة .

ولأضرب لذلك مثلا واحدا : فقد قرات بنفسى فيجريدة « الاهـرام » بعد حوالى أسبوع من الحادث ، أن احد العمال قد وصل من الاسكندرية الى القاهرة ومعه المسدس الذى ارتكبت به الجريمة . وكان قد التقطه اثناء وجوده على مقربة من المتهم فى ميدان المنشية ، ولكى تغطى الصحيفة تلك الفترة الطويلة التى استغرقها وصول المسدس الى المسئولين . ذكرت أن هذا العامل لم يكن يملك اجر القطار وحضر من الاسكندرية الى القاهرة سيرا على الاقدام . وهو يحمل المسدس المستخدم فى الحادث . فاستغرق ذلك منه اسبوعا . وقد ذكرت هذه الواقعة فى الصيف الماضى للدكتـور رمضان . وسألته أن يتحرى عنها لاهميتها . ولكن لا يبدو أنه قد فعل . ويخيل الى أن هذه الواقعة وحدها . بما فيها من استغفال لعقول الناس ، تكفى وحدها للشك فى العملية بأكملها .

فلنترك جانبا ما قاله الدكتور رمضان نفسه فى حلقات سابقة عـن اهداء الامريكيين قميصا لايخترقه الرصاص لجمال عبد الناصر قبل الحادث بفترة وجيزة ، ولنترك جانبا شهادة حسن التهامى ، التى توحى بوجـود مؤامرة دبرتها الحكومة مع مصادر خارجية للايقاع بالاخوان ـ لنترك هذا كله على اهميته الكبرى جانبا ولنتأمل نفس الوقائع التى اوردها الدكتور رمضان فى الحلقتين الاخيرتين ، لكى نستخلص نتائجها الضرورية .

ان من الامور التى تلفت النظر ان الدكتور رمضان بنى الجزء الأكبر من استنتاجاته على شهادة هنداوى دوير ، مع انه لو كان قد تشكك فى هذا رجل كان معارضا للعنف قبل الحادث وبعد . فكيف سلم المسدس الذى الزائدة التىاولاها لشهادة متهم سلم نفسـه فى اليوم التالى · ووشى باعوانه السابقين . ولا شك ان هناك عناصر كثيرة تدفع أى باحث موضوعى الى القاء ظلال كثيفة من الشك على كل ما قاله هذا الرجل ، اذكر منها :

١ ـ اثبت هنداوى أنه انسان مذعور ، بدليل انه سلم نفسه للشرطة فى اليوم التالى ، على حين ان كبار المسئولين الاخرين فى الجهاز السرى ، وخاصة يوسف طلعت وابراهيم الطيب ، حاولوا الاختفاء والمقاومة اطول مدة ممكنة .

٢ — كان هنداوى هو شاهد المحكمة الملك ، على حين أن طلعت والطيب وقفا بشجاعة نادرة أمام جبروت جمال سالم برغم التعـــذيب الواضح الذى تعرضا له ، ووصل الامر بالاول الى حد الاعتراف بأنهم كانوا ينوون اغتيال عدد من اعضاء مجلس الثورة ، ثم قال لجمال سالم : « وانت منهم » ! ولذلك قال المؤرخ اليقظ عندما يجد شهادتهما متعارضة مع شهادة شخص متخاذل مثل هنداوى ، لابد ان يولى مزيدا من الثقة للاولى .

٣ — كان هنداوى ، تبعا لوصف حسن العشماوى ، وهو احد أقطاب الاخوان « عصبى المزاج سريع الانفعال لا يصح وضعه كمســـئول فى أى تنظيم سرى » فمن المعقول ان ينهار شخص كهذا عندما يقترب تنفيذ عملية خطيرة كعملية الاغتيال ، ومن المعقول أن يتصل بالسلطات ويتعاون معها ، وهذه الاوصاف ، على اية حال .. تقلل من الثقة فى اقواله الى ابعد حد .

٤ — مما يثبت تعاون هنداوى مع المحكمة ، ومع جهاز الحكم باكمله ، قوله فى التحقيق بعد الحادث « من حمد الله ، ان الرئيس ما اعتديش عليه ونجا بحمد الله ... » هل هذا كلام شخص كان هو نفســه الذى ســلم مسدس القتل الى مرتكب الحادث ؟ واذا قارنا هذه اللهجة المنافقة بلهجة يوسف طلعت وابراهيم الطيب التى تمتلىء صلابة ، الا نستنتج من ذلك اشياء كثيرة عن علاقة هنداوى بالسلطة ؟

٥ — وفقا لما قاله الدكتور رمضان ، فان هنداوى لم يكن موافقا على الاتجاه الارهابى منذ أن سمع به ، وقال لابراهيم الطيب : يا استاذ ابراهيم ، ان الاتجاه الارهابى لن يؤدى الى نتيجة .. واننا لن نجنى والبلد شـيئا من هذا الطريق » . هذا ما قاله قبل الحادث بأيام كثيرة فكيف يأمره رئيســه ابراهيم الطيب بالتنفيذ ويحدد له يوم الاغتيال اذا كان منذ البداية معارضا للعنف الى هذا الحد وفى اليوم التالى للحادث طاف بتهمته — كما يقول — ان الاتجاه الارهابى غير اسلامى وان القتل بهذه الصورة غير اسلامى . اذا هذا رجل كان معارضا للعنف قبل الحادث وبعده . فكيف سلم المسدس الذى تمت به الجريمة الى الجانى قبل يوم واحد من الحادثة الارهابية ؟ . وهل يحق لنا أن نثق بأقوال شخص يسلم اداة الجريمة لانسان ثم يقول بعد وقوعها بيوم واحد ان القتل غير اسلامى ؟ وكيف فات هذا التناقض على الدكتــور رمضان وظل يعتمد فى الجزء الاكبر من دراسته على اقوال شخص كهذا ؟ ان الدكتور رمضان يأسف لان هنداوى لم يفق الا بعد الحادث ، ولو كــان قد افاق قبله لانقذ الاخوان من التهلكة . ولكن هذا تحليل ضعيف الى ابعد حد ، اولا لان افاقة هنداوى او عدم افاقته ما كانت لتغير شيئا فى تسلسل الاحداث التى كان الاخوان سيتعرضون فيه حتما للتصفية بعد ان خلا الجو

الرجال الثورة وتخلصوا من بقية الخصوم ، وثانيا لان هنداوى (كما الرجح) قد اخلق فعلا قبل الحادث ، ولكن طريقته فى الاخلاقة كانت هى التى القت بالاخوان فى التهلكة ، لانه وشى بهم جميعا .

٦ ـ نسب هنداوى الى حسن الهضيبى الامر بتنفيذ الاغتيال وهو ما اثبت المؤلف نفسه كذبه ، كما كذبه الهضيبى ويوسف طلعت بشدة ، فاذا كان قد كذب الى درجة توريط رئيس مسالم للجماعة ، وتعريض حياته للخطر ، فهل نستبعد أن يكذب فى بقية اقواله ؟ .

٧ ـ لم يهتم الدكتور رمضان بشهادة يوسف طلعت عندما فوجىء بوقوع الحادث ، ورد عليه ابراهيم الطيب بقوله « اخوك هنداوى تسرع » " وكذلك قوله فى موضع آخر ان الخبر وقع عليه وقع الصاعقة او تعليقه امام المحكمة « احنا فوجئنا بهذا التكليف من الاستاذ هنداوى دوير ودهشنا له » . وهذه كلها اقوال كانت تستدعى على الاقل قدرا من التشكك فى موقف هنداوى ، بدلا من الثقة الزائدة التى ابدها الدكتور رمضان فى اقواله .

٨ ـ أما المواجهة التى ديرها جمال سالم بين ابراهيم الطيب وهنداوى، والتى وصفها الدكتور بالمهارة تارة ، وبالكفاءة والاقتدار تارة اخرى فانها تكتسب معنى جديدا كل الجدة فى ضوء الفرض القوى الذى نقول به وهو ان هنداوى دوير اتصل بالسلطات وابلغها بالحادث قبل أيام قلائل (فى الفترة التى توقف فيها التنفيذ مؤقتا) والتاح لها بعد ذلك فرصة توجيه الاحداث بالطريقة التى تضمن لها افضل النتائج . فعندئذ تصبح هذه المواجهة بين متهم حقيقى وبين عميل ، وبالفعل نجد جمال سالم يستعين بهنداوى فى تكذيب ابراهيم الطيب . لا العكس ، بينما يقدم هنداوى الى المحكمة كل ما تريده من « أدلة » تطيح برءوس زملائه السابقين .

ان الثغرات فى سرد الاحداث وفقا لتفسير الدكتور رمضان كثيرة . وهناك تناقضات لاحد لها تركت بلا أى تشكك او استفسار . ولعل من أبرزها أن يعرض جهاز ضخم حسن التدريب والاعداد مستقبله كله للخطر مقابل أن يترك فردا واحدا ، هو محمود عبد اللطيف لكى يعتمد فى التنفيذ على مجهوده الشخصى ، هل هذه خطة يقامر بها جهاز كهذا بحياته وحياة جماعته كلها .

أما الفرض الذى اقول به ، فيضع الامور فى نصابها ، ويفسر التناقض فى اقوال تلك الشاهد الخائن لجماعته . والتعارض بين شهادته وشهادات

الاخرين ، وهو فضلا عن ذلك الفرض الوحيد الذى يمكن ان يعلل مجموعة الاحداث المحيطة بهذه الواقعة .

انني لا اهدف من هذا الى تبرئة الاخوان من تهمة العنف ولا انكر انهم رسموا خطة للاغتيالات ، ومنها اغتيال جمال عبد الناصر . ولكن ما أريد ان اقوله هو انه فى مرحلة ما من هذه الخطة . تسرب النبأ الى اجهزة الدولة بحيث استطاعت ان تسكم فى بقية المراحل . وبحيث ان حادث المنشية بالصورة التى تم بها كان حادثا استدرج فيه الاخوان .

وليس للقارىء ان يعجب من هذا التفسير لان اجهزة الامن فى بلادنا العربية قادرة على التغلغل فى كافة التنظيمات وقادرة على تدبير الحوادث وخلق الشهود الذين يبررون لها ما قلت ويكفينى هنا ان اشير الى مثل واحد ، ففى أواخر الستينيات قيل أن المستشار كامل لطف الله قد انتحر والقى بنفسه من سطح بيته وتشاء « الصدف » ان يحدث انتحاره هذا قبل يوم واحد من الموعد المحدد لكى ينظر هو نفسه فى قضية اختلاسات مديرية التحرير ، التى وصلت الى ملايين الجنيهات ، وكان الرجل قد درس ملف القضية بأكمله دراسة متعمقة . واعجب ما فى الامر انه ، بعد وقوع الحادث بأربعة أو خمسة أيام تقدم للنيابة شخصان قالا انهما من عمال البناء . وكانا يشتغلان فى بيت مجاور ، وشاهدا القاضى وهو ينتحر . أما لماذا لم يبلغا عما شاهداه منذ وقوع الحادث ، فذلك ـ حسب رواية الصحف ذاتها ـ لانهما لايعرفان القراءة ولم يدركا اهمية الشخص المنتحر الا عندما سمعا بالحادث بعد أيام !!

هناك اذن خفايا كثيرة تكمن تحت السطور . واحسب ان من واجب كل من يملك شهادة عن هذه الاحداث وغيرها ان يقول كلمته حتى يظهر تاريخ بلادنا فى ضوئه الحقيقى ، ولو سئلت عن رايى لقلت ان الاخوان المسلمين . برغم اختلافى الاسسى معهم . كانوا فى حادث المنشية بالذات ضحية كمين اشتركت فيه بعض عناصرهم مع اجهزة الدولة ، ولكن يبقى على من شاركوا فى الأحداث نفسها ان يقولوا كلمتهم .

ملحق رقم «٦»
ردي على الدكتور فؤاد زكريا

ردى على الدكتور فؤاد زكريا بجريدة الوطن الكويتية
لم يكن هناك دوبير خائنا

تأخرت قليلا فى الرد على مقال صديقى الاستاذ الدكتور فؤاد زكريا تعقيبا على الدراسة التى نشرها لى جريدة الهدف الغراء — وذلك بسبب انشغالى فى الارشيف البريطانى . واشكر الدكتور فؤاد زكريا لمتابعته الدراسة ، كما يظهر من مقاله ، وان كانت لى بعض الملاحظات والتوضيحات

اولا — ان الدكتور فؤاد زكريا قدم « فرضا » لتفسير الحادثة على حسب تعبيره ، صاغه فى بناء متكامل ، استخدم فيه كثيرا من المادة العلمية التى وردت بالدراسة . ولكنت اود ان استسمح الدكتور فى القول بأن منهج البحث التاريخى يختلف عن المنهج الذى قدم فيه تصوره للحادث . فهذا المنهج التاريخى لا يقوم على الافتراضات ، وانما يقوم على تجميع اجزاء الحدث من مصادره المتناثرة سواء تمثلت فى خطابات او بيانات او تقارير او شهادات او روايات او معاهدات او ضبابط بوليس .. الخ ، ونقد هذه الوثائق نقدا تاريخيا واخضاعها لقواعد البحث العلمى من مقارنة ومناقشة واستقراء واستنباط وغيرها ، ثم اعادة تركيب صورة الحدث التاريخى كما وقعت او قريبا مما وقعت .

وعلى ذلك فلا مجال فى منهج البحث التاريخى للافتراضات ، وانما المادة التاريخية هى التى تحدد صورة الحدث التاريخى وليس الخيال . لان اى فرض يمكن ايجاد ما يسانده من الادلة كما فعل الدكتور تماما !! . ومن الضرورى ان يحرر المؤرخ نفسه من اية افتراضات او تصورات مسبقة للحدث التاريخى الذى يدرسه ، حتى لا يندفع بلا شعور فى جمع الادلة لاثبات هذا الفرض ، وينسى حقيقة ما حدث بالفعل ، وهو مهمته الاساسية!!

واعترف اننى حين بدأت الدراسة لم اكن اعرف حقيقة ما حدث ، وكنت تواقا لمعرفة ما حدث ، تماما كما يفعل وكيل النيابة الذى يحقق فى جريمة قتل ، ويريد معرفة القاتل !! . وكانت الشبهات على ارتكاب الاخوان الحادث اكثر من الادلة على ارتكابهم له !! . ولذلك ليسمح لى صديقى الدكتور فؤاد زكريا ان اقول له ان ما ذكره من انه كانت تتملكنى منذ البداية فكرة مسبقة هى ادانة الاخوان عن الحادث ادانة كاملة ، لم يكن صحيحا !! ويبدو ان هذه الفكرة تكونت لديه من حديثنا معا تليفونيا فى الصيف الماضى ، اذ ظن اننى كنت فى بداية البحث !! ، بينما كنت قد تقدمت بالفعل ثمانى عشرة حلقة للتلشرين ، ولم يبق سوى الحلقة التى كتبتها فى لندن . وحين اثار معى مسألة المهندس الضائع ، حققتها فى حينه ، وتوصلت الى النتائج التى وردت عنها بالدراسة ، ولم يكن قد قرأها الدكتور بعد ، حين كتب مقاله .

وقناعتى التامة اننى حققت هذا الحادث اكثر مما حققــــه المحققون وقتها ! ، وامضيت فيه من الوقت اكثر مما أمضوا ، بسبب سرعة انهــاء اجراءات المحاكمة .

ومن هذا المنطلق اقول ان الفرض الذى طرحه الدكتور فؤاد زكريا قد ظلم هنداوى دوير ظلما بينا . لقد كان هنداوى من القيادات الاخوانية القادرة والمخلصة لمبدئهـا . وافاقته على خطأ وسيلة العنف الفردى فى النضـال الشعبى بعد الحادث امر طبيعى لان الجميع ، حتى يوسف طلعت ، افاقوا على عدم جدوى هذه الوسيلة !. واذا كان هو اول من افاق ، فلطبيعته التى وصفها حسن العشماوى بأنه « عصبى المزاج سريع الانفعال » . ومن حسن الحظ أن الاخوان يعرفون ان هنداوى دوير لم يكن خائنا ، فهم يعدونه من شهدائهم ، كما يعدون محمود عبد اللطيف أيضا من هؤلاء الشهداء !. ولو رجع الدكتور فؤاد زكريا الى اعداد مجلة « الدعوة » الحالية لتبين ذلك .

ومع عدم ميلى الى مناقشة فروض ، الا انى اقول ان اضعف نقطة فى فرض الدكتور فؤاد زكريا هى ما ذكره من ان هنداوى دوير تملكه الرعـب قبل تنفيذ الخطة ، فاتصل بأجهزة الامن ! لانه كان فى وسع هنداوى ان يمنع تنفيذ المحاولة بأسهل وابسط طريقة ، وهى عدم تسليم محمـــود عبد اللطيف المسدس ، أو يأمره بالغاء التكليف ! ، دون حاجة لتلطيخ شرفه او خيانة رفاق الطريق ، وخسارة آخرته قبل دنياه ! . ولو فعل ذلك لمـا تعرض لاى لوم من قيادة التنظيم السرى ، لانها كانت مترددة كمـا ذكرنا ، ومن الثابت انهافوجئت بالحادث بهذه السرعة التى تم بها .

اما ماذكره الدكتور فؤاد زكـريا من اننى بنيت الجـــزء الاكبر من استنتاجاتى على شهادة دوير ، فاخشى أن اقول ان الدكتور قد فاته الكثير من الحلقات ! فلم تكن شهادة هنداوى دوير سوى شهادة واحدة قارنتها وناقضتها ببقية شهادات افراد التنظيم السرى . ولربما لو قرأ الدكتـــور الدراسة فى كتاب ، لعرف من الحواشى أن ملاحظته لم تستند الى اســاس صحيح .

بقيت نقطة اخرى فى « فرض » الاستاذ الدكتور فؤاد زكريا . فقـد وضع هنداوى دوير فى هذا « الفرض » فى موضع الخائن ، ولكنه نسى محمود عبد اللطيف ! . فهل كان خائنا ايضا ، وهل اتفق مع اجهزة الامن على القيام بتمثيلية اطلاق الرصاص وضربه ضربا مبرحـا حتى بدت صورته فى الاهرام بعد ايام من الحادث وهو منتفخ من الضرب !

استطيع ان أؤكد للدكتور فؤاد زكريا ، من واقع دراسة عنتنى كثيرا وارهقتنى ارهاقا شديدا توصلا للحقيقة ، انه لم يكن بين الاخوان المسلمين خائن واحد ، ولو دخل بينهم خائن لتعلم الامانة والتضحية والفداء بفضل التربية الروحية وأخذه بتعاليم الاســلام الحنيف .

ملحق ٧

شهادة فاروق حافظ المنشورة بروز اليوسف

شهادة فاروق حافظ
شباب الاسكندرية كانوا بعيدين عن الحزبية
(روز اليوسف فى ٢ فبراير ١٩٨١)

ذكر الدكتور عبد العظيم رمضان بمذكراته « فى كواليس الاخوان المسلمين » فى عدد ٨ ديسمبر الماضى اشارة عابرة عن حوادث القتال على المعسكرات البريطانية عام ١٩٤٦ فى الاسكندرية وأحب أن أسهم فى إجلاء هذا الموضوع .

اثر حوادث ٢١ و ٢٢ فبراير سنة ١٩٤٦ بالقاهرة قررت اللجنة القومية المشكلة من الاحزاب والهيئات اعلان الاضراب العام يوم ٤ مارس ١٩٤٦ حدادا على الشهداء ودعت اللجنة الى عدم التظاهر بما فيها زعماء الاحزاب والهيئات الشابة غير أن شباب الاسكندرية لم يستجيبوا لهذا النداء ولم يلبوا رجاء الزعماء فى ترك الفرصة للحكومة لاجراء مفاوضات فخرجت الاسكندرية عن بكرة أبيها يقودها محمد كمال سعد المحامى وابراهيم طلعت المحامى وكانت مظاهرة تحدث عنها العالم فاصطدمت جماهير الشعب بالجند الانجليز وأحرقوا كشك البوليس الحربى البريطانى بمحطة الرمل واقتحموا قلعة كوم الدكة الحصينة وسقط عشرات الشهداء .

وفكرت جماعة من الشباب الاصدقاء فى الانتقام خاصة وانهم فقدوا صديقا لهم هو الشهيد سليمان أبو المجد الشمارقة وكان أربعة من هؤلاء الشباب ينتمون لحزب مصر الفتاة ، ثم تركه ثلاثة منهم ، والباقون الاكثرية لم ينتموا لاية هيئة او حزب وفكروا جميعا بعيدا عن اى حزب أو هيئة فى تنظيم المقاومة السرية ضد المحتل . وفعلا باعوا ساعات اليد التى يملكونها وكتبهم وملابسهم وجمعوا قروشا قليلة كانت هى نواة تسليحهم .

وكانت اول عملية لهم هى حادث السيارة السوداء الشهير ضد المتعصبين يحى رشدى وسرعان ما توقف نشاطهم واختفوا يدبرون ترتيب انفسهم ليبدأوا كفاحهم المسلح فى مساء ١١ يولية ١٩٤٦ وهى ذكرى ضرب الاسكندرية وقاموا خلال اسبوع واحد باربع عمليات كانت آخرها حادث النادى البريطانى بشارع كورنتة . وسرعان ما قبض على احد عشر شخصا منهم اثر وشاية رخيصة بعد اعلان الحكومة عن مكافأة لكل من يدلى بمعلومات تؤدى الى القبض عليهم .

ثم كان حادث ليلة ٢٦ نوفمبر ١٩٤٦ حينما تمكن عبد القادر عامر ومصطفى الدفراوى وعبد الرحمن مرسى من الهرب من سجن الحضرة تلك القلعة الرهيبة المسلحة ثم سفرهم الى فلسطين وسوريا بعد ذلك .

اما عن واقعة اغتيال شابين من جماعة الاخوان للمستشار احمد الخازندار فى حلوان اذ الواضح من سياق الوقائع ان محمود زينهم وسعيد عبد الحافظ قد اغتالا رئيس المحكمة دون اى رابطة حزبية تربطهما بشباب الاسكندرية وانهما اندفعا بمشاعرهما لهذه العملية دون أى تنظيم حزبى يربطهما بهؤلاء الشباب خاصة عندما صدرت الاحكام القاسية ضد الشباب وصدر فى نفس الفترة حكم مخفف ضد منهم بارتكاب سبع جرائم عادية بالاسكندرية .

ارجو ان اكون قد اوضحت جزءا من تاريخ مصر يوضح أن هؤلاء الشباب (ابناء الاسكندرية) لم يكن دافعهم الا مصر وحدها وأنهم ضحوا بالغالى والنفيس بمستقبلهم وحرياتهم فى سبيل عزة هذا البلد الامين وأنهم كانوا بعيدين عن الحزبية ·

فاروق حافظ — الاسكندرية

ملحق رقم «٨»
رسالة د. محمد فؤاد منير

السيد / الاستاذ الدكتور عبد العظيم رمضان

تحية طيبة وبعد ـ اتابع بمجلة روز اليوسف بحثكم القيم عن تاريخ الاخوان المسلمين ، وقد قرأت في عدد اليوم ١٩٨١/١٢/٨ رقم ٢٧٣٩ ص ٣٦ عن حوادث كفاح الانجليز بالاسكندرية وكيف أن ثلاثة من الاخوان .. هكذا يستنتج القارىء قد هربوا من سجن الحدرة ٠

ارجو ملحا للحقيقة والتاريخ العلم ان هؤلاءلم يكونوا من الاخوان بالمرة ولكننا كنا مجموعة من الشباب غير المنتمين لأى حزب او هيئة فى ذلك الوقت الاتحاد الطلبة الذي تطور فيما بعد الى اللجنة التنفيذية للطلبة والعمال ٠٠ كنا فعلا نحارب الانجليز بالسلاح ٠٠ قمنا بعملية في معسكرات سيدي بشر وكان معنا عبد القادر عامر وكذلك على كورنيش سيدى بشر امام الجامع كل ذلك تمسنة١٩٤٦ وكانت ثالث عملية لهذه المجموعة المستقلة هي الهجوم على النادي البريطاني بالقنابل ، ثم اعتقال اعضاء من هذه المجموعة وهربهم من سجن الحدرة وفي الحقيقة انهم لم يكونوا ثلاثة ولكنهم كانوا اربعة ٠٠ رابعهم مسجون عادي اسمه المشهور به هو عبد اللـه بيجر اي كبير ، اخته قامت بتهريب منشار في الخبز وقد كنا نتابع هربهم حتى اخرجناهم من مصر كلها في ذلك الوقت ولجأوا الى سوريا وباقى القصة معروف ٠

هؤلاء الثلاثة هم عبد القادر عامر ، ومصطفى الدفراوي وعبد الرحمن مرسى والأخير كان وفديا وكان يقوم بتدريب شباب الوفد فى الجامعة لكنه فى هذه العملية لم يكن يعمل من خلال الوفد ولكن من خلال لجان الطلبة الثورية ٠

وقد لجأ هؤلاء الهاربون من سجن الحدرة لمدة كبيرة لمنزل احد الاطباء وهو في الولايات المتحدة اليوم هو الدكتور كمال علي حسن وكان بطل جامعات العالم في القفز من السلمين الثابت والمتحرك فى احواض السباحة ٠

ارجو ملحا نشر هذا تصحيحا للتاريخ ٠

اشكركم سلفا ولكم منى كل التحية والتقدير

اخوكم

د ٠ محمد فؤاد منير

عضو اللجنة التنفيذية للطلبة والعمال

ملحق رقم «٩»
تعليقي الختامي بروز اليوسف

أكن لجماعة الاخوان المسلمين احتراما كبيرا

بقلم : د ٠ عبد العظيم رمضـــان

(روز اليوسف فى ١٣ أبريل ١٩٨١)

قرأت في لندن الكثير من الهجوم على الدراســـة التى تنشر لى عن التنظيم السري للاخوان المسلمين وحادث المنشية فى مجلة روز اليوسـف الغراء وبعض الصحف العربية الاخرى ٠ ولم أدهش لان كـل طرف مـن الاطراف التي لعبت دورا في الاحداث يحاول عبثا أن يجر الحقيقة التاريخية الي صفه ولصالحه ، ولكن الاحداث التاريخية بعد أن تصبح تاريخـا ، تصبح ملكا لشعبنا العربي في مصر وبقية الاقطار العربية الاخـــرى ٪ ولا تصبح ملكا للجهة التي صنعتها سواء أكانت هذه الجهة حزبا أم جماعة أم حكومة أم فردا ، وانما لكل جهة أن تكتب رؤيتها للاحداث كما تشـــاء وللمؤرخ أن يجمع أطراف الصورة التاريخية ويحققها وفقا لمنهج البحـــث العلمي التاريخي ، ويستخرج منها الحقيقة ، ويقدمها للشعب دون تحريف أو اخفاء ٠

على أني قرأت لاحد من تفضلوا بنقد الدراسة فى عدد روز اليوسف المؤرخ ٩ فبراير ١٩٨١ ، ما يتوهم معه وجود خصومة سـياسية بيني وبين جماعة الاخوان المسلمين ! ، ويبني على هذا الوهم أحكاما خاطئة ومتناقضة يحاول أن يلبسها ثوبا علميا !

وأود أن أقرر أنه لا توجد أية « خصومة سياسية »بيني وبين الاخوان المسلمين ، وكيف توجد خصومة سياسية بيني وبين جماعة تدعو لدين الله ، والمحافظة على تراثنا وتقاليدنا ، وتقف حاجزا بين تيارات الانحلال وبين النفاذ الي مجتمعنا الذى لايصلحه الا اتباع الدين الصحيح ٠٠ الدين الذى شرعه الله تعالي لصلاح البشر ، من عدالة اجتماعية ، وحرية سياسـية ، وضرب للفساد ، ومحاربة للاستغلال والاستبداد ـ وليس الدين الذى يضلل به الراسماليون الجماهير ٠

وفى الواقع انى أكن لجماعة الاخوان المسلمين احتراما كبيرا،وأعدها من القوى الوطنية الضاربة ٠ وأعتقد أن دورها التاريخى ممتد أبد الدهر

طالما كان فى مصر اسلام ومسلمون ، وان الجماعة فى عهد الشهيد حسن البنا ثم فى عهد الاستاذ حسن الهضيبى ، ثم فى عهد المجاهدين الاستاذين صالح العشماوى وعمر التلمسانى ، تقطع مراحل فى طريق الدعوة وتصيب وتخطىء وتستفيد من الاخطاء ، ولكنها لن تنته أو تختفى من الحيـــاة السياسية كما يرجو لها الخصوم !

بل أنه ليس من مصلحة مصر على الاطلاق اختفاء جماعة الاخوان المسلمين، وأكثر من ذلك أن اختفاء هذه الجماعة فى عهد عبد الناصر قد جر على مصر عواقب وخيمة ، وهيأ الطريق لظهور تيارات متعصبة غير مســـئولة تحاول شغل الفراغ ، وربما كان هذا القلم أول الاقلام التى نبهت الى هذه الحقيقة على صفحات جريدة الجمهورية · وكان القلم الثانى هو قلم صديقى الدكتور حسن حنفى . وأملى أن تأخذ الجماعة وضعها الشرعى وحقهـــا الطبيعى الذى حرمها منه قانون الاحزاب !

اذن لا ينبغى لأى أحد أن يتوهم أن هذه الدراســة عن التنظيم السرى للاخوان المسلمين هى محاولة لادانة الجماعة أو الهجوم عليها . فهذا ان جرى فى مقال سياسى فلا يمكن أن يحدث فى دراسة علمية تاريخية ، والا فقدت علميتها وأصبحت لا تساوى ثمن الحبر الذى تكتب به !

وليس ذنب هذه الدراسة أن التنظيم السرى كان سلبية الاخــوان الكبرى ، وأنه كان احد مصادر الخلاف داخل صفوف الاخوان المســلمين انفسهم . كما انه ليس ذنب هذه الدراسة انه جرت خلافات وانقسامات واخطاء داخل جماعة الاخوان المسلمين كشفتها الدراسة واظهرتها للعيان الان . فهذه الخلافات والانقسامات لم تكن سرا من الاسرار الخفية . وانما جرت فى حينها على مرأى ومسمع من الجمهور ، ولم نستمدهـــا من دار الوثائق البريطانية ، وانما من اقلام كبار الاخوان انفسهم على صــفحات الصحف المصرية وجرائد الاخوان ذاتها !

ولم ينعت احد فى ذلك الحين هذه الاقلام التى اختلفت وتصـــارعت على صفحات الصحف بأنها اقلام بينها وبين الاخوان خصومة سياسية ، لانها كانت اقلام الاخوان انفسهم !

وهذه الخلافات والانقسامات والأخطاء جزء من حياة أية جمـــاعة سياسية فى أى ركن فى العالم ، ولا تنقص من قدرهـــا ، ولا تتطلب مـــن المؤرخين اخفاءها حتى لا يتهموا بالخصومة السياسية للحزب أو الجماعة التى يؤرخون لها !

واذا كان احد من الناس يتصور عملا سياسيا بدون أخطاء ، فهو جاهل ، أو مغرض ، أو ساذج يتصور أن الذين يديرون هذا العمل السياسى هم مجموعة من الملائكة الابرار ! أو انهم مجموعة من الاصنام مقولبة فى رأى واحد !

ولقد تعرض المجتمع الاسلامى فى عهد الخلفاء الراشدين لفتنة عاصفة راح ضحيتها عثمان الشهيد على أيدى مسلمين من أشد من رأى التاريخ الاسلامى اسلاما وأخلاصا وصدقا ، ولم يعن ذلك فساد الدعوة الاسلامية أو القائمين بها ، ولم يتهم أحد المؤرخين الذين كتبوا عن الفتنة الكبرى بأنهم أعداء الاسلام والمسلمين !

وقد حدث الصراع بين معاوية بن ابى سفيان وعلى بن ابى طالب ، واستخدم أنصار معاوية خدعة التحكيم ، ولم يطعنهم احد فى اسلامهم أو اخلاصهم للدين . ثم كان قيام الدولة الاموية بداية انطلاقة جديدة للدين الاسلامى نقلت لواءه فى مشارق الارض ومغاربها ، وتحت هذا العلم دق المسلمون أبواب القسطنطينية ثلاث مرات ، وغزوا اسبانيا ، وانساحوا على فرنسا ، وكادوا يعربون أوروبا ! .

لا ينقص من قدر جماعة الاخوان المسلمين ـ اذن ـ ان كانت لها اخطاء ، أو نشبت داخل صفوفها اختلافات وصراعات ـ وانما ينقص من قدرها واهميتها ان تنكر هذه السلبيات الطبيعية فى حياة كل جماعة سياسية . والا تستفيد منها فى تصحيح مسارها والمحافظة على أهدافها وتكوين قيادات جديدة تعى درس التاريخ وعبرته ، وتمضى بالدعوة الى حيث أمر الله .

وعلى هذا فانى اقبل تصحيحا موضوعيا لبعض الوقائع التى تضمنتها الدراسة ـ وكثير مما نشر حتى الان هزيل لا يستحق الرد عليه ـ ولكنى لا اقبل تشكيكا فى بواعث الدراسة ، أو الاستفادة منها فى أغراض سياسية مناهضة لجماعة الاخوان المسلمين، فهذا ابعد ما يكون عن البواعث والاغراض التى حركتنى لاجراء هذه الدراسة ، وهى البحث عن الحقيقة التاريخية . والله أعلم بالسرائر ! .

بقيت نقطة اخرى هى ان هذه الدراسة ليست دراسة شاملة لجماعة الاخوان المسلمين ، وانما عن « التنظيم السرى » وكل ما يتعلق به من أيديولوجية ونشاط وعلاقات متشابكة داخل الجماعة ، وبينها وبين القوى

السياسية الاخرى • ولو كانت دراسة شـــــاملة للاخــــــوان المسلمين ، لتعرضت للجوانب الايجابية الاخرى فى حياة الجماعة فى مجال الانجازات الاجتماعية والسياسية والفكرية وهى انجازات هامة وجـــــزء من تاريخ نضال الشعب المصرى العربى والاسلامى ، وقد تولى الاخوان ابراز هذه الايجابيات فى كتبهم ومراجعهم ، ومازالت فى حاجة لمعالجات أخرى تخضع لمنهج البحث التاريخى وادواته العلمية .

ولعلى بهذا التوضيح أكون ابرات ذمتى اليه تعالى ، وهو وحده الذى استمد منه القوة والعزم واطلب منه التوفيق •

د • عبد العظيم رمضان

مراجـــــع البحث

وثائق رســـــمية :

ـــ مجموعة مضابط دور الانعقاد العادى السابع عشر لمجلس النواب .

ـــ النظارات والوزارات المصرية ، الجزء الاول ، جمـــع وترتيب فؤاد كرم (مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر ١٩٦٩) .

ـــ وزارة العدل : التشريعات الصادرة خلال الســـتة شهور الاولى لعهد التحرير (المطبعة الاميرية ١٩٥٣) .

ـــ محكمـــة الشعب ، المحاكمات التى تمت فى المدة من ٩ الى ٢٥ نوفمبـــر ١٩٥٤ ، المضبطة الرسمية لمحاضر جلسات محكمة الشعب (القـــاهرة ١٩٥٤) (سبعة أجـــزاء) .

وثائق تاريخية :

ـــ احمد حسين : مذكرة بدفاع المتهمين من السابع الى الخامس عشر فـــى قضية اغتيال المرحوم محمود فهمى النقراشى باشـا .

ـــ أنور الســادات : اسرار الثورة المصرية (كتاب الهلال يوليه ١٩٥٧)

ـــ أنور الســادات : صفحات مجهولة (كتب للجميع نوفمبر ١٩٥٤)

ـــ الجرائم السياسية ، اعـــداد انور العمروسى المحامى ، الجـــزء الاول (مطبعة البرلمـــــان) .

ـــ حسن البنا : رسالة المؤتمر الخامس ، العدد الخامس من كتب : صوت الحق ، دار الاعتصـــــام ١٩٧٧ .

ـــ حسن البنا : مذكرات الدعوة والداعية ، الطبعة الاولى (دار الكتـــاب العربى) والطبعة الثانية (دار الشهاب ١٩٦٦) .

ـــ حسن العشماوى : الاخوان والثورة (المكتب المصرى الحديث ١٩٧٧).

ـــ زينب الغزالى : أيام من حياتى (دار الشروق ١٩٧٧) .

ـــ عبد اللطيف البغـــدادى : مذكرات عبد اللطيف البغـــدادى ، جـــزءان (المكتب المصرى الحـــديث ١٩٧٧) .

— فهمى أبو غدير : قضيتنا ، آخر ماكتب الامام الشهيد قبل اغتياله .

— قصة مقتل النقراشي باشا ، من سلسلة المحاكمات التاريخية الكبرى ، اعـــداد لطفـــى عثمـــان .

— محمد نجيب : كلمتى للتاريخ (القاهرة : دار الكتاب النموذجى ١٩٧٥).

— وسيم خالد : الكفاح السرى ضد الانجليز دار الشعب ١٩٦٣) .

— سيد قطب : معالم فى الطريق (دار الشروق) .

دوريـــــات :

الاخبـــار ١٩٥٢ .
الأهرام ١٩٤٦ ، ١٩٥٢ ، ١٩٥٤ ، ١٩٦٥ ، ١٩٦٦
جريدة الاخوان المسلمين ١٣٥٢ هـ ، ١٣٥٤ هـ .
الجمهورية ١٩٥٤ ، ١٩٧٧ .
الجمهور المصرى ١٩٥١ .
الدعوة ١٩٥٣ ، ١٩٧٦ ، ١٩٧٧ .
روز اليوسف ١٩٥١ .
الســـياسى ١٩٧٩ .
المصرى ١٩٥١
الهـــلال ١٩٢٥ .

الدراســـات :

— احمد حمروش : قصة ٢٣ يوليو ، الجزء الاول (بيروت ١٩٧٤) .

— الاخوان والارهاب .

— سامى جوهر : الموتى يتكلمون (المكتب المصرى الحديث) .

— طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ — ١٩٥٢ (هيئة الكتاب ١٩٧٢) .

— عبد الرحمن الرافعى : فى أعقاب الثورة ، الجزء الثالث ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥١ .

— عبد الرحمن الرافعى : مقدمات ثورة ٢٣ يوليو (النهضـــــة المصرية ١٩٥٧) .

— عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية فى مصر من ١٩٣٧ الى ١٩٤٨ جزءان (بيروت دار الوطن العربى ١٩٧٣) .

— عبد العظيم رمضان : الصراع بين الوفد والعــــرش ١٩٣٦ — ١٩٣٩ (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٩) .

— عبد العظيم رمضان : عبد الناصر وازمة مــارس ١٩٥٤ (روز اليوسف ١٩٧٦) .

— عبد الله امــام : الاخوان والثورة .

— محمد حسن احمد (اسم مستعار لعبدالرحمن الناصر) : الاخوان المسلمون فى الميزان .

— محمد شوقى زكى : الاخوان المسلمون والمجتمع المصرى (القاهــــرة مكتبة وهبة ١٩٥٤) .

— محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الادب المعاصر ، جــزءان (مكتبة الآداب ١٩٤٥) .

— ميتشل ، رتشارد ، مجتمع الاخوان المسلمين ، الترجمة العربية لعبـــد السلام رضوان تحت عنوان : « الاخوان المسلمون » (مكتبـــة مدبولى ١٩٧٧) .

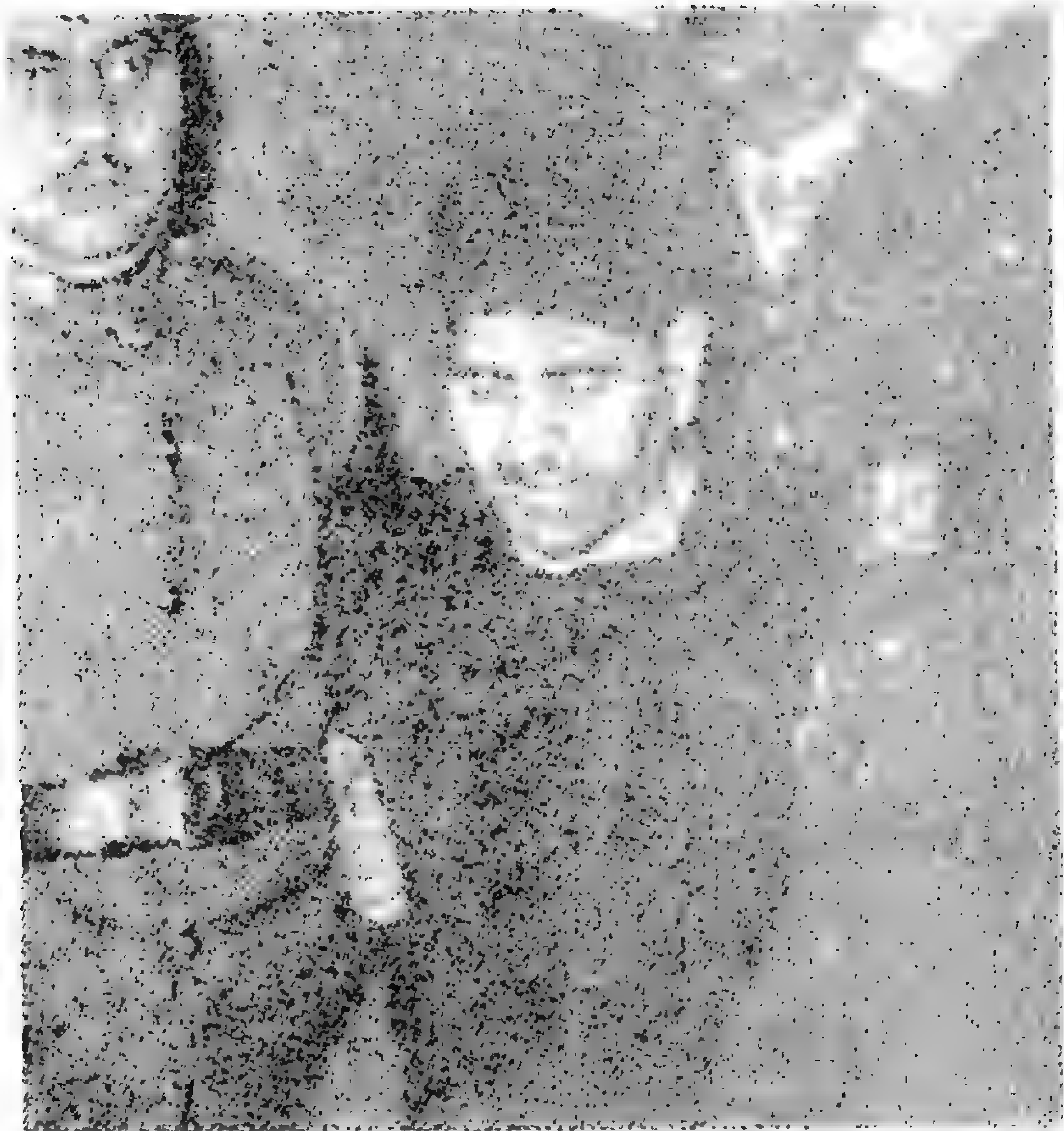
—



عبدالقادر عودة



يوسف طلعت



محمد فرغلي



محمود عبداللطيف



إبراهيم الطيب

هنداوی دویر

★ الكشـافـات •

• قام بإعداد هذه الكشافات الأستاذ سامى عزيز فرج بمساعدة السيدات إيزيس راغب واستر غالى وماجدة سليم.

١ـ كشاف الإعلام

ـ ط ـ

ـ ع ـ

٢- كشاف الهيئات

٣ ـ كشاف البلاد والأماكن

٤ـ كشاف الحوادث

٥ـ كشاف الدوريات

الجرائد :

المجلات :

من أهم الأعمال العلمية المنشورة للمؤلف

١ - تطور الحركة الوطنية في مصر (١٩١٨ - ١٩٣٦) (القاهرة: دار الكاتب العربي ١٩٦٨) .

٢ - تطور الحركة الوطنية في مصر (١٩٣٧ - ١٩٤٨) - مجلدات . (بيروت : دار الوطن العربي ١٩٧٣) .

٣ - الصراع الاجتماعي والسياسي في مصر من ثورة يوليو إلى أزمة مارس ١٩٥٤ . (القاهرة : مكتبة مدبولي ١٩٧٥) .

٤ - عبد الناصر وأزمة مارس . (القاهرة : دار روز اليوسف ١٩٧٦) .

٥ - الجيش المصري في السياسة (١٨٨٢ - ١٩٣٦) (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧) .

٦ - صراع الطبقات في مصر (١٨٣٧ - ١٩٥٢) . (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٨) .

٧ - الصراع بين الوفد والعرش (١٩٣٦ - ١٩٣٩) . (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٩) .

٨ - الفكر الثوري في مصر ، قبل ثورة ٢٣ يوليو . (القاهرة : مكتبة مدبولي ١٩٨١) .

٩ - المواجهة المصرية الاسرائيلية في البحر الأحمر (١٩٤٩ - ١٩٧٩) (القاهرة : دار روز اليوسف ١٩٨٢) .

١٠ – الاخوان المسلمون والتنظيم السرى . (القاهرة : دار روز اليوسف يناير ١٩٨٣) .

١١ – الصراع بين العرب وأوروبا ، من ظهور الاسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية . (القاهرة : دار المعارف ١٩٨٣) .

١٢ – حرب أكتوبر فى محكمة التاريخ . (القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨٤) .

١٣ – مذكرات السياسيين ،الزعماء فى مصر . (القاهرة : دار الوطن العربى ١٩٨٤) .

١٤ – تحطيم الآلهة ، حرب يونيو ١٩٦٧ . (جزءان) (القاهرة: مكتبة مدبولى ١٩٨٤) .

١٥ – الغزوة الاستعمارية للعالم العربى ؛ وحركات المقاومة . (القاهرة : دار المعارف) .

١٦ – مصر فى عصر السادات (الجزء الأول) (القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨٦) .

١٧ – مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الأول (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧) .

١٨ – مصطفى كامل فى محكمة التاريخ . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب) .

١٩ – أكذوبة الاستعمار المصرى للسودان . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة تاريخ المصريين رقم ١٣ سنة ١٩٨٨) .

٢٠ – مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الثانى . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨) .

٢١ – مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الثالث . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩) .

٢٢ – مصر فى عصر السادات ، الجزء الثانى . (القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨٩) .

٢٣ – مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الرابع . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠) .

٢٤ – الاجتياح العراقى للكويت فى الميزان التاريخى (القاهرة: الزهراء – ١٩٩٠) .

٢٥ – حرب الخليج فى محكمة التاريخ . (القاهرة : الزهراء – ١٩٩٠) .

٢٦ – العلاقات المصرية الاسرائيلية (١٩٤٨ – ١٩٧٩) (القاهرة : سلسلة تاريخ المصريين ٤٩ سنة ١٩٩١) .

٢٧ – مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الخامس . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢) .

٢٨ – الصراع الاجتماعى والسياسى فى عصر مبارك . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣) .

٢٩ – تاريخ الاسكندرية فى العصر الحديث . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣) .

٣٠ - تاريخ مصر والمزورون . (القاهرة : الزهراء - ١٩٩٣) .

٣١ - أوهام هيكل وحقائق حرب الخليج . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣) .

٣٢ - قصة بناء المواطنة الخليجية . (القاهرة : مركز المنار للنشر والدراسات الاعلامية ١٩٩٣) .

مع آخرين :

١ - مصر والحرب العالمية الثانية ، مع الدكتور جمال الدين المسدى والدكتور يونان لبيب رزق (القاهرة : مؤسسة الأهرام ١٩٧٨) .

٢ - تاريخ أوروبا فى عصر الرأسمالية ، مع الدكتور يونان لبيب رزق و د. رءوف عباس . (القاهرة : دار الثقافة العربية ١٩٨٢) .

٣ - تاريخ أوروبا فى عصر الامبريالية ، مع الدكتور يونان لبيب رزق و د. رءوف عباس . (القاهرة : دار الثقافة العربية ١٩٨٢) .

كتب مترجمة :

١ - تاريخ النهب الاستعمارى لمصر ، (١٧٩٨ - ١٨٨٢) تأليف جون مارلو . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦).

الفهرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٩٤٠٤ / ٩٣

I.S.B.N 977-01-3554-3







ستظل القراءة هى المظلة الرئيسية للبناء الروحى والفكرى والوجدانى للإنسان، والثقافة هى بكل المقاييس أفضل استثمار لبناء مجتمع المستقبل و«ثقافة السلام» هى الضمان الأكيد لإرساء دعائم الأمن والسلام الاجتماعى، والتسامح ومكافحة العنف، ونشر العلم والمحبة والإخاء والديمقراطية، والتواصل مع الحضارات الأخرى.

سوزان مبارك



٤ جنيه

الهيئة المصرية العامة للكتاب